مكتبة

بيرس براون

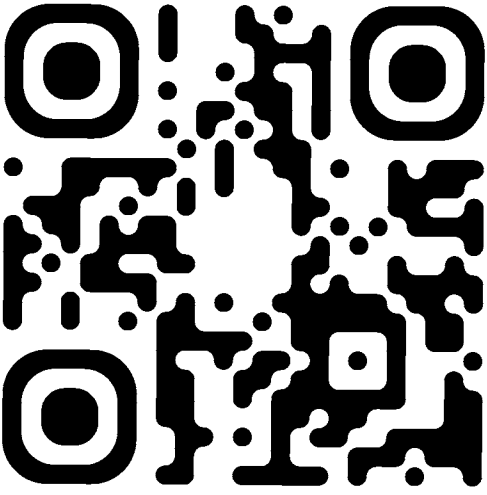
# الابن الذهبي

انتفاضة الحمر#2



رواية

ترجمة: رامي البيروتي



سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

# الابن الذهبيّ




**الابن الذهبي (ملحمة انتفاضة الحمر، # 2) – رواية**

Golden Son (Red Rising Saga, #2)

تأليف: بيرس براون Pierce Brown

ترجمها عن الإنجليزية: رامي البيروتي

تصميم الغلاف:

ISBN: 978 - 9933 - 701 - 48 - 2

الطبعة الأولى: 2025

مكتبة
t.me/soramnqraa

**دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع**

سوريا – دمشق – ص ب: / 9838/

القاهرة، جمهورية مصر العربية

هاتف–فاكس: / 6133856/ 11 00963

جوال: 00971557195187

البريد الإلكتروني: addar@mamdouhadwan.net

الموقع الإلكتروني: addar.mamdouhadwan.net

fb.com /Adwan.Publishing.House twitter.com /AdwanPH

بيرس براون

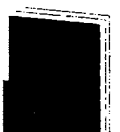
مكتبة
t.me/soramnqraa

# الابن الذهبيّ

رواية

ترجمها عن الإنجليزية:
رامي البيروتي

تمت ترجمة هذا الكتاب بمساعدة صندوق منحة
معرض الشارقة الدولي للكتاب للترجمة والحقوق.



منحة الترجمة
Translation Grant
صندوق منحة الشارقة للترجمة
Sharjah Translation Grant Fund

الابن الذهبيّ عَملٌ خياليّ. الأسماءُ، والأماكِنُ، والشَّخصيّاتُ، والأحداثُ، هي إمّا مِن مَحضِ خيالِ المؤلِّف، وإمّا استُخدمَت على نحوٍ خياليّ. أيُّ تَطابُقٍ مَع شخصيّاتٍ واقعيّةٍ حيّةٍ، أو مُتوَفّاة، أو مَع أحداثٍ، أو أماكنَ واقعيّةٍ، هو مَحضُ مصادفة.

لأمي التي عَلّمَتني الكلام

الذهبيّون:
حُكّام البشريّة شديدو الذكاء.

الفضيّون:
مبتكرون، وممولون، ورجال أعمال.

البيض:
كهنةٌ وكاهناتٌ يشرفون على الطقوس والشعائر في الجمعيّة.

النحاسيّون:
إداريّون، ومحامون، وبيروقراطيّون.

الزرق:
طيّارون وملّاحون فضائيّون، رُبّوا ليكونوا أطقماً للسفن الفضائيّة.

الصفر:
خبراء في العلوم الطبيعيّة والإنسانيّة. علماء، وأطبّاء، ومختصّون نفسيّون.

الخضر:
المبرمجون ومطوّرو التكنولوجيا.

البنفسجيّون:
الطبقة المبدعة من الفنّانين، والموسيقيّين، والمؤدّين.

البرتقاليّون:
يقدّمون الدعم اللازم لأنظمة السفن الفضائيّة وكل أشكال المشاريع الميكانيكيّة.

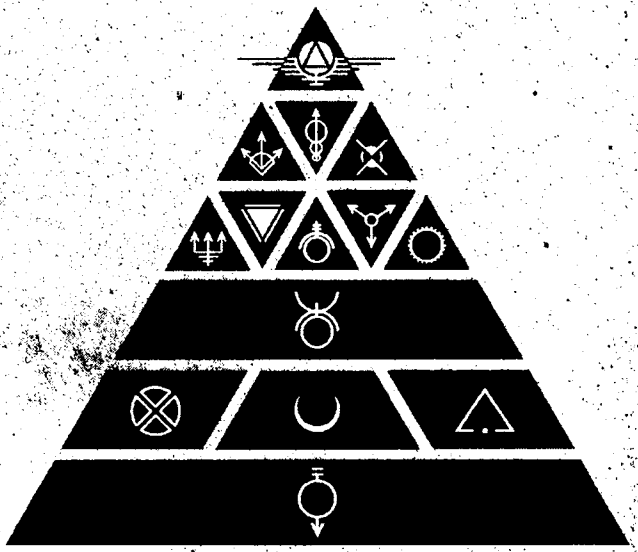
الرماديّون:
أفراد الشرطة والجيش.

البنيّون:
الخدم في المنازل، والأعمال التجاريّة، والمؤسّسات الاجتماعيّة.

السبجيّون:
عرْقٌ عملاقٌ يُربّى للحرب فقط.

الزهريّون:
فريدون في جمالهم، يربّون ويدرّبون من أجل فن المتعة الجسديّة.

الحُمْر:
عمالة يدويّون غير مؤهّلين، جرى تكييفهم للتأقلم مع البيئات القاسية.



حول أساسيّات الألوان:

عندما خاطر المستوطنون الأوائل وغادروا كوكب الأرض ليؤسسوا وطناً لهم على القمر، أنشؤوا تسلسلاً هرميّاً للقوّة العاملة، ومع مرور الوقت، طوّروا هذا التسلسل الهرمي عن طريق التعديلات الوراثيّة والجراحيّة لأقرانهم من البشر، لتكون النتيجة جمعيّة، مُرمّزة لونيّاً، للكفاءة المثاليّة، وتهيمن عليها سلالة بشريّة متفوقة، هي سلالة الذهبيّين.

# الشخصيّات

مكتبة
t.me/soramnqraa

**عائلة أوغوستوس وحلفاؤها:**

نيرو أوغوستوس الذهبيّ، الحاكم العام للمرّيخ، رأس عائلة أوغوستوس، ووالد فيرجينيا وأدريوس.

فيرجينيا أوغوستوس الذهبيّة/ موستانغ، ابنة نيرو، والأخت التوأم لأدريوس.

أدريوس أوغوستوس الذهبيّ/ الشغبر، ابن الحاكم العام، ووريث عائلة أوغوستوس، والأخ التوأم لفرجينيا.

بليني فيلوسيتور الذهبيّ، رئيسُ سياسيٍّي عائلة أوغوستوس.

دارو أندروميدوس الذهبيّ/ الحصّاد، العريف العام لمعهد المرّيخ، والفارس الرمّاح لعائلة أوغوستوس.

تاكتوس راث الذهبيّ، الفارس الرمّاح لعائلة أوغوستوس.

روكي فابي الذهبيّ، الفارس الرمّاح لعائلة أوغوستوس.

فيكترا جولي الذهبيّة، الفارسة الرمّاحة لعائلة أوغوستوس، والأخت غير الشقيقة لأنطونيا، وابنة أغريبينا.

كافاكس تيليمانوس الذهبيّ، رأس عائلة تيليمانوس، وحليف عائلة أوغوستوس، ووالد داكسو وباكس.

داكسو تيليمانوس الذهبيّ، وريث وابن كافاكس، وشقيق باكس.

**عائلة بيلونا:**

تيبيريوس بيلونا الذهبيّ، رأس عائلة بيلونا.

كاسيوس بيلونا الذهبيّ، وريث عائلة بيلونا، وابن تيبيريوس، والفارس الرمّاح لعائلة بيلونا.

كارنوس بيلونا الذهبيّ، ابن تيبيريوس، والأخ الأكبر لكاسيوس، والفارس الرمّاح لعائلة بيلونا.

كيلان بيلونا الذهبيّ، قائد بريتوري، وابن عم كاسيوس، وابن أخ تيبيريوس.

**ذهبيّون مرموقون:**

أوكتافيا لونا الذهبيّة، الحاكمة المعظّمة التي تحكم الجمعيّة.

ليساندير لونا الذهبيّ، حفيد أوكتافيا، ووريث عائلة لونا.

أجا غريموس الذهبيّة، قائدة الحرس الشخصي للحاكمة المعظمة.

مويرا غريموس الذهبيّة، رئيسة سياسيِّي الحاكمة المعظَّمة.

لورن أركوس الذهبيّ، فارس الغضب السابق، ورأس عائلة أركوس.

فيتشنير بارسا الذهبيّ، المشرف السابق لعُصبة مارس، ووالد سيفرو.

سيفرو بارسا الذهبيّ/ غوبلن، قائد العوّائين، وابن فيتشنير.

أغريبينا جولي الذهبيّة، رأس عائلة جولي، ووالدة فيكترا وأنطونيا.

أنطونيا سيفيروس-جولي الذهبيّة، من عُصبة مارس سابقاً، والأخت غير الشقيقة لفيكترا ابنة أغريبينا.

أبناء أريس:

أريس، قائد الإرهابيّين، مجهول اللّون.

الراقص، مساعد أريس، وهو أحمر.

هارموني، مساعدة الراقص، وهي حمراء.

ميكي، نحَّات، وهو بنفسجي.

إيفي، زهريّة من عبيد ميكي سابقاً.

في يوم من الأيّام، جاء رجُلٌ من السماء وقتل زوجتي. أسير إلى جانبه الآن على جبلٍ يطوفُ فوق عالمنا. الثلجُ يتساقط. أبراجٌ محصّنةٌ من الحجارة البيضاء والزجاج البرّاق تنبثق من الصخر.

ومن حولنا تدور فوضى من الجشع. كل العظماء من ذهبيّي المرّيخ انقضّوا على المعهد ليُطالبوا بالأفضل والأذكى من دفعتنا. تتزاحمُ سفنهم في سماء هذا الصباح، قاطعين عالماً من الثلج والقلاع التي ينبعث منها الدخان، ومتّجهين نحو الأوليمبوس، الذي اقتحمته قبل عدّة ساعات فقط.

- «ألقِ نظرة أخيرة». يخبرني، ونحن بالقرب من مركبته: «كلُّ ما حدثَ من قبل ليس إلّا همسةً من عالمنا. عندما تغادر هذا الجبل، كل الروابط ستُقطع، كل العهود ستتحوّل إلى تراب. لستَ مُستعدّاً. لا أحد على الإطلاق».

عبرَ الحشود، ألمح كاسيوس مع والده وإخوته، وهم يشقّون طريقهم نحو مركبتهم. عيونهم تنظرُ إلينا ببياضٍ ناصعٍ من شدّة الغضب، وأنا أتذكّر صوتَ الدقّات الأخيرة لقلبِ أخيه. يدٌ خشنةٌ تضعُ أصابعها العظمية على كتفي، ممسكةً بي على نحوٍ مُتملِّك.

أوغوستوس يحدّق في أعدائه.

- «آل بيلونا لا ينسون، أو يسامحون. إنّهُم كُثُر، لكنْ لن يؤذوك». عيناه

الباردتان تحدّقان بي، أنا أحدَثُ غنائمه: «بالنسبة لك أنتَ مُلكي يا دارو، وأنا أحمي ما أملك».

كما أفعل أنا.

لفترة سبعمئة عام استُعبِد قومي بلا صوتٍ ولا أمل. الآن أنا سيفهم، وأنا لا أسامِح، ولا أنسى؛ لذا أدعهُ يقودني إلى مركبته. أدعهُ يعتقدُ بأنّه يملكني. أدعهُ يرحِّب بي في منزله، كي أتمكّن من حرقه عن بكرة أبيه.

لكنْ عندها تمسكُ ابنته بيدي، أشعرُ بثِقَل الأكاذيب كلها يحطُّ على كتفي. يقولون بأنّ مملكة منقسمة على نفسها لا يمكنها أن تصمُد. إنّهم لا يذكرون أيّ شيءٍ عن القلب.

# الجزء الأوّل

# خضوع

هيك سونت ليونيس. «هنا توجد الأسود».

**—نيرو أوغوستوس الذهبيّ**

# 1

# أسيادُ الحَرب

لصمتي وَقعٌ كهزيم الرعد. أقف على منصّة قيادة سفينتي الفضائيّة، مع ذراعٍ مكسورة ومحمولة في قالبٍ هلامي، الحروق الأيونيّة لا تزال آثارها الحديثة على رقبتي. اللعنة كم أنا مُتعَب! تلتفُّ شفرتي حول ذراعي اليُمنى السليمة كثعبانٍ معدنيٍّ بارد. الفضاء يُفتح أمامي، إنّه شاسعٌ ومُرعب. أجزاء صغيرة مِن الضوء تتخلّل الظلام، وظِلالٌ بدائيّةٌ قديمةٌ تتحرّكُ لتَحجب تلكَ النجومَ عن محيط رؤيتي. إنّها كويكبات. تطفو ببطءٍ حولَ سفينتي الحربيّة، كويتوس، وأنا أبحثُ في ذلك الظلام عن فريستي.

– «اِنتصر». يأمرني سيدي: «اِنتصر كما لا يستطيعُ أولادي، لتُشرِّف بذلك اسم أوغوستوس. اِنتصر في الأكادِيميّة لتحِصل على أسطول». يحِبُّ التكرار الدرامي. أسلوب مُلائم لمعظمِ رجالات الدولة.

يريدني أن أنتصر مِن أجله، لكنّني أريدُ أن أنتصرَ مِن أجل الفتاة الحمراء ذات الحُلمِ الكبير، الحلم الأكبر مِن أي شيءٍ كان يمكن لها أن تحقّقه يوماً. أريد أن أنتصر بحيث يموتُ هو، وتبقى رسالتها ملتهبةً عبر العصور. أمرٌ بسيط.

أبلغُ العشرينَ مِن عمري. طويلٌ وعريضُ المنكبين. بزّتي سوداء قاتمة، أصبحَت مُتجعّدة الآن. شعري طويلٌ، وعيوني ذهبيّةٌ مُحمرَّةٌ مِن الإرهاق. قالت موستانغ ذاتَ مرّة إنّ لديَّ وجهاً حاداً، مع أنفٍ وخدودٍ تبدو وكأنّها منحوتةٌ مِن رخامٍ غاضب. أتجنّبُ المرايا. مِن الأفضلِ أن أنسى القِناعَ الذي أرتَديه، القِناعَ ذا النُدبة المائلة للذهبيّين الذين يحكُمون العوالم مِن عُطارد إلى بلوتو. أنا مِن الفريدين ذوي الندبة. الأذكى والأشدُّ قَسوَةً مِن بين جميع البشر، لكنّي أفتقدُ الألطفَ منهم، تلكَ التي طلبَت منّي البقاء، بينما كنتُ أودِّعُها وأودِّعُ المرّيخ مِن شُرفَتها في أثناء رحيلي قبل عام. موستانغ. أعطيتها خاتماً ذهبيّاً متوّجاً بحصانٍ كهديّة وداع، لتعطيني شفرة. كم هذا متوافق!

مذاقُ دموعها أخذ يخبو مِن الذاكرة. لم أسمَع منها منذ أن غادرتُ المرّيخ، والأسوأ أنّي لم أسمَع مِن أبناء أريس منذُ أن انتصرتُ في معهد المرّيخ قبل أكثر مِن عامين. قال الراقص بأنّه سيتّصل بي بعد أن أتخرّج، لكنّي منذُ ذلكَ الحين أطوفُ على غير هدى في بحرٍ مِن الوجوه الذهبيّة.

هذا أبعدُ ما يكون عن المستقبل الذي تخيّلته لنفسي وأنا صبي. أبعد ما يكون عن المستقبل الذي أردتُ صُنعَه لقومي عندما تركت أبناء أريس ينحتونني. اعتقدتُ بأنّي سأغيّر العوالم. ما الذي لا يعتقده شابٌّ أحمق؟ بدلاً مِن ذلك، إبتُلِعتُ مِن قِبَلِ آلة هذه الإمبراطوريّة الشاسعة والمستمرّة في عملها بعنادٍ وقسوة.

في المعهد، درّبونا على النّجاة والغزو. هنا في الأكاديميّة يعلّموننا عن الحرب. الآن يختبرون انسيابيّتنا. أقود أسطولاً مِن السفن الحربيّة في مواجهة ذهبيّين آخرين. نقاتل باستخدام ذخائر خُلَّبيّة، ونطلقُ فِرق إغارةٍ

مِن سفينةٍ إلى أخرى على طريقة المعارك النجميّة للذهبيّين. لا سبب يستدعي تحطيمَ سفينةٍ تبلغُ كلفتها الناتج الإجمالي السنوي لعشرين مدينة، عندما يكون باستطاعتكَ إرسال سفينة اقتحام عَلَقيَّة مُحمَّلة بالسبجيّين، والذهبيّين، والرماديّين؛ للاستيلاء على أجهزتها الحيويّة، والظفر بها، وجعلها من نصيبك.

في أثناء الدروس الخاصّة بالمعارك النجميّة، لا يتوقّف مُعلِّمونا عن تكرار مُسلَّمات عِرقهم. البقاء فقط للأقوى. الحُكمُ فقط للأذكى. ومِن ثمّ يغادرون ويدَعوننا نعتمدُ على أنفسنا، لنقفزَ مِن كويكبٍ إلى آخر بحثاً عن المؤن والقواعد، ونطاردَ زملاءنا الطلبة إلى أن لم يتبقّ سوى أسطولين فقط.

ما زلتُ أحيكُ المكائد، لكنْ هذه أخطرها على الإطلاق.

- «إنّه فَخ». يقول روكي، وهو يقف بالقرب مِن مرفقي. شعره طويلٌ مثلي، ووجهه ناعمٌ مثل امرأةٍ، ورزين كفيلسوف. القتلُ في الفضاء مختلفٌ عن القتل على الأرض. وروكي في ذلك أشبه بالطفل المعجزة. يقول بأنّ هنالكَ نفحةً شعريّةً في ذلك. تتجلّى بحركة الأجرام والسفن التي تُبحِر بينها، وكأنّها قصيدةٌ شعريّة. وجهه ينسجمُ مع وجوه الزرق الذين يقودون تلكَ المركبات إنّهم -رجالٌ ونساءٌ بخفّة الهواء ينسابون مثل أرواحٍ جامحةٍ عبر الممرّات المعدنيّة، يغلِبُ عليهم المنطق والأوامر الصارمة.

- «لكنّه ليس بالفَخِّ الأنيق كما يظنّهُ كارنوس». يستطرد: «إنّه يعلمُ بأنّنا توّاقون لإنهاء اللّعبة، لذا سينتظر على الجانب الآخر، ليُجبِرنا على الدخول إلى عنق الزجاجة، فيطلق صواريخه. خدعة مجرّبة ومثبتة منذ فجر التاريخ».

يشير روكي بحذر إلى مسافةٍ بين كويكبين كبيرين، إنّهُ ممرٌّ ضيّقٌ علينا اجتيازه إن كنّا نريدُ الاستمرار في ملاحقة سفينة كارنوس المصابة.

- «كل شيء عبارة عن فخٍّ متبّب». تاكتوس راث الذهبيّ، ممشوق القوام وغيرُ المكترث، يقولها متثائباً. يتّكئ بجسدهِ الخطير على نافذة الرؤية، ويحقنُ أنفه بمُنشِّطٍ مِن خلال خاتمٍ في إصبعه. يُلقي بالخرطوشة المستهلكة على الأرض: «كارنوس يعلم بأنّه خاسر. يعذّبنا فقط. مُفتَعلاً المشكلات الصغيرة لإفشالنا وحرماننا مِن النوم. الوغدُ الأناني».

- «يا لكَ مِن قِردٍ ماجنٍ صغير، لا تكفُّ عن النُّباح والتأفّف!». تقول فيكترا جولي الذهبيّة ساخرةً مِن مكانها مقابل نافذة الرؤية. شعرها ذو النهايات المدبّبة يتدلّى إلى أسفلِ أذنيها المزدانتين بحجر اليشم بقليل. مُندَفعة وقاسية، لكن مِن دون مُبالغة، إنّها تزدري استخدام الزينة على حساب النُدب التي حصلت عليها خلال أعوامها السبعة والعشرين. هنالكَ الكثيرُ منها.

عيونها ثقيلة، وضيّقة، وغائرة. فمُها المثير واسعٌ وذو شِفاهٍ شُكِّلت لتقذف الشتائم مثل خرخرة القطط. إنّها تشبه والدتها الشهيرة أكثر مِن أختها غير الشقيقة أنطونيا؛ لكن بقابليّتها لاتّباع سلوكيّاتٍ معاديةٍ للمجتمع، فإنّها تجاوزت كلتيهما بأشواط.

- «الفِخاخُ لا تعني شيئاً». تُعلن: «أسطولهُ قد سُحِق. لم يتبقَ لديه سوى سفينة واحدة. أمّا نحن، فلدينا سبع. ماذا لو انقضضْنا عليه وهاجمناه مباشرة؟».

- «دارو من لديه سبع». يذكّرها روكي.

- «عذراً؟». تسأل منزعجة مِن التصحيح.

– بقيت سبعٌ مِن سفن دارو، بينما أنتِ قلتِ: لدينا. إنّها ليست لنا، فهو العريف.

– الشاعرُ المتحذلق يقصفُ مِن جديد. إنّها الفكرة نفسها يا صاح.

– «بأنّه علينا التهوّر بدلاً مِن الحرص؟». يسألُ روكي.

– «إنها سبعٌ مُقابل واحدة. سيكون مِن المحرج إطالة ذلكَ أكثر. إذنْ فلنَسحَقْ بلطجيَّ بيلونا هذا كالصرصار بحذائنا الضخم، ولْنَطِرْ عائدين إلى قاعدتنا، لننالَ مكافآتنا المستحقّة مِن أوغوستوس العجوز، ومِن ثم نذهب لِلَّعب». تلوّح بكعبها لتأكيد كلامها.

– «صحيح، صحيح». يوافق تاكتوس: «سأعطي كل ما لدي مُقابل غرام من غبار الشيطان».

– «أهذه جرعتكَ الخامسة اليوم يا تاكتوس؟». يسألُ روكي.

– نعم. شكراً لك على ملحوظتك يا أمّي العزيزة، لكنّي ضِقتُ ذَرعاً مِن هذا المخدِّر العسكري. أعتقد بأنّي أستحق نوادي اللؤلؤ وكميّةً وفيرةً مِن عقارٍ محترم.

– ستُنهك وتنفد طاقتك.

يضربُ تاكتوس على فخذه: «عِش حياتكَ جامحاً، وارحل عن دُنياكَ فتيّاً. في الوقت الذي ستكون فيه عجوزاً هرماً ومملّاً، سأكون أنا ذكرى عظيمة للزمن الجميل وأيّام الترف والبذخ».

يهزُّ روكي رأسه: «يوماً ما، يا صديقي المتمرّد، ستجدُ شخصاً ما تحبّه، سيجعلكَ تضحك على الشخص الأخرق الذي كنت عليه يوماً ما. سيصبح لديكَ أولاد. سيصبح لديكَ مسكن. وبطريقةٍ ما ستتعلّم أنّ هنالك ما هو أهمّ مِن المخدّرات والزهريّين».

- «يا إلهي!». يحدّق تاكتوس نحوه برعبٍ مُطلَق: «يبدو ذلك بائساً على نحوٍ مؤكّد».

أمعنُ النظر في شاشة عرض التكتيكات، متجاهلاً مُزاحهم.

الفريسة التي نطاردها هي كارنوس بيلونا الذهبيّ، الأخُ الأكبر لكل مِن صديقي السابق، كاسيوس بيلونا الذهبيّ، والفتى الذي قتلتهُ في أثناء العُبور، جوليان بيلونا الذهبيّ. مِن بين أفراد هذه العائلة ذاتِ الشعر المجعَّد، كاسيوس هو الابن المفضَّل. جوليان كان الألطف. أمّا كارنوس؟ فإنّ يدي المكسورة تَشهد بأنّه الوحش الذي يُطلِقونه مِن قَبوِهم ليقتلَ الأشياء.

منذُ أيّام المعهد وشهرتي في ازدياد؛ لذا عندما وَصلتِ الأخبار إلى دائرة إشاعات البنفسجيّين بأنّ الحاكم العام قد أرسلني أخيراً لأتابع دراستي، أوفِدَ كارنوس بيلونا الذهبيّ وبعضٌ مِن أقاربه المختارين بعناية، مِن قِبل والدة كاسيوس «للدراسة» أيضاً. حرفيّاً تريدُ العائلة الظفرَ بقلبي مُقدَّماً على طبق. فقط شعار أوغوستوس هو الذي يردعهم لأنّ مهاجمتي هي بمنزلة الهجوم عليه.

في نهاية الأمر لا ألقي بالاً لانتقامهِم اللّعين، أو للعداوة الدمويّة لسيّدي مع عائلتهم. أريدُ الحُصولَ على أسطولٍ كي أستطيع استخدامه لصالح أبناء أريس. يا للفوضى التي قد أتسبّبُ بها! لقد درستُ خطوط الإمداد، ومحطّات الاستشعار، والمجموعات القتاليّة، ومراكز البيانات— كلّ نقاط الضغط التي قد تجعل الجمعيّة تترنّح.

- «دارو...». يقترب روكي: «راقِب غطرستك. تذكّر باكس. الغرور يقتل».

- «أريده أن يكون فخّاً». أخبر روكي: «دَع كارنوس يستدير ويواجهنا».

يهزُّ رأسه: «لقد نصبتَ فخّاً خاصّاً بكَ لأجله».

– ما الذي يدفعكَ لقول ذلك الآن؟

– كان عليكَ إخبارنا. كان بوسعي أن—.

– كارنوس سيسقطُ اليوم يا أخي. هذا واقع الأمر بكل بساطة.

– طبعاً، أريد المساعدة فقط. أنتَ تعرف ذلك.

«أعلم». أكتم تثاؤبي وأجعل عيوني تتفقّد الفسحة خلفي ومِن تحتي عند مِنصَّة القيادة. الزُرق بتدرّجاتهم المختلفة يبذلون كل ما في وسعهم هناك، للعمل على الأنظمة التي تدير سفينتي. يتكلّمون أبطأ مِن أيّ لونٍ آخر عدا السبجيّين، مُفضِّلين التواصل الرقمي. إنّهم أكبرُ منّي سنّاً، وجميعهُم متخرّجون في مدرسة منتصف اللّيل. خلفهم بالقرب مِن مؤخّرة مِنصَّة القيادة، يوجد رماديّون مِن مُشاة الأسطول، وبعض السبجيّين يقومون بالحراسة. أربِّتُ على كتف روكي: «حان الوقت».

– «طاقم الإبحار». أنادي على الزُرق في غرفة القيادة: «ارفعوا تركيزكم. هذا هو المِسمارُ الأخير في نعش بيلونا. سنزيل هذا اللقيط مِن الوجود، وأعدكم بأكبر هديّةٍ بوسعي مَنحكُم إيّاها—أسبوع مِن النوم العميق. هل أنتم مستعدّون؟».

بعضُ الرماديّين بالقرب مِن مؤخّرة مِنصَّة القيادة يضحكون؛ أمّا الزُرق فيكتفون بنقر براجمهم على معدَّاتِهم. أنا على استعدادٍ لدفعِ نصف ما في حسابي البنكي المتخم، مِن عطايا الحاكم العام، كي أرى أحداً مِن أصحاب العقول الهوائيّة الشاحبة تلك وقد انبثق فمه عن ابتسامة.

– «كفى تأخيراً!». أنادي: «رماة المدفعيّة، إلى أماكنكم. روكي، جَمِّع المدمِّرات. فيكترا، تابعي تحديد الأهداف. تاكتوس، انشر الدفاعات.

سننهي هذا الآن». أنظرُ إلى ربّانيَ الأزرق الهزيل الضعيف. إنّه يقفُ وسط الفسحة أسفل مِنصَّة قياداتي مُحاطاً بخمسين آخرين. الوشوم الرقميّة الملتوية المدموغة على الرؤوس الصّلعاء للزُرق وأيديهم العنكبوتيّة تتوهّج بظلالٍ ناعمةٍ بلون السيرولين والفضّة في أثناء تزامنهم مع حواسيب السفينة. تبدو عيونهم مُنفصلة عن محيطها عندما ترتدُّ أعصابهم البصريّة لتتّصلَ بالعالم الرقمي. إنّهم يتحدّثون إلينا مِن باب الأدب فقط: «أيّها الملّاح، اجعل قدرة المحركات ستّين بالمئة».

– «حاضر يا دومينوس». يُحدِّق نحو شاشة العرض التكتيكي، إنّها كرة عَرضٍ مُجسَّم تحومُ فوقَ رأسه، وله صوتٌ أشبه بآلة: «ألفتُ عنايتكم إلى أنّ تركيزَ المعدن في الكويكبات يُمثِّل مشكلة لدى تقييم القراءات الطيفيّة. نحنُ عميان كخلد. يمكن لأسطولٍ أن يختبئ في الجانب الآخر مِن الكويكبات».

– «ليسَ لديه أسطول. تقدَّم نحو الفجوة». أقول. محرّكات السفينة تهدر. أومئ برأسي نحو روكي وأقول: «هيك سونت ليونيس». إنّها كلمات سيّدنا الذهبيّ، نيرو أوغوستوس الثالث عشر، الحاكم العام للمرّيخ. أسياد الحرب من أتباعي يكرّرون العبارة.

هنا توجد الأسود.

مكتبة
t.me/soramnqraa

# 2

# الاختراق

تشيرُ القراءات التكتيكيّة المعروضة إلى ستّ مُدمِّرات سريعة تحومُ حول سفينتي الحربيّة المتبقّية. صمتٌ غير مألوفٍ مِن طاقمي الأزرق مع توالي المهام الحربيّة. في هذا المستوى الذي تتواصل فيه الآن عقولهم، وتنسابُ أفكارهم، تكون الكلمات أبطأ من جبال الجليد. مساعِديَّ يراقبون أسطولي. في أيّ وقتٍ آخر، كانوا ليكونوا في مُدمِّراتهم الخاصّة، أو كانوا يقودون الرجال في سفينة اقتحام عَلقيَّة، لكنّي أريد لرفاقي أن يكونوا بالقرب منّي في لحظة الانتصار. حتّى مع وقوف مساعِديَّ هنا إلى جانبي، أشعرُ بالبعد، وكأنّه خليجٌ عميقٌ يفصل بين عالمهم وعالمي.

– «نرصدُ آثار إطلاق صاروخ». يقول مسؤول الاتّصال الأزرق. لا يغلبُ النشاط على مِنصَّة القيادة. لا توجدُ أضواء تحذير تصيبُ الطاقم بالذعر. لا صيحات تكسِرُ الجمود. الزرقُ جنسٌ باردٌ، ينشؤون منذ ولادتهم في فرقٍ جماعيّةٍ تعلّمهُم اتّباع المنطق ومزاولة وظائفهم بكفاءةٍ وبرود. غالباً ما يقال عنهم إنّهم حواسيب أكثر منهم بشر.

المساحة المظلِمة خلف نافذة رؤيتي تتوهّج متّقدةً بستارٍ سميكٍ مِن

الانفجارات الصغيرة. نيران مضادّاتنا تنفجرُ في مشهدٍ عظيمٍ لغمامات مِن السحب البيضاء الباهتة. الصواريخ القادمة تنفجرُ قبل أوانها نتيجة نيران المضادّات التي تستهدف رؤوسها الحربيّة. أحدها يعبرُ لتأخذ مُدمِّرةٌ على جناحنا البعيد بالتَّموّج في محاكاةٍ لانفجارٍ نووي. كان الرجال ليتدفّقوا منها، والغازات لتتسرّب. قد تُحدثُ الانفجارات ثقوباً في هيكلها المعدني ليندفع عبرها الأوكسجين المشتعل نحو الخارج بعنف ممزّقاً إيّاها، مثلما تندفعُ الدماء مِن حوتٍ نازفٍ، وليبتلعها الظلام بطرفة عين، لكنّ هذه ليسَت سوى لعبةٍ حربيّةٍ، ولا يعطوننا فيها أسلحةً نوويّةً حقيقيّة. السلاح الأكثر فتكاً هنا هُم الطلاب أنفسهم.

سفينةٌ أخرى تسقطُ ضحيّةً لرشقات مِن المدفع الكهرومغناطيسي التي تخترقُ المضادّات.

– «دارو...». تتخوّف فيكترا.

أقفُ غافلاً، وأنا أتحسّسُ بإبهامي المكان الذي كان خاتمُ إيو ذات مرّة يزيّنه.

تستديرُ فيكترا نحوي: «دارو... سيسحقُنا إلى أجزاء، إن لم تَلحَظ ذلك».

– «وِجهَة نظر الليدي سديدة يا حصّاد». يكرّرُ تاكتوس، بوَجهٍ يتوهّج باللّون الأزرق من جرّاء شاشة العرض التكتيكي: «أيّا كان ما في جُعبتِك، لا تخجل مِن استخدامه».

– مسؤولي الاتّصال، وَجِّهوا كلّاً مِن سِربيّ السفّاح والمِخلَب للاشتباك مع العدو.

أراقبُ شاشةَ العَرضِ التكتيكي فأرى الأسراب التي أرسَلتُها قبل نصف

ساعة، وهي تُحلِّق حول جانِبيّ الكويكبات، وتنقضُّ على جناح كارنوس. إنّه لمن المستحيل رؤية ما يحدث بالعين المجرّدة مِن هذه المسافة، لكنّها تظهرُ على شكل نبضةٍ ذهبيّةٍ على الشاشة.

- «تهانينا يا أصدقائي». يهمسُ روكي حتّى قبلَ أن يحدثَ الأمر. هنالكَ احترام غيرُ مألوف في صوته، أي إحباطٍ سابق قد زال الآن. «بهذا سيتغيرُ كلُّ شيء». يلمسُ كتفي: «كلُّ شيء».

أشاهد فَخّي وهو يُطبِق، فأشعر بالنصر الوشيك، وهو يزيحُ التوتُّرَ عن أكتافي. يتقدّم الرماديّون الموجودون على مِنصَّة قيادتي خطوة إلى الأمام. حتّى السبجيّون ينحنونَ لمشاهدة الشاشات لدى تسجيلِ سفينة كارنوس آثار سربَيّ. يحاولُ الفرارَ مُطلقاً محرّكاته بأقصى قدرتها للهروب ممّا هو آت، لكنّ مكانه وتموضعه ليسا لصالحه، وكأنّهما يتآمران ضدّه. يطلقُ سربايَ الصواريخ قبل أن يتمكّن كارنوس من نَشرِ حاجز المضادّات، أو تجهيزِ صواريخه للإطلاق. مُحاكاةٌ لثلاثين انفجاراً نوويّاً تُدمِّر سفينته الأخيرة. لا يوجد مغزى مِن الاستيلاء على سفينته في هذه المرحلة مِن اللّعبة، لذلكَ يسرفُ الطيّارون المقاتلون الزُرق في الاستمتاعِ قليلاً.

وبذلك أكون قد فُزت.

تنفجرُ مِنصَّة قيادتي بصيحاتِ الرماديّين والتقنيّين البرتقاليّين. الزُرق يثنون براجمهم بقوّة. السبجيّون -على نقيضٍ مِن هذا العالم المتطوّر تقنيّاً- صامتون. مرافقتي الشخصيّة، ثيودورا، تَبتسِم لمرؤوسيها الأصغر سنّاً عند محطّة المرافقين لمِنصَّة القيادة. مَحظيّة ورديّة سابقة ولّت أيّام عِزّها، كانت فيها موطناً لأسرار كثيرة، وتخدم لديَّ الآن كمستشارتي الاجتماعيّة.

في كل أرجاء السفينة، مِن غرفة المحرّكات حتّى المطابخ، يُبثُّ الانتصار عبر شاشات العَرضِ المجسَّم. هذا ليسَ انتصاري أنا فقط. كلُّ رجُل وامرأة يشاركانه بطريقتِهم الخاصّة. هذا هو مُخطّط الجمعية. كي تزدهِر على رئيسكَ أن يزدهر. وكما عَثرتُ على راعٍ لي في أوغوستوس، كذلك يجبُ على بني الألوان الدنيا أن يعثروا على راعٍ لهُم في شخصي. إنّه يولِّد ولاءً يعتمدُ على الحاجة إلى الذهبيّين، والذي لا يمكن لنظامِ الألوانِ نَفسِه خلقهُ بمجرَّد الإملاء فقط.

الآن نَجمي سيصعَد، وكلُّ مَن على هذه السفينة سيصعدُ معه أيضاً.

إنّ السُّلطة والوعود هما مِن أبرز مشاهير هذه الثقافة. منذ زمنٍ ليس ببعيد، عندما أعلنَ الحاكمُ العام بأنّه سيدعمُ دراستي في الأكاديميّة، توهّجت قنواتُ مُكعَّب العَرض المجسَّم بالتخمينات. هل يمكن لأحد فَتيٍّ هكذا، لأحدٍ مِن عائلةٍ بائسةٍ كهذه، أن يفوز؟ انظروا ما الذي فعلتهُ في المعهد. حطَّمتُ اللّعبة. أخضعتُ المشرفين، قتلتُ واحداً وقيَّدتُ الآخرين كالأطفال. لكنْ هل هذه مُجرَّد وَمضَة في الظلام؟ الآن، هؤلاء اللقطاء الثرثارون لديهِم أجوبتهم.

«أيّها الملّاح، حدّد المسار نحو الأكاديميّة. لدينا أكاليل علينا الُمطالبة بها». أعلنُ للابتهاج. الإكليل. الكلمة بحدِّ ذاتها يتردّد صداها عبر ماضيَّ، مضيفاً مرارة في فمي. على الرغم مِن ابتساماتي، لا أشعرُ بأي بَهجَة كبيرة من جرّاء هذا الانتصار. مُجرَّد شعور بالرضا المقيت.

خطوةٌ أخرى إضافيّة يا إيو. خطوةٌ أخرى إضافيّة إلى الأمام.

– «البريتور دارو أندروميدوس الذهبيّ». تاكتوس يتلاعب باللقب: «آل بيلونا سيرتعدون مِن الخوف. أتساءل إن كان بإمكاني استغلالُ ذلك

للحصولِ على مَنصِبٍ قيادي، أم تعتقد بأنّ عليَّ أن أنضمَّ إلى أسطولك؟ ليس بوسعي معرفةُ ذلك على الإطلاق. البيروقراطيّة المتبية، إنّها مملّة جدّاً. النُحاسيّون للرشوة. الذهبيّون للضغط. وبالطبع إخوتي سيريدون الاحتفال». ينكزني: «في حفل الإخوة راث، حتى أنت ستُضاجِع إحداهنّ في النهاية».

- «وهل تظنّ أصلاً بأنّه سيلمِسُ أصدقاءك؟». تضغطُ فيكترا على يدي، وتترك أصابعها لتلامسها بطريقةٍ توحي وكأنّها ترتدي فستاناً وليس درعاً: «على الرغم مِن أنّني أكره قولَ ذلك، إلّا أنّ أنطونيا كانت على حق بشأنك».

أشعرُ بأنّ روكي يرتجف، وأتذكّرُ صوت أنطونيا، وهي تقطعُ عُنقَ ليا لدى محاولتها استدراجي مِن الاختباء في المعهد. بقيتُ في الظلال، أستمعُ إلى صديقي الصغير، وهو يسقطُ بضعفٍ على الأرض المكسوّة بالطحالب. روكي أحبَّ ليا بطريقته السريعة والخاصّة.

- «أخبرتكِ مِن قبل، لا تذكري اسم أختكِ في حضورنا». أقول لفيكترا، وجهها يمتعضُ نتيجة الإهانة الفظّة.

ألتفِتُ نحو روكي.

- كبريتور، أعتقد بأنّ لديّ الصلاحيّة لتجهيز أسطولي بطاقمٍ مِن اختياري. ربّما علينا إحضار بعض الوجوه القديمة. سيفرو مِن بلوتو، العَوّاؤون مِن أي مكان متبّب أرسلوا إليه، وربّما... كوين مِن غانيميد؟

تحمرُّ وجنتا روكي لدى ذكر اسم كوين.

شخصياً، أتمنّى لسيفرو الأفضل. كلانا لم نواظب -على نحوٍ خاص- على البقاء على اتّصالٍ مِن خلال شبكة الاتّصال المجسَّمة، خاصّةً أنا، لأنّه

لم يكن لديّ إمكانيّة للوصول إليها منذ بداية الأكاديميّة. على كلّ حال، كلُّ ما كان مولعاً بإرساله لي هي صورٌ مُجسَّمة لأحصنةٍ وحيدة القرن بذيئة على نحوٍ فريد، ومقاطع فيديو له، وهو يقرأ فكاهاتٍ يغلبُ عليها الجِناسُ والتورية. إنْ كان لكوكب بلوتو أيُّ تأثير عليه، فهو على الأقل، جعله غريباً، وربّما أكثر وحدة.

- «دومينوس». صوتُ الملّاح الأزرق يسحب انتباهي نحو الشاشة.

- «ما المشكلة؟». أسألُ.

عيناه تلمعان. شاردة، ومتّصلة بمستشعرات السفينة، تنظرُ إلى البيانات الأوليّة للشاشة التي أحدّقُ بها: «الأمرُ غير واضح يا دومينوس. إنّه تشويشٌ للمُستشعر. هنالك أطيافٌ على الشاشة».

على الشاشة المركزيّة الكبيرة، الكويكبات تظهر هناك باللّون الأزرق؛ أمّا نحن فباللّون الذهبيّ، والأعداء بالأحمر. لا ينبغي أن يكون قد بقي منهم أحد الآن، لكنْ على الرغم مِن ذلك هنالك نقطة حمراء تنبضُ الآن. روكي وفيكترا يتقدّمان نحوها. يلوِّح روكي بيده لتنتقلَ البيانات إلى لَوحِه الرقمي. كُرة مُجسَّمة صغيرة تحومُ أمامه. يُكبِّر الصورة ويُقلِّب متنقّلاً عبر فلاتر تحليليّة.

- «إشعاع؟». تقول فيكترا مُحذِّرة: «حُطام؟».

- «خاماتُ الكويكِب قد تسبّبُ انكساراً انعكاسيّاً لإشارتنا». يقول روكي: «ألا يمكن أن يكون الأمر مُتعلّقاً بالبرنامج... لقد اختفت».

النقطة الحمراء تومض مختفية، لكنّ التوتّر ينتشرُ عبرَ مِنصَّة القيادة. الجميعُ يحدِّق في الشاشة. لا شيء. لا شيء هنالكَ سوى سفني وسفينة القيادة المهزومة لكارنوس. إلّا إذا...

روكي يلتفتُ نحوي، بوجهٍ متوتّرٍ مذعور.

- «اهرب». يتمكّن من قولها مع عودة وميض الإشارة الحمراء للحياة مجدّداً.

- «المحرّكات على الطاقة القصوى». أصيح: «زائد ثلاثين درجة عن خط المنتصف».

- «أطلقوا ما تبقّى مِن صواريخ على سطح الكويكب». يأمر تاكتوس. لقد فاتَ الأوان.

تشهقُ فيكترا مُندهِشة، وأنا أرى بالعين المجرّدة ما الذي كانت أجهزتنا تكافحُ مِن أجل كشفه. مُدمِّرة مختبئة في الظلام تظهرُ مِن فتحةٍ في الكويكِب. سفينة اعتقدتُ بأنّي هزمتها قبلَ ثلاثة أيّام. كانت محرّكاتها متوقّفة بينما كانت تنتظر كامنةً في مكانها. نصفها الأمامي مُقطَّع وأسود نتيجة الأضرار. محرّكاتها الآن تنطلق للعمل بطاقتها القصوى، ومسارها يأخذها مباشرةً نحو سفينتي.

ستصدِمُنا بمقدّمتها.

- «بِزّاتُ النجاة وكبسولات الإخلاء!». أصيح. شخصٌ ما يصرخُ علينا كي نتَحضَّر للاصطدام. أُسرِع نحو جانب مِنصَّة القيادة حيث كبسولةُ نجاةِ القيادة الخاصّة بي مَبنيَّة ضِمن الحائط. تُفتَح بكلمةٍ منّي. تاكتوس، وروكي، وفيكترا يركضون نحو نِطاقها. أتراجع، وأصرخُ على الزُرق كي يُسرِعوا ويوقِفوا التزامن. مع كل ما لديهم مِن منطق، سيموتون مِن أجل سفنهم.

أطوفُ حولَ مِنصَّة القيادة، وأنا أصرخُ عليهم كي يُفعِّلوا مَنافِذ الهروب التي لديهم. الملّاح الأزرقُ يقومُ بذلك عن طريق ضغطِه لزرٍّ يؤدّي إلى فتحِ

فتحةٍ في أرضيّة غرفة القيادة. واحداً تلو الآخر يُبطِلون تزامُنهم ويُشفطون إلى الأسفلِ عبر قناة الجاذبيّة نحو كبسولاتِ النّجاة الخاصّة بهم.

- «ثيودورا!». أصيحُ، مُشاهِداً إيّاها، وهي تحُدِّق بشابٍ أزرق لا يزال مُتمسِّكاً بشاشة العمليّات الخاصّة به، وهو خائفٌ مَذعور: «ادخُلي إلى الكبسولة المتبّبة!». إنّها لا تسمَع، ولا الأزرق يَتركُ الشاشة. أُسرِع نحوهما عندما يُطلِق مُستَشعِر الاقتراب إشارته التحذيريّة الأخيرة.

كلُ شيءٍ يتباطأ.

أضواء مِنصَّة القيادة تومِض بالأحمر.

أقفزُ نحو ثيودورا وأضمُّها بين ذراعي.

لتضربَ المدمِّرة سفينتي الحربيّة في خطٍّ مُنتصفها.

مُثبِّتاً ثيودورا إلى صدري، يُلقي بي بعيداً لمسافة ثلاثين متراً عبرَ مِنصَّة قيادتي، لأرتطِم بقوّةٍ بجدارٍ معدني. ألمٌ مُبرِّح يُمزّقني ويجتاحُ ذراعي اليُسرى على طولِ أماكن التِحام الكَسر المجبور. الظلامُ يَغمرني. الأضواء ترقُص هناك، بدايةً مِثل النجوم، ثمَّ تتموّج كخطوطٍ مِن الرمال التي توزِّعُها الرياح.

ضوءٌ أحمر يتسرَّب عبرَ جفني. يدٌ لطيفةٌ تجذبني مِن ملابسي.

أفتحُ عينيّ. إنّي مُلتفٌّ حولَ عمودٍ كهربائي مُنبَعج، أتأوّه مع كلِّ اهتزازٍ للسفينة، مِثلَ وحشٍ قديمٍ يحتضرُ، وهو يغرقُ في الأعماق. العمودُ يهتزُّ بشدّة على معدتي مع إتمام المدمِّرة شقَّ طريقها عبرَ خطٍّ مُنتصفِنا. إنّها تمزّقنا ببطءٍ وَحشي.

أحدُهم يصيحُ باسمي. الأصواتُ تعودُ تدريجيّاً للظهور.

الأضواء تغمرُ مِنصَّة القيادة، بظلالٍ مُتنوّعةٍ مِن الأحمرِ الدَّموي.

صفّاراتُ الإنذار. إنَّهُ لحنُ السفينة الأخير. يدا ثيودورا العجوزتان الرقيقتان تتمسّكان بي، مثلما يتمسَّكُ طيرٌ بتمثالٍ يسقط. أنزفُ مِن جبهتي. أنفي مكسور. أمسحُ الدَّمَ الحارِقَ مِن عيني، وأنقلبُ على ظهري. يتطايرُ الشررُ مِن شاشةٍ مُحطَّمةٍ إلى جانبي. آثار دمائي عليها. هل سقطَت عليّ؟ هنالك قضيبٌ ملقى إلى جانبها، وعيوني تتّجه نحو ثيودورا. لقد حمَلتُها، لكنّها صغيرةٌ للغاية. يداها تحيطان بوجهي.

– «اِنهض يا دومينوس، إن أردتَ أن تعيش فعليكَ أن تنهض». يدا المرأة العجوز ترتعشان مِن الخوف: «أرجوك، اِنهض».

أسحبُ نَفسي مُتأوّهاً وأقفُ على قدَميّ. كبسولةُ نجاةِ القيادة الخاصّة بي غيرُ موجودة. لا بُدَّ من أنّها أطلِقَت في أثناء الاصطدام، أو أنّهُم تركوني خَلفَهم. كذلكَ أيضاً كبسولةُ نجاةِ الأزرقِ قُذفَت بعيداً. الأزرقُ المذعور أصبحَ مُجرَّد لَطخةٍ على الجدار الفاصل. ثيودورا لا تستطيع إبعاد ناظريها عن هذا المشهد.

– «هنالكَ كبسولةٌ أخرى في مَهجَعي». أهمس. عندها أكتشفُ لماذا ثيودورا تنتفض. ليس مِن الخوف، ولكن مِن الألم. ساقُها مُهشَّمة، مَخلوعةٌ نَحوَ الجانبِ مثل قطعة طبشورٍ رطبةٍ مُتشقّقة. لم يُصمّموا الزهريّين ليتحمّلوا ذلك: «لن أتمكّن مِن القيام بذلك يا دومينوس. اذهب الآن».

أركعُ على ركبتي وألقي بها على كتفِ ذراعي السليمة. تتأوّه على نحوٍ مُريع لدى تحريك ساقِها لتُصبِح أسفَلها. أشعرُ باصطكاكِ أسنانِها، ثمّ أركضُ، وأركضُ عبرَ مِنصَّة القيادة المحطَّمة نحوَ الجُرحِ الذي يقتلُ سفينتي، مارّاً بالأروقة التي على مستوى مِنصَّة القيادة نحوَ مَشهدٍ مِن الفوضى. الناسُ يتجمّعون في القاعات الرئيسيّة، تاركين مَواقِعهم

ومَهامهم، وهُم يتسابقون نحو كبسولات النجاة وناقلات الجند في العنبر الأمامي. الناس الذين قاتلوا مِن أجلي -إنّهم كهربائيّون، وعُمّال تنظيف، وجنود، وطبّاخون، وخَدم. لن يتمكّنوا مِن الوصولِ إلى برِّ الأمانِ أبداً. العديدُ مِنهُم يغيّرُ اتّجاهه لدى رؤيتي. إنّهم يتعثّرون إلى الأمام، يتّكئون عليّ، مَذعورين وممسوسين بجنونهم في البحث عن الأمان. يجذبونني، وهُم يصرخون ويَتوسّلون. أدفعُهم بعيداً، فاقداً لجزءٍ صغيرٍ مِن قلبي مع كلِّ مرَّة يسقطُ فيها واحدٌ مِنهُم إلى الخلف. لا أستطيعُ إنقاذهُم. لا أستطيع. يمسكُ برتقاليٌّ بساقِ ثيودورا السليمة لتقومَ رقيبٌ رماديّة بضربهِ على جبهته إلى أن يقعَ على الأرضِ كالحجر.

- «افسحوا الطريق». تصرخُ الرماديّة الضّخمة بصوتٍ جهْوري. تسحبُ حرّاقها مِن جُعبتِه التكتيكيّة وتُطلِق في الهواء. رماديٌّ آخر، يتذكّرُ نفسَه، أو ربّما يعتقدُ بأنّي تَذكّرتُه للخروج مِن فخِّه المميت، ينضمُّ إليها في تفريق الفوضى. لاحقاً، اثنان آخران يشُقّان طريقاً تحت التهديد.

بمساعدتِهم أتمكّنُ مِن الوصولِ إلى جناحي. يُفتَح البابُ مُصدراً هسهسةً بوساطة لمسةٍ مِن حَمضيَّ النووي، ونعبرُ إلى الداخل. يدخلُ الرماديّون مِن بعدنا موَجّهين حرّاقاتِهم نحوَ ثلاثينَ روحاً بائسةً تُحيطُ بالمدخل. يُصدِر البابُ هسهسةً، وهو يُغلَق، لكنّ سبجيّة تندفعُ عبرَ الحُشود وتُقحِم نفسها في إطار الباب، مانعةً البابَ مِن أن يُغلَق. بُرتقاليٌّ يَنضمُّ إليها، ومِن ثمّ أزرقُ مِن رُتبةٍ أدنى. مِن دونِ تردّد، الرقيبُ الرمادي تُطلِق النارَ على السبجيّة في رأسها. رفيقها يُردي الأزرقَ والبُرتقالي ويَجرُّهما خارجَ إطارِ الباب كي يُغلَق. أشيحُ بناظريَّ بعيداً عن الدم الذي على الأرضِ لأُنزِلَ ثيودورا وأمدِّدُها على إحدى أرائكي.

– «دومينوس، كم عددُ الأماكِن المتاحة في كبسولةِ النجاة؟». تسألني الرقيب، وأنا أتوجّهُ نحوَ قِفلِ مَدخلِ الكبسولة. لشَعرِها قَصَّةٌ قصيرةٌ على طِرازٍ عَسكري. وَشمٌ على رقبتها المسمرَّة يَبرُز مِن تحت ياقتها. يدي تحومُ فوقَ موشور التحكّم، مُدخِلة كلمة السرّ عن طريق مجموعةٍ مِن حركات اليد.

– أربعةُ مقاعد. لكم مِقعَدان. قرّروا فيما بينكم.

عددنا ستّة.

– «مِقعَدان؟». تسألُ الأنثى الرقيب ببرود.

– «لكنّ الزهريّة عبدة!». يهسهسُ أحدُ الرماديّين.

– «لا قيمة لها». يقولُ آخر.

– «إنّها عبدتي». أهدُر: «نفِّذي ما أقول».

– «تبّاً لهذا». بعدَ ذلك أشعرُ بالصمتِ مثلما أسمعُه، وأعرفُ بأنّ واحداً مِنهُم قد سحبَ سلاحاً عليّ. أستديرُ ببطء. الرماديُّ العجوز المجحدر ليس أحمقَ. تراجعَ مُبتعداً عن مَداي. ليسَ لديَّ سِلاحٌ سِوى شفرتي. ربّما قد يكونُ بمقدوري قتلُه. يتساءل الآخرون عن الذي يحاول فعله بحق الجحيم.

– «أنا رجُلٌ حُرٌّ يا دومينوس. يجب أن أذهب». يقولُ الرمادي بصوتٍ يرتعش: «لديَّ عائلة. إنّ مِن حقي الذهاب». ينظرُ إلى زملائه وقد غمرهُم اللّون الأحمر المرهِق لأضواء الطوارئ: «إنّها مُجرَّد عاهرة. عاهرة مُتسلِّقة».

– «مارسيل، ضعِ السلاح جانباً». يقولُ العريفُ ذو البشرة السمراء. ينظرُ إلى صديقهِ موَبِّخاً: «تذكَّر قَسَمكَ. سنسحبُ قرعة».

– هذا ليس عادلاً! فهي لا يمكنها حتّى إنجابُ أطفالٍ.

– «وما الذي كان ليعتقدهُ أطفالكَ عنكَ الآن؟». أسألُ.

عينا مارسيل تمتلئان بالدموع. الحرّاق يَهتزُّ في يده الثخينة، ثمّ إطلاق نار. جسمهُ يتجمَّدُ ويتكوّمُ بلا حياة على سطح السفينة عندما تخترقُ رصاصة مِن حرّاق الرقيبِ رأسهُ ليصطدمَ بالجدارِ الفاصِل المعدني.

– «سنفعلُها حسبَ الرُتبة». تقولُ الرقيب معيدةً سلاحَها إلى غمدِه.

لو كنتُ لا أزالُ الرجُلَ الذي عَرفَتهُ إيو، لكنتُ وَقفتُ متجمّداً مِن خوفي، لكنَّ هذا الرجُل رَحل. أَرثي رحيلهُ كلَّ يوم. ناسياً أكثر وأكثر مَن كُنت، وماذا كانت أحلامي، وما الأشياءُ التي أحببتها. فَقدتُ الآن الإحساسَ بالحزن، لكنّي أستمرُّ بالمواصلة على الرغم مِن الظلِّ الذي يُلقيه عليّ.

كبسولةُ النجاة تُفتَح، القِفلُ المغناطيسي يتراجع بقوّةٍ إلى الخلف. يُفتح الباب نحو الأعلى مُصدِراً هَسيساً. أحملُ ثيودورا مِن الأريكة وأربِطُها في أحد المقاعد. الأحزمة كبيرة جدّاً، إنّها مصنوعةٌ للذهبيّين. وثمَّ شيءٌ عميقٌ ومخيفٌ يُزمجِر في جَوفِ سفينتي. على بعد نصف كيلومتر تنفجرُ مخازنُ طوربيداتنا.

تختفي الجاذبيّة الاصطناعيّة. تختفي الجدران المستقرّة. إنّه شعورٌ مُزعِجٌ يتسلّلُ إليّ. كلُّ شيءٍ يدور. أرتطمُ بأرضيّة كبسولة النجاة. أم هو السقف؟ لا أعلم. الضغطُ يخرجُ مِن السفينة. أحدهُم يتقيّأ. أشمُّ ذلكَ عِوضاً عن سماعه. أصرخُ على الرماديّين كي يدخلوا إلى الحُجَيرة. واحدٌ فقط يبقى الآن، بوجهٍ متوتّرٍ وهادئ، بينما الرقيبُ والعريف يسحبان نفسيهما إلى داخل كبسولة النجاة. يجلسان مقابلي ويربطان أحزمتهما.

أقوم بتشغيل وظيفة الإطلاق وأُحيِّ الرمادي الذي بقيَ خلفنا. يردُّ التحيّة، بفخرٍ وولاءٍ على الرغم مِن الهدوء الذي في داخله، وهو يواجه لحظات حياتِه الأخيرة، نظراتُه الشاردة تُفكِّر بحُبٍّ يافع، وبعضِ الطُرقِ التي لم تؤخذ، ربّما يتعجّب لماذا لم يولد كذهبيّ.

ثمّ يُغلَق الباب ويختفي مِن عالمي.

أرتطمُ بمقعدي لدى انطلاقِ كبسولة النجاة مُبتعدةً عن السفينة المحتضِرة. نشقُّ طريقنا عبرَ الحُطام، ومِن ثمّ نصبحُ عديمي الوزن مُجدّداً، وننجرفُ بعيداً عن المشكلة، بينما تبدأ مُخمِّدات القصور الذاتي بالعمل. أشاهدُ مِن خارج نافذة رؤيتنا سفينة قياداتي تتجشّأ نفثاتٍ مِن ألسنة لهب زرقاء وحمراء. الهيليوم-3 المعالَج، الذي يُشغِّلُ كِلا السفينتين، يَشتعلُ بالقربِ مِن مُحرِّكات سفينتي الحربيّة، مُسبّباً سلسلةً مِن الانفجارات التي تمزّقُ السفينة إرباً إرباً. فجأةً أدركُ بأنّ ما شَعرتُ به على جدران كبسولة نجاتي، وأنا أغادر السفينة، لم يكن حُطاماً، بل كانوا أناساً. طاقمي. المئات مِن بني الألوان الدُنيا أُلقيَ بهم إلى الفضاء.

يجلس الرماديّان قبالتي.

– «كان لديه ثلاثُ بنات». يقولُ العريفُ ذو البشرة السمراء، مُرتعشاً بعد انحسار الأدرينالين: «سنتان وكان ليحصلَ على معاش تقاعد، فقمتِ بتفجير رأسه».

– «بعدَ تقريري، لن يحظى الجبان حتّى بمعاش وفاة». تبدي الرقيب سخريتها.

العريفُ يغمزها: «أيّتها العاهرة الباردة».

كلماتهما تخبو لتغلب عليها دفقاتُ الدم في أذني. هذا خطئي. خرقتُ

القواعد في المعهد. بدَّلتُ المنظورَ الفكري، وظننتُ بأنّهم لن يتأقلموا. بأنّهم لن يبدّلوا مِن استراتيجيّتهم للتعامل معي.

والآن فَقدتُ الكثير مِن الأرواح، لن أتمكّن مِن معرفة العدد أبداً.

لقد ماتَ أناسٌ بطرفة عين أكثر ممّا ماتَ خلال سنة كاملة في المعهد، موتهُم يفتحُ ثقباً أسودَ في معدتي.

روكي وفيكترا يتواصلان معي عبر جهاز الاتّصال. لقد تتبّعوا لوحي الرقمي وعلموا بأنّي بخير. بالكاد أسمعهما. غضبٌ جامحٌ وشرّيرٌ يعصف في داخلي جاعلاً يديّ ترتعشان، وقلبي يضرب بقوّة.

بطريقةٍ ما، تستمرّ سفينة كارنوس في تقدّمها عبر الفضاء بعد أن شطرت سفينة قيادتي، مُصابةً بالأضرار، لكنّها غيرُ مُعطَّلة. أقفُ في كبسولتي، مُفكّكاً أحزمة المقعد. على الجانب البعيد مِن كبسولة النجاة يقبع أنبوبُ قَذفٍ مُجهّزٍ مُسبقاً بقذيفة نجميّة—إنّها بدلةٌ ميكانيكيّةٌ صُنعَت لتجعل مِن المرء طوربيداً بشريّاً. صُمّمت كي تُطلِق الذهبيّين إلى الكويكبات، أو الكواكب، لأنّ الكبسولة لن تستطيع تحمُّل العودة إلى الغلاف الجوي، لكنّي سأستخدمُها للثأر. سأطلقُ نفسي نحو مِنصَّة القيادة اللّعينة للقطاء مِن آل بيلونا.

ثيودورا لم تستفق بعد. أنا سعيد.

أطلبُ مِن العريف أن يساعدني بارتداء البَدلة. بعد دقيقتين أصبحُ داخل القَوقَعةِ المعدنيّة. أحتاجُ إلى دقيقتين إضافيّتين للتجادل مع الحاسوب حول الحسابات اللازمة مِن أجل أن يتقاطع مسارُ قذفي مع مسار كارنوس بحيث أخترقُ نافذة مِنصَّة القيادة. لم أسمع عن أحد قام بذلك مِن قبل. وحتّى لم أرَ أحداً يحاول ذلك. إنّه جنون. لكنّ كارنوس سيدفع الثمن.

أبدأ بالعدِّ التنازلي الخاص بي.

ثلاثة... سفينة العدو تعبرُ بكلِّ وقاحة على بعدِ مئة كيلومتر. إنّها أشبه بثعبانٍ أسود مع ذنبٍ أزرق، ومِنصَّة قيادة في مكان العينين. بيننا مئاتٌ مِن كبسولات النّجاة تتلألأ مثل ياقوتٍ مرميٍّ في وجه الشمس. اثنان... أصلِّي كي أجدَ الوادي إن لم أنجُ مِن هذا. واحد... أجهزة تحكّمي تتعطّل، واللّون الأحمر يومض عبرَ خوذتي. المشرفون يتجاوزون حاسوبي ويعطّلون أجهزة تحكّمي.

- «كلّا!». أصيحُ مزمجراً، وأنا أشاهدُ سفينة كارنوس تختفي في الظلام.

# 3

# دمٌ وبول

ثمانمئة وثلاثة وثلاثون رجُلاً وامرأة. ثمانمئة وثلاثة وثلاثون قتيلاً من أجل لعبة. أتمنّى لو أنّي لم أعرف الأرقام. كرّرتُ الرقم مراراً وتكراراً، وأنا جالسٌ في عَنبرِ المسافرين في سفينة الإنقاذ التي أُرسِلَت لتُعيدَني إلى الأكاديميّة. يجلسُ مساعِديَّ خائفين مِن أن تلتقي نظراتنا. حتّى روكي تركني وشأني.

المدرّبون عطّلوا مركبتي قبلَ أن أتمكّن مِن الانطلاق. يقولون إنّهم فعلوا ذلك لكي يجنّبوني خطأً غبيّاً. الخُدعة كانت مُتسرِّعةً، وغبيّةً، ولا تتناسب مع بريتور ذهبيّ. أحدِّق فيهم بذهول في أثناء استجوابِهم لي مِن خلال الشبكة المجسَّمة.

نصلُ إلى الأكاديميّة مع نهاية اليوم وِفقَ الدورة الزمنيّة لسفينتي. المكان عبارة عن ميناءٍ كبير على تخومِ حقل كويكِبات، ذي قُبَّةٍ معدنيّةٍ ومُحَاط على نحوٍ دائري بأرصفةٍ لرسوّ المدمِّرات والسفن الحربيّة. أغلبها مَشغول. يوجد في هذا المكان مقرّ الأكاديميّة ومركز قيادة القطاع الأوسط الذي يعدّ إحدى الخلايا العسكريّة للجمعيّة والخاص بالعوالم الوسطى

من المرّيخ، والمشتري، ونيبتون، كما أنّه يُخدِّم القوّات الكوكبيّة الأخرى عندما تقتربُ مداراتهم مِن هنا. زملائي الطلّابُ كانوا يشاهدون ما يجري مِن هنا في المهاجع، كذلك العديدُ مِن مسؤولي الأسطول والفريدون ذوو الندبة الذين توافدوا إلى هنا خلال الأسابيع الأخيرة مِن اللّعبة للاحتفال والمشاهدة.

لا أحد يذكرُ الكلفة البشريّة التي تَطلَّبها انتصار كارنوس. لكنّ الهزيمة ستؤخِّرُ مهمّتي. أبناء أريس لديهم جواسيس. لديهم مُخترِقون ومحظيّات مِن أجل سرقة الأسرار. الشيء الذي ليس بحوزتهم هو الأسطول، ولن يحصلوا عليه الآن.

لا أحد يُرحِّب بي، أو بمساعِديَّ عند رصيف الرسوّ.

الحُمر والبنيّون يتحرّكون بنشاطٍ بناءً على أوامر اثنين مِن البنفسجيّين ونحاسيّ، الذين يقومون بالتحضيرات مِن أجل الاحتفال بانتصار كارنوس في القاعة الكبرى. اللونان: الأزرق، والفضيّ لعائلة بيلونا يزيّنان القاعات المعدنيّة الغائرة. العُقاب الذي يتربّع على قمّة شعار عائلته يغطّي الجدران. لديهم بتلات مِن وَردٍ أبيض لأجله. بتلات الورد الأحمر مخصّصة لاحتفالات النصر الكبرى، للانتصارات الحقيقيّة حيث يُراق دَمُ الذهبيّ. دماء ثمانمئة وثلاثة وثلاثين مِن بني الألوان الدُنيا لا تُحتسَب. إنّها مسألةٌ إداريّةٌ فقط.

مساعِديَّ استغرقوا في النوم طوال رحلة عودتنا إلى المقرّ. أنا لم أفعل. تاكتوس وفيكترا يسيران أمامي بخطى متعثّرةٍ وبصمتٍ وكأنّ النوم لا يزال يستحوذ عليهما. على الرغم مِن الثِقَل الذي أشعرُ به في أكتافي، إلّا أنّي لا أتوق إلى النوم. النَّدمُ يتربَّصُ بي خلف عيوني المحتقنة بالدماء.

إن نمتُ أعلمُ بأنّي سأرى وجوه أولئك الذين تركتهُم ليلقوا مصيرهم في أروقة السفينة. أعلم بأنّي سأرى إيو. لا يمكنني مواجهتها اليوم.

تفوح مِن الأكاديميّة رائحة مانِع العفونة والأزهار. بتلاتُ الورود موضوعة في صناديق على الجانب. أنابيب التهوية في الأعلى تعيدُ تدوير أنفَاسِنا وتُنقّي الهواء، مُصدِرةً صوتَ همهمةٍ دائماً. أضواءٌ فلوريسنتيّة شاحبة تتدلّى مِن السقف، وكأنّها تريدُ أن تذكّرنا بأنّ هذا المكان ليس مناسباً للأطفال، أو الفنتازيا. الضوء -مثل الرّجال والنساء هنا- فظٌّ وبارد.

يبقى روكي إلى جانبي، ونحن نمشي، على الرّغم مِن مظهره الشاحب. أخبره بأن يأخذ قِسطاً مِن النوم، وبأنّه يستحقّه.

- «وماذا تستحقُّ أنت؟». يسأل: «إنّه ليس يوماً للاستياء. ليس يوماً لجلد الذات. مِن بين كل الفرسان الرمّاحين أنتَ الثاني. الثاني! لماذا لا تفتخر بذلك يا أخي؟».

- ليس الآن يا روكي.

- «هيّا الآن». يتابع: «ليس النصرُ مَن يصنعُ الرجُلَ، بل إنّها هزائمه. أتظنّ بأنّ أجدادنا لم يخسروا قطّ؟ لستَ مضطرّاً للتذمّر والتأفّف حيال ذلك وجعل نفسكَ أشبه بواحدةٍ مِن تلك العبارات اليونانيّة المبتذلة. تخلّص مِن غرورك. إنّها مُجرَّد لعبة».

- «أتعتقد بأنّي أكترثُ أصلاً لهذه اللّعبة؟». أستديرُ نحوه: «لقد مات أناس».

- لقد اختاروا أن يعيشوا حياتهُم في خدمة الأسطول. يعرفون المخاطر وماتوا مِن أجل القضيّة.

- أيّة قضيّة؟

– لإبقاء جمعيّتنا قويّة.

أنظرُ إليه مُحدِّقاً. أيمكنُ لصديقي، صديقي اللّطيف، أن يكون أعمى لهذه الدرجة؟ ما الخيار الذي كان لدى هؤلاء الناس؟ لقد جُنِّدوا. أهزُّ رأسي: «أنتَ لا تفهم شيئاً، أليس كذلك؟».

– طبعاً لا أفهم. أنتَ لا تشاركُ أحداً بشيء. لا أنا، ولا سيفرو. انظر كيف عاملتَ موستانغ. إنّكَ تصدُّ أصدقاءكَ عنكَ وكأنّهُم أعداؤك.

لو أنّه يعلم فقط!

أجدُ الحديقة خاوية. إنّها تقعُ على قمّة المقرّ، قاعةٌ كبيرةٌ مِن الزجاج، والتربة، والمساحة الخضراء المصمّمة كمكانٍ ينكفئ إليه الجنود الذين سئموا مِن الفلوريسنت. الأشجار القزميّة تتأرجحُ في نسمة مُصطَنعة. أخلعُ حذائي، أنزع جواربي، وأتنهّد مع تخلّل العشب لأصابعي.

المصابيحُ فوقَ الأشجار تُشكِّل شمساً مزيّفة. أستلقي تحتها إلى أن أسحب نفسي متأوّهاً وأتّجه نحو ينبوعٍ حارٍّ صغير يقع وسط الفسحة. كدَماتٌ، أغلبُها قد بَهُتَ، تُلطِّخ جسمي مِثلَ بِركٍ زرقاء وأرجوانيّة صغيرة محاطة برمالٍ صفراء. الماء يخفّفُ مِن أوجاعي. أنا أنحف ممّا ينبغي، ولكنّي مشدودٌ بقوّةٍ مثل وتر بيانو. لو لم تكن ذراعي مكسورة، لقلتُ بأنّي أكثرُ صِحَّةً ممّا كنتُ عليه في المعهد. القتالُ مع تناول البَيضِ ولحم الخنزير المقدّد في الأكاديميّة يفوق بمراحل لحم الماعز النيّئ الذي يقدّمونه في هذا المكان.

أعثرُ على براعم الهايمانتوس على جانب البركة. إنّها تنمو حيث لا يغطّيها الماء. موطنها الأصلي هو المرّيخ، مثلي أنا، لذلك لا أقطفها.

دَفنتُ إيو في مكانٍ مثل هذا. دَفنتُها في غابةٍ مزيّفةٍ فوق مَنجمِ ليكوس، حيث مارستُ الحُبَّ معها آخر مرّة. لقد كنّا هزيلين، أشياء بريئة حينها. كيف يمكن لفتاةٍ هزيلةٍ إلى هذا الحد أن تكون لها مثلُ تلكَ الروح، أن يكون لها حلم كالحريّة، بينما العديد مِن الأرواح القويّة مقيّدة وتُبقي رؤوسها منخفضةً خوفاً مِن النظر إلى الأعلى؟

صرختُ في وجه روكي بأنّي لا أهتم للخسارة. مع ذلك أنا أهتم، وهنالك شعور بالذنب يتابني لاهتمامي بذلك بينما يجب أن تكون الأرواح الكثيرة التي فُقِدت هي مَن يستحق كل اهتمامي وأسفي. لكنْ قبل هذا اليوم، كان النصر يُشبِعني، لأنّه مع كل نصر كنت أقترب أكثر مِن تحقيق حُلمِ إيو. الآن، الهزيمة سلبتني ذلك. لقد خَذلتُها اليوم.

وكأنّه يعلم بأفكاري، ينغز لوحي الرقمي ذراعي. أوغوستوس يتّصل. أفصِلُ الشاشة الرقيقة كالشعرة وأغمض عينيّ.

كلماته تتردّد في الذاكرة: «حتّى لو خسِرت، حتّى لو لم تتمكّن مِن الفوز لنفسك، لا تسمح لآل بيلونا بالانتصار المظفَّر. أسطولٌ آخر تحتَ سيطرتِهم سيَقلبُ موازين القِوى».

انتهى الأمر بالنسبة لذلك. أطفو على سطح الماء مُتقلّباً بين النوم واليقظة إلى أن تجعّدت أصابعي وانتابني الضجر. لستُ مخلوقاً لتلكَ اللحظاتِ الهادئة. أسحبُ نفسي مِن الماء لأرتدي ثيابي. لا يمكنني إبقاء أوغوستوس ينتظرني لمدّةٍ طويلة. إنّه الوقتُ لمواجهة الأسد العجوز. ومِن ثمّ النوم ربّما. عليَّ النهوض ومشاهدة الانتصار الملعون لكارنوس، لكن بعد ذلك سأغادرُ هذا المكان القبيح وأتّجه عائداً إلى المرّيخ، وربّما موستانغ.

ولكنْ في أثناء استدارتي لمغادرة البركة، أرى بأنّ ملابسي قد اختفت، وكذلك شفرتي.

ومِن ثمّ شعرتُ بهم.

مُنصتاً لوَقعِ أحذيتهم العسكريّة مِن خلفي، ولأنفاسهم العالية المنفَعلة، إنّهم أربعة على ما أظن. ألتقطُ حجراً مِن الأرض. كلّا! أستديرُ لأجد سبعةً يسدّونَ المدخل الوحيدَ إلى الحديقة. جميعهُم مِن ذهبيِّي عائلة بيلونا. جميعهُم أعدائي بالدم.

يأتي كارنوس مع آل بيلونا، مباشرة مِن سفينته. وجههُ هزيل كوجهي، كتفاه ربّما بنصف عرض ما كانتا عليه مِن قبل. يطلُّ عليَّ مِن الأعلى—إنّه سبجيٌّ بكُلِّ شيءٍ عدا المولِد والعَقل. ذلكَ الفمُ الضاحكُ بابتسامته ذاتِ الذكاء غير العادي. يفركُ يداً فوق ذقنه ذات الغمّازات، سواعده مفتولة العضلات تبدو وكأنّها منحوتةٌ مِن خَشبٍ نَهريٍّ مصقول. هنالكَ شيءٌ مُخيفٌ يكمنُ في وجودكَ بحضرةِ شخصٍ كبيرٍ لدرجة أنّهُ يُمكِنكَ أن تشعرَ باهتزازات صوتِه تتخلّلُ عظامك.

– يبدو أنّنا أمسكنا بأسدِ أوغوستوس بعيداً عن زمرته. ها هو الحصّاد.

– «جالوت». أدمدمُ مُستخدماً لقبه.

جالوت المحطِّم. جالوت قاتل الأبناء. جالوت المتوحّش. موستانغ قالت بأنّه ذاتَ مرّة كسر ظهر واحدٍ مِن أولئكَ الذهبيّين المرفّهين المولودين في القمر بركبته بعد أن فكّرَ الفتى بسكبِ مَشروبٍ على وَجهِه في نادي اللؤلؤة. رشت أمّه حينها القاضي ليجعلهُ يفلِت بغرامة.

قائمةُ الغرامات التي دفعها مُقابِل القَتلِ أطولُ مِن ذراعي. رماديّون، زهريون، وحتّى بنفسجيّون. لكنّ سمعتهُ الحقيقيّة أتَت مِن قتلِ كلاوديوس

أوغوستوس الذهبيّ؛ وليّ العهد والابنُ المفضَّل للحاكم العام. شقيق موستانغ.

أولادُ عمومة كارنوس يطوفون حوله. جميعهُم مِن آل بيلونا. كلهُم ولِدوا تحتَ الألوان الزرقاء والفضيّة لشعار العُقاب الفَاتِح. إخوة، أخوات، أولاد عمومة كاسيوس. شعرهم مُجعَّد وثخين، وجوههُم غاية في الجمال. نفوذهُم يمتدُّ عبر الجمعيّة، مِثل سمعة أَذرُعهم.

واحدٌ مِنهُم أكبرُ سنّاً منّي بكثير، أقصَر لكنْ ببُنيةٍ أقوى مثل جذع شجرةٍ مع طحالب شقراء تغطّي رأسه. إنّه رجُلٌ في الثلاثينيّات مِن عمره. كيلان، لقد تذكّرته الآن. إنّه ليغاتوس بارز، مِن فرسان الجمعيّة. وقد أتى إلى هنا مع إخوته وأبناء عمومته مِن أجلي. الغطرسةُ تنضحُ مِنهُ. إنّهُ يتظاهرُ بالتثاؤب، وهو يلعبُ هذه الألعاب التافهة.

الخوف يَعصِف في صدري.

أشعرُ بصعوبةٍ في التنفّس. مع ذلك أضحك، أصابعي تتلمَّسُ وظائفَ الاتّصالِ لِلَوْحيَ الرقمي خلف ظهري.

– «سبعةٌ مِن آل بيلونا». أضحك: «ما حاجتكَ لسبعة يا كارنوس؟».

– «كان لديك سبعُ سُفنٍ ضِدَّ سفينتي». يقول كارنوس: «أتيتُ لنتابع اللّعب بلعبتنا». يَخفِض رأسه: «أتعتقدُ بأنّ الأمرَ انتهى بتدميرِ سفينتك؟».

– «انتهتِ اللُّعبَة». أقول: «أنتَ ربحت».

– «أحقاً ربحت يا حصّاد؟». يسألُ كارنوس.

– مقابل ثمانمئة وثلاثة وثلاثين شخصاً.

«أيتأوّهون لأنّكَ خَسِرت؟». تسألُ كاغني. إنّها الأصغر مِن بين أولاد عمومته، في العشرينيّات مِن عمرها، وهي فارِسٌ رمّاحٌ لوالِد كارنوس.

إنّها مَن تحتضنُ شفرتي، تلك التي أعطتني إيّاها موستانغ. تلوِّح بها في الهواء مُصدِرةً حفيفاً: «أظنُّ بأنّي سأحتفظُ بهذه. لا أظنُّ حتّى بأنّي سمعتُ أنّكَ استخدمتها. ليسَ الأمرُ وكأنّي أصدِرُ أحكاماً. الشفرات يمكنُ أن تكونَ خادعة. أخشى أنّها مَخاطِر التَنشِئة الجاهلة».

– «اِذهبيّ وأقحِمي قبضتكِ في ابن عمك». أقول ساخراً: «لا بدَّ من أنّ هنالكَ سبباً، يا حثالة الشعر المجعّد، لكونكُم جميعاً تبدون مُتشابهين».

– «هل علينا أن نستمعَ لنُباحِه يا كارنوس؟». تتأفّفُ كاغني.

– «لقد علّمتُ جوليان الصيدَ يا حصّاد». يقولُ الليغاتوس كيلان فجأة: «كصبيّ لم يُحبَّ الأمر لأنّه كان يظنُّ بأنّ ذلك يؤذي السمكَ جدّاً. كان يعتقدُ بأنّهُ أمرٌ وَحشي. إنّهُ الصبيُّ الذي جعلكَ سيِّدكَ تقتُله. هذا هو مقياس قَسوَته. لذا ما مدى العظمةِ التي تشعرُ بها؟ ما مدى الشجاعةِ التي تُصوِّر نفسكَ عليها؟».

– لم أرِد قتله.

– «أوه، لكنّنا نريدُ قَتلك». يهدرُ كارنوس. يومئ إلى أبناء عمومته. اثنان مِن آل بيلونا يكسران فروع أشجار ويرمونها إلى أقربائهم. لديهِم شفرات، لكنْ على ما يَبدو يُريدون أخذَ وَقتِهم.

– «إن قتلتموني سيكونُ هنالكَ تداعيات». أقول: «إنّه ليسَ بنزالٍ ممنوعٍ، وأنا فريدٌ ذو ندبة. أنا مَحميٌّ وِفقَ الميثاق. هذه ستكون جريمة قتل. الفرسان الأولمبيّون سيطاردونكُم، وسيحاكمونكُم، وسيعدِمونكُم».

– «مَن قال أي شيء عن جريمة قتل؟». يسألُ كارنوس.

– «أنتَ تَخصُّ كاسيوس». وجهُ كاغني الأشبه بالثعلب ينفرجُ مُبدياً ابتسامة.

– «اليوم أنتَ مَحميٌّ مِن قِبَلِ أوغوستوس». يقولُ كارنوس: «إنّكَ فتاه المختار. قَتلُكَ يعني إشعالَ حرب. لكنْ لا أحد سيخوضُ حرباً مِن أجل بضع ضربات».

كاغني تُفضِّل ساقها اليسرى. يبدو أنّ هنالك إصابة في الركبة. ابن عمٍّ لها يميلُ على كعوبه. خائفاً منّي. ذلك الكبير، كارنوس، يتّخذُ وضعيّة المواجهة، ما يعني بأنّه لا يكترثُ أبداً للضرر الذي يُمكن أن أسبّبه. كيلان يبتسمُ ويقفُ مُسترخياً. أكره هذا النوع مِن الرجال. مِن الصعبِ الحُكم عليهم. أحسبُ فُرَصي، ثمّ أتذكَّرُ ذراعي المكسورة، وأضلاعي المصابة، والكدمات حول عيني، لأخفِّضَ تلكَ الفُرصَ إلى النصف.

أنا خائف! لا يمكنهُم قتلي، وليسَ بإمكاني قتلُهم. ليسَ هنا. ليسَ الآن. جميعُنا يعرفُ كيفَ ستنتهي هذه الرقصة، لكنْ علينا أن نرقُص.

كارنوس يُفرقِع أصابعهُ ليندفعوا جميعاً نحوي بسرعة. أرمي الحجر نَحوَ وَجهِ كاغني، فتسقط، ثمّ أندفعُ نحو كارنوس، وأنا أعْوي كذئبٍ مجنونٍ، مُتفادياً ضربتهُ الأولى، ومُسدّداً وابلاً مِن الضربات الغاضبة لمراكزه العصبيّة، أضرب بمرفقي عضلة ذراعه اليمنى، ممزّقاً أنسجتها. يتأرجح إلى الخلف، فأندفع نحوه وألتصقُ به، مُستخدماً جسمهُ الضخم لأحمي نفسي مِن البقيّة وعِصيِّهم. أُجرِّدُ إحدى بنات عمومة بيلونا مِن عصاها، مُسدّداً ضربةً مِن مِرفقي إلى صَدغِها، ومِن ثمّ أستدير، مُوجِّهاً ضربةً دائريّةً بالعصا نحو وَجهِ كارنوس. لكنّها تُصدّ. شيء ما يضربُ مؤخّرة رأسي. الخشبُ يتهشّم. الشّظايا تحفرُ في الجمجمة. لا أسقُط إلى أن يقوم كارنوس بضربي بمرفقه بشدّة في وجهي ليقفز سنّي.

إنّهم لا يتناوبون واحداً تلو الآخر- بل يحيطون بي ويعاقبونني بكفاءةٍ

مستخدمين فنّهم المميت، الكرافات. يستهدفون الأعصاب والأعضاء. أتمكّنُ مِن النهوض وضربِ بعضٍ مِن مهاجميَّ. لكنّي لم أعد قادراً على الوقوف على قدمَيّ. أحدٌ ما يُقحِم عصاه في جلدي، مصيباً العصبَ تحتَ الضلعي. أنهارُ نحو الأرضِ مثل شَمعٍ يذوب، وكارنوس يركلني في رأسي.

أعضُّ نِصفَ لساني.

الدفء يملأ فمي.

الأرضُ هي الشيء الأكثرُ طراوة الذي أشعرُ به.

أختنق بالملح.

الدم والهواء يندفعان كرشقات خارجَ فمي بينما كارنوس يضعُ قدمهُ على معدتي، ثمّ حلقي. يضحك: «هذه كلماتُ لورن أركوس الذهبيّ: إن لم يكُن بوسعكَ سوى جرحِ رجُل، فمِن الأفضلِ أن تقتلَ كبرياءه».

أغرغر محاولاً التقاط أنفاسي.

كاغني تحلُّ مَحل كارنوس لتجلسَ على صدري، وركبتاها تُثبِّتان ذراعيّ. ألهثُ بشدّة مُحاولاً التقاطَ أنفاسي. تبتسمُ في وجهي وتنظرُ إلى مَنبتِ شعري، مع شفتين مفتوحتين بحماسٍ ناجمٍ عن شعورٍ بالسيطرة على شخصٍ آخر. تُمسك بشعري وتلفّهُ على قبضتها. أنفاسُها الساخنة لها رائحة أشبه بالنعناع. «ماذا لدينا هنا؟». تسأل، وهي تسحبُ لوحي الرقمي مِن مكانه على ذراعي: «تبّاً! لقد تواصلَ مع آل أوغوستوس. أفضّلُ عدمَ قِتال عاهرة آل جولي تلك مِن دون درع».

– «إذنْ كفاكِ تسكّعاً». يهدر كارنوس: «اِفعليها».

– «شش!». تهمسُ لدى محاولتي الحديث، ممرّرةً سكّيناً فوق شفتي،

لتدفعها إلى داخل فمي حتّى يصطدمَ المعدنُ الهشُّ بأسناني مُصدراً طقطقة: «أيّتها العاهرة الصغيرة المطيعة».

تقطع شعري بخشونة.

– جميلٌ وهادئ. حصّاد مطيع. أحسنت.

الدم يحرقُ عيوني بينما يقومُ كارنوس بدفعِ كاغني بعيداً عن صدري، ويمسكُ بي ويرفعُني عن الأرض بيده اليسرى. يثني ذراعه اليمنى ويشتمُ متذمّراً لحالِ عضلة ذراعه المعطوبة. ليسَ بوسعِه سحبها للخلف وأرجحتها ليلكُم بها، لذا بدلاً مِن ذلك يكشّر في وجهي مُبرزاً أسنانه ويضربني برأسه على صدري عند عظم القصّ تماماً. عالمي يهتز. هنالك فرقعة أشبه بصوت الأغصان على النار. أتنفّسُ بصعوبة مُصدِراً صَفيراً ومُخرِجاً فقاعات، وأصواتاً غير بشريّة. كارنوس يضربني برأسه مجدّداً ويقذفُ بجسدي المتألّم إلى الأرض.

أشعرُ بالدفء يتناثرُ عليّ، ورائحة البول تخدشُ أنفي. إنّهم يضحكون، وكارنوس يتنفّسُ في أذني.

– أمّي أمرتني بأن أخبركَ: لا يمكن للفقيرِ أن يُصبحَ أميراً أبداً. في كل مرّة ستنظرُ فيها إلى المرآة، تذكّر ما الذي فعلناهُ بك. تذكّر أنّكَ تتنفّس لأنّنا سمَحنا لكَ بذلك. تذكّر أنّ قلبكَ سيكونُ على طاولتنا يوماً ما. ارتفِع في الأعالي، لتَرقُد في الطين.

# 4

# السُّقوط

أقفُ أمام سيّدي، لكنّه لا يكترث.

جدران المكتب مِن الألواح الخشبيّة، وعلى الأرض بساطٌ أثريٌّ ممدودٌ، أخذه سلفه الفولاذي من قصر كوكب الأرض بعد سقوط الإمبراطوريّة الهنديّة، إحدى آخر الأمم التي وقفت في وجه الذهبيّين. ما مدى الهلع الذي أحسّ به هؤلاء البشر المولودون طبيعيّاً لدى رؤيتهم الغزاة، وهم يسقطون من السماء. إنسانٌ مثاليّ، لكنّه يجلب القيود بدلاً من الأمل.

أقف أمام مكتب أوغوستوس، قطعة بسيطة من الخشب والحديد، مباشرة أمام بقعة الدم ذي السبعمئة عام حيث فُصل رأس آخر إمبراطورٍ هنديٍّ عن جسده بوساطة قاتلٍ ذهبيّ أنيق.

بفتور ولا مبالاة، نيرو أوغوستوس الذهبيّ يربّت على الأسد المستلقي بجانب مكتبه. إنّهما يبدوان كتمثالين توأمين. خلفهما الفضاء، ونافذة رؤية تُطلُّ على السواد، حيثُ ترقدُ سفن أسطول الصولجان الحربي مثل غولم(*)

(*) Golem: كائن اصطناعي خلق بوساطة إنسان بغرض الخدمة والحماية غالباً. وهو مستوحى من الأساطير اليهوديّة. (المترجم).

عملاق في سُباتٍ رهيب. نمرُّ بجانبها في آخر مراحل رحلتنا مِن المريخ التي تستغرق ثلاثة أسابيع.

يُحدِّق أوغوستوس في مكتبه بينما يتدفّق سيلٌ مِن البيانات فوق سطحه الخشبي.

أشعر وكأنّه قد مرَّ زمنٌ بعيدٌ منذ أن أخذني في جولةٍ إلى المريخ ليُريَني أماكن سيطرتنا—ابتداء مِن الأراضي الزراعيّة الشاسعة حيثُ يكدحُ الحُمر العُلويّون في زراعة محاصيلهم حتّى أقاصي المنطقة القطبيّة العظيمة حيث يعيشُ السبجيّون في عزلةٍ أشبه بتلك السائدة في القرون الوسطى. حينها كنتُ المفضَّل عنده، فقرَّبني منه وعلَّمني أشياء علَّمهُ إيّاها والده. كنتُ المفضَّل عنده، الثاني فقط بعد ليتو. الآن باتَ غريباً عنّي، وأنا مجرّد إحراجٍ له.

لقد مرَّ شهران منذ أن ضربني كارنوس في الأكاديميّة، على الرّغم مِن أنّ شعري قد نما مِن جديد، وعظامي المكسورة رُئبت، إلّا أنّ سمعتي لم تتعافَ بعد؛ وبسبب ذلك، فإمكانيّة تبوّئي لمنصبٍ خلال فترة حُكمِ الحاكِم العام أوغوستوس أصبحت غير واضحة على أحسن تقدير. أعدائي يكبرون يوماً بعد يوم، لكنّ هؤلاء الجُدد يفضّلون الهمسات بدلاً مِن الشفرات.

أصبح لديّ اعتقادٌ مُتزايد بأنّ أبناء أريس اختاروا الرّجُل الخطأ. لستُ مهيّأً لسياسات الحرب الباردة، ولا للدهاء والمراوغات. سحقاً! بوسعي إخفاء صبيٍّ في جوف حصانٍ في أي وقت، لكنّي لا أملكُ أدنى فكرة عن كيفيّة رشوة أحدهم على نحوٍ جيّد إن كانت حياتي تعتمدُ على ذلك.

صوتٌ لطيفٌ ودافئٌ مُخصَّصٌ لأنصاف الحقائق يتسلّلُ عَبر مكتبِ الحاكِم العام: «ثلاثُ مَصافٍ، ناديان ليليّان، مخفران للشرطة الرماديّة؛

جميعها فُجِّرت منذ أن غادرنا المرّيخ. سبعُ هجماتٍ يا مولاي. تسعٌ وخمسون ضحيّةً ذهبيّة».

بليني. رشيقٌ كالسمندل، مع جلدٍ ناعمٍ كالزهريّين. رجُلُ السياسة، لكنّه ليس مِن الفريدين ذوي الندبة، حتّى إنّه لم يذهب إلى المعهد قط. عيونه البرّاقة تُحدِّق مِن بين رموشه التي تضاهي وتتفوّق على ريش الطاووس. أحمرُ شفاه باهت يغطّي الشفاه الرقيقة. شعرهُ ملفوفٌ ومعطّر. جسمهُ نحيف، ولكنْ ذو بنيةٍ عضليّةٍ جذّابةٍ، لكنّها تبدو مريحةً تحت سترةٍ ضيّقةٍ جدّاً مِن الحرير المزركش، ومِن دون أن يكونَ في ذلك مُبالغةٌ في المظهر. يمكنُ لطفلٍ أن يوسعَ هذا الرّجُل الوديعَ كالقطّة ضرباً. على الرّغم مِن ذلك فإنّه يقضي على العائلات بشائعةٍ هنا ومزحة هناك. قوّته مِن نوع آخر؛ فبينما طاقتي حركيّة، طاقتهُ كامنة.

سَمعتُ بأنّه مسؤولٌ أيضاً عن تقويضِ سُمعَتي. حتّى تاكتوس ألمحَ إلى أنّ بليني قد يكون حرَّضَ كارنوس على العنفُ في الحديقة، أو على الأقل دبَّر كاميرا مُجسَّمة لتسجيل لحظة فخري تلك.

إلى جانب بليني يقفُ رجُلٌ رابعٌ في الغرفة، ليتو. إنّه فارسٌ رمّاحٌ ذكيٌّ أكبرُ منّي بعشر سنوات، مع شعرٍ مجدولٍ وتكشيرةٍ هلاليّة، إنّه أيضاً فنّانٌ باستخدام الشفرة، يعدّه بعضهم الخليفة الشاب للورن أركوس الذهبيّ. على الأرجح سيَرثُ أملاك أوغوستوس بدلاً مِن وريثَيّ الحاكِم العام بالدم—موستانغ والشَّغبَر. الحقُّ يُقال، نوعاً ما أحبُّ هذا الرجُل.

– «أبناء أريس زادت جرأتهم كثيراً». يدمدم أوغوستوس.

– «أجل يا مولاي». ينظرُ بليني بخزر: «إن كانوا فعلاً هُم مَن اقترف ذلك الفعل».

- أيُّ نَملٍ آخر مِن الممكن أن يكون قد عضنا؟

- لا أحد نعلمُ به، لكن هنالكَ أيضاً عناكب، وقُراد، وجرذان في العوالم. التفجيرات بدائيّة بالنسبة لأريس، وعشوائيّة، وعنيفة على نحوٍ غير معهود. بعيدة كل البعد عن نمط التخريب التقني والبروباغندا التي في مَلفِّه الشخصي. أريس ليسَ مُتقلِّباً، لذا أجدُ صعوبة بإقناع نفسي بأنّ هذا الفِعل قد صدرَ عنه.

أوغوستوس يتجهَّم. «إذن ماذا تقترح؟».

- ربما هنالك مجموعةٌ إرهابيّة أخرى يا مولاي، مع ثماني عشرة مليار نسمة وِفقَ الإحصاء، مِن الصعب الاعتقاد بأنّ شخصاً واحداً يحتكر الإرهاب، أو حتّى من المحتمل أن تكون عصابة إجراميّة مُنظَّمة. كنت أعملُ على إنشاء قاعدة بياناتٍ بإمكاني مشاركتها...

بليني على حق؛ الهجماتُ الإرهابيّة التي اجتاحت المرّيخ والكواكب الأخرى كالوباء لا معنى لها. الراقص تحدّثَ عن العدالة، وليس عن الانتقام. هذه الهجمات تافهة وشنيعة—تفجيرُ المهاجع، وأسواق الأزياء، والبازارات، ومقاهي بني الألوان العليا والمطاعم. ما كان أريس ليتغاضى عن ذلك أبداً. إنّهم يلفتون إليهم الانتباه كثيراً مِن أجل الحصول على نتائج ضئيلة، مُتَحدّين الذهبيّين بأن يتصرّفوا ويسحقوا أبناء أريس.

بعثتُ برسالةٍ إلى الراقص بوساطة الصندوق المجسَّم. لا شيء. مُجرَّد صمت. أمنَ الممكن أن يكون ميتاً؟ أم أنّ أريس تخلّى عنّي لصالح هذه الاستراتيجيّة التفجيريّة الجديدة؟

يتثاءبُ بليني: «ربّما بدّل أريس تكتيكاته. إنّهُ متبّب».

- «هذا في حال كان أريس رجُلاً». يقول ليتو.

«هذا مثير للاهتمام». أوغوستوس يستديرُ فجأة: «ما الذي يجعلكَ تعتقدُ بأنّ أريس ليسَ رجُلاً؟».

– «لماذا نفترضُ بأنّ أريس رجُل؟ يمكن أن يكون امرأة. بناءً على كل ما نعرفه يمكن أن يكون مجموعة مِن الأفراد، والذي مِن شأنه أن يقطعَ شوطاً طويلاً في تفسير الطبيعة غير المتجانسة لهذه الهجمات الجديدة». ليتو يستديرُ نحوي، محدّقاً بعينيّ: «دارو، ما رأيك؟».

– «لا تُربِك دارو بأسئلةٍ معقّدة». يصرخُ بليني مُدافعاً: «اِجعلها نعم أو لا، حتّى يستطيع فهم ذلك». يرسلُ لي بليني أكثر الابتسامات إشفاقاً ويضغط على كتفي مُتعاطفاً: «وراء ابتساماته اللبقة، هنالك وحش صادق وبسيط. عليك أن تعرف ذلك».

أقفُ هناك وأتقبَّلُ ذلك.

إنّه يستديرُ مبتعداً: «على كل حال، ليتو، أنتَ تنسى بأنّنا صَمّمنا ثقافة الحُمر لتكون شديدة الذكوريّة. هويّتهُم كقومٍ تتركّز حول جَمعِ الموارد لدعم عمليّة الاستصلاح البدائي للمرّيخ. مَهامٌ مُتعبة ومُضنية جسديّاً يقوم بها الرجال. مهامٌ لا نسمحُ لِنسائهم بالقيامَ بها، حتّى لو باستطاعتهنّ تنفيذها، وذلك وِفقاً للبروتوكول الطبقي. لذا كما ترى، لا يمكن لها أن تكون امرأة، لأنّ أيَّ عامِلِ حَفرٍ صدئي لن يتبع امرأةً، أو رجُلاً لم يسبق له ركوبُ مِخلبِ حفّار».

يبتسمُ ليتو بذكاء: «هذا في حال كان أريس أحمرَ».

بليني وأوغوستوس يضحكان. «ربّما هو بنفسجي مخبول ذهبَ بتمثيله إلى مستوى آخر». يقترحُ بليني.

– «أو صَيرَفيٌّ نُحاسيّ غارقٌ بتعبئة عوائد الضرائب المحليّة». يضيف ليتو.

- «كلّا! سبجيّ، أجرؤ على القول، تخلّى أخيراً عن خوفه مِن التكنولوجيا وطوَّر مهارات لاستخدام الكاميرا المجسَّمة؟». يصفع بليني ساقه: «كنتُ لأتخلّى عن واحد من خدمي الورديّين فقط كي أرى—».

- «كفى يا شباب!». يقاطعهُ أوغوستوس، وهو ينقرُ بإصبعه على المكتب. بليني وليتو يتبادلان تكشيرة ويلتفتان نحو أوغوستوس: «ما هو مقترحكَ يا بليني؟».

- «طبعاً». يصدر بليني كحّة: «على النقيض مِن البروباغاندا التي يقومون بها وهجماتهم السيبرانيّة، إنّه لمِن السهل التصدّي للوحشيّة. سواء كان أريس أم لا، أَصدِر أمراً بالرد. فِرقُ القتل لدينا جاهزة للقيام بضربات تكتيكيّة على عددٍ مِن المواقع التدريبيّة للإرهابيّين تحت سطح المرّيخ. علينا أن نضربَ الآن. إن انتظرنا، أخشى أن يأخذَ الحرسُ البريتوري للحاكِمة المعظَّمة الأمرَ على عاتقهم. أبناء القمر لن يفهموا المرّيخ؛ سيدمّرونه».

- «الأحمقُ ينزعُ الأوراق، والمتوحّشُ يقطعُ الجِذع؛ أما الحكيمُ فيحفرُ الجذور». يتوقّف أوغوستوس: «إنّه شيءٌ قالهُ لورن أركوس الذهبيّ ذات مرّة لوالدي. إنّه محفورٌ في قاعة النصول في طيبة الجديدة. ضربُ مواقعَ تدريبيّة لن يفيدَ بشيءٍ سوى إغراق شبكة الاتّصال المجسَّم بانفجاراتٍ جميلة. لقد سَئِمتُ مِن الألاعيب السياسيّة. استراتيجيّتنا يجب أن تتغيّر. مع كل انفجارٍ يزدادُ قلقُ الحاكِمة المُعظَّمة مِن إدارتي».

- «أنت تحكمُ المرّيخ». يقول ليتو: «وليسَ الزهرة، أو الأرض. كوكبنا ليس بالمكان الهانئ الوديع. ما الذي كانَت تتوقّعه؟».

- نتائج.

- «بماذا تفكّر يا مولاي؟». يسأل بليني.

- إنّي عازمٌ على تسميمِ جذور أبناء أريس. أريد مُفجّرين انتحاريّين وليسَ رماديّين. اِعثروا على الحُمر الأبشع والأكثر شرّاً على المرّيخ، اِحتجزوا أسرهُم كرهائن، وهدّدوهم بقتل أبنائِهم وبناتِهم إن لم ينفّذ الآباءُ أوامرنا. ركّزوا المفجّرين الانتحاريّين على المناطق السطحيّة ذات الكثافة الشبابيّة العالية إضافةً إلى منجمَين مِن اختياركم. لا تستخدموا مُفجّرات نِسوَة. أريدُ انقساماً اجتماعيّاً. نساء ضدّ العُنف.

كم هو رخيص ثمن الحياة هنا! مُجرَّد كلماتٍ في الهواء.

- «المناطقُ المأهولة أيضاً». يُتابع: «ليس فقط البنيّون، ومُنقّبو المناجم الحُمر، والمهندسون الزراعيّون، أريد أن يُقتلَ الأطفالُ الزُرق والخُضر في المدارسِ، أو القناطِر، إلى جانب رموز أبناء أريس، عندها سنرى إن ستستمرّ الألوان الأخرى بغناء أغنية تلكَ الفتاة المتبّبة».

تضطرب دقّات قلبي. أغنية إيو انتشرَت أكثر ممّا كانَت تحلُم، لتصل إلى شبكة الاتّصال المجسَّم وتنتشِر بسرعة في أرجاء المجموعة الشمسيّة، ولتَجري مُشاركتها أكثر مِن مليار مرّة بفضلِ مجموعات المخترَقين اللاسلطويّين. مِراراً وتكراراً، أخافُ مِن أن يُكشَف أمري. ربّما سيبحث أحد الذهبيّين في السجلّات ليجد أنّ زوجَ إيو كان يدعى أيضاً دارو. ولكنْ حتّى أنا بالكاد كنتُ لأُميِّز ذلك الصبيَّ الشاحبَ الهزيلَ كهيكلٍ عظمي. وبالنسبة للأسماء؟ لا يوجد سجلّات حقيقيّة بأسماء الحُمر الدونيّين. كان لديَّ رقمٌ تعريفيٌّ مَنحني إيّاه أحدُ الإداريّين النُحاسيّين المتسلّطين. L17L6363. وL17L6363 شُنِقَ مِن رقبته حتّى الموت، ومِن ثمّ سُرِقَ جسدهُ مِن قِبَل فاعلٍ مجهول ويُفترضُ أنّه مَدفونٌ عميقاً في المناجم.

- «إنّكَ تخطّط لجعل الألوان الأخرى تنفرُ مِن الحُمر، ومِن ثمّ جَعلِ الحُمر يَنفُرون مِن أبناء أريس». يبتسمُ بليني: «أحياناً استغرب لم أنتَ بحاجتي أصلاً يا مولاي».

- لا تستغبِني يا بليني. إنّ هذا أدنى مِن كلينا.

ينحني بليني: «بالطبع. سامحني، يا مولاي».

أوغوستوس ينظرُ نحو ليتو: «إنّكَ تتلوّى كجَروٍ كلب».

- «أخشى أنَّ ذلكَ سيجعلُ الأمورَ أسوأ». يمتعضُ ليتو في سرّه: «نعم، حالياً أبناء أريس هم مصدرُ إزعاج، لكنّهُم بعيدون كلَّ البُعدِ عن أن يكونوا بمنزلة مأزقٍ لسيِّدنا. إن فعلنا ذلك، سنكونُ كمَن يصبُّ الزيتَ على النار. والأسوأ أنّنا سنكونُ مُذنِبين مثل أبناء أريس أنفسهم؛ إرهابيّين».

- «لا ذنبَ في ذلك». بليني يتمعَّن بفتور تدفُّق البيانات في لوحه الرقمي: «ليسَ عندما تكونُ أنتَ القاضي».

ليتو ليسَ براضٍ.

-يا مولاي، حتميّةُ حُكمِنا موجودة لأنّنا الأنسبُ لقيادة الجنس البشري. نحنُ الملوكُ الفلاسفة الذين تحدّثَ عنهُم أفلاطون. النِّظامُ قضيّتنا. نحن نجلب الاستقرار. أبناء أريس لاسُلطويّين. الفوضى قضيّتهُم. يجب أن نستخدِم ذلك كسلاحٍ لنا، وليسَ الرماديّين في الليل، وزرع مُفجِّرين بين الأطفال.

- «أعلينا أن نتطَلع لغاية أسمى؟». يسألُ بليني.

- نعم! ربّما ابتكار حَملةٍ إعلانيّةٍ ضِدَّ أبناء أريس. دارو ألا توافقُ على ذلك؟

مجدّداً لا أردُّ. لا أردُّ إلى أن يُقرَّ الحاكِم العام بوجودي. إنّه لا يُقدِّر الوقاحة، أو التصرّفَ غيرَ اللائق إلّا في حال عادَ عليه بالفائدة.

– «المثاليّة». يتنهّدُ بليني: «مثيرة للإعجاب لدى الشباب، لكنّها قد تكونُ مُضلّلة».

– «انتبه لكلامكَ معي أيّها السياسي». يهدرُ ليتو مُهدّداً، وهو يتفحّصُ وَجه بليني ذي الابتسامة المتكلفة بحثاً عن ندبة الفريدين المفقودة. «أيّها الحاكِم العام، خطَّتكَ يجبُ أن تكونَ أقلَّ وحشيّة؛ كان هذا مَقصَدي».

– «الوحشيّة». أوغوستوس يجعل الكلمة تحوم في الأجواء: «إنّها ليسَت بخير ولا بشَرّ. إنّها ببساطة صفةٌ لشيء، لِفعلٍ في هذه الحالة. ما عليكَ تحليلهُ هو طبيعةُ الفِعل. أهو فِعلٌ جيدٌ أم شرّير مَنعُ الإرهابيّين مِن تفجير الأبرياء؟».

– جيّد. على ما أعتقد.

– «إذن، ما أهميّةُ أساليبنا، طالما أنّنا نؤذي أبرياء أقلّ ممّا كانوا ليؤذوا إن استمررنا في السماح لهم بالوجود؟». أوغوستوس يبسطُ يديه ذات الأصابع الطويلة: «لكن في الجوهر، هذه ليسَت بمسألة فلسفيّة. إنّها سياسيّة. أبناءُ أريس لا يشكّلون تهديداً على الإطلاق. كل ما يمثّلونه هو أنّهم مُجرَّد سلاح لأعدائنا السياسيّين، آل بيلونا تحديداً، ليستخدموهم كذريعةٍ للادّعاء بأنّي لا أستطيعُ السيطرة على المرّيخ».

– ذوو الشعر المجعَّد يسعون بالفعل لتجريدي مِن منصب الحاكِم العام. كما تعلم، الحاكِمة المعظَّمة لديها السُّلطة المطلقة لإزالتي مِن المنصب، حتّى من دون الحاجة إلى تصويت مجلس الشيوخ. إن رغبَتْ فبوسعها مَنحُ المرّيخ لعائلةٍ أخرى—لبيلونا، أو لحلفائنا جولي، أو حتّى

لعائلةٍ غير مريخيّة. لا أحد مِن هذه الكيانات بوسعه إدارةُ المرّيخ بكفاءةٍ مثلي. وعندما يُدار المرّيخ بكفاءة، فالجميع يستفيد—ذوو الألوان الدُنيا والعُليا. أنا لستُ بطاغية، لكن على الأب أن يُوبِّخ أبناءه إن حاولوا إضرام النار في بيته؛ إن تَوجَّب عليَّ قَتلُ بضعة آلاف مِن أجل الصالح العام، ومِن أجل استمرار تدفّق الهيليوم-3، ومِن أجل أن يستمرّ مواطنو هذا الكوكب بالعيش في عالمٍ لا تمزّقه الحرب، فسأفعل ذلك.

– «هذا يأخذنا إلى دارو أندروميدوس الذهبيّ». الآن، عيونه الباردة تستديرُ نحوي، مباشرة بعد أن أمرَ بقتلِ ألفٍ مِن الأبرياء، ولا أستطيعُ إلّا أن أشمئزّ، والكرهُ الأسود يتصاعدُ في داخلي. أنحني خافضاً رأسي باحترامٍ مهذّب.

– يا مولاي. هل استدعيتني؟

– نعم فعلت. وغايةُ وجودكَ هنا ستكونُ مختصرة. لقد كنتَ رِهاناً مَحسوباً عندما أخذتكَ مِن المعهد ووضعتكَ في خدمتي. أتعرف ذلك؟

– نعم.

«كنتُ أعتقدُ بأنّ كفاءتكَ وقُدراتكَ ستكون كافية، ووجدتُ بأنّ تنافسكَ النِديّ مع كاسيوس بيلونا الذهبيّ مُسلٍّ مثل مشاجرات الأطفال. لكنّ العداوة الدمويّة التي أُعلِنت بينكما أصبحت». يرمُق بليني بنظرةٍ خاطفة: «مُرهِقة لمصالحي، الاقتصاديّة منها والسياسيّة؛ حيثُ فُقِدت إيراداتٌ كبيرة نتيجة زيادة الرسوم على الشحنات المتّجهة إلى المنطقة المركزيّة، حيث يتجمَّعُ مناصرو آل بيلونا. العائلاتُ تتردّدُ بالإيفاء بالتزاماتها المتعلّقة بالاتّفاقات التي عُقدت منذ سنين مَضَت على طاولة التجارة؛ لذا، كنوعٍ مِن التسوية وإصلاح الأمور مع تلكَ الأطراف المتضرّرة، قرّرتُ بيعَ عقدكَ لعائلةٍ أخرى».

أنتفضُ في داخلي.

– «مولاي...». أحاولُ التدخّل. هذا لا يمكن أن يحدث. إذا جرّدني مِن مكاني، سيبدّدُ عَملَ ثلاث سنوات تقريباً: «إن سمحتَ لي—».

– «لا أسمح». يفتحُ درجاً ويقذفُ ببرودٍ قطعة لحمٍ لأسده. الأسد ينتظر أوغوستوس كي يفرقع بأصابعه قبل أن يأكل: «القرار اتُّخِذ قبل شهر. لا فائدة مِن تبادل الكلمات معي. أنا لستُ الفِضيَّ الألمعيّ، وهو يتفاوضُ على سعر العقودِ الآجلة لليثيوم. بليني...».

– «البنود في الواقع بسيطة يا دارو؛ لذا مِن السهل إدراكها». بليني لم يرفع عيونه عنّي: «الحاكِم العام كان في غاية الكرمِ معكَ بمنحكَ تحذيراً عادلاً فيما يتعلّق بالإنهاء، كما هو منصوصٌ عليه في عقدك».

– عقدي يقول بأنّه يجبُ منحي فترة ستّة أشهر كتحذيرٍ عادل.

– إن كنتَ تذكرُ القسم الثامن، الفقرة ج، البند الرابع، تمنحُ ستّة أشهر كتحذير عادل ما لم تُخفق في التصرّف بطريقةٍ تليقُ بمنصبكَ كفارسٍ رمّاحٍ لعائلة أوغوستوس الموَقَّرة.

– «أهذه مزحة؟». أنظرُ إلى كلٍّ مِن ليتو وأوغوستوس.

– «هل ترانا نضحك؟». بليني يسألُ بتعالٍ: «كلّا؟ ولا حتّى استهزاء، أو سخرية؟».

– مِن بين كل الفُرسان الرمّاحين، حللتُ أنا في المرتبة الثانية في الأكاديمية، أمّا أنتَ فلم تتمكّن حتّى مِن اجتياز المعهد.

– أوه، ليس الأمرُ كذلك! لقد قمتَ بعملٍ جيّد... بما فيه الكفاية.

– ماذا إذن؟

- إنّهُ وجودكَ الدائم في البرامج الحواريّة على مُكعَّب العَرضِ المجسَّم.

- لم أوجَد على مُكعَّب العَرضِ المجسَّم قطّ! حتّى إنّني لا أشاهده!

- أوه، أرجوك! إنكَ تستمتعُ بنجوميّتك. على الرّغم مِن سُخريتهِم مِنك، فإنّكَ تستمرُّ بالتعرّضِ للأضواء وتلطيخِ سمعة هذه العائلة بالعار. نعلمُ عن تاريخ عمليّاتِ البحث التي أجريتَها على لوحكَ الرقمي. شاهدناكَ وأنتَ تتباهى بنفسكَ في مُكعَّب العَرضِ المجسَّم وكأنّها مِرآتكَ الشخصيّة. القِصصُ تدورُ حَولكُما أنتَ وابنة الحاكِم العام—.

- موستانغ في بلاط لونا!

- الأمر الذي لا بُدَّ من أنّكَ شجّعته على الأغلب. هل طلبتَ مِنها الانضمام إلى بلاطِ الحاكِمة المعظَّمة؟ أهو جزءٌ مِن خُطّتكَ لفصل الابنة عن الأب؟

- إنّك تتفوّهُ بالترّهات يا بليني.

- وتصنعُ اسماً رخيصاً لأوغوستوس. شجارُكَ مع آل بيلونا في الحمّامات المخصّصة للانتعاش والتأمّل. هذا لا يمكننا تحمّله.

أنا لا أعرف حتّى ماذا أقول. إنّهُ يختلقُ ذلك. هنالكَ ما يكفي في الواقع لخلقِ قضيّة، لكنّهُ يَكذبُ ليثيرَ حفيظتي، فقط كي يُظهِر بأنّني تحت سيطرته.

يتابعُ بليني: «إنهاء العقد سيجري خلال ثلاثة أيّام».

- «ثلاثة أيّام». أكرّر.

- حتّى ذلك الوقت، سترافقنا إلى سطح لونا، وستبقى في مكان إقامة عائلة أوغوستوس الذي خُصّصَ لهم خلال المؤتمر، مع ذلك، منذُ هذه

اللّحظة فصاعداً لم تعد الفارسَ الرمّاح لهذه العائلة. إنّكَ لا تُمثّل الحاكِم العام، ولا يمكنكَ استخدامُ اسمه للدخول إلى المنشآت، أو التّقرُّب مِن الشابّات، أو الشبّان، لا بغرضِ التباهي، ولا الوعد، ولا التهديد. لوحكَ الرقمي الخاص بالعائلة سيُصادَر. رموزُ الفارِس الرمّاح التعريفيّة الخاصّة بك قد خُفِّضت، وجرى إيقافُكَ ومَنعُكَ مِن المشاركة في جميع المشاريع التي كُلِّفتَ بها سابقاً.

– لقد كُلِّفتُ بمشاريع البناء فقط.

شَفتا بليني تتحرّكان ببطء لتُظهِرا ابتسامة باردة: «إذن، هذا سيكون انتقالاً سهلاً».

– «إلى من سأُباع؟». أتمكّنُ مِن قول ذلك. أوغوستوس لا ينظرُ إليَّ، وهو يتخلّى عنّي. يُلاطِف أسده. سيظنّ المرء أنّني لستُ في الغرفة أصلاً. ليتو يحدِّقُ في الأرض خجلاً. إنّه أسمى مِن هذه التمثيليّة المزيّفة، لكنّ أوغوستوس يريده هنا كي يشاهد، كي يتعلّم كيف يُبتَر طَرفٌ متعفّن.

– «لن تُباع يا دارو. بصرف النظر عن نَسبِكَ، كنتُ لأتوقّعَ مِنكَ أن تفهمَ أين هو مكانُك. نحن لسنا زهريّين، أو سبجيّين كي نُباع كالعبيد. خدماتكَ ستُباع في المزاد». يقول بليني.

– «إنّه الأمرُ المتبّبُ نفسه». أقولها مُهسهساً: «إنّكَ تتخلّى عنّي. أيّاً كان مَن سيشتري خدماتي لن يستطيعَ حمايتي مِن آل بيلونا. أولئكَ اللقطاء ذوو الشعر المجعَّد سيطاردونني ويقتلونني. السببُ الوحيدُ لعدمِ فعلِهم ذلك قبل شهرين كان—».

– «لأنكَ كنتَ تُمثّل أوغوستوس؟». يسأل بليني: «لكنَّ الحاكِم العام لا يدينُ لك بشيء يا دارو. أهذا هو سوء الفهم الذي تعاني منه؟ في الواقع،

أنتَ مَن تدين له! حمايتكَ تُكلِّفنا أموالاً. تُكلِّفنا فُرَصاً، وعُقوداً، وتجارة. وتلكَ الكلفَة قد ثبُتَ أنّها باهظةٌ جدّاً يا عزيزي. يجبُ أن نظهرَ بأنّنا نُروِّج للسلام مع آل بيلونا. الحاكِمة المعظَّمة تريدُ السلام. وأنت؟ إنّكَ مَصدرٌ للخلاف، شوكةٌ مُزعِجةٌ في حَلقِنا، وأداةٌ للحرب؛ لذا نصهرُ سيفنا الآن ونحوّله إلى سكّة محراث».

- لكن ليسَ قبلَ أن تستخدموه لقطعِ رأسي.

- «دارو، لا تتوسّل». يتنهّدُ بليني: «أظهِر بعضَ الثبات، يا أيّها الشاب. وقتكَ هنا قد انتهى، نعم، لكنّكَ تتحلّى بالجرأة. لديكَ عزيمةُ الشباب. الآن، ارفَع ظهركَ واستقِم وغادر بكرامة ذهبيّ يعلمُ بأنهُ فَعلَ ما بوسعِه». عيناهُ تضحكان في وجهي: «ذلكَ يعني مُغادرة هذا المكتب. الآن يا صاح، قبل أن يرميك ليتو خارجاً على مؤخّرتكَ المشدودة على نحوٍ لا يُصدَّق».

أحدِّقُ في الحاكِم العام.

- أهذا ما تظنّني عليه؟ طِفلٌ مُتباكٍ يُمكِن أن يُحشرَ في الزاوية؟

- «دارو، سيكون مِن الأفضل إن—». بدأ ليتو.

- «أنتَ الذي حشرتنا في الزاوية». يجيبُ بليني واضعاً يداً على كتفي: «إن كنتَ قلقاً حول عدم تلقّيك حزمة تعويضات نهاية الخدمة، فستتلقّى مالاً يكفي لـ-».

- «آخرُ مرّةٍ قام فيها أحدُ خَدمِ الحاكِم العام بلمسي، غرزتُ سكّيناً في مُخيخِه. ستّ مرّات». أنظر إلى يده، وهو يسحبها بسرعة. أسوّي كتفي: «لا أردّ على جَروٍ قِردٍ ماجنٍ عديم النُدبة. أنا فريدٌ ذو ندبة، والعريف العام للصف الـ 542 مِن معهد المرّيخ. أردُّ على الحاكِم العام فقط».

أقوم بخطوةٍ نحو أوغوستوس، جاعلاً ليتو يتّخِذ زاويةً دفاعيّة. حدّة

مزاجي يذكرها الجميع جيّداً: «وضعتَ جوليان بيلونا الذهبيّ مَعي خلال مَرحلةِ العُبور يا مولاي». عيناي تَشتعِلان غَضباً نحوه: «قتلتهُ هناك مِن أجلك. حاربتُ كارنوس مِن أجلك. أبقيتُ فمي وأفواه رجالي مُغلقة بعد أن حاولتَ شراء النصر في المعهد لابنكَ». ليتو ينتفضُ من جرّاء سماعِ ذلك: «عدَّلتُ التسجيلات. أثبتُّ نفسي بأنّي أفضل مَن وَرثك بالدم. الآن يا مولاي، تقول بأنّي عائق».

– «إنكَ فريدٌ ذو ندبة». يوافِقُ الحاكِم العام، مُتفحِّصاً البيانات على مكتبه: «لكنّكَ عديمُ القيمة. عائلتكَ ماتت. تركوكَ بلا أراضٍ، ولا أملاكٍ مِن الموارد والصناعات، ولا منصب في الحكومة. كلّها صُودِرت لدى استحقاق ديونهم، بما في ذلك شَرفهُم. الفُتاتُ الذي حَصلتَ عليه مِن الذين يفوقونكَ حافِظ عليه، والفَضلُ الذي كسِبتَه تذكَّره».

– ظننتُ بأنّكَ تُفضِّل الأفعال لا الألقاب. يا مولاي، موستانغ تركَتك. لا تقترِف خطأ فصلي عنكَ أيضاً.

أخيراً يَرفعُ رأسهُ لينظرَ نحوي. عيناهُ تنتميان إلى مخلوقٍ ما أعلى مِن البَشر—نظرةٌ بعيدة، تَروِ بالتفكير، انعدامٌ للمشاعر مُثارٌ بكبرياءٍ وحشيٍّ فظيع. كبرياء يتجاوزهُ ويمتدُّ عائداً إلى أولى خَطوات الإنسان الضعيفة في الفضاء الأسود. إنّهُ كبرياءُ اثني عشرَ جيلاً مِن الآباء، والأجداد، والأشقّاء، والشقيقات، كلُّها قُطِّرت الآن وجُمعت في إناءٍ وحيدٍ رائعٍ مثاليٍّ لا يَحمِل إخفاقاً، ولا يسمحُ بالعيوب.

– أعدائي أحرجوك؛ لذا فهُم أحرجوني أيضاً يا دارو. أخبرتني بأنّك ستنتصر، لكن بعدها خسِرت، وهذا غيَّر كُلَّ شيء.

# 5

# المَنبوذ

سأموتُ قريباً.

هذه هي الفكرة التي حملتها معي بينما تنسابُ مركبتنا بعيداً عن سفينة قيادة أوغوستوس لتشقَّ طريقها بسرعة عبر أسطول الصولجان الحربي. أجلسُ بين الفُرسان الرمّاحين، لكنّي لستُ واحداً منهم. يعرفون ذلك، فهم ملتزمون بما هو لائق، ويمتنعون عن الحديث معي. أيّاً يكن الرابطُ الذي مِن الممكِن أن يُنشئوه فهو غيرُ مُهِم. ليسَ لديَّ أيُّ رصيدٍ سياسي. أسمعُ مصادفةً كيفَ يُعرَض على تاكتوس رهانٌ حول المدّة التي سأصمدها وأنا خارج حماية أوغوستوس. أحدُ الفُرسان الرمّاحين قال: ثلاثة أيّام. تاكتوس يتجادلُ بشراسة مُعترضاً على الرقم، مُظهراً مدى الولاء الحقيقي الذي اكتسبتهُ مِنهُ في المعهد.

– «عشرة أيّام». يُعلن: «على الأقل عشرة أيّام».

إنّه هو مَن أطلقَ كبسولة النجاة مِن دوني. لطالما علمتُ بأنّ صداقته كانت مَشروطة. مع ذلك لا يزالُ الجُرح ينخرُ بعمق، ليحفرَ في داخلي وِحدةً لا أستطيع وَصفها. وحدةً لطالما شعرتُ بها بين أولئك الذهبيّين،

لكنْ كنتُ أخدعُ نفسي كي أنسى. لستُ واحداً منهم؛ لذا أجلسُ هنالك بصمت، الذهبيّ محدّقاً عبر النافذة، ونحن نعبرُ مِن أمام الأسطول المتجمِّع، ومنتظراً ظهور لونا.

ينتهي عقدي مساء اليومِ الأخيرِ للمؤتمر، حيثُ تجتمعُ كل العائلات الحاكمة في لونا للتعامل مع الأمور العاجلة والتافهة. لديّ نافذة مِن ثلاثة أيّام كي أحسِّن مِن حظوظي، لجعل الآخرين يظنّون بأنّ الحاكِم العام قد بخسَني تقديري، وأنّني جاهزٌ للتوظيف. لكنْ بصرف النظر عن قيمتي، أنا مَعيب. أحدهُم حصلَ عليّ، ثمّ رماني. مَن كان ليرغب بشيء مُستعمَل كهذا؟

هذا قَدَري. بصرف النظر عن وَجهي الذهبيّ ومواهبي، أنا مجرَّد سِلعة. يجعلني ذلك أرغبُ بانتزاع شعاري اللّعين. إن كان عليّ أن أكون عبداً، فيجبُ أن أبدو كعبدٍ على الأقل.

لجعل الأمور تسوء أكثر، هنالك مكافأة على رأسي. بالطبع ليس على نحوٍ رسمي. هذا غيرُ قانوني، لأنّي لستُ عدوّاً للدولة. على الرّغم مِن ذلك، فأعدائي أسوأ بكثير، أكثرُ قسوةً مِن أي حكومة؛ إنّها المرأة التي أرسلَت كارنوس وكاغني إلى الأكاديميّة.

يقولون بأنّه في كل ليلة منذ أن سَلبتُ حياة جوليان في أثناء العبور، تجلسُ أمّه، جوليا بيلونا الذهبيّة، على الطاولة الطويلة في القاعة الكبرى لعائلتها على مُنحدَرات جبل أوليمبوس مونز، وترفعُ الغطاء نِصفَ الدائري للصينيّة الفضيّة التي أُحضِرت إليها مِن قبل الخدم الزهريّين. كل ليلة تبقى الصينيّة فارغة. وفي كل ليلة تتنهّدُ، والحزن يملؤها، وهي تحدّق في الطاولة نحو عائلتها الكبيرة فقط لتكرّر الكلمات الثأريّة نفسها: «من الواضح أنّي غير محبوبة. لو أنّي محبوبة، لكان هنالك قلبٌ هنا

ليُشبع رغبتي بالانتقام. لو أنّي محبوبة، لما كان قاتلُ ابني يستنشقُ نفساً بعد. لو أنّي محبوبة، لكرَّمت عائلتي أخاها. لكنّني لستُ كذلك. إنّه ليس كذلك. إنّهم ليسوا كذلك. ما الذي فعلتُه لأستحق عائلةً بغيضةً كهذه؟».

ومِن ثمّ ستشاهد عائلة بيلونا العظيمة زعيمة عائلتهم، وهي تنهض متحرّرةً مِن كرسيّها، بجسمها الذابل مِن الجوع، لأنّه يرضع الكراهية والانتقام، ويبقون صامتين، وهي تغادر الغرفة، كشبحٍ أكثر منه امرأة.

الذي أبقى قلبي بعيداً عن طَبقِها هو سلاح الحاكِم العام، وأمواله، واسمه. السياسة، أكثرُ شيء أكرهه، حافظت على كون أنفاسي ما زالت تخرجُ منّي. لكنْ خلال ثلاثة أيّام، هذه الرعاية ستصبحُ ذكرى باهتة، وكل ما سيحميني هي الدروسُ التي أعطوني إيّاها أساتذتي.

- «سيكون نزالاً». يقول أحدُ الفُرسان الرمّاحين، ومِن ثمّ بصوت أعلى: «لا يمكنهُ الامتناعُ عن ذلك والبقاء مُحتفظاً بشرفه لفترة طويلة. ليسَ في حال عرضَ كاسيوس بذاته النِزال».

- «الحصّاد القديم لديه بعضُ الخُدعِ في جعبته». يقول تاكتوس: «ربّما لم تكن هناك، لكنّه لم يَقتل أبولو بابتسامته».

- «باستخدام الشفرة، أليس كذلك يا دارو؟». يسأل فارسٌ رمّاح آخر بلكنةٍ ساخرة: «لم أركَ في ميادين المبارزة مؤخّراً».

- «لم ترهُ هناك قطّ». يقول آخر: «القِردُ الماجن يتجنَّبُ الأمورَ التي لا يَبرعُ فيها، أليس كذلك؟».

روكي يتحرّكُ متحفّزاً بغضبٍ إلى جانبي. أضع يداً على ساعده وأستديرُ ببطءٍ كي أرمُقَ الفارِس الرمّاح المسيء. فيكترا تجلسُ خلفه، تراقبُ المشهد بفتور.

- «أنا لا أبارز». أقول.

- «لا؟ أم لا تستطيع؟». يسألُ أحدهُم ضاحكاً.

- «دعوه وشأنه. معلّمو الشفرات باهظون». ينوّه تاكتوس مع تكشيرةٍ ماكرة.

- «أهذا هو الأمر فعلاً يا تاكتوس؟». أسأل.

يُبدي على وَجهه علامات عدم الرضا: «أوه، كفى! أنا أمازحكَ فقط. تبّاً كم أنتَ جديٌّ. اعتدتَ أن تكونَ أكثرَ مَرحاً».

روكي يقول شيئاً ليجعلَ تاكتوس يتجهَّم ويلتفت مبتعداً، لكنّي لا أسمع. غصتُ في الذاكرة، حيثُ كانت لعبة الذهبيّين هذه تبدو سهلةً جدّاً ذات مرّة. ما الذي تغيَّر؟ موستانغ.

- «أنتَ أكثر مِن ذلك». همسَت، وأنا أتركها مِن أجل الأكاديميّة. الدموعُ ملأت عينيها، وعلى الرغم مِن ذلك، صوتها لم يرجف: «ليسَ عليكَ أن تكون قاتلاً. ليس عليكَ إثارة الحرب».

- «ما الخياراتُ الأخرى التي لدي؟». أسأل.

- «أنا. أنا الخيار الآخر. ابقَ من أجلي. ابقَ مِن أجل ما قد يكون. ففي المعهد كوّنتَ مُتابعين مِن الصبيان والبنات الذين لم يعرفوا الإخلاص يوماً. إن ذهبت إلى الأكاديميّة، فأنتَ تتخلّى عن ذلك لتُصبِح سيّد حَربٍ والدي. هذا ليس من تكون. هذا ليسَ الرجُل الذي...». لم تلتفت، لكنّ وَجهها تغيَّر مع تلاشي كلماتِها، ورَسمِ شفتيها لخطٍّ صارم.

الحبُّ؟ أكان هذا ما بنيناهُ في السنة التي تلتِ المعهد؟

إن كان كذلك، فلقد علقت الكلمةُ في حَلقِها، لأنّها كانَت تعلمُ مثلما

كنتُ أنا أعلمُ أيضاً، بأنّي لم أمنَحها نفسي بالكامل. لم أُشارِكها كل ما أنا عليه. وإنّما احتفظتُ بالأسرار بكل أنانيّة. وكيفَ يمكنُ لامرأةٍ مِثلها، امرأة بكلِّ تقدير الذات هذا أن تُعرّي ذاتها وترمي بقلبِها لرجُلٍ لم يُعطِها سوى القليل بالمقابل؟ لذا أغلقَت عيونها الذهبيّة وأقحمَت الشفرة في يدي وأخبرتني بأن أذهب.

لا ألومها. اختارت السياسة والحُكم—السَّلام، الذي تظنُّ بأن قَومُها يحتاجُ إليه. أنا اخترتُ النصلَ، لأنّ هذا ما يحتاج إليه قومي. شعورٌ غريبٌ بالفَراغ يملؤني لدى معرفتي بأنّي كنت كافياً لها عندما لم أكن كافياً لإيو. روكي كان محقّاً؛ لقد أبعدتها عنّي.

لم أُبعد سيفرو عنّي. طلبتُ أن يتمركز معي، لكنْ فجأةً أُعيدَ تعيينهُ في بلوتو مثل العديد مِن العَوّائين، الذين أُبعِدوا كي يحموا عمليّاتِ البناء البعيدة مِن غارات القراصنة التافهة. الآن أشتبهُ بأنّ لبليني يداً في ذلك.

لم أشعر بمثل هذه الوِحدَة في طريقي مِن قبل.

– «لن تُنبَذ». يقولُ روكي، وهو ينحني مُقترباً: «العائلاتُ الأخرى أرادَت الحصولَ عليك. لا تدَع تاكتوس يَشغلُ تفكيرك. آل بيلونا لن يؤتوا بحركةٍ ضدّك».

– «طبعاً لن يفعلوا». أُكذِّب. لايزالُ بإمكانه الشعورُ بخوفي.

– العنفُ غيرُ مَسموحٍ به في القلعة يا دارو. خاصّة العداوات الدمويّة. حتّى النِزالات جُرِّمَت إلّا في حال إعطاء موافقة مِن الحاكِمة المعظَّمة نفسها. بكلِّ بساطة، ابقَ في أرض القلعة إلى أن يُصبِح لديكَ منزلٌ جديد، وكلُّ شيءٍ سيكون على ما يرام. انتظِر الفرصة المناسبة، افعل ما يجبُ عليكَ فِعلُه، وخلال عام، سيشعرُ الحاكِم العام بالغباء عندما ستنهضُ

تحت رعاية أحدٍ آخر. هنالكَ أكثرُ مِن طريقٍ واحدٍ إلى القمَّة. دائماً تذكَّر ذلك يا أخي.

يُمسِك بكتفي.

- أنتَ تعلم بأنّي كنتُ لأطلُب مِن أمّي وأبي أن يزايدوا لأجلك... لكنّهما لن يقوما بمعارضة أوغوستوس.

- «أعلم». بوسعِهِم إنفاق الملايين على العقد، ولن يلحظوا أية خسارة، لكنّ والدة روكي لم تحتلّ مقعد سيناتور لعشرين عاماً بسبب أعمالها الخيريّة. حظوظها مرتبطة بمجموعة أوغوستوس في مجلس الشيوخ. ستدعم كل ما يرغبُ به.

- «سأكون بخير. أنتَ على حق». أقول ذلك، بينما تظهرُ لونا في النافذة، لتهدّئ المساعدين وتملأني بالرهبة. المدينة القمريّة لكوكب الأرض. الأقمارُ الصناعيّة والمرافِق تُطوِّقها مثل هالةِ مَلاكٍ فولاذي تحيطُ بكرةٍ مِن الكهرمان مُعلَّقة أمام الشمس: «سأكون بخير».

# 6

# إيكاروس

نهبطُ بالقرب مِن القلعة. رياحٌ قذرةٌ رطبةٌ تُحني الأشجار الشاهقة بالقرب مِن مِنصَّة هبوطنا. العَرَقُ سرعان ما يتجمَّع على شكل حُبيبات على طول ياقتي العالية. مُنذ الآن لا أحبُّ هذا المكان القبيح. على الرّغم مِن حقيقة أنّنا هبطنا هنا على أرض القلعة، والتي تَقعُ على مسافةٍ بعيدةٍ مِن أقرب المدن، ومحاطة بالغابات والبحيرات، إلّا أنّ هواء لونا مُشبَعٌ، وثقيلٌ، ويَلتصِق بالرئتين.

في الأفُق، بعدَ الأبراجِ المدبّبة لحَرمِ القلعة الغربيّ بقليل، يحومُ كوكبُ الأرض، مُتضخِّمٌ وأزرق، ليذكّرني كم أنا بعيدٌ عن موطني. الجاذبيّة هنا أقلّ منها على المرّيخ، فقط سُدس جاذبيّة كوكب الأرض، وتجعلني أشعرُ بعدم التوازن والارتباك. يبدو أنّني أطوفُ عندما أمشي. وعلى الرّغم مِن أنّ التنسيقَ عاد بسرعة، إلّا أنّ جسمي يعاني مِن خفّة وزنه مع شعورٍ غريبٍ مِن رُهاب الاحتجاز.

مركبةٌ أخرى تحطُّ إلى الشمال.

– «يبدو مثل فضيّ مِن آل بيلونا». يقولُ روكي بهدوء، مُحدِّقاً بعينين شبه مغمضتين في غروب الشمس.

أضحك.

يحدِّقُ نحوي: «ماذا؟».

- فقط أتخيّل لو لديَّ صاروخٌ نبضيٌّ الآن.

- «حسناً، هذا فقط... لأمرٌ رائعٌ مِنك». يمشي على طول الطريق. أتبعهُ، لكن عيوني بقيت تنظرُ نحو المركبة: «أحبُّ غروب الشمس في لونا. وكأنّنا في عالم هوميروس. للسماء لونُ ظِلٍّ دافئ يشبهُ لونَ البرونز المطروق على النار حديثاً».

في الأعلى، السماء الخارجيّة تتلاشى في اللّيل مع الغروب الطويل للشمس. لأسبوعين يختفي ضوء النهار في هذا الجانب مِن القمر. أسبوعان مِن اللّيل. اليخوت الفاخرة تُبحِر مع نهاية هذا اليوم الغريب، بينما تحلّقُ معاً مقاتلات الجناح القاطع السريعة التي يقودها الزُرق في دوريّاتٍ وكأنّها خفافيش مُجمَّعة مِن لَصقِ شظايا الأبنوس المهشَّم مع بعضها.

الجاذبيّة التي تعادلُ سُدس جاذبيّة كوكب الأرض تجعل أبناء القمر يبنون ما يرغبون ويشتهون. وبالفعل يبنون. خلفَ أراضي القلعة، يبدو الأفقُ مُحاطاً بسياجٍ مِن الأبراج ومناظر المدينة. الممرّاتُ السُلَّمية تلتفُّ في كل مكان كي يتمكّنَ المواطنون مِن سَحبِ أنفُسِهم عبرَ الهواء بسهولة. شبكة السّلالم تمتدُ بين الأبراج العالية كلبلابٍ مُتسلّق يربطُ السموات مع جحيمِ المناطق الدُنيا. آلاف الرجال والنساء يزحفون على طولها مثل النمل في الكروم، بينما تحلّق مركباتُ دَورياتِ الرماديّين بنشاطٍ حولَ الطُرقات الرئيسيّة.

خُصِّصَت لعائلة أوغوستوس فيلّا تقع في قلب ثلاثين فدّاناً مِن أشجار الصنوبر ضمن أراضي القلعة. إنّها شيءٌ جميلٌ مِن بين باقي الأشياء

الجميلة في هذا المكان المهيب. هنالكَ حدائقُ، وممرّاتٌ، ونوافيرُ مع صِبيَةٍ صغارٍ مُجنَّحين مَنحوتين مِن الحجر. كلُّ أنواع العبثيّة والتفاهة تلك.

- «أترغبُ بحِصَّةٍ مِن الكرافات؟». أسألُ روكي، مشيراً برأسي نحو مِرفَقٍ تدريبي بجانب الفيلّا: «أفكاري تَشردُ مِن تلقاء نفسها».

- «لا أستطيع». ينتفضُ روكي مُبتعداً عن طريق زملائنا الفُرسان الرمّاحين ومرافقيهم في أثناء تقدُّمِهم نحو الفيلّا: «يجب عليّ حضورُ مؤتمرٍ عن الرأسماليّة في عصر الحُكمِ والسيطرة».

- إن كنتَ تريدُ أخذَ قيلولةٍ، فأنا متأكّدٌ بأنّ هنالكَ أسِرَّة في الفيلّا.

- هل تمزح؟ ريغولوس فِضيُّ الشمس سيُلقي الكلمة الافتتاحيّة.

أُصفِّر. «الفِضيّ الألمعيّ بنفسه. إذنْ أنتَ ذاهبٌ لتتعلَّم كيفَ تصنعُ ماساً مِن الحصى؟ أسمِعتَ عن الشائعة التي تقول بأنّه يَملكُ عقودَ اثنين مِن الفُرسان الأولمبيّين؟».

- إنّها ليسَت بشائعة. على الأقل وفقاً لأمّي. ذكّرني بما قاله أوغوستوس للحاكِمة المعظَّمة في حَفلِ تتويجها: (الرجُلُ لا يكونُ قطّ صغيراً جدّاً ليَقتل، أو حكيماً جدّاً، أو قويّاً جدّاً، لكنْ سحقاً، قد يكون غنيّاً جدّاً ليتجنَّبَ فِعلَ ذلك).

- أركوس قال ذلك.

- كلّا، أنا متأكّدٌ بأنّه كان أوغوستوس.

أهزُّ رأسي: «تأكَّد مِن حقائقك يا أخي. لورن أركوس الذهبيّ قال ذلك، والحاكِمة المعظَّمة التفتت لتَرُد: (نسيتَ يا فارسَ الغضب، أنا امرأة)».

أركوس على قدر ما هو رجُلٌ حقيقي على قدر ما هو أسطورة، على الأقل بالنسبة لجيلِنا. إنّه مُعتكِفٌ الآن، كان سيفَ مارس وفارسَ الغضب

لأكثر من ستّين عاماً. الفُرسان الفريدون ذوو النُّدبة في أنحاء الجمعيّة عرضوا عليه صُكوكَ تَملُّكٍ لأقمارٍ بعينها إن قام بتعليمِهم وتدريبِهم لأسبوع على طريقته الخاصّة بالكرافات، طريقة الصفصاف. إنّهُ هو مَن أرسلَ لي سكّينَ الخاتم التي قتلت أبولو، ومِن ثمَّ عرضَ عليّ مكاناً في عائلته. رفضته حينها، مُفضِّلاً أوغوستوس على الرجُلِ العَجوز.

– «(لقد نسيت، أنا امرأة)». يكرّرُ روكي. إنّه يعتزُّ بقصص الإمبراطوريّة بالطريقة نفسها التي أعتزُّ بها بقصص الحصّاد والوادي: «عندما أعود، دعنا نتحدّث. مِن دون المزاح المعتاد».

– «أنتَ تقصِد بأنّكَ لن تُثرثِر حول حُبِّ الطفولة، وتشربَ الكثير مِن النبيذ، وتتغنّى بشاعريّة عن شكل ابتسامة كوين وجمال مواقع القبور الإترورية(*) قبل أن تَغطَّ في النوم؟». أسألُ.

تحمرُّ وجنتاه، لكنّه يضع يداً على قلبه: «بشرفي».

– إذنْ أحضِر زجاجة نبيذ باهظة على نحوٍ فاحش، ويمكننا أن نتحدّث.

– سأجلبُ ثلاث.

أراقبه، وهو يغادر بعيونٍ أبرد مِن ابتسامتي.

يَحضرُ العديد مِن الفُرسان الرمّاحين المؤتمر مع روكي. البقيّة يستريحون مع قيام الفِرَق الأمنيّة مِن رماديّي أوغوستوس بتمشيطِ الأراضي. الحرسُ السبجيِّ يتبعُ الذهبيّين كظلالهم. يتحرّكُ الزهريّون بخفّةٍ ورشاقة إلى داخل الفيلّا بتدفّقٍ مستمرّ، حيث جرى استدعاؤهم مِن حديقة

(*) حضارة في إيطاليا القديمة عاصرت صعود الحضارة الرومانية. (المترجم).

القلعة بوساطة أعضاء طاقَمِ أسرة الحاكِم العام الذين أصابهم الملَلُ مِن السفر ويبحثون عن قليل مِن التسلية والترفيه.

أحدُ المضيفين الزهريّين في القلعة يُرشدني إلى غرفتي. أضحك لدى وصولي. «ربّما هنالكَ خطأ ما». أقول، وأنا أنظرُ في أنحاء الغرفة الصغيرة مع الحمام الملحَق بها والخزانة: «أنا لستُ مِكنَسة».

- أنا لا أفـ—

- «إنّه ليسَ بمِكنَسة، لذا لن يتّسِع في الخزانة». تقول ثيودورا، وهي واقفة في مدخل الباب مِن خلفنا: «إنّ هذا أدنى مِن مقامه». تنظرُ مِن حولها، وأنفها المتطاول يشمُّ بازدراء: «هذه لن تكون مناسبة حتّى كخزانة لملابسي في المرّيخ».

- «هنا القلعة، وليسَ المرّيخ». عَينُ المضيفِ الزهريّة تتفحّصُ الخطوطَ على الوَجهِ المسِنِّ لثيودورا: «هنالكَ مُتَّسعٌ أقل للأشياء عديمة النفع».

ثيودورا تبتسم بلطفٍ، وتشيرُ نحو شجرة الكوارتز الزهريّة المثبّتة إلى صدر الرجُل: «ماذا أرى! هل هذا هو الحورُ الأسود لحديقة درايوب؟».

- «أعتقدُ أنّها أوّلُ مرّة ترينه فيها». يقولُ بغطرسة قبلَ أن يلتفتَ إليّ: «لا أعلمُ كيفَ قاموا بتنشئة خدمكَ مِن الزهريّين في حدائق المرّيخ يا دومينوس، لكنْ في لونا على جاريتك أن تبذلَ ما في وسعها كي تبدو أقل تأثّراً».

- «طبعاً. يا لوقاحتي!». تعتذر ثيودورا: «اعتقدتُ فقط بأنّك قد تكون على معرفة بكبيرة المربّيات كارينا».

يتوقف المضيف: «كبيرة المربّيات كارينا...».

- كنّا كفتاتين معاً في الحدائق. أبلِغها سلامي، وأخبِرها بأنّ ثيودورا ستتّصلُ بها عندما يتاحُ لها الوقت.

- «أنتِ وَرديّة». يتحوّلُ وَجههُ إلى بياض شاحب.

- كُنت. جميع البتلات تذبُل. أوه، هلّا تُخبِرني باسمك؟ أودُّ بشدّة أن أثني عليكَ أمامها على حفاوتك.

يدمدمُ بشيء ما بصوتٍ خافتٍ غير مسموع تقريباً ويغادرُ منحنياً لثيودورا أكثر منّي.

- «هل كان ذلك ممتعاً؟». أسألُ.

- مِن اللطيف دائماً أن تشدَّ العضلات قليلاً، حتّى لو أخذ كلُّ شيء آخر بالارتخاء. مكتبة سُر مَن قرأ

- «يبدو أنّ مسيرتي انتهت حيثُ بدأت مَسيرتُكِ». أضحكُ ساخراً على نحوٍ غير طبيعي وأذهب نحو شاشة العرضِ المجسَّم الموجودة بالقرب مِن السرير.

- «ما كنتُ لأفعلَ ذلك». تقول.

أعضُّ على شفتي السفلية، إنّها إشارتنا للدلالة على أجهزة تجسّس.

- صحيح بالطبع، لكن شبكة الاتّصال المجسَّم ليسَت... حيثُ تريدُ أن تكونَ الآن.

- ماذا يقولون عنّي؟

- إنّهم يتساءلون أين سوف تُدفن.

لم يسنح لي الوقت للرد قبل أن تَطرُق براجمُ على باب غرفتي.

- دومينوس، الليدي جولي تطلبُ حضورك.

أتبعُ زَهريَّة فيكترا إلى الشُرفة الخاصّة بغرفتها. حَوضُ استحمامها وحده أكبرُ مِن سريري.

- «هذا ليس بعادل». صوتٌ يقولُ ذلك مِن خلفِ جذعٍ أبيضَ عاجيّ لشجرة خُزامى. ألتفتُ لأرى فيكترا تلعبُ بأشواك شجيرة: «لقد جرى التخلّي عنك مثل مُرتزَقٍ رماديّ».

- منذُ متى وأنتِ تهتمّين لما هو عادل يا فيكترا؟

- «هل عليكَ دائماً أن تتنازع معي؟». تسأل: «تعال واجلس». حتّى مع الندوب التي تُميِّزها عن أختها، إلّا أنّ قوامها الممشوق ووجهَها الساطع يبدوان كاملين بلا أي عيوب. إنّها تجلسُ لتُدخِّن نوعاً مِن السيجار الفاخر ذي نكهةٍ أشبه برائحة غابة مقطوعة الأشجار وقت غروب الشمس. عظامها أثقل مِن أنطونيا وأطول، وتبدو وكأنّها شُكِّلت بالانصهار مثل رؤوس الرماح حينما تأخذ شكلاً مُثلّثياً في أثناء التبريد. عيونها تلمع ممتعضة: «أنا أبعدُ ما يكون عن كوني عدوَّة لك يا دارو».

- ماذا تكونين إذنْ؟ صديقة؟

- رجُل في وضعك قد يحتاج إلى أصدقاء، أليس كذلك؟

- كنتُ لأفضِّلَ الحصول على اثني عشر حارساً شخصيّاً من الموسومين.

- «من لديه المال لكلِّ ذلك؟». تضحك.

أنظر إليها رافعاً حاجبي: «أنتِ طبعاً».

- حسناً، ما كانوا ليحموكَ مِن نفسك.

- أنا الآن قلقٌ أكثر مِن شفرات آل بيلونا.

- «قَلِق؟ أهذا هو الذي رأيته على وجهك بينما كنّا نهبط؟». تَسمحُ

لشهقة ابتهاج بالخروج مِن شفتَيها: «عجيب! انظر، لقد ظننتُ بأنّها رَهبَة، رُعب، كل الأمور التي تُثيرُ القَلق حقّاً، لأنّك تعلم بأنّ هذا القمر سيكون قَبرُك».

- «اعتقدتُ بأنّنا لم نعد نتصارع بعد الآن». أقول.

- «إنّكَ على حق، لكنّني فقط أجدكَ غريباً جدّاً، أو على الأقل أجدُ اختيارَكَ لأصدقائكَ غريباً». تجلسُ أمامي على حافّة النافورة. كعباها يخدُشان الحجرَ العتيق: «لطالما أبقيتَني بعيدةً عنكَ بينما قرَّبتَ تاكتوس وروكي مِنك. أتفهَّمُ روكي، مع أنّه طريٌّ كالزبدة، ولكن تاكتوس؟ إنّ الأمر أشبهَ بتنظيف أسنانك بأفعى وتوقُّع عدم تعرُّضكَ للعَض. هل لأنّه كان رجُلك في المعهد تظنُّ بأنّه صديقك؟».

- «صديق؟». أضحكُ مِن الفكرة: «بعد أن أخبرني تاكتوس كيف كسر أشقّاؤه كمانَه المفضَّل عندما كان صبيّاً، جعلتُ ثيودورا تُنفِق نصف حسابي البنكي للحصول على كمان ستراديفاريوس(*) مِن دار مزادات الفِضيّ الألمعي. تاكتوس لم يشكرني. لقد كان الأمر وكأنّي أعطيته حجراً. سألني ما الغاية منه. قلت له: (من أجلكَ كي تعزف). سأل لماذا. (لأننا أصدقاء). نظر للأسفل نحوه مجدّداً وسار مبتعداً. بعد أسبوعين، اكتشفتُ أنّه أخذهُ وباعهُ وأنفق المال على الزهريّين والمخدّرات. إنّه ليس صديقي».

- «إنّه ما جعلهُ أشقّاؤه عليه». تشيرُ إلى ذلك بتردّد وكأنّها تشاركُ معلوماتها معي على مضض: «متى ظننتَ بأنّهُ تلقّى يوماً ما شيئاً مِن دون أن يرغبَ أحدٌ ما بشيء بالمقابل؟ لقد جعلتهُ يشعرُ بعدمِ الارتياح».

---

(*) من أجود وأندر أنواع الكمان نسبة لصانعه الإيطالي أنطونيو ستراديفاري. (المترجم).

– «لماذا تظنّين بأنّي حذرٌ بالتعاملِ مَعكِ؟». أقتربُ مُنحنياً: «إنّه بسبب أنّكِ دائماً ما تريدينَ شيئاً يا فيكترا. تماماً مثل شقيقَتك».

– ياه! لقد ظننتُ بأنّ أنطونيا ربّما تكون السبب. فلطالما أفسدَتِ الأمور منذ أن قضمَت الذئبة طريقها إلى خارجِ رَحِم أمّي وسرقت ملابس البشر. مِن الجيّد أنّي ولدتُ أوّلاً، وإلّا لربّما كانت خنقتني في مهدي. وهي ليست سوى أختي غير الشقيقة على كلِّ حال، من أبوين مختلفين. أمّي لم ترَ جدوى كبيرة مِن الزواج الأحادي. كما تعلم، أنطونيا اختارت نسبة سيفيروس بدلاً مِن جولي فقط كي تُثيرَ غضبَ أمّي. طفلةٌ مُشاكِسة، وعليَّ تحمُّل أعبائها الأخلاقيّة. هذا سخيف!

فيكترا تلعبُ بخواتم اليشم العديدة التي على أصابعها. أجدُها غريبة، تتعارض مع القسوة الإسبارطيّة لوجهها المنَدَّب، لكنْ لطالما كانت فيكترا امرأةَ التناقضات.

– لماذا تتحدّثين معي يا فيكترا؟ لا أستطيعُ فعل أي شيء لكِ. ليس لديَّ مَنصبٌ. ليس لديَّ سُلطَة. ليسَ لديَّ مالٌ. وليسَ لديَّ سُمعَة. كل الأشياء التي تقدّرينها.

– ياه...! أنا أقدِّرُ أموراً أخرى أيضاً يا عزيزي، لكنْ لديكَ سُمعَة بالتأكيد. بليني سيحرصُ على ذلك.

– إذنْ لقد لَعِب دَوراً في الشائعة. ظننتُ بأنّ تاكتوس كان يثرثرُ فقط.

– «دَور؟ لقد كان في حربٍ معكَ يا دارو منذُ لحظة ركوعكَ أمام أوغوستوس». تضحك: «وحتّى قبلَ ذلك. كان يشيرُ على أوغوستوس بقتلكَ هنا وهناك، أو على الأقل بمحاكمتكَ على قتلكَ لأبولو. ألم تعرِف ذلك؟». تهزُّ برأسها على تحديقي الفارغ: «حقيقة أنّكَ أدركتَ ذلكَ للتوّ

يُظهِر مدى عدم جاهزيّتك لِلَعب لُعبَته؛ وبسبب ذلك ستُقتَل. لذا أتحدّثُ معك؛ لأنّي أفضِّل أن تَعثُر على بديلٍ بدلاً مِن التذمُّر في مأواك الكريه. وإلّا فكاسيوس بيلونا الذهبيّ سيأتي وسيأخُذ سكّيناً ويغرزها هنا بالضبط...».

تُداعب صدري بإصبع ذي ظِفرٍ طويل، لترسم حدودَ قلبي: «... وسيمنحُ أمّه أوّلَ وجبةٍ حقيقيّةٍ لها منذُ سنين».

- إذنْ ماذا تقترحين؟

- «أن تتوقّفَ عن كونكَ أشبه بعاهرةٍ صغيرة». تبتسمُ لي وترفعُ شريحة بيانات في وجهي. على مضض، أمسِكُ بطرف الشريحة المعدنيّة الرقيقة، لكنّها لا تفلتها، وتجذبني نحو حافّة النافورة، بين ساقيها. تتباعدُ شفتاها، ولسانها يتلاعبُ بالشفة العُليا بينما عيونها تلاحقُ وجهي، أعلى وأعلى نحو عيوني، حيث تحاولُ إشعالَ شرارة، لكن ما مِن مُجيبٍ هناك؛ فتتنهّد كقطّةٍ ماكرة، وتُفلِت شريحة البيانات. أشغِّلها في لوحي الرقمي ليظهرَ إعلانٌ لحانةٍ على شاشتي.

- «هذه ليست في أراضي القلعة». أقول.

- إذا؟

- إذا حدث وغادرت، سيكون ذلك بمنزلة الإعلان عن بدء موسم النّيْل منّي واستهدافي.

- إذنْ لا تُعلِن عن مُغادرتك.

أتراجع خطوة إلى الخلف: «كم يدفعون لكِ؟».

- أتظنّ بأنّ هذه مَكيدةٌ مُدبَّرة؟

- أليسَت كذلك؟

- كلّا.

- كيف لي أن أعرف أنّكِ تقولين الحقيقة؟

- معظمُ الناس لا يستطيعون تحمُّلَ الحقيقة. أنا أستطيع.

- أوه، هذا صحيح! لقد نسيت. أنتِ لا تكذبين أبداً.

- «أنا مِن عشيرة جولي». تقفُ ببطء، غضبُها يتصاعد مثل شفرة مسلولة: «عائلتي تتاجر بما يكفي لشراء قارّاتٍ بأكملها. مَن ذاك الذي بوسعِه شراءُ شرفي؟ إذا... في حال أصبحتُ يوماً ما عَدوّتَك فسأخبرُك. وسأخبرُك لماذا».

- الجميعُ شرفاء إلى أن يُضبَطوا، وهُم يكذبون.

ضحكتها ذات الصوت الأجش تجعلُني أشعرُ بأنّي صغيرٌ وغيرُ ناضج، مُذكِّرةً إيّاي بأنّها أكبرُ منّي بسبع سنوات. «إذن اِبقَ يا حصّاد. آمن بالمصادفة. آمن بالأصدقاء. اختبئ هنا إلى أن يشتري أحدٌ ما عَقدَك، وصلِّ كي لا يكونوا قد فعلوا ذلكَ فقط ليُقدِّموكَ لآل بيلونا مِثلَ خنزيرٍ رَضيع».

أُقيِّم الاحتمالات وأمدُّ يدي لأساعدَها على النهوض: «حسناً، بما أنّكِ عرضتِ الأمور على هذا النحو...».

- «عقيد فالنتين؟». تسألُ فيكترا الأقصرَ مِن بين الرماديَّيْن اللّذَين ينتظراننا عند رصيف المركبة. إنّها خردةٌ مُقرفة. إحدى أقبح الأجسام الطائرة التي رأيتها في حياتي. تشبهُ النصف الأمامي مِن رأس القرش أبي مطرقة. أحدِّقُ بالأطول مِن بين الرماديّين بحذر.

- «نعم، دومينا». يقولُ فالنتين، وهو يومئ برأسه، الأشبه بطوبة، بِدِقّةٍ صارمةٍ لرجُلٍ ترقّى عبر الرُتَب: «هل أنت أكيدة من أنّ أحداً لم يتبعكِ؟».

- «أكيدة كالموت». تقول فيكترا.

- علينا أن ننطلق بسرعة إذن.

أتبعُ فيكترا إلى المركبة، مُتفحِّصاً الأرض مِن خلفنا. ارتدينا عباءات الشبح لدى مغادرتنا فيلّا أوغوستوس. بعد اثني عشر ممرّاً مخفيّاً وستّة مصاعد ثقاليّة قديمة نصلُ أخيراً إلى قِسمٍ مُغبرٍّ ونادر الاستخدام لمِنصّات الإطلاق في القلعة. ثيودورا تركَتنا هناك. أرادَت أن تأتي، لكنّي لن آخذها إلى حيث سنذهب.

رماديٌّ يفحصُنا أنا وفيكترا بحثاً عن أجهزة تنصُّت لدى صعودنا على متن السفينة.

رصيفُ السفينة ينزلق ليُغلقَ مِن خلفنا. اثنا عشر رماديّاً خشناً يملؤون مقصورة الركّاب في المركبة. إنّهم ليسوا مِن النوع الجذّاب. مُجرَّد حرفيّين يمارسون الأعمال غير المشروعة.

على الرّغم مِن وجود قِيَمٍ متوسّطة، تتنوعُّ الألوان في تركيبتها بناءً على المورِّثات البشريّة واختلاف النُظم البيئيّة عبر الجمعيّة. رماديّو الزُهرة غالباً ما يكونون أغمقَ وأكثرَ تماسُكاً مِن أولئكَ الذين مِن المرّيخ، لكنَّ العائلات تنتقلُ، وتختلطُ، وتتزاوج. مُستوى الموهِبة الموجودة لدى كلِّ لون متنوّعٌ حتّى أكثر مِن المظهر. مُعظَم الرماديّين مُخصّصون لا لشيء سوى حراسة مراكز التسوّق وشوارع المدينة. بعضهُم يَلتحِق بالجيش. بعضهُم بالمناجم. ولكنْ هنالك أيضاً الرماديّون الذين ولدوا كسلالةٍ خاصّةٍ مِن الأشرار الأذكياء الذين دُرِّبوا طوال حياتهم لصيدِ الأعداء الذهبيّين لسادتهم الذهبيّين، مثل أولئكَ الذين في المركبة معنا. يُطلِقون عليهم تسمية الجَوّاسون—نسبة لكلابٍ هجينةٍ مِن كوكب الأرض جرتْ

مُزاوجتُها مِن أجل براعتها في التسلّل، والحيلة، والسرعة، وكلّها من أجل غرضٍ واحد: قَتلِ أشياء أكبرَ مِنها.

- «إنّنا نتّجهُ إلى المدينة المفقودة، وأنتُم اثنا عشر فقط؟». أسأل.

أعرفُ بأنّ عددهُم كافٍ، لكنّي ببساطة لا أحبُّ الرماديّين؛ لذا أقومُ باستفزازهم.

يتفحّصونني بتحفُّظٍ هادئٍ مثل عائلةٍ تلتَقي بغريبٍ على الطريق. فالنتين، إنّه الأب. بُنيَته أشبه بكتلةٍ غير متجانسةٍ مِن الجليد القذر المنحوت بوساطة نصلٍ صدئ، ووجهه الملفوح بالشمس داكنٌ، وذو عينين حادّتين. مُساعِدَتُه، صن-هوا، تنحني نحونا. صلبةٌ ومتجعّدةٌ مثل شجرة زيتون.

كلاهما ولِدا على كوكب الأرض بناءً على ملامحهم العرقيّة ذات الأصول القارّية. هؤلاء الرماديّون لا يرتدون الشارة المثلّثيّة لفيلق الجمعيّة على ملابسهم المدنيّة؛ هذا يعني أنّهم خدموا سنواتهم العشرين الإلزاميّة.

- «لقد أُمِرنا بحمايتكَ يا دومينوس». يقولُ فالنتين بينما تجهّز صن-هوا سلاحاً دائريّاً غريباً مُثبَّتاً داخل مِعصَمها الأيسر. يبدو أنّه يعتمدُ على البلازما: «أَعدَّ فريقي طريقاً آمناً. الوقتُ المتوَقع للرحلة: أربعٌ وعشرون دقيقة».

- إن تمكَّن بليني مِن معرفة إلى أين أنا ذاهب، أو إن عَلِم آل بيلونا بأني خارجَ القلعة..

- «الجَوّاسون على عِلمٍ بالوضع». تقول فيكترا.

- لا أرى شارة الذهبيّين. هل أنتم مُرتَزقة؟

- «يعني أنّنا جيّدون بما يكفي لنعيشَ كلَّ هذه المدّة يا دومينوس».

يقول فالنتين بحزم: «لقد استعددنا لكلِّ الاحتمالات. خططُ الطوارئ والدَّعمِ قد جرى تنظيمُها».

- ما مدى الدَّعم؟

- «إنّهُ كافٍ. نحنُ مُجرَّد ناقلين يا دومينوس». ترتسمُ على شفتيه ابتسامة، وأصدِّقُ كلامه: «المشكِلة الأكبر مِن آل بيلونا هي الأطرافُ الثّالِثة التي تعتقدُ بأنّ هنالكَ فُرصةً قد ظهرت في طريقهم. إلى حيث نحن ذاهبون، يوجدُ الكثيرُ جدّاً مِن الأطراف الثّالثة يا دومينوس. المشكِلات تُشكِّل تعقيدات تؤثّر على عائدات استثمارنا. صن-هوا؟».

- «ارتدِ هذه». صن-هوا ترمي إليّ بحقيبةٍ مِن الملابس. صوتُها يَستمِرّ بالحديث المملّ والتَّشدُّق الرَتيب: «أنتَ طويلٌ، ليس بوسعنا عملُ شيء مع ذلك لكنّنا سنقومُ بعملِ صِباغٍ سريعٍ هنا وهنا وهناك». ترمي بحقيبة أخرى لفيكترا: «بالنسبة لكِ، الرئيس يعتقدُ بأنّكِ ترتدين ملابس فاخرة ولافتة جدّاً».

تضحكُ فيكترا على ذلك.

«أزيلوا الكَواتِم يا شباب». يصرخ فالنتين مع اهتزاز السفينة وارتفاعها في الهواء: «إنّنا على قيد الحياة». الهراوات الصاعقة والحرّاقات تُجهَّزُ بين أيدٍ خبيرة. صوتٌ مُتقطِّعٌ لاحتكاك الفولاذ ببعضه، أشبه بطقطقة مفاصل معدنيّة في أثناء إدخال الطلقات المغناطيسيّة في الحجرات. الجَوّاسون يُدخِلون الأسلحة في غُمودٍ مَخفيّةٍ فوق درع الهيكل الكيتيني الضيّق. ثلاثة يرتدون أسلحة مِعصَميّة ممنوعة. أتفحَّصُ الحُمولة المهرَّبة، وأنا أنزلقُ داخل هيكلي الكيتيني. إنّه يَمتصُّ الضوء، ليعطي لوناً أسودَ غريباً يشبهُ لون حدقة العين. يبدو كغيابٍ للّون أكثرَ مِن أيّ شيءٍ آخر. إنّه أفضلُ مِن الدِرع

المقوّى الذي كان لدينا في المعهد، يمكنهُ صدُّ بعض النِصال والأسلحة الناريّة مِثل الحرّاق المعروف.

السفينة تأخذ بالاهتزاز مع تَفوّقِ محرّكاتها الرئيسيّة على صواريخِ الدفع العموديّة.

- «إلى المِخلَب ومينوتور، كونا على عِلمٍ بأنّ إيكاروس قد بدأ بالتَّحرك». يقول فالنتين بصوتٍ مَبحوح في جهاز اتّصاله: «أُكرِّر: إيكاروس قد بدأ بالتَّحرّك».

# 7

# الحبلُ السرّي

في لونا لا يوجد ظلام. لا ظلامَ حقيقيّاً على الأقل. أضواءٌ بملايين التدرّجات اللونيّة تسبحُ ممتزجةً معاً لتغطّي بلمعانها سطح القمرِ المتعرِّج والمتشقّق بنسيجه الحضري ذي الهياكل الفولاذيّة. التراموايِ العام المتداخِل على نحوٍ مُتعرِّجٍ مع المسارات الجويّة، ومراكز الاتّصالات بأضوائها الوامضة، والمطاعم المزدحمة النابضة بالحياة، ومراكزِ الشرطة الصارمة، تتداخل جميعها ما يشبه الأدمة المعدنيّة للمدينة وكأنّها نسيجٌ من الشُعيرات الدمويّة، والنهايات العصبيّة، والغدد العرقيّة، وبُصيلات الشَّعر.

نبتعد عن مناطق الذهبيّين، تاركين المرتفعات الشاهقة للمدينة، حيثُ تنقلُ المركبات الفاخرة والأحذية الثقاليّة الذهبيّين إلى دورِ الأوبرا على قمم أبراجٍ بارتفاع كيلومترات. نهبطُ إلى الأسفل متجاوزين مناطق الأغنياء مِن الفضيّين والنحاسيّين، نشقّ طريقنا عبر الممرّات السُّلَّمية والقطارات الهوائيّة، عبرَ مناطق بني الألوان الوسطى حيث يقطنُ الصُفر، والخُضر، والزُرق، والبنفسجيّون، ونتجاوز مناطق بني الألوان الدُنيا حيثُ شيَّدَ الرماديّون والبرتقاليّون منازلهم.

نهبطُ ونهبطُ إلى الأسفل لنذهب إلى طبقات المدينة الدُنيا وحضيضها حيث تضربُ في الأرض جذور هذه الأدغال الفولاذيّة العملاقة. أعدادٌ غفيرة مِن بني الألوان الدُنيا يستقلّون المواصلات العامّة مِن المصانع إلى شققهم عديمة النوافذ، بعضها لا تتجاوزُ أبعادها متراً بثلاثة أمتار. مساحةٌ كافية لسريرٍ فقط. السيّارات تسيرُ مُجلجِلةً، وتنفثُ الدخان في شوارع مزدحمة مُضاءة بمصابيح إرشاديّة. كلّما تعمَّقنا، قلَّتِ الأضواء وازدادت الأبنية قذارةً، والحيوانات غرابةً، لكنّ الرسومَ الجداريّة تزدادُ إبهاراً. ألمحُ شرطةً رماديّةً تقفُ فوقَ مُخرِّبين بُنيّين مُعتقَلين قاموا بتغطية مُجمَّع شققٍ بصورة فتاةٍ مشنوقة؛ إنّها زوجتي. بارتفاع عشرة طوابق وشعرٍ مُلتَهبٍ مُوَلَّد بوساطة طلاءٍ رقمي. صدري ينقبضُ لدى مرورنا، مُصدِّعاً الجدران التي بنَيتُها حول ذِكراها. لقد رأيتُها إلى الآن مشنوقة آلاف المرّات مع انتشار استشهادها عبرَ العوالم، مدينةً تِلوَ مدينة. مع ذلك، في كل مرَّة تضربني كصفعةٍ ملموسةٍ، النهايات العصبيّة تختلجُ في صدري، قلبي ينبضُ بسرعة، عنقي ينقبضُ تحت الفكِّ تماماً. كم هي قاسيةٌ الحياة بأن تجعلَ مشهدَ زوجتي الميّتة يحملُ معنى الأمل!

لا تهمُّ سُمعتنا، لن يبحثَ عدوٌّ عنّا هنا. لا آذان لتسمَع. لا عيونَ لترى. هذا مكانٌ حيثُ العصاباتُ تَقتل، وتَسرق، وتتنازع على النفوذ، وتُتاجِر بالمخدّرات. لذا رغبتْ صديقتي الجديدة بمِثل هذه الخصوصيّة البشريّة، خصوصية لا يمكنُ حتّى لحقلِ تشويشٍ أن يُقدِّمها في القلعة والمدينة العالية، وهذا يعني الكثير، لكنّه يقلقني؛ لأنّ هذا يعني بأنّ القواعد لا تُطبّق. لكنّ فيكترا كانَت على حق، أمّا روكي فلا. الصبرُ لن يفيدني بشيء. يجب عليَّ المخاطرة.

فريقُ الجَوّاسين أمّنَ مرأباً مَهجوراً. إنّهم يحمونَ المركبة بينما

يرافقني فريقُ فالنتين مِن المرأب إلى صَخبِ الشارع القذر في الخارج. الماء والقمامة يجعلان مِن الأزِقَّة مُستنقَعات. الهواء الرطبُ مُثقَلٌ بعَبَقِ العَفن الحُلو والهُباب المتفحِّم مِن حَرقِ القُمامَة. الباعة المتجوّلون يصيحون على بِضاعَتهم مِن أرصفةٍ مُتصدِّعة، مُزدحِمةٍ بالحُمر، والبُنيّين، والرماديّين، والبرتقاليّين مِن كل الأنواع—مُشرَّدون، مُعاقون، عُمّال، أفراد عصابات، مدمنو مخدّرات، أمَّهات، آباء، مُتسوّلون، مُقعدون، أطفال. إنّه الضياعُ بعينه.

إيو كانت لتقول: هذا هو الجحيمُ الذي أقاموا جنَّتَهُم عليه. وكانَت لتكون على حق. مُحدِّقاً نحو الأعلى، أرى مبانيَ سكنيّةً على مدى يزيدُ عن نصف كيلومتر قبل أن يُشكِّل السّديمُ الملوَّث سقفاً للأدغال البشريّة. حبالُ الغسيل وخطوطُ الكهرباء تتقاطعان في الأعلى مثلَ الكروم. المشهدُ ميؤوسٌ منه. ما الذي يُمكِن فعلهُ هنا سِوى تغيير كلِّ شيء؟

سنلتقي عند وي دين المفقودة. إنّها حانةٌ كبيرةٌ وطويلةٌ مع لافتةٍ حمراء برّاقة، وجُدران مُغطّاة برسوماتٍ عميقة المعاني. خمسة عشر طابقاً جميعها مَفتوحة وتُطلُّ على قاعة شُربٍ مركزيّة تحتوي على طاولاتٍ وأكشاكٍ يَشغلُها نحو مئتي زبون. بوسعي شمُّ البول في الأكشاك المعدنيّة المتهالِكة مِن كثرة الاستخدام. الزجاجات تُطرَق، والكؤوس تَرنُّ، بينما يُشربُ الشرابُ بنَهَم. أضواء ورديّة ونيليّة تومض في الطابق الخامس عشر، حيث يوجدُ لديهم راقصون وغُرفٌ خاصّة للزبائن. أعبرُ مع فالنتين مِن أمام حارسين ذوَي أيادٍ مُعدَّلة بيولوجيّاً—أحدهما سبجيٌّ ذو بشرةٍ شاحبةٍ مثل رخام جرى تبييضُه، وبذراعين أثخن مِن ذراعيّ، والآخر رماديٌّ ذو بشرةٍ داكنةٍ مع فوَّهة حرَّاق مُدمجَةٍ بذراعه.

بقيّة رجالي مِن الرماديّين يتسلّلون مِن خلفي على دُفعاتٍ مُتباعدة.

بعضهم يضعُ عدساتٍ مُتظاهِراً بأنّه مِن ألوانٍ أخرى، حتّى إنّ أحدهُم يرتدي قناعاً للبشرة ليبدوَ جميلاً كزهريّ. لا يمكنُ حتّى تمييزُ القناع بأنّهُ رقميّ إلى أن تضعَ مغناطيساً بالقُربِ مِنه. يبدون وكأنّهم ينتمون إلى هنا. أشكُّ بأنّي كذلك، على الرّغمِ مِن الصبغة السَّبجيّة التي وَضعوها عليّ.

الشِّعارُ على يديّ مُغطّى بنسيجٍ سبجيّ. شعري أبيض، وعيوني سوداء. مُستحضرات التجميل جعلتِ البشرة شاحبة. أنا وفيكترا ضخمان جدّاً لنُعدَّ مِن أيّ لونٍ آخر. لحُسنِ الحظ، على الرُّغمِ مِن أنّ السبجيّين أندرُ مِن باقي بني الألوان الدُنيا، إلّا أنّهُم ليسوا خارجين عن المألوف هنا في الأسفل. أتبعُ فالنتين إلى طاولةٍ في زاويةٍ قُربَ الجزء الخلفيّ للقاعة حيثُ يتمدَّدُ شابٌّ خلف زُمرة مِن المرتزَقة وسبجيّ واحد. صمتٌ عميقٌ يملؤني، وأنا أراقب السبجيَّ وهو ينهضُ ليُغادِر الطاولة ويجلسَ إلى طاولةٍ أخرى مجاورة. يُحدِّق فيه الآخرون أيضاً قبل أن يستدركوا أنفسهم وينظروا إلى مشروباتهم—مثل الطيور المائيّة عندما يسبحُ تِمساحٌ مِن أمامهم. السبجيّ أطولُ منّي بقدم، وكاملُ وَجهِه موشومٌ بجمجمة. إنّهُ مِن الموسومين.

وداعاً لمحاولة عدم لفت الأنظار.

– «أمِن الأفضل أن تحكُم في الجحيم بدلاً مِن أن تخدم في الجنّة؟». أسأل الرجُل الممدّد.

– «يا حصّاد، حتّى ميلتون كان يعرِف بأنّ لوسيفر ابن عاهرة حقير». يبتسمُ بغموض ويشيرُ بيده نحو كرسيّ مُقابل له: «هاكَ. لا داعي لأن تَبقى مُهيمناً عليّ بطولك».

إنّه حتّى لا يرتدي أيَّ تنكُّر. أنظرُ إلى فيكترا: «ظننتُ بأنّه سيكون صديقاً جديداً».

– حسناً، أنتما الاثنان لم تكونا صديقين مِن قبل قط. هذا سيكون الجزء الجديد. استمتعوا الآن يا شباب.

– «ألن تبقي؟». أسأل.

– «أرشدتُكَ إلى الباب، لكنْ عليكَ أن تعبرهُ بنفسِك». تضغطُ على مؤخّرتي على نحوٍ لَعوب وتُغادر مُتمايلة. يراقبها الشَّغبَر، وهي تُغادر، وقد مالَ قليلاً ليحصل على رؤيةٍ أفضل.

– لم أعتقِد بأنّكَ تكترثُ للنساء.

– حتى لو كُنتُ ميّتاً سأظلُّ أقدِّرُها، لكنْ ليسَ عليَّ إخبارك بذلك. وحيداً في الفضاء لأشهر متواصلة. سفينةٌ بأكملها لك. ماذا كان هناك لفعله؟

أجلسُ مُقابله. يقدِّم لي زجاجةً مِن الليكير الأخضر.

أهزُّ رأسي: «أشربُ كي أنسى رجالاً مِثلَك».

– «ها! شتيمة أركوسيّة، إن لم أكُن مخُطئاً. واحدة مِن أفضل إهانات لورن. على الرّغم مِن وجود الكثير ممّا يمكنكَ الاختيارُ مِنه». ينحني إلى الخلف. إنّهُ غامضٌ بخموله. وَجهٌ عاديّ. عينان مثل عُملات معدنيّة ملساء مُستهلكة. الشعرُ بلونِ رَملِ الصحراء. يدٌ واحدةٌ تدوّرُ قلماً فِضيّاً بسُرعَة حشرة تنزلق على أرضٍ مُدمَّرة، مِن شقٍّ لآخر: «شغبر أوغوستوس وحصّاد مارس، معاً مِن جديد أخيراً وبعدَ طول انتظار. كم سقطنا!».

– «أنتَ اخترتَ المكان». أقول بينما يضعُ قلمهُ خلفَ أذنِه، ويتناولُ ساقَ دجاجة مِن طبقٍ على الطاولة. ينتزعُ الجِلدَ بأسنانه.

– هل يثيرُ هذا أعصابك؟

– ولما سيفعل ذلك؟ كلانا يعلم كم أنتَ مولَعٌ بالظُلمة.

يضحكُ فجأةً، بصوت أنينٍ حادّ، مِثلَ نُباح كلبٍ يُطعَن. «كم أنّك فخورٌ

بنفسكَ يا دارو أندروميدوس الذهبيّ! عائلتكَ بأسرها ميّتة. مجرّد أشياء مُخزية ومُفلسة. عاديّون جدّاً لدرجة أنّ والديكَ لم يحاولا حتّى تقديمكَ للجمعيّة. لم يتبقَّ لكَ أيُّ أصدقاء. لم يكُن أحدٌ يعرفكَ قبلَ أن تندسَّ في المعهد بتلكَ الطريقة المتواضِعة. لكنْ كيفَ نهضتَ عندما أتيحَت لكَ الفرصة؟».

- «حسناً، على الأقل ما زلتَ تُحبُّ التحدُّث». أدمدم.

- وأنتَ ما زلتَ تحبُّ خلقَ أعداء لك.

- «كلٌّ لديه هواية». أتفحَّصُ الجذم حيث يفترض أن تكون يده اليمنى: «أمتعطِّشٌ أنتَ لكلِّ هذا الحدِّ مِن الاهتمام؟ أنتَ الذهبيُّ الوحيدُ على قيدِ الحياة الذي لا يكلِّف نفسهُ عناء الحصول على يدٍ جديدة».

- أتساءل لماذا تصرُّ على استفزازي بينما سُمعَتك مُشوَّهة، وحساباتك المصرفيّة فارغة. أتقلّب في موضع جلوسي: «ياه، حسناً. أنت لا تعرف؟ بليني لا يفوتهُ شيء عندما يقرّرُ تدميرَ أحدٍ ما. لقد أفرغَ كلَّ أرصدتِكَ؛ لذا في الواقع ليسَ لكَ أيُّ قيمة تُذكر. لكنْ ها أنت ذا تجلسُ هنا، في قاع القمر. وحيداً. معي ومَع أتباعي. وتلقي الشتائم».

- «أهؤلاء لك؟». أسأل، وأنا أحدِّق ببني الألوان الدُنيا مِن حولنا: «كنتُ أظنُّ بأنّهم سيصيبونك بالاشمئزاز».

- «مَن قال بأنّه عليكَ أن تحبَّ أولادك؟». يسألُ الشغبر بلطف: «إنّهم نِتاجُ صلبِنا الذهبيّ». يقضمُ ساق الدجاجة، مُهشّماً العظم بأسنانه قبل أن يتخلّص منه: «أتعلمُ ما الذي كنتُ أفعلهُ بوقتي؟».

- تستمني بين الشجيرات؟

- مع الأسف، لا. خسارتي على يديكَ كلّفتني كثيراً. لا أخافُ مِن

قول ذلك. لقد أضررْتَ بي وبمخطّطاتي. أختي أيضاً جرحتني. كمّمتني؟ قيّدتني، وأنا عارٍ، ورمتني عند قدميك؟ لقد آلمني ذلك، خاصّة عندما أخذ كِبارُ سادة وسيّدات طبقتنا النبيلة من الفريدين ذوي الندبة يضحكون عليَّ بسخريةٍ.

– كلانا يعرفُ بأنّكَ لا تشعر بالألم يا أدريوس.

– (ياه، نادني بالشغبر. سماعُ «أدريوس» من شفتيك أشبه بسماع نُباحِ قطّة). يرتعش، ولكنّه يميل إلى الأمام في مقعده مُبتهجاً عندما تخرج مِن المطبخ امرأةٌ بُنِّية، بذراعين ثخينتين، ووشوم تغطّي بشرتها الشاحبة ذات البثور، حاملةً ثلاثة أوعية ينبعثُ مِنها البخار. تضعها أمامنا: «شكراً لكِ». يقول ويأخذ اثنين له.

أنظرُ إلى الوعاء بتوجُّس.

– «أنا لا أُسمِّم». يقول: «بوسعي تسميمُ أبي في أي وقتٍ أريد، لكنّي لا أفعل، أتعلم لماذا؟».

– لأنّك لم تحصَل مِنه على ما تريد.

– وماذا أريد؟

– موافقته.

ينظر الشغبر إليّ مِن خلال بخار وِعائه: «اصمت! لقد عُرِضت عليَّ صفقات تَتلمُذ عديدة. قدّموها بسبب اسم أبي، وليس بسببي. إنّهم يحتقرونني لأنّني أكلتُ طلّاباً. لكنْ ذلك نِفاقٌ كبير. ماذا كان يجبُ عليَّ أن أفعل؟ قيلَ لنا أن نفوز، وقد بذلتُ قُصارى جهدي، ومِن ثمّ ينتقدونني متظاهرين بالنبالة، وكأنّهم لم يقترفوا جريمة قَتلٍ بأنفسهم. هذا جنون!».

يهزُّ رأسهُ مع تنهيدة بسيطة: «نعم، كان بوسعي دراسةُ الحرب في

الأكاديميّة مثلك. كان بوسعي دراسةُ السياسة في مدرسة العلوم السياسيّة في لونا. ربّما كنت لأصبحَ قاضياً موَقَّراً لو استطعتُ تحمُّل البقاء في الزهرة، لكنّني سأرتقي مِن دون نفاقِهم، مِن دون مدارسِهم».

– سمعتُ الشائعات. أهنالكَ أي منها صحيح؟

– «مُعظمُها». يسحبُ المزيد مِن المعكرونة مِن الوعاء، ويرشُّ عليها صلصة فلفل حمراء: «أنا رجُلُ أعمالٍ الآن يا دارو؛ أشتري أشياء، وأمتلكُ أشياء، وأصنع. بالطبع يُنظَر إليَّ كجامِع أموالٍ فِضيٍّ جَشِع مِن قِبَل أولئكَ الفريدين ذوي الندبة المتغطرسين الحمقى، لكنّي لستُ واحداً مِن لوردات القرن العشرين الآفلين في أوروبا. أدركُ بأنّ هنالكَ قوّةً بكونكَ عَملياً، بامتلاككَ للأشياء، للناس، للأفكار، للبُنية التحتيّة. إنّها أكثرُ أهميّةً مِن المال بكثير. إنّها أكثرُ إغراءً مِن». يقوم بحركة مُضحِكة بيده: «السُفن الفضائية والشفرات. أخبرني، هل المركبة مُهمَّة إن لم تستطع إمدادها ونَقل الغذاء لإطعام طاقمها؟ أنا أكثرُ مَن يَعرِف أهميّة الغذاء».

– «أنتَ تَملكُ هذا المكان، أليسَ كذلك؟». أسأل.

– «بطريقةٍ ما». يبتسمُ بأسنانٍ كثيرةٍ جدّاً: «أشعرُ بأنّه يجبُ أن أكونَ صريحاً معكَ. كُنّا تقريباً في الثامنة عشرة مِن عُمرنا عندما غادرنا المعهد. الآن نحنُ في العشرين. كنتُ لمدّة سنتين في المنفى، وأرغبُ الآن بالعودة إلى الديار».

– «كي تعاشِر الفريدين ذوي الندبة الحمقى؟». أضحك: «إن أوليتَ الانتباهَ لأي شيء ممّا قلناه، كنتَ لتعرفَ بأنّ والدكَ لا يُنصِتُ إليّ».

– «إيلاءُ الانتباه...». ينحني إلى الأمام: «يا حصّاد، أنا الانتباه كلُّه. أتدري على كَم استحوذتُ مِن صناعة الاتّصالات؟».

- كلّا.

- «جيّد. هذا يعني بأنّي أقومُ بالأمرِ على نحو جيّد. لقد استحوذتُ على أكثر مِن عشرين بالمئة. ومع شريكي الصامت، أملكُ ما يعادل الثلاثين بالمئة. أنتَ تتساءل لماذا؟ بالتأكيد عائلاتٌ مِثل عائلة فيكترا لا تعدّ نفسها مُدنَّسةً بسبب الأعمال التجاريّة. في نهاية المطاف، آل جولي تعاطوا التجارة منذ قرون، لكنّ الإعلام أمرٌ مختلفٌ بالنسبة لنا. إنّه قذر. نتركُ ذلك للفِضيّ الألمعي وأمثاله. إذنْ لماذا سيقوم أحد ما من نَسبي بتلطيخِ يديه به؟ حسناً، أريد منكَ أن تتخيّل الإعلام كخطٍّ أنابيب يتّصلُ بمدينة في الصحراء». يتجوّلُ في الأنحاء جيئةً وذهاباً: «في صحرائنا المجازيّة هذه، بوسعي تقديمُ ثلاثين بالمئة فقط مِن المحتوى الذي يمرُّ عبرَ خط الأنابيب، ولكنْ يمكنني التأثير على مئة بالمئة منه. مياهي تُلوِّث الباقي. هذه هي طبيعةُ الإعلام. هل أريد لهذه المدينة في الصحراء أن تُهلوِس؟ هل أريد لسكّانها أن يتلوّوا مِن الألم؟ هل أريدهم أن ينتفضوا؟». يضع عيدان طعامه جانباً: «كلُّ ذلك يبدأ بماذا أريد».

- «وماذا تريد؟». أسأل.

- «رأسَك». يقول.

تلتقي أعيننا كقضيبين حديديّين يتصادمان ويُرسِلان ارتجاجات مُوجِعة عبر الجسم. هنالك شعورٌ مَلموسٌ بالانزعاج الشديد حتّى لمجرّد الاقتراب منه، ناهيك عن مُواجهة تلكَ الكرتين الذهبيّتين الميّتتين. إنّه صغيرٌ جدّاً. شابٌّ في مثل عمري، لكنْ لديه صبيانيّة بتصرّفاته، إنّه نوعٌ مِن الفضول على الرّغم مِن نظرة الشيوخ التي في عينيه، التي تكسبه منظراً شاذّاً مُنحَرفاً. ليس الأمر أنّني أشعر بالقسوة والشرّ يُشعّان منه، وإنّما هو شعورٌ

تملّكني عندما أخبرتني موستانغ كيف قام وهو صبي بقتل شبل أسد لأنّه أراد أن يرى أحشاءه ليعرف كيف تعمل.

– لديكَ حِسٌّ غريبٌ بالدعابة.

– أعلم، لكنّني سعيدٌ جدّاً لفهمكَ دُعاباتي. هنالكَ الكثيرُ مِن الفريدين ذوي الندبة المزعجين هذه الأيّام. نِزالات، شرف، دم، كل هذا بسبب أنّهُم ضجرون. لم يتبقَ أحد للقتال. تباً كم ذلكَ مُمِل!

– أعتقدُ أنّكَ كنتَ تحاولُ التأكيدَ على نقطةٍ معيّنة.

– «أوه، نعم». الشَّغبَر يمرّرُ يدهُ عبر شعره المصفَّف للوراء، تماماً كوالده الذي رأيتهُ يفعلُ ذلك: «أحضرتُكَ إلى هنا لأنّ بليني عدوٌّ لي. لقد جعلَ حياتي صعبةً جدّاً. حتّى إنّه اخترقَ الحَرملِك الخاص بي. هل تعلم كَم جاسوساً مِن جواسيسه كان عليَّ أن أقتل؟ لقد اختبرتُ الكثيرَ مِن الخدم. أنا لا أحاولُ أن أجعلكَ تشعرُ بالأسف من أجلي». يقول بسرعة.

– لقد اقتربتَ جدّاً مِن ذلك.

– «على كلِّ حال، فَهمُ محنتي هي الطريقةُ الأفضل لمساعدتي. حتّى الآن، بليني يسيطرُ على دَعمِ أبي وثقته. إنّه يُهسهِس في أذنه مثل الأفعى. حتّى ليتو مِن تدبيره، أكنت تعرف ذلك؟». لا لم أكن أعرف: «لقد عَثرَ على الصبيّ الفاتن، وهو يعلمُ بأنّه سيفوز بقلب أبي البارد لأنّه سيذكّرُ والدي بأخي الميّت، كلاوديوس. لذا قام بليني بتهذيبه وتدريبه، وأقنعَ أبي بتبنّيه تحتَ الوصاية مع نيَّة جعله وريثاً، ثمّ أتيتَ راقصاً إلى حياتنا وعرقلتَ مُخطّط بليني. استغرقَ الأمرُ عامين كي يُجهِز عليك، لكن بالصبر تمكّن مِن فعلها. تماماً مِثلما فعلها بي. الآن ليتو سيكونُ وَريثَ أبي، وبليني سيكونُ مُعلِّم ليتو».

ذلك أثَّر بي بشدّة. علمت بأنّ بليني خطير. ربّما لم أعرف حقّاً كم هو خطير.

- «إذنْ ما هي خُطّتك؟». أحدّق في أرجاء الغرفة: «تريد استعادة دعم والدك وثقته بوساطة العوام المسلّحين بالمذاري؟».

- مثلما يعرف أيّ ذهبيّ ذي تعليم لائق بأنّ هنالكَ عصابة إجراميّة مُنظَّمة مُحدَّدة مسؤولة عن إدارة الأمور في المدينة المفقودة. إنّه تنظيمٌ إجراميٌّ واسعٌ، لو قمتَ بتتبُّعِهِ بأكمله للقِمَّة، لتبيّنَ معكَ بأنّهُ تحتَ تأثير مكتب الحاكِمة المعظَّمة لجمعيّتنا الصغيرة. قد تبدو أوكتافيا لونا الذهبيّة كنموذج مثاليّ لفضيلة الذهبيّين، لكن لديها تقديسٌ أعمى للأمور القذرة — اغتيالات، تنظيم إضراباتٍ للعمّال في مناطِق حُكّامِها العامّين، التلاعب بالمناصب والتعيينات. تعامُلها مع المدينة المفقودة ليس مختلفاً.

- هي والإيرينيات الثلاث(*) اختاروا بأنفسهم مَن يقودُ هذه العائلة الإجراميّة، أولئكَ الثلاث يدينون لها بالولاء المطلق، لكنْ هنا تكمنُ الإثارة؛ لقد وجدتُ بأنّ بعضاً مِن أعضاء هذه المنظّمة نفسها يشعرون... بالامتعاض.

أتجهَّم: «ألا يحبّون لونا؟».

- إنّها عاهرةٌ فاحشة. أهانَت أبي وتودّدت لآل بيلونا. لكنْ لا، أبطالي لا يفكّرون بهذه السطحيّة. إنّهم مِن بني الألوان الدُنيا يا دارو. لن يهدأ لهم بال حتّى يصلوا إلى قمّة كيسِ القذارة هذا.

- «لماذا المدينة المفقودة؟». أسأل: «ما أهميّة ذلك؟».

---

(*) ثلاث شقيقات يمثلن آلهة الانتقام الدموي في الأساطير الإغريقية. (المترجم).

– إنّها مجرّد جزءٍ مِن الأُحجية. سأساعدُ هؤلاء الطموحين مِن بني الألوان الدُنيا كي يرتقوا، لكن مُقابِل ثمن. عندما يصبحون في السُلطة، سيقضون على تهديدٍ يَجتاحُ الجمعيّة: أريس وأبنائه.

# 8

# صولجان وسيف

أشعر بالبرد يتسلّلُ إلى داخلي: «أبناء أريس؟ لم أكن أدرك بأنّهم يشكّلون تهديداً مُخيفاً إلى هذا الحد».

– «ليسوا بعد، لكنّهم سيصبحون». يقول: «الحاكِمة المعظَّمة تعرفُ هذا. كذلكَ أبي، ولو أنّه ليسَ مِن الرائج قولُ ذلك بصوتٍ عال. لقد سبقَ أن واجهتِ الجمعيّةُ خلايا إرهابيّة. يكفي أن تبعثَ إليهم ببضعِ فِرقٍ مِن الجَوّاسين لتقضي عليهم بسهولة. لكنّ أبناء أريس مختلفون».

– إنهم ليسوا بجرذانٍ تقضمُ كعوبنا، بل مستعمرة مِن النمل الأبيض تنهشُ ببطءٍ أساساتنا، وبصمتٍ قدر المستطاع، إلى أن تبلغَ مرحلةً تتسبّبُ فيها بانهيار بيتنا مِن حولنا. أَوكَل أبي لبليني مَهمَّة تصفية أبناء أريس. لكنّ بليني ما زال يخفقُ في فعل ذلك. وسيستمرُّ بالإخفاق لأنّ أبناء أريس أذكياء، ولأنّ وسائلي الإعلاميّة تعشقُ تسليطَ الضوء عليهم. لكنْ عندما يبلغُ الرعبُ الذي يسبّبونه للجمعيّة، وللحاكِمة المعظَّمة، ولأبي، حدّاً يجعلُ آلة الحُكم ذاتها تتباطأ لتتوقّف عن العمل، حينها سأتقدّمُ وأقولُ: (سأعالجُ هذا المرضَ خلال ثلاثة أسابيع). وعندها

سأفعلُ ذلك، عن طريق وسائلي الإعلاميّة وقيامِ العصابات الإجراميّة المنظَّمة بقتلِ جميع أبناء أريس على نحوٍ مُمنهَج، وقيامكَ بقطع رأس أريس نفسه بكل عظمة.

– إنّكَ بحاجة إلى رمزٍ شكلي.

– أنا لستُ ساحراً، ولا مُلهِماً؛ أمّا أنتَ فأشبهُ بأحدِ الغزاة القدامى: جذّابٌ ونَزيه. عندما ينظرون إليك، لن يروا أيّاً مِن مظاهر الانحطاط البسيط لزمننا الرديء، ولا أيّاً مِن السموم السياسيّة التي أُشبِع بها القمرُ لونا منذُ صعودِ عائلة لونا إلى السُّلطة. سينظرون إليكَ وسيرونَ سكّين تطهير، فجراً جديداً لعصرٍ ذَهبيّ ثانٍ.

الابن سرُّ أبيه؛ كلاهما يستهدفان أبناء أريس بالطريقة نفسها. إنّهُ مِن المرعِب التفكيرُ بالحرب التي ستندلعُ بين سفّاحي جماعات الجريمة المنظّمة وعملاء أريس. سيدمِّرُ ذلك أبناء أريس.

– أبناء أريس هم البداية فقط. نقطةُ تأثيرٍ قويّة. أنتَ تريدُ أن تحكُم.

– ما الطُّموحُ الآخر الموجود هناك؟

– لكن ليسَ المرّيخ فقط...

– فقط كوني صغيراً فهذا لا يعني أنّ أحلامي يجبُ أن تكونَ كذلك. أريدها كلَّها. وللحصولِ عليها أنا مُستعِدٌّ للقيام بأي شيء، حتّى التشارُكَ.

– «ربّما لَستَ مُطّلعاً على ما حصلَ قبل شهرين». أقول: «أَوقِفْ ذهبيّاً في أي مكان واسأله، سيخبرونكَ ما الذي فَعلتهُ عائلة بيلونا بحصّاد مارس. لم يعُد لديَّ أيُّ سُمعَة على الإطلاق. الشيء الوَحيدُ الذي أنا مُلهِمٌ له هو الضحك».

– «كاسيوس تعرّضَ للإهانة أيضاً». يقول الشَّغبَر ساخطاً: «لقد بالوا

عليه. وضُربَ في المعهد، وأُحرِجَ. والآن هو المبارز الأكثرُ فتكاً في لونا. قاتلَ كلَّ مَن حاول التشكيكَ في قيمته. وهو الآن الحيوانُ المدلَّلُ المفضَّلُ للحاكِمة المعظَّمة. هل تعلم بأنّ العجوزَ الشمطاء بصددِ جعلهِ فارساً أولمبيّاً؟ لورن أركوس الذهبيّ وفينيشيا رين الذهبيّة كلاهما تقاعدا هذا العام. هذا يعني أنّ مَنصِبَيْ فارس الغضب وفارس الصباح شاغران».

– ستجعلهُ واحداً مِن الاثني عشر؟

– «إنّه بَيدقٌ على رُقعَتها». ينحني الشغبر إلى الأمام: «لكنّي سَئمتُ مِن لَعبِ دَورِ البَيدقِ لعجائزِ قومي».

– «وأنا أيضاً. يجعلُني ذلكَ أشعرُ وكأنّي زهريّ». أقول.

– إذن دعنا ننهض معاً. أنا الصَولجان، وأنتَ السَّيفُ.

– لن تقومَ بالمشاركة؛ إنّها ليسَت طبيعتَك.

– سأفعل ما أنا بحاجةٍ إلى فِعله لا أكثر ولا أقل، وأنا بحاجةٍ إلى سيّدِ حَربٍ. أنا سأكونُ أوديسيوس(*)، وأنت ستكونُ أخيليوس(**).

– أخيليوس ماتَ في النهاية.

– إذن تعلَّم مِن أخطائه.

– «إنّها فكرةٌ جيّدة». أتوقّفُ عندَ ابتسامتهِ الآخِذَة بالاتّساع: «ولكن مع مُشكلَة واحدة. أنتَ ذو شخصيّةٍ مُعتلَّة اجتماعيّاً يا أدريوس. أنتَ لا تفعلُ فقط ما أنتَ بحاجةٍ إليه. إنّكَ ترتدي أيَّ وَجهٍ تُريد، أيَّ عواطف تريدها

---

(*) ملك إيثاكا الأسطوري، اشتهر بذكائه، وهو صاحب فكرة الحصان الذي به انهزم الطرواديون. (المترجم).

(**) أحد الأبطال الأسطوريين عند الإغريق. اشتهر بقوته الهائلة، وكان له دور كبير في حرب طروادة. (المترجم)

وكأنّها قُفّاز. كيف يُمكنني الوثوقُ بكَ يوماً؟ لقد قتلتَ باكس». كلماتي تَجعلُ الصمتَ يسودُ في الأجواء: «لقد قتلتَ صديقي، حامي أُختِكَ».

– أنا وباكس لم نلتقِ مِن قبلُ قط. كل ما رأيتهُ أنّهُ كان عَقبةً في طريقي. بالطبع كنتُ أعلمُ بأمرِ آل تيليمانوس، لكن بعد أن تناثرَ دِماغُ كلاوديوس في كلِّ مكان، فرّقنا أبي أنا وموستانغ لحمايتنا. وليضعني حتّى في عُزلةٍ أكبر بكثير منها. لقد كنتُ وريثه. ليس لديّ أيُّ أصدقاء، إنّما مُعلّمون فقط. لقد دمَّر شبابي، ومِن ثمّ نبذني كما نَبذكَ، لأنّنا خسِرنا. أنا وأنت انعكاسٌ لبعضنا.

يندلعُ قتالٌ في طابقٍ فَوقنا. حَرَّاقٌ يُفرقع. يندفعُ الحُرّاس للأعلى، حاملين أسلحتهم الخاصّة. مُعظَم الزبائن يجلسون مِن دون أن تبدو عليهم مَعالِم أي اضطراب.

– «ماذا بالنسبة لأختِكَ؟». أسأل بتردّد، وأنا أعرفُ بقرارة نفسي أنّه لم يتبقَّ لي أيُّ خيار آخر سوى هذا.

– «هل تريد أن تعرفَ كيفَ حالهُا؟». يسألُ بصراحة: «مَن يُشاركها الفراش؟ بوسعي إعطاؤكَ أيَّ إجابة تُريد. لديَّ عيونٌ في كل مكان».

– «لا أريدُ ذلكَ». أهزُّ رأسي، مُحاولاً طردَ الفِكرة المظلمة بأنّ أحداً ما يُشاركها الفراش. بأنّها وَجدتِ البَهجةَ في شخصٍ آخر، حتّى لو كانت تستحقُّ ذلك. ومِن الغريبِ أكثر التَّفكيرُ في أنّ الشَّغبَر يعرفُ هذه الأمور: «هل هي متورطةٌ في هذا؟».

– «كلّا». يقولُ الشَّغبَر مع ضحكةٍ ثقيلة: «أنتَ تعرفُ بأنّها مع آل لونا الآن. إنّهُ لأمر مضحكٌ جدّاً حقّاً. مَن كان ليظُنّ أنّهُ مِن بيننا نحنُ الاثنين ستكونُ هي التوأم الضال؟ حسناً، الأكثر ضلالاً».

- «لا يمكن أن يصيبها أيُّ أذى». أقول: «إن أصابها سأقطعُ رأسك».

«هذا عُدوانيٌّ، لكنْ لكَ ما تريد. إذن أنتَ معي».

- «أنا معكَ منذُ أن صعدتُ إلى المركبة. أنتَ تعلمُ بأنّه لا خيارات أخرى لديّ. وأعلمُ بأنّه لا يوجدُ شخصٌ آخر قطّ قد يستدعيني إلى هنا. هذه المتغيّرات ليس بوسعها أن تقودنا إلّا إلى هذه النهاية». ولمَ لا تفعلُ ذلك؟

أخذتُ مِنه يدَه، وأخذَ منّي صديقاً. كلّ ما فعله هو العضُّ والخدشُ مِن أجل نجاته الفرديّة. رؤيته الآن، بهذا القَدرِ مِن الصِّغَر والبساطة في عالم الآلهة، يكادُ أشبه بكونه البطلَ الذي يكافحُ بنُبلٍ ضدَّ والدٍ يرفُضه، ضدَّ الجمعيّة التي تضحكُ على حجمه وضعفه، وتحتقره كآكلٍ للحومِ البَشر مع أنّها هي التي أخبرتهُ بأن يفعلَ كلَّ ما عليه فِعلُه كي ينتصر. بطريقةٍ غريبة إنّه مِثلي. كان بإمكانه إصلاحُ يَدِه، لكنَّهُ اختارَ ألّا يفعل، ليرتديها كوسام شَرفٍ بدلاً مِن العار.

لذا سأوافقُ على ذلك، ومِن ثمّ في النهاية ربّما سأقتُله، لأجل باكس.

ينشقُّ وجههُ عن ابتسامةٍ عريضة: «أنا مسرورٌ جدّاً يا دارو. مسرورٌ جدّاً. ولأكونَ صادقاً، ارتحتُ قليلاً».

- «لكن ماذا بعد؟». أسأل: «لا بُدَّ من أنّكَ تحتاج إلى شيء ما منّي الآن».

- هنالكَ ذهبيٌّ يدعى فينكور دروسيلّا الذهبيّ كان قد سَمِع عن... تعامُلاتي مع جماعة الجريمة المنظَّمة. إنّهُ يحاول ابتزازي. أريدُ منكَ أن تقتُله.

طبعاً. «متى؟».

- ليس قبل أسبوع، أو أكثر. الغرضُ الحقيقي مِن قتله سيكونُ لأجلِ

كَسبِ مَحبَّة أقارِبَ للحاكِمة المعظَّمة أُهينوا مِن قِبَل فينكور. مع مَقتلِ فينكور ستنالُ مِن الأقاربِ... المحبَّة.

أكتمُ ضحكة: «هل ستجعلُني ألعبُ دَور قِردٍ ماجنٍ شهم، يطوفُ في أنحاء البلاط، يُضاجِع السَّيدات؟». موستانغ ستعتقدُ بأنّي أقومُ بذلك مِن أجل إغاظتها.

عينا الشغبر تلمعان بالمكر: «مَن قال أيَّ شيء عن السَّيدات؟».

– «ياه». أقولها، وقد أدركتُ تَوّاً ماذا كان يقصِد: «ياه، هذا... مُعقَّد. ربّما قد يكونُ تاكتوس أفضل في هذه الأمور...».

يضحكُ الشَّغبَر ضحكةً مكتومةً على استغرابي: «ياه، ستبلي بلاء حسناً. لكن كلُّ هذا مُجرَّد قَلقٍ مؤجَّل ليوم آخر. استرخ الآن. سأشتري عَقدَك عن طريق طرفٍ ثانٍ حالما يُعرَض للمزايدة».

– آل بيلونا سيحاولون شراءه.

– لديَّ شريكٌ. ستتفوّق عليهم.

– فيكترا؟

– كلّا، إنّها أكثرُ بمنزلة وَسيطٍ في هذا. ما عليكَ أن تفهمهُ فيما يخصُّ فيكترا بأنّها ليسَت... كيف تقولُ ذلك... من المقاومين. إنّها تحبُّ فقط أن تزيدَ التَوتُّر في الأجواء. الشريك ستلتقي به قريباً جدّاً.

– «لن يسير الأمر هكذا». أقول: «أريدُ مقابلتهُ الآن. لستُ بدُمية لديك. أنا أشاركُ كلَّ ما أعرِفُه، لذا عليكَ أن تُشارِك كلَّ ما تَعرِفه».

– «لكنّي أعرفُ أكثرَ بكثير. حسناً». ينحني إلى الأمام: «ستلتَقي به اللّيلة. ليس الأمرُ وكأنّي لا أثقُ بك، لكن أجدُ مِن اللائق أن يعرِّفَ هو عن نفسه».

– حسناً يكفي. أريدُ إعادة العوّائين.. وسيفرو.

– لكَ ذلكَ. ستحتاجُ أيضاً إلى اختيار مُعلِّم مُبارزةٍ خبير، شخص يعلِّمكَ كيفيّة استخدام الشفرة. سنحتاجُ مِنكَ أن تقوم بقَتلِ بعض الناس علانيةً في المستقبل.

– «أعلمُ كيفيّة استخدام الشفرة». أقول.

– ليسَ هذا ما سَمعتُه. هيّا، لا خَجل في ذلك. أعرفُ بِضعَة أسماء. مِن المؤسف أنَّ أركوس لا يُعلِّم. في الواقع قد يكون لديّ، في هذه الأيام، موارد تكفي لجَلبِ رجُل الصخر وطريقة الصفاف خاصّته...

كلماتهُ تخفُت، وعيونه تنجرف مبتعدةً عنّي، لتنجذب إلى المرأة نحيلة القوام التي تشقُّ طريقها عبر دخان وكآبة الحانة، وكأنّها جَمرةٌ تسقطُ عبر الضباب. بوسعي شمُّ رائحة اللَّوزِ على بشرتها، والحمضيّات على شفتيها، وهي تقتربُ مِن طاولتنا، ببهاءٍ وإثارةٍ مثل هواء الساحل الصيفي للزُهرة. عِظام هَشَّة، أشبهُ بعِظام الطيور. إنّها ترتدي فستاناً أسودَ يُغطّي جلدها عدى كتِفَيها العاريين.

ومِن ثمَّ تلتقي عيوننا، وكدتُ أقعُ عن الكرسيِّ. وكأنّي أُصِبتُ في مقتلي. نبضي يتسارع. إنّها هي. الفتاة ذات الأجنحة التي لا تستطيعُ الطيران أبداً. لكن الآن... لقد هربَت مِن ميكي، على ما يبدو. اختفَت الأجنحة، لقد نضجَت لتُصبِح امرأةً تفيضُ بالأنوثة. لكن لماذا إيفي هنا؟ هل أرسلهَا أبناءُ أريس إلى هنا؟ بالكاد استطعتُ الحفاظ على اتّزاني. إنّها لم تتعرّف عليّ.

– «لم أكُن أعرف أنّ الورودَ تنمو عميقاً هكذا بين الحشائش». يقولُ لها الشَّغبَر.

ضِحكتها تنسابُ مثل ضَرباتِ أجنحة الفراشة. تتلمّسُ الحافّة السفليّة للطاولة المهترئة وتهزُّ كتفيها برقّة.

– الرجالُ العاديّون لا يستطيعون تحمُّل الأمورِ غير العاديّة. لكنْ سيّدتي سمعَت بأنّ رجالاً غيرَ عاديّين كانوا في المدينة المفقودة فأرسلتني كـ... سفيرة.

– «ياه...». يتراجعُ الشَّغبَر إلى الوراء، مُقيِّماً إيّاها: «أنتِ فتاةٌ مِن جماعة الجريمة المنظَّمة. إحدى فتيات فيبونا؟». بناء على إيماءتها، ينظرُ الشَّغبَر إليّ ويخطئ بتفسير تعابير تفاجئي على أنّها رغبة: «خذها للأعلى يا دارو. على حسابي. هديّة ترحيب. أخبرني إن رَغِبتَ بشرائها. يمكننا مناقشة العمل غداً».

عند كلمة «دارو»، ينهارُ اتّزانُ إيفي للحظة. تعودُ خطوةً إلى الوراء، وأسمعُ كيف يتغيّرُ نمطُ تنفّسها. وعندما تلتقي عيوننا، أدركُ بأنّها ترى عبر تنكُّر السبجيّ لتُبصِر الأحمرَ الموجودَ تحتَ كل هذه الأكاذيب. على الرّغم مِن ذلك، وجودُ المفاجأة يعني أنّها لم تأتِ مِن أجلي. إنّها هنا مِن أجل الشَّغبَر، لكن لماذا؟ هل هي مع أبناء أريس؟ أم إنَّ ميكي باعَ أخيراً أثمنَ نَفائِسه لعِصابة فيبونا؟

– «لا أتعاملُ مع العبيد». تقول إيفي للشغبر، مشيرةً إلى شعاري السبجيَ.

– ستجدينَ أنّ في هذا أكثرَ ممّا تراهُ عيناكِ.

– دومينوس، أنا—.

يقبضُ على يدِها، وهو يلوي خِنصرها بفظاعة: «اخرسي ونفّذي ما طُلبَ منكِ يا فتاة. وإلّا سنأخذ ما ترفضين إعطاءه». ترتسمُ على وَجهه

ابتسامة عريضة، ثمّ يُطلِقها. تُمسِك يدها، وهي ترتجف. لا يتطلّبُ الأمرُ مجهوداً كبيراً لجَرحِ زهري.

أنهضُ: «أعتقد بأنّي سأتولّى الأمرَ مِن هنا يا صديقي».

- إنّي مُتأكّد مِن قيامكَ بذلك.

أُشيرُ للحُرّاسِ الشخصيّين بالانصراف لدى محاولتِهم مُرافقتي.

أتبعُ إيفي للأعلى عَبر درجات السُّلَّم المؤدّية إلى الطابق الرابع، مُتلقّياً صيحاتِ استهجان مِن بعض الزبائن. عيناي تلتقطان أحدَ مُكعّباتِ العرض المجسَّم الموجودة فوق البار. مشاهدُ التفجير تتموّج بالأبعاد الثلاثيّة. يبدو أنّ التفجيرَ وَقع في قَهوة. قهوة للذهبيّين. تتّسعُ عيوني مع إظهار حجم الدمار. هل كان هذا مِن فِعلِ أبناء أريس؟

تفجيرٌ آخر يُومِض عبر شاشةٍ مختلفة، وآخر، ثمّ آخر، حتّى اكتسحت عشرات مِن التفجيرات الشاشات في أنحاء الحانة. جميع الرؤوس تلتفتُ للمشاهدة، الصمت ينتشر عبر أرجاء الحانة الواسعة. يدُ إيفي تشدُّ بقوّة على يدي، لأدركَ بأنّ أبناء أريس هم مَن قاموا بالتفجيرات. لقد أرسلوها. لكن لماذا لونا؟ لماذا الشَّغبَر؟ لماذا لم يتواصلوا معي؟

- «بسرعة». تقول لدى بلوغنا الطابق الخامس عشر، لتسحبني عبر الأضواء الزهريّة، مجتازين الراقِصات والزبائن المتعطّشين لنَصِلَ إلى الباب الأخير عند نهاية ممرٍّ ضيّق. أتبعُها إلى داخل الغرفة المظلمة لأشمَّ على الفور الرائحة اللاذعة لزيت الحرّاق. الهواء يضطرب مِن خلفي مع تقدُّم رجُلٍ نحوي متسلّلاً، وهو يرتدي عباءة الشبح. يتطلَّبُ الأمرُ جهداً ملحوظاً لمقاومة الرغبة العارمة بقتله.

- «إنّه واحدٌ منّا». تصيحُ إيفي. تُشعِل الضوء. ستّةٌ مِن الحُمر بتقنيّاتهم

العسكريّة الثقيلة يُبطِلون تَخفّيهم. إنّهم يرتدون خوَذاً شيطانيّة بمعدّاتٍ بصريّة فائقة: «استدعِ الطوّافة».

- «إنّهُ ليسَ أدريوس أوغوستوس الذهبيّ». يصيحُ أحدهم مزمجراً.

- إنّه سبجيٌّ لعين!

- «سبجيٌّ غريب المظهر». أحدُ الحُمر ذي المعدّات البصريّة يقفزُ للخلف، شاحناً حرَّاقه: «إنّ كثافة العظمِ تشيرُ إلى ذهبيّ».

- «توقف!». تصرخ إيفي: «إنّه صديق. هارموني كانت تبحثُ عنه».

ليس أريس، أو الراقص؟

- «أنتم لم تأتوا إلى هنا مِن أجلي». أقول، وأنا أحدِّقُ في أسلحتهم: «لقد كنتم تصطادون».

تلتفتُ إليّ: «سأشرحُ لكَ لاحقاً، لكن علينا الذهابَ الآن».

- «ماذا فعلتِ؟». أسألُ بينما يسحب أحدُ الحُمرِ مِشعلاً بلازميّاً، ويُحدِث فتحةً في الجدار، مُعرِّضاً الغُرفة لقذارة المدينة. الهواء الرطبُ يندفعُ إلى الداخل، والضوء يغمرُ الغرفة مع اقتراب سفينة إمدادٍ صغيرة، وهي تَفتحُ فَتحاتِ عنبرها الجانبيّة على نحوٍ مُتوازٍ مع الباب المرتَجل.

- دارو، ليسَ هنالكَ وَقتٌ لهذا.

أمسِكُ بها: «إيفي، لمَ أنتِ هنا؟».

عيناها تلمعان ببريق الانتصار. «أدريوس أوغوستوس الذهبيّ قتلَ خمسة عشر مِن إخوَتنا وأخَواتنا. أُرسِلتُ كي أُلقي القَبضَ عليه، أو أقتُلَه. اخترتُ الخيارَ الثاني. خلال عشرين ثانية سيتحوّل إلى رماد».

أنزعُ اللوحَ الرقمي لأحدِ الحُمرِ مِن ذراعه وأطلقُ حذائي الثقالي

المخفي. تصرخُ عليَّ إيفي. يُصدِر الحذاء صوتاً أشبه بالأنين الحزين، وهو يرفعُني في الهواء. أشقُّ طريقي عائداً مِن حيثُ أتينا، مُخترقاً البابَ بدلاً مِن فتحه، لأطير للأسفل عبر الرواق مثل خفّاشٍ مِن الجحيم. أصطدم لدى مروري براقصةٍ، وأمرُّ فوق اثنين مِن الزبائن البرتقاليّين، وأستديرُ بزاويةٍ حادّة مِن فوق الدرابزين باتجاه طاولة الشغبر، وهو ينتهي مِن احتساء شرابه. يلمحُني حارسه الموسوم، وكذلك الرماديّون، لكنّهم بطيئون جدّاً.

على الشاشات، فوقَ مشاهد التفجيرات، صوتُ تشويش يُفرقِع، وخوذة حمراء بلون الدم تحترق.

– «احصدوا ما زرعتُم». صوتُ أريس يصدحُ مِن عدّة مكبّرات.

الطاولة تذوب تحت يَدِ الشغبر. مُتآكِلةً بفعل القنبلة التي زَرعَتها إيفي. يرمي الموسومُ الشغبرَ بعيداً عن الطاولة كدميةٍ، ويحيطُ بجسده الهائل مَصدَر الطاقة المتفجّرة على هيئة فِطر المشروم. فمهُ ينطقُ بهمسات الموت: «سكيرنير ألفالِنير(*)».

مكتبة
t.me/soramnqraa

(*) عبارة بلغة السبجيّين. (المترجم).

# 9

# الظَّلام

تنبعُ الطاقة مِن جِسم الحارس الموسومُ لتبدو للناظر كسائلٍ يسبّب تبخّر جسده وانتشاره على الأرض مثل زئبقٍ مسكوبٍ قبل أن يَسوَدَّ لونه ويعود منزلقاً إلى مصدره، جاذباً الرّجال، والكراسي، والزجاجات إليه، مثل ثقبٍ أسود، لينفجر من بعدها مع دَويٍّ عميقٍ مُرعب. أُمسِك بالشغبر مِن سُترتِه، وأطير عبر الجدار، مُرتطماً به بكتفي أوّلاً، بينما يتمزَّق مِن خلفنا الزجاج، والخشب، والمعدن، وطبلات الآذان، والرجال.

حذائي يتعطّل. نطيرُ عبر الشارع ونرتطمُ بالبناء المقابل، مُحطِّمين الإسمنت، ومن ثمّ نسقطُ على الأرض بينما تنكمش حانة وي دين المفقودة نحو الداخل كعنبٍ يصبح زبيباً، ثمّ يتحوّل إلى غبار. إنّها تنفثُ صليلاً مِن النيران ورماد الموت قبل أن تسقطَ متحوّلةً إلى ركام.

تحتيَ الشغبر فاقدٌ للوعي، وساقاه محروقتان بشدّة. أتقيّأ لدى محاولتي الوقوف، هيكلي العظمي يُفرقع مثل جذع شجرةٍ غضّة بعد اختباره ريح الشتاء القاسية لأوّل مرّة. أنهضُ مُترنِّحاً لأعاودَ السقوط على الأرض ومُفرِغاً معدتي مرّة أخرى. ألمٌ في جمجمتي. أنفي يرعفُ الدم، والأذنان

ترْشحانه. كُرتا العينين تخفقان مِن الانفجار. الكتفُ مخلوع. أقبضُ على ركبتيّ، أثبّتُ كتفي على الحائط وأدحرجُ المِفصَل إلى مكانه، مُصدراً صوتَ نَفَسٍ مُختلجٍ لدى طقطقة المِفصل وعودته إلى مكانه. أشعر بإبَرٍ تُدغدغُ أصابعي. أمسحُ القيء عن يديّ وأقفُ أخيراً مُترنِّحاً على قدمَيّ. ألتقطُ الشغبر وأنحرفُ مُتّجهاً نحو الدخان.

لا أسمعُ شيئاً سوى أنين الأهداب السمعيّة. كأنّها عصافيرُ دوريّةٌ تصرخُ في أذني الداخليّة مُصدِرةً طنيناً. أتخلَّصُ مِن الأضواء التي تتراقصُ في عيني. الدخان يبتلعُني. يتدفّقُ الناس مِن حولنا بسرعة، كالماء مِن حول صخرة، لمساعدة أولئك العالقين. لن يجدوا سوى الموت والرماد. الانفجارات الصوتيّة تخترقُ اللّيل. فِرقُ دَعمِ الشغبر تندفعُ مزمجرةً من المدينة في الأعلى. وبينما يَهبِطون ليُخرِجوه مِن هذا الجحيم، تخبو العصافير الدوريّة في أذنَيّ، حيث تلتهِمهُم فرقعة ألسنة اللّهب وصُراخ الجرحى.

أقفُ أمام مَصنعٍ مهجور، على بعد أربعمئة كيلومتر مِن القلعة، عمقاً في القطاع الصناعي القديم. مَصانِع أحدَث بُنيت فوق هذا، لتَدفنه تحت طبقةٍ جديدةٍ مِن الصناعات مثلَ بثراتٍ سوداء. القذارة تُغطّي المكان. طحالبُ مُفترسة. ماءٌ مَليء بالصدأ. لاعتقدتُ بأنّها نهايةٌ مسدودةٌ لو أنّي لا أعرفُ فريستي جيّداً.

اللّوح الرقمي الذي أخذتُه مِن الأحمر نجا مِن الانفجار. تركتُ الشغبر مع فِرقِ دعمه وتسلّلتُ بعيداً على طول الشارع، حيث سَرقتُ مركبة شرطة للرماديّين. بعد مَسحي لجهاز تَتبُّع اللّوح الرقمي، تمكّنتُ مِن اختراق سجلّ تاريخ إحداثيّات اللّوح الرقمي.

أطرقُ بقوّة على البابِ المقفل للطابق الرئيسي للمصنع. لا شيء. لا بدَّ من أنّهم يرتعدون خوفاً؛ لذا أركعُ على الأرض وأضعُ يديَّ خلف رأسي مُنتظراً. بعد عدّة دقائق، يُفتَح الباب مُصدراً صريراً. ظلام في الداخل، ثمّ عدّة أشكال تنسلُّ للأمام. يربطون يديّ، ويغطّون رأسي بكيس، ويدفعون بي إلى داخل المصنع.

بعد أخذي إلى الأسفل بوساطة مِصعَدٍ هيدروليكيٍّ قديم، يقودونني بثباتٍ نحو صوت موسيقا. الكونشرتو الثاني للبيانو لبرامس. الحواسيب تُصدِر طنيناً. المشاعل الملتصقة تتّقد بسطوعٍ كافٍ ليتوهّج عبر نسيج الكيس.

– «هنا، ابتعدوا عنه أيّها الوحوش!». يصيحُ صوتٌ مألوف.

– «احذر يا مهرّج!». يدمدمُ بعض الحُمر.

– بَعبع في وجهي كما تشاء، يا قرد البابون الصدئ، إنّه يساوي أكثر مِن عشرة آلاف منكم أيّها المنحطّون المتخلّفون—.

– «دالو، ابتعد». تقولُ إيفي بنعومة: «حالاً».

تصدرُ الأحذية صوت ضربات ثقيلة وتبتعد: «هل بوسعي التوقّف عن التّظاهر الآن؟». أسأل.

– «بلا شك». يقول ميكي.

أحطِّم القيودَ التي استخدموها لرَبطِ معصميّ خلف ظهري، وأنزعُ الكيسَ الذي يغطّي رأسي. المختبر المصنوع من الإسمنت والمعدن نظيفٌ وساكنٌ باستثناء الموسيقا الهادئة. ضبابٌ باهتٌ يحومُ في الهواء مِن نرجيلة ميكي في الزاوية. أقف بطولي الفارع فوقهُ هو وإيفي. إنّها لا تستطيعُ السيطرة على نفسها.

لم تعُد بعد الآن تلك الغاوية الورديّة في الحانة، فترمي بنفسها إلى أحضاني مثل فتاة صغيرة ترحِّبُ بعمٍّ مفقود منذ زمن. تترك يديها على خصري بينما تسحبُ نفسها أخيراً إلى الوراء وتحدّق بعينيها الزهريّتين إلى الأعلى نحو عيني الذهبيّتين. على الرّغم مِن قهقهتها، إلّا أنّها مُفعَمةٌ بالإثارة والجمال، بذراعيها النحيلتين الرشيقتين، والابتسامة البطيئة الحميمية التي لا تعكسُ أيَّ ندمٍ يجبُ أن يظهرَ عليها لقَتلِها قُرابة مئتي شخص. الفتاة المجنَّحة أصبحَت طائرَ جِيَفٍ ولا يبدو أنّها انتبهَت إلى ذلك. أتسألُ إن كانت ستبتسمُ تلكَ الابتسامة العريضة لو كان عليها قتلُ كلِّ هؤلاء الناس بوساطة سكّين؟ يا لسهولة اقترافنا للقتلِ الجماعي!

– «بوسعي التَّعرفُ عليكَ في أيِّ مكان». تقول: «عندما رأيتكُ عند الطاولة... توقفَ قلبي عن الخفقان للحظة. خاصّة في هذه الهيئة السبجيّة السخيفة. دارو، ما المشكلة؟».

تصرخُ لدى إمساكي بها مِن مُقدِّمة سُترَتها وتثبيتي لها على الجدار.

– «لقد قتلتِ لتوِّكِ مئتي شخص». أهزُّ رأسي الحزين والمثقل تحت وطأة ما حدَث: «كيفَ أمكنكِ فِعلُ ذلكَ يا إيفي؟». أهزُّها، ليتراءى لي مجدّداً طاقم سفينتي، وهُم يُقذَفون في الفضاء. مُسترجعاً كلَّ القتلى الذين خلَّفتُهم في طريقي. أشعرُ بنبض جوليان كيف كان يتلاشى.

– «دارو، يا عزيزي—». يحاول ميكي.

– اخرس يا ميكي!

– أجل. حسناً.

– «الحُمر، الزهريّون، بنو الألوان الدُنيا، قومُكِ؛ وكأنّهُم لا شيء». يداي ترجفان.

– «كنتُ أتبع الأوامر يا دارو». تقول: «أدريوس كان يحقّقُ بأمرنا. كان يجبُ أن يُصفّى».

إذن، على الرّغم من مَكائِده كلّها، قد لوحِظ. الدموع تفيض مِن عيون إيفي. لا أضعفُ أمامها. مَن يهتمّ لما تشعرُ به بعد ما فعلتهُ لتوّها؟ لكنّي أُفلِتها وأَدعُها تنزلقُ على طول الجدار إلى الأسفل على نحوٍ مُثيرٍ للشفقة، متأمّلاً أنّها ربّما تُظهِر بارقةَ نَدمٍ تجعلني أعتقدُ بأنّ هذه الدموع هي مِن أجل الأناس الذين قتَلتهُم، وليس مِن أجلها، ليس لأنّها تخافُ منّي.

– «هذه ليسَت الطريقة التي أردتُ للأمور أن تَحدُث بها». تقولُ، وهي تمسحُ عيونها: «لدى رؤيتكَ لي مجدّداً».

أُحدِّق للأسفل نحوها، وأنا مُشوّش: «ما الذي حدثَ لكِ؟».

– «لقد كان لديها مُعلِّمٌ مُختلفٌ عن الذي كانَ لديكَ». يقولُ ميكي: «لقد أزلتُ جناحيها وهارموني مَنحَتها المخالب».

التفتُّ إلى ميكي: «ما الذي يحدثُ بحقِّ الجحيم؟».

– «سيتطلّبُ الأمرُ عاماً لشَرحِ ذلك». يشبك ذراعيه ويتفحّصني: «لكنْ دعنا أوّلاً نقول: لقد اشتقنا إليكَ يا أميري العزيز. ثانياً: رجاءً لا تربُط أخلاقي بتلكَ الروح الضائعة. أنا أوافِقكَ؛ إيفي وَحشٌ صغير». يمرُّ بقربي مُحدِّقاً بإيفي، وهي تقف: «ربّما الآن سترى نفسكَ على حقيقتها». ابتسامته المستهزئة تتلاشى، وعيونه اللّماحة تتفحّصني مِن رأسي إلى أخمص قدمي: «ثالثاً: تبدو مذهلاً يا بني، مذهلاً للغاية!».

عيونه تتراقصُ على وجهي. يفتحُ فَمهُ، ثمّ يُغلِقه، يتلعثم، لديه الكثيرُ ليقوله. وجهٌ حادّ، شعرٌ دهني، ينزلقُ للأمام مِثلَ نَصلٍ على الجليد. ملامحهُ كلُّها حادّة الزوايا. الجلدُ يُغطّي عظاماً هزيلة. هل كان نحيلاً إلى هذا الحدّ

عندما رأيته آخر مرّة؟ أم ببساطة لأنّهُ ليسَ لديه مساحيقُ تجميله؟ كلّا! إنّه يطرفُ على نحوٍ أبطأ. إنّه واهن ومُتعب. أكبر سنّاً. ويبدو مهزوماً. هنالك جوٌّ غريبٌ مِن الضعف في كيفيّة انكماش كتفيه وحركة عينيه السريعة في الأرجاء، كما لو أنّه يتوقّعُ أن يُضرب في أيّ لحظة.

- «لقد سألتكُ سؤالاً يا ميكي». أقول.

- ليسَ بوسعي التفكير بالغابة. ما زلتُ أتفحّص الشجرة! مِن المدهش كيف نما وازدهر جسمك. بكل بساطة، مذهل يا عزيزي! لقد كَبُر حجمكَ في الواقع. ما هو حال مُستقبلات الألم لديك؟ هل نمَت بُصيلات الشعر، وهي مهيّجة مثلما كنتُ أخشى؟ ماذا عن تقلّص العضلات؛ هل وجدتها أعلى مِن المعدّل لدى أقرانك؟ اتّساع حدقة العين سريعٌ كفاية؟ كل ما سمعتهُ لأشهر كان حديثاً عنكَ في مُكعّب العرضِ المجسَّم. طبعاً ليس باستطاعتهِم إظهارُ المعهد، لكنْ هنالكَ مقاطع فيديو سُرِّبت على شبكة الاتّصال المجسَّم. فيديوهات مثل—قتلكَ لفريدٍ ذي ندبة. استيلائكَ على حِصنٍ غريبٍ في السماء، مثل أحد الأبطال القدماء.

حتّى هم يبتلعون أساطيرَ الغزاة، الأبطال النبلاء مِن العصور القديمة. يجذبُ كتفي بيأس، يده أضعف ممّا أذكر. «أخبِرني عن حياتك. كيف هي الأكاديميّة؟ أخبِرني بكلِّ شيء، أما زلتما حبيبين أنتَ واللذيذة فيرجينيا أوغوستوس الذهبيّة؟». يعبسُ فجأة: «ياه، بالطبع لا. إنّها مع—».

- «ميكي». أجذبهُ: «اِهدأ».

يضحكُ بشدّة ويسعل، مبتعداً عنّي ليمسحَ دموعه: «مِن الجيّد فقط رؤية وجوهٍ صديقة. إنّهم لا يسمحونَ لي برفقةٍ لطيفةٍ هذه الأيّام على الإطلاق. إنّهُ أمرٌ فظيعٌ حقّاً».

– «اخرس يا ميكي». تصيح إيفي.

عيناه تنزلقان إلى إيفي، التي تقف الآن بعيدةً عن متناولي، تتلمّسُ بأصابعها غمدَ الحرّاق الذي على خصرها، وكأنّه سيحميها منّي.

– «لماذا أنتَ في لونا؟ ما الذي يحدث؟». أسأل: «هل انضممتَ إلى أبناء أريس؟».

– «حدثَ الكثير». يُدمدم ميكي: «أنا لستُ هنا مِن قِبَل—».

– «إنّهُ يعملُ لصالحنا الآن يا دارو». تقاطع إيفي ببرودة: «سواء أعجبهُ ذلك أم لا. لقد قمنا بتفكيكِ مخبئه الشخصي الصغير. نستخدمُ أمواله التي جمعها مِن بيع اللّحم في شراء وسائل النقل هنا وتجهيز جيش. نحن نردُّ بقوّة يا دارو. أخيراً».

– «إرهابيّة زهريّة واحدة، وحفنة مِن الحُمر يلعبون بالأسلحة». أقولُ مِن دون أن أنظر إليها: «أهذا جيشك؟».

– أرقنا دماء الذهبيّين اليوم يا دارو. إذا كنتَ لا تحترمني، احترم ذلك. لقد قتلتُ ابن الحاكِم العام للمرّيخ. ما الذي قمتَ به أنتَ ليجعلكَ تظنُّ بأنّه بوسعكَ أن تأتي إلى هنا وتحقّر ما فعلناه؟

– «أنتِ لم تَقتُليه». أقول.

تنظرُ بذهول إليّ: «لا تكُن سخيفاً».

أُحدِّق بها غاضباً.

– «لكن كيف... القنبلة...». تقول: «أنت تكذب».

– تمكّنتُ مِن إخراجه في الوقت المناسب.

– لماذا؟

– لأنّ مَهمَّتي مُعقّدة. وأنا بحاجةٍ إليه. أين الراقص؟ مَن المسؤول هنا؟ ميكي—.

– «أنا». يقولُ صوتٌ آخر مِن ماضيّ، صوتٌ ذو نبرةٍ كزوجتي، إلّا أنّهُ صوتٌ مسمومٌ وفيه مرارةٌ وغضب. ألتفِتُ لأرى هارموني عند الباب. نِصفُ وجهها لا يزالُ مُشوَّهاً بندوبٍ فظيعة. النصفُ الآخر باردٌ وقاسٍ، أكبرُ سنّاً ممّا أذكر.

– «هارموني». أقولها بلا تأثّر. السنينُ لم تفعَل شيئاً لتقرّبنا مِن بعضنا: «مِن الجيّد رؤيتكِ. أنا بحاجةٍ إلى تقديم تقرير. هنالكَ الكثيرُ لأقوله». ليس بوسعي حتّى التفكيرُ مِن أين سأبدأ، ثمّ ألحظ النظرة التي توجّهُها إلى إيفي: «هارموني، أين الراقص؟».

– قد ماتَ الراقص يا دارو.

لاحقاً، تجلسُ هارموني معي أمام طاولة ميكي في مكتبٍ ذي أثاثٍ رخيصٍ بزوايا حادّة وجِرارٍ مليئة بأعضاءٍ هجينةٍ تسبحُ في غازٍ حافظ. ميكي يجلسُ خلف الطاولة، يلعبُ بمُكعَّب أحاجيه القديم المثالي. يراني أنظرُ إلى المكعَّب فيغمزني. إنّه يتحسّن. تستندُ إيفي إلى برميل مِن المواد الكيميائيّة؛ أمّا أنا فأجلسُ ضائعاً تماماً. كان لدى الراقص خطّة لي. كان لديه خطّة لكل هذا. لا يفترض أن يكون ميّتاً. لا يمكنه ذلك.

– «كانت آخرُ أمنية للراقص بأن ينحتَ ميكي لنا جيشاً جديداً، جيشاً بوسعه مقارعة الذهبيّين بالسرعة والقوّة. أخذنا أعظم رجالنا ونسائنا وأخضعناهم للنحت. ليس بوسعهم النجاة مِن عمليّة نحتِ ذهبيّ مثل التي تحمَّلتَها، لكنّ بعضهم قد يتمكّن بشجاعةٍ مِن تجاوز هذا البرنامج

الجديد». تلُوِّح نحو الزجاج حيثُ مئة أنبوبٍ أشبه بتوابيت تنتشرُ على الأرض. في كلٍّ منها أحمرُ مِن سلالةٍ جديدة: «قريباً سيصبح لدينا مئة جندي بوسعهم إلحاقُ الضرر بالذهبيّين على نحوٍ أعمق مِن ذي قبل».

كما لو أنّ مئةً سيكفون لقتال آلة الحرب الذهبيّة. أنا وعوائيَّ بوسعنا على الأغلب تمزيقُ أيَّةِ وِحدَةٍ سيجمعها هؤلاء الإرهابيّون. ونحن لسنا حتّى الأشد فتكاً مِن بين الذهبيّين.

تلوِّحُ بذراع جديدة، كانت قد خَسِرت تلكَ التي مِن لحم وعظم مع سبجيّ، لدى مُداهمة مستودعٍ للأسلحة. إنّهُ طرفٌ مِن المعدن الآن. رشيق وقوي، مع مقابسَ غير قانونيّة مِن السوق السوداء مِن أجل الأسلحة. عملٌ حِرفيٌّ جيّد، لكن لا يُقارن مع نحتِ ميكي. طبعاً ما كانَت لتسمحَ لهُ بأن يعملَ عليها أبداً.

– «إذن ميكي سجين؟». أسأل.

– «أقرَب إلى عبد». يُهمهِم ميكي مع ابتسامةٍ خفيفة: «حتّى إنّهمُ لا يعطونني نبيذاً».

– «اخرس يا ميكي». تصيحُ إيفي.

– «إيفي». تجذبُ هارموني انتباه المرأة الشابّة بنظرةٍ مُتسامِحةٍ قبل أن تُحدِّق بميكي: «تَذكُر ما تحدّثنا عنه، أليسَ كذلك؟ انتبه لكلامِك».

يجفلُ ميكي، عيونه مثبته للأسفل على يدها اليسرى. هنالك غمدٌ فارغ على حزامها. أمرٌ يخافُ منه ميكي. هارموني تحسن التصرّف معي.

– إنّك تخشينَ مِن أن يتحدَّث عن كيفيّة ضربكِ له؟

تهزُّ كتفيها رافضة افتراضي: «ميكي كان يبيعُ الفتيات والفتيان. لا يمكنكَ اِستعبادُ مُستَعبِد. مِن وجهة نظري، اللعينُ محظوظٌ لأنّهُ لم يتلقَ

رصاصةً في دماغه. كان بوسعي أن أوظّفَ نحّاتاً ليعطيه قروناً، وأجنحةً، وذيلاً، ليبدو مِثل الوحشِ الذي هو عليه، لكنّي لم أفعل. هل فعلت يا ميكي؟».

- كلّا.

- كلّا؟

- كلّا يا دومينا.

تجعلني الكلمة أرتدُّ باشمئزاز.

- «لطالما احترمهُ الراقص». أقول: «أنا أحترمُه، على الرّغم مِن كل... غرابة أطواره».

- «إنّه يشتري الناس.. ويبيعُهم». تقول إيفي.

- «كلّنا قد أخطأنا». أقول: «خاصّة أنتِ، الآن».

- «لقد أخبرتُكِ بأنّ اللّعينَ سيكونُ قدّيساً أكثر منك. يتصرّف كأنّه لا يساوِم على أخلاقه يوماً بعد يوم. مُوجِداً الأعذار مِن أجل أبناء عاهرات أوغاد مثل ميكي الذي لدينا هنا». هارموني تبتسم بتكلّف نحو إيفي، تتبادلان التلميحات الساخرة: «تصرّفاتٌ مِن هذا النوع مقبولةٌ هنالك في الأعلى يا دارو. لكنّكَ ستتعلّم بأنّنا لم نعد نُساوِم هنا على الإطلاق. ذلك كان في الماضي».

- إذن الراقص ميّتٌ فعلاً.

- «الراقص كان رجُلاً جيّداً». تصمتُ للحظةٍ قصيرةٍ جدّاً كي يُعدّ ذلك كنوعٍ مِن الاحترام: «لكنّ الرجال الجيّدين يميلون للموت أوّلاً. منذ نصف سنة مضت، وظّف فريقاً مِن المرتزقة الرماديّين لضرب نقطة اتّصالات كي نتمكّن من سرقة بيانات. قلتُ بأنّ علينا قتلهُم بعد أن ينجزوا مَهمّتهم. قال

الراقص... ماذا كان الذي قاله؟... (نحن لسنا أشراراً). لكنْ بعد أن تلقّى القائدُ الرمادي أجره، ذهب إلى مركز شرطة الجمعيّة المحليّ وقدّم لهم موقع الراقص. فريقٌ لعينٌ مِن الجَوّاسين قضى على الراقص ومئتين مِن أبناء أريس في ظرف دقيقتين. لن يحدثَ ذلكَ مُجدّداً. إن قتلوا واحداً منّا، سنقتلُ مئةً منهم، ولن نثق بالرماديّين، ولن ندفع للبنفسجيّين. لقد عاشوا على تعبنا لعصور. نحن نثق بالحُمر فقط».

إيفي تتحرّك باضطرابٍ مُبديةً عدم ارتياح.

– «كان هنالكَ أحمر آخر في المعهد». أقولُ بعد برهة: «تيتوس. هل كان واحداً منكم؟». أنظر باتّجاه ميكي.

– «لا تنظر إليّ». يقول ميكي.

– «كيف عرفتَ بأنّ تيتوس كان أحمر؟». تسألُ هارموني بسرعة: «هل أخبرك؟».

– لقد... زلَّ لِسانُه. تصرّفاتٌ بسيطة عفويّة. لم يَلحظها أحدٌ آخر.

«إذن عثرتما على بعضكما؟». تسأل مِن دون أن تبتسم، لكنّها تتنهّد لتتحرّر مِن ثِقلِ حملتهُ لفترة طويلة: «لقد كان شابّاً جيّداً. أنا متأكّدة بأنّكما كنتما صديقين».

– لم يكتشفني قط، هل قُمتَ بنحتهِ يا ميكي؟

مع موافقة هارموني يجيب: «كلّا يا عزيزي. أنتَ كنتَ الأوّل لي، والوحيد». يغمز: «لقد استُشِرت في نحته، ولكنّ زميلاً لي قام بعمليّته بناء على النجاحات التي ابتكرناها أنا وأنت».

– «الراقص عثرَ عليك». تقول هارموني: «أنا عثرتُ على تيتوس. على

الرّغم مِن أنّ اسمه كان أرلوس عندما انتشلناه مِن مناجم ثيبوس. إلّا أنّه لم يكترث للاحتفاظ به».

يبدو مناسباً أنّ هارموني هي مَن عثرت على تيتوس؛ الطيور على أشكالها تقع.

– «ما الذي حدثَ له؟». تسأل: «نعلم أنّهُ مات».

ما الذي حدثَ له؟ جعلتُ ذهبيّاً يدفنه في حفرةٍ لعينة.

أنظر بثباتٍ نحو ثلاثتِهم، إنّي مُمتنٌّ لعدم تمكّنهم مِن قراءة أفكاري. إنّهم لا يعلمون أي شيء. بالكاد يمكنني تصوّر ما الذي يُفتَرض بأنّهم يعتقدونهُ عنّي. لديهم تصوّرٌ مَحدودٌ جدّاً عمّا قمتُ به، وعمّا أصبحتُ عليه. ظننتُ بأنّه كان هنالك خطّة، سببٌ عظيمٌ ووَجيهٌ لكلّ العناء الذي أتكبّده، لكن لا وجودَ لأيّ شيء. أعرفُ ذلك الآن. حتّى الراقص كان فقط ينتظرُ مترقّباً ليرى ما الذي سيحدث.

توقّعتُ أن يجري الترحيب بي بأذرعٍ ممدودة. توقّعتُ جيشاً بانتظاري. خطّة عظيمة. بأن يخلع أريس خوذتهُ سيّئة السمعة ويبهرني بذكائه، ويثبتَ بأنّ كل إيماني كان مسوّغاً. اللعنة! كل ما أردته هو العثورُ عليهم مُجدّداً حتّى لا أشعرَ بالوحدة، لكنّي أشعر بوحدةٍ أكثرَ مِن أي وقتٍ مضى، وأنا أجلسُ هنا في غرفةٍ مِن الخرسانة مع هؤلاء الثلاثة على كراسٍ بلاستيكيّة مترنّحة.

– «ذهبيّ يدعى كاسيوس بيلونا الذهبيّ قتله». أقول.

– هل كانت ميتةً جيّدة؟

– في هذه المرحلة، يجب أن تكوني قد عرفتِ بأنّه لا وجود لشيء كهذا.

– «كاسيوس، أهو نفسه الذي بينك وبينه عداوة دمويّة، ألهذا؟». تسأل إيفي بلهفة: «ألهذا يريد آل بيلونا قتلكَ؟».

أمرّر يدي عبر شعري: «كلّا، لقد قتلتُ شقيقَ كاسيوس. إنّه أحدُ الأسبابِ التي يكرهونني لأجلها».

– «الدم بالدم». تدمدم إيفي، وكأنّ اللّعينة تعرفُ ما الذي تتفوّه به.

– «لقد ضربناهُم اليوم بقسوة يا دارو. اثنا عشر تفجيراً في أنحاء لونا والمرّيخ. جرى الانتقامُ للراقص وتيتوس». تقول هارموني: «وسنضربهُم بقوّة أكبر في الأيّام القادمة. هذه الخليّة، مُجرَّد واحدة مِن خلايا كثيرة».

تُلوِّح بيدها نحو الطاولة لتظهر المشاهد مع انبعاث الحياة في شاشة العرضِ المجسَّم. مذيعو الأخبار البنفسجيّون يواصلون الحديث برتابةٍ عن المجزرة.

– «أيفترضُ بي أن أنبهر؟». أسأل: «أنتِ شرّيرة مثلهُم. تعرفين هذا، أليسَ كذلك؟ بصرف النظر عن الاستراتيجيّة المتّبعة. بصرف النظر عن استفزازك للتنّين النائم. إيفي نفسها قَتلَت أكثر مِن مئة مِن بني الألوان الدُنيا قبل بضع ساعات فقط».

– «لم يكن هنالك حُمر». تقول هارموني، ومِن ثمّ تُضيف، فكرة ملحقة منافقة على نحوٍ لا يصدّق: «أو زهريّون».

– بلى كان هنالك!

– «إذن تضحيتهُم لن تُنسى». تقول هارموني بجديّة.

– «فوكس كلامنتس إن ديزيرتو». أهتف.

ميكي يجلس بصمت، لكنّه يسمح لنفسه بابتسامةٍ خفيفة.

– «أتحاولُ إبهارنا بحديثكَ الذهبيّ المبهرج؟». تسألُ هارموني.

– «إنّه يشعُر وكأنّه صوتٌ يصرخُ في الصحراء. صراخٌ بلا جدوى». يشرحُ ميكي: «إنّها لاتينيّة بسيطة».

– «إذنْ أنتَ تعرفُ كل شيء». تقول هارموني: «تُصبِح ذهبيّاً وفجأةً تجد كل الإجابات».

– أليسَت هذه هي الغاية مِن أن أصبحَ ذهبيّاً؟ كي نتمكّن مِن رؤية كيف يفكّرون؟

– «كلّا! إنّها مِن أجل وَضعِك في مكانٍ يُمكِّنكَ مِن ضربِهم في مقتل». تُطبِق قبضتها وتضربُ راحة يدها المعدنيّة مؤكّدة: «لا تتصرّف كما لو أنّكَ ولدتَ أفضلَ منّي. تذكَّر، أنا أعرفُ ماذا يوجد في داخلك. مُجرَّد صبيّ خائف حاولَ قتلَ نفسه عندما كان أضعفَ مِن أن ينقذَ زوجته مِن الشنق».

أجلسُ معقودَ اللّسان.

– «هارموني، إنّه يحاولُ المساعدة فقط». تقول إيفي بنعومة: «أعرفُ بأنّ الأمرَ يجبُ أن يكون صعباً يا دارو. لقد قضيتَ أعواماً معهُم. لكنْ علينا إيذاؤهُم. انظر، هذا كلُّ ما يفهمونه. الألم، الألم هي الطريقة التي يتحكّمون بنا فيها».

تتابع ببطء.

– في أوّلِ يومٍ خدمتُ بِهِ ذهبيّاً شعرتُ بأعظم سعادةٍ في حياتي. ليسَ بوسعي شرحُها لك. الأمر كان أشبَه بمقابلة إله. الآن أعرفُ بأنّ ما شعرتُ به لم تكن السعادة، بل كان غيابَ الألم.

– هذه هي الكيفيّة التي يدرّبون بها الزهريّين ليعيشوا حياة عبوديّة يا دارو. إنّهم يُنشِئوننا في الحدائق مع أجهزةٍ مزروعةٍ في أجسامنا تملأ حياتنا بالألم. يسمّون الجهاز قُبلة كيوبيد—حَرقٌ على طول العمود الفقري،

وصُداعٌ في الرأس. لا يتوقّف أبداً. ولا حتّى عندما تُغمِض عينيك. ولا حينما تبكي. يتوقّف فقط عندما تُطيع. يزيلون القُبلة أخيراً. عند بلوغنا الثانية عشرة. لكنْ... لا يمكنكَ معرفة كيف يكون الأمر، شعور الخوفِ مِن عودته، يا دارو.

تلعبُ إيفي بأظافرها: «الذهبيّون بحاجةٍ إلى الشعور بالألم. بحاجةٍ إلى الخوف منه. وبحاجةٍ إلى أن يتعلّموا بأنّه ليس بوسعهم أن يؤذونا مِن دون عواقب؛ هذا ما تعنيه هارموني».

وأنا كنتُ أظنُّ بأنّ الذهبيّين مُختلّون. جميعنا مُجرَّد أرواح مجروحة تتعثّر في الظلام، نحاول يائسين أن نجمع أنفسنا آملين أن نتمكّن مِن سدّ الفجوات التي صنعوها فينا. إيو أبعدتني عن هذا المصير. مِن دونها كنتُ لأكون مثلهم؛ ضائعاً.

– «إنّ الأمرَ لا يتعلّقُ بإيذائهم يا إيفي». أقول: «إنّه يتعلّقُ بضربهِم، إيو علمتني ذلك، والراقص أيضاً. نحن نضربُ التفّاحَ في الوقت الذي يجبُ علينا فيه أن نحفر في الجذور. ما الذي سيؤدي إليه تفجيرهُم؟ ما الذي سينجزهُ اغتيالُهم؟ نحن بحاجةٍ إلى تقويض جمعيّتِهم بأكملها، أن نُسبِّب تآكل طريقة عيشهم، ليس هذا!».

– «لقد فقدتَ الرؤية والهدفَ مِن مهمّتكَ يا دارو». تقول هارموني.

– «أتقولينَ ذلكَ لي؟». أسأل: «كيفَ يمكنُ لكِ أن تفهمي ما الذي رأيتِه؟».

– تماماً. ما الذي رأيتُه. تناولُ العشاء مع الأسياد ونِسيانُ العبيد. بوسعكَ تحمُّل رفاهية العيشِ في عالمٍ مِن النظريّات. ماذا عن الذي رأيتُه أنا؟ نحن غارقونَ في القذارة. إنّنا نموت. وماذا تفعلُ أنت؟ تتفلسَف.

تعيشُ حياةً رغيدة. تعاشرُ الزهريّين؛ أمّا أنا فقد كان عليّ سماعُ موت الراقص. كان عليّ سماعُ الصرخات اللّعينة تُفرقِع عبر أجهزة الاتّصال لدى قدوم الجَوّاسين لقتلِهم. ولم يكن بوسعي فعلُ أي شيء لإنقاذهم. لو أنّكَ مررتَ بكل هذا، لكنتَ عرفتَ بأنّ النار لا يمكن مواجهتها إلّا بالنار.

أعلمُ أين ستقودنا هذه الكلمات. ستمنحني ثُقباً في أحشائي. ستجعلني أنتحبُ في الوحل، وكاسيوس يقفُ فوقي. هذه هي الكيفيّة التي سينتهي بها الأمر.

– «ربّما فقدتِ كل ما تحبّين يا هارموني. أنا آسف لذلك. لكنّ عائلتي لا تزالُ بالمنجم. إنّهم لن يعانوا لأنّكِ غاضبة. حُلمُ زوجتي كان مِن أجل عالمٍ أفضل. وليس من أجل عالم أكثرَ دمويّة». أُعلِن: «الآن، أريدُ التحدّثَ مع أريس».

الصمتُ يخيِّمُ بثِقلِه على المكان.

– «امنحانا لحظة». تنظرُ هارموني نحو ميكي وإيفي. تراقبُ ميكي، وهو ينهض على مضض. يتوقّف، وكأنّه يريدُ قول شيء ما لي، لكنْ مع إحساسه بنظرات هارموني له، يغيّرُ رأيه.

– «حظّاً سعيداً يا عزيزي». يقولُ ببساطة مُربّتاً على كتفي.

– «دعيني أبقى». تقول إيفي، وهي تقتربُ مِن هارموني: «يمكنني المساعدة بالتعامل معه».

تلمُسها هارموني مِن خصرها: «أريس ما كان ليسمحَ بذلك».

– بعد ما قُمتُ به اليوم... ألا تثقين بي؟ أنا لستُ كالبقيّة.

– «أثقُ بك مثلما أثقُ بأيّ أحمر. لكنْ هذا أمرٌ لا يمكنني مشاركتكِ به». تُقبّل إيفي بلُطفٍ على شفتيها: «اذهبيّ».

تتوقّف إيفي عند الباب وتنظرُ إلى الخلف نحوي: «نحن لسنا أعداءكَ يا دارو. عليكَ معرفةُ ذلك».

يُغلَق الباب خلفها مُصدراً صوت نقرة، ونبقى وحيدين في مكتب ميكي.

- «هل تعلم؟». أسأل.

- تعلم ماذا؟

- بأنّكِ أرسلتها في مهمَّة انتحاريّة.

- كلّا. إنّها ليسَت مثلنا. إنّها تثق.

- وأنتِ ستُضحّين بها؟

- سأضحّي بأيّ أحد منّا لقتلِ فريد ذي ندبة. كل ما نحصلُ عليه هو قرود ماجنة وبرونزيّون عديمو القيمة. أريد الطغاة الحقيقيّين.

- إنّكِ تستغلّينها على نحوٍ أسوأ ممّا فعلهُ ميكي يوماً.

- «بوسعها الاختيار». تتمتم هارموني.

- أحقّاً بوسعها؟

- «كفى!». تجلسُ هارموني وتشيرُ إليَّ بأن أقوم بالمثل: «ربّما قد مات الراقص، لكن أريس لديه خطّة لك».

- لا، لا. لقد سئمتُ مِن سماع خُطَطِه لي مِن خلال الآخرين. لقد ضحّيتُ بثلاث سنين مِن عمري لأجله. أريد رؤية وَجهه.

- مستحيل!

- إذن لقد انتهيت.

- كيف يمكنكَ أن تنتهي، إيه؟ إنّكَ عالق. اللّعنة! إنّكَ تعلمُ جيّداً بأنّه

لا يمكنكَ الذهاب إلى ديارك في ليكوس، أليسَ كذلك؟ هنالك طريقٌ واحدٌ للخروج. اربط الحزام بإحكام وابق على المسار.

لكلماتها وَقعٌ قاس. لا يمكنني العودة. مشاعرُ الوحدة الكامنة في ذلك لا يمكنُ التعبيرُ عنها. أين هي ديارِي؟ أين سأذهبُ حتّى لو انتهى كل هذا مع تحوّل الذهبيّين إلى رماد؟

– لن تُقابِل أريس. حتّى أنا لم أرَ وجههُ قط، يا غطّاس الجحيم.

– لم ترَيْ؟ لقد عملتِ لصالحه لمدّة تماثل الراقص تقريباً؛ لسنوات. كيف بوسعكم جميعاً أن تثقوا به؟

– لأنّهُ وضعَ أوّلَ سلاح في يدي. ارتدى خوذته ووضعَ حرّاقاً مِن نوع مارك 4 مع مخزن أيوني ممتلئ في راحتي.

– «هل أريس رجُل؟». أسأل.

– «مَن يهتمُّ لذلك؟». تَسحبُ شاشة عَرضٍ مُجسَّم. الإلكترونات تحوم في الهواء لتتجمّع في سلسلةٍ مِن الخرائط. أتعرَّفُ على التضاريس. المرّيخ. الزهرة. لونا، على ما أعتقد. العشرات مِن النقاط الحمراء تومِض عبر المخطّطات الأوليّة للمدن وأحواض بناء السفن والعشرات غيرها مِن المنشآت الحيويّة. قنابل، أدركت ذلك. هارموني تنظر مُنهكة إلى الخريطة: «هذه خطّةُ أريس. أربعمئة تفجير. ستمئة هجوم على مخازن للأسلحة، ومنشآت حكوميّة، وشركات الكهرباء، وشبكات الاتّصالات. إنّها مُحصِّلة أبناء أريس. سنوات مِن التخطيط. سنوات مِن تأمين الموارد».

لم يكن لديّ أدنى فكرة أنّهُ بوسعنا القيام بمثل هكذا عمليّة. أحدّق بالخريطة بدهشة ورهبة.

– التفجيراتُ اليوم كانت غايتها الاستفزاز للقيام بردّ فعل. إثارتهُم

وجعلهُم منزعجين. نريدهُم أن يقوموا بالتعبئة. وعندما يقومون بالتعبئة سيوجدون بكثافة. أسهلُ طريقةٍ لحرق أفاعي الحُفر هي عندما يتراصّون.

– متى سيحدث ذلك؟

– ثلاثُ ليالٍ مِن الآن.

– «ثلاثُ ليال». أكرّر: «في ختام المؤتمر، لا يمكنه أن يطلبَ منّي فِعلَ—».

– بلى يمكنه. ثلاثُ ليالٍ مِن الآن، المؤتمر سيختتمُ بحفلٍ جميل. نبيذ، زهريّون، حرير، وأي شيء لعين تقومون به يا ذهبيّ الحواجب. الجميعُ مِن الحُكّام، والسيناتورات، والبريتوريّين، والإمبراتوريّين، والقضاة اللّعينين مِن أنحاء الجمعيّة سيكونون هنا. مجموعة شمسيّة مِن الوحوش أُحضروا بوساطة قوّة الحاكِمة المعظَّمة إلى مكانٍ واحد. ستمضي عشر سنوات أُخَر قبل أن نتمكّن مِن رؤية ذلك. لا يوجد طريقة ليتمكّن أبناء أريس مِن الدخول، لكن يمكنكَ أنتَ الذهاب حيث لا نستطيع نحن. يمكنكَ توجيهُ الضربة التي لا نستطيعُ ضربها.

أشعرُ بالكلمات تنهالُ عليّ مثل قطارٍ عبر نفق.

– لدى تجمّعهِم جميعاً على نحوٍ جميلٍ ومُتراص. لدى وقوف الحاكمة المعظَّمة لإلقاء كلمتها، ستقتلُ أبناء العاهرة مِن ذهبيّي الحواجب بقنبلة راديوم سنخفيها لديك. ميكي مع مجموعة أدواتِه بنوا تلكَ التقنيّة. حالما نرى انفجار القنبلة على مسجّل البيانات الذي سنزرعهُ فيك، سنُطلِق الجحيم في أرجاء المجموعة، لنحرقهُم جميعاً.

أهذه هي محصّلة كل ما فَعلتُه؟

– لا بُدَّ مِن وجود طريقةٍ أخرى.

- دائماً ما يوجد خطّتان يا غطّاس الجحيم؛ هذه وأنت. أريس والراقص قالا بأنّكَ أملنا، فرصتنا بمسارٍ آخر. لقد كانا يتفاخران كالأولاد بأنّه بوسعكَ تدميرُ الذهبيّين مِن الداخل. لكنّكَ أخفقت، مثلما قلتُ بأنّه سيحدث. سوف تدّعي بأنّ الدماء تُلطِّخ يدَيْ إيفي. حسناً، لقد لطَّخت يديكَ أيضاً.

- أنتِ حتّى لا تعرفين بأي دماء تلطَّخت يداي يا هارموني. أنا لستُ قدّيساً لعيناً، ولكنّ الهجوم الذي قامَت به إيفي كان جريمة.

- الجريمةُ الوحيدةُ ستكونُ في حال خسارتنا.

أنا أتحطّم: «هنالك أمور على المِحَك هنا أكثر بكثير ممّا تَفهمُه. لا يُمكننا مواجهة الذهبيّين. لا يهُمّ مدى الضربة التي سنوجّهها، سيستأصلوننا هكذا». أفرقع بأصابعي.

- إذن لن تقومَ بذلك.

- كلّا لن أقومَ بذلك يا هارموني.

- «إذن الحربُ ستندلعُ مِن دون مُساعدَتك». تقول: «لدينا اثنان مِن أبناء أريس مستعدّان لمحاولة الدخول إلى الحفل. إنّهم ليسوا ذهبيّين، لذا فالاحتمال أعلى بأنّه سيُلقى القبضُ عليهم وسيمزَّقون إلى شرائح في زنزانة تعذيب بريتوريّة قبل إتمامِهم لمهمَّتهم؛ هذا يعني أنّ قادة الذهبيّين سيعيشون، وفُرصُنا الصغيرة للفوز بهذه العاصفة مِن القذارة ستتقلّص، لأنّكَ لا تثقُ بأريس».

- تبّاً لذلك! على أريس أن يُخبِرني بذلكَ بنفسه إن كان يريدُ منّي أن أساعده.

- «كيف؟ إنّه في المرّيخ يُحضِّر للثورة. لا يوجد طريقة للتواصل. إنّهم

يراقبون كل شيء. كيف سيتّصل بكَ مِن دون أن يُكشَف غطاؤك؟». تنحني إلى الأمام، أسنانها السفليّة تظهر قليلاً: «أخبرني يا دارو. هل تعلم حتّى كم سرقوا منك؟».

إنّه شيء في نغمة صوتها: «ماذا تعنين؟».

– «هذا ما أعنيه». تضغطُ على سلسلةٍ مِن الأوامر في مُكعّبِ العرضِ المجسَّم لتظهرَ صورةٌ لمناجم ليكوس. يتجمّدُ دمي: «تسجيلٌ لموتِ إيو، ذلك الذي قرصنّاه وأذعناه...».

قلبي يَخفِقُ بشدّةٍ في حلقي.

– «لم يكن كاملاً». تضغطُ على مفتاح التشغيل ليصبحَ المنجم في الغرفة مِن حولنا. إنّنا جزءٌ مِن عَرضٍ مُجسَّمٍ ثلاثي الأبعاد. إنّها لقطاتٌ غيرُ مُعالجة، ليست تلكَ التي على شريط الأخبار، ليسَت تلكَ التي رأيتُها مئات المرّات. إنّه يظهرُ الشنقَ بلا مسارِ صوتي.

أسمع صُراخي مِن الألم لدى قيامِ الرماديّين بضربِ الصبّي الذي كنتُ عليه. بكاءٌ بين الجموع. سُكونٌ مُحرجٌ للقطاتٍ غير مُحرّرة. أمّي تُخفِض رأسها، وعمّي نارول يبصقُ في الغبار. كيران، أخي، يغطّي عيون أطفاله. الأقدام تضطرب. ديو، أختُ إيو، تتعثّر على المشنقة المعدنيّة. الأحذية تحتك على الصدأ. شهقات. ثمّ تميل ديو باتّجاه زوجتي. إيو تقفُ صغيرةً، شاحبةً وهزيلةً، مُجرَّد أثرٍ دُخّاني للفتاة الملتهبة التي أتذكّرها. شفتاها تتحرّكان. مجدّداً، لا أسمعُ ذلك، تماماً مثلما لم أسمعهُ ذلكَ اليوم. فجأةً تجهش ديو بالبكاء بلا سيطرة وتتشبّثُ بإيو. ماذا قيل؟

– استعمل الجهاز. إنّهُ هنالكَ لأجلِ ذلك، ايه؟

تساءلتُ عن ذلك آلافَ المرّات، لكنْ لم يكن لديَّ قطّ وصولٌ لهذه

اللّقطة. لم أعرف قطّ كيف سأعثرُ عليها مِن دون أن أثيرَ الشُبهات. والفكرة أخافتني، مثلما تُخيفني الآن—ماذا لو لم أكن قوياً كفاية لسماع ذلك؟ ما الذي كان بإمكان ديو سماعهُ وأنا لا؟

في لقطات الأخبار التي قُرصنت لا يُظهِرون ديو أصلاً. لكن هنا، مع اللقطات غير المعالجة، بوسعي إعادة عرضها. أفعلُ ذلك. بوسعي تكبيرُ الصوت. أفعلُ ذلك. أشاهدُ الأمرَ يحدثُ مجدّداً. أمّي تُخفِض رأسها. نارول يَبصق. كيران يُغطّي عيونَ أطفاله. الأقدامُ تضطرب. ديو تصعدُ على المِشنقة. كلُّ الأصواتِ مُضخَّمة. أزيلُ الضجيجَ الأبيضَ بوساطة المتحكِّمات، فأسمعُ ما قالتهُ زوجتي لديو.

– في غرفة نومنا هنالكَ مَهدٌ صغير كنتُ قد صنعته. أخفيه قبل عودة دارو.

– «مهدٌ صغير...». تُدمدِم ديو.

– يجب ألا يعرفَ على الإطلاق. سيُحطِّمه ذلك.

– لا تقولي ذلك يا إيو. لا.

– أنا حامل.

# 10

# المُحطَّم

أنا مُحطَّم.

أجلسُ في الفراغ. محدّقاً في يديّ. اليدان اللّتان لم تتمكّنا مِن إنقاذ زوجتي وطفلي. لقد كانت محقّة. لم أكن قويّاً كفاية لتحمّل حقيقة تضحيتها الثانية. إيو كان بوسعها أن تعيش. إيو كان بوسعها أن تمنحنا الطفل الذي لطالما رغبنا به. لكنّها اعتقدَت بأنّ المستقبل لم يكن يستحق صمتها. لم أكن أستحق ذلك...

أشعر بشيءٍ ما عميقاً في صدري، بألمٍ باردٍ فارغ. كأنّ ظلاماً فُتح في أعماق روحي حتّى مع انقباض جسمي وانطوائه حول حزن الفقدان. أزِنُ مليونَ باوند. كتفان مرخيّان. صدر مضغوط. أصابعي تنقبض معاً. مِن المضحك الاعتقاد بأنّ هاتين اليدين كانتا معي كل هذه المدّة. لمسَتا شفتيها. ساعدتا في سحب كاحليها. دفنتاها في التربة. لكنّهما لم تدفناها وحدها فقط، أليس كذلك؟

كلّا! دفنتا حياةً أخرى، حياةً لم تولد بعد؛ طفلنا، مات قبل أن يعيش. ولم أكن أعرف قطّ. نُحِتُّ مِن دون معرفة الظُلمِ الأكبر. لقد خَذلتُهما. الفيديو المضخَّم يُعاد مجدّداً.

- «أنا حامل». تخبرُ ديو على المشنقة: «أنا حامل».

أعيد هذا المقطع عشرات المرّات، لأشعر وكأنّني أنكمشُ داخلَ ممرٍّ مِن حُزنِ الفُقدان.

الذهبيّون لم يقتلوها فحسب، لقد قتلوا ما كنتُ أرغب دائماً بأن أكونه—زوجاً وأباً. لو أنّي فقط أوقفتُها. لو أنّي فقط لم أعبس كطفلٍ عندما خسِرنا الإكليل، لما كانَت فكّرَت بأن تأخذني إلى الحديقة. لو أنّه فقط كانت لديَّ القوّة للتّظاهر بأنّ خسارة الإكليل لم تضايقني.

يا لِكلِّ تلكَ العائلة التي كنت سأحصل عليها! زوجة، أبناء، بنات، أحفاد. لقد ذُبحوا قبل أن يوجدوا. إيو لن تَحمِل ابنتنا أبداً. لن تُقبِّل ابننا كي ينام، وتبتسم لي عندما تقبضُ يداه الصغيرتان على أصابعي. أنا كل ما تبقّى مِن هذه العائلة التي كان مِن الممكن أن تكون. ظِلٌّ مُظلمٌ للرجُل الذي مِن الممكن أن أكونه.

يتصاعد الغضب. كانت لدينا فرصة وضاعت. كل ما رغبتُ به تبدّد بسببي وبسببِهم، وبسبب قوانينهم، وظلمهم، وقسوتهم. لقد جعلوا المرأة تختارُ الموتَ لنفسها ولطفلها غير المولود على أن تحيا مُستَعبدة. كلُّ ذلك مِن أجل السُّلطة. كل ذلك كي يتمكّنوا مِن الحفاظ على عالمهِم الصغير المثالي.

- «إنّكَ لستَ قويّاً بما فيه الكفاية إذن». تقول هارموني: «هل أنت قويٌّ بما فيه الكفاية الآن يا غطّاس الجحيم؟». أنظرُ إليها، والدموع تغشي رؤيتي. عيونها القاسية تلينُ مِن أجلي: «كان لديَّ أطفالٌ ذات مرّة. الإشعاع التهمَ أحشاءهم، ولم يعطوهُم حتّى مُسكّنات ألم، حتّى إنّهم لم يُصلحوا التسرُّب. قالوا بأنّهُ لا يوجدُ موارد كافية. لم يستطع زوجي فعلَ شيء سوى

الجلوس هناك ومراقبتِهم وهم يموتون. في نهاية الأمر، الشيء نفسه قضى عليه. كان رجُلاً جيّداً، لكنّ الرّجال الجيّدين يموتون. لنحرّرهُم، لنحميهُم، علينا أن نكونَ متوحّشين؛ لذا أعطني الشرّ. أعطني الظلمة. اجعلني شيطاناً لعيناً إن كان بوسعنا أن نجلبَ حتّى أضعف شعاع مِن الضوء».

أقفُ وألفُّ ذراعي مِن حولها مع تذكيري بحقيقة الفظائع التي واجهها نوعنا. هل نسيتُ حقاً؟ أنا ابن الجحيم، وقد أمضيتُ وقتاً طويلاً في جنّتِهم.

– أيّاً كان ما يريده أريس، سأفعله.

– «بليني أرسلَ العاهرة». يهسهس الشَّغبَر، بينما يزيلُ الأطبّاء الصفر الجلدَ المحروق ببطءٍ مِن ذراعه ويعيدون تطبيق الزرعات الجديدة كي تنمو: «لم يكونوا أبناء أريس. ما كانوا ليقتلوا هذا العدد الكبير مِن بني الألوان الدُنيا. هذا لا يتوافق مع نهجهم. ربّما أنّه بليني، أو حرسٌ بريتوريٌ مُتخفٍّ للحاكِمة المعظَّمة».

أضواء السفن العابرة تضيء عبر الزجاج. إنّه يَشتُم ويَصرُخ على خدمه كي يعتّموا النوافذ. أحضرني الرماديّون إلى هنا إلى ناطحة سحابه الخاصّة بدلاً مِن القلعة، كما طلبت. المكان يعجُّ بالمرتزقة، إنّه يفضِّل الرماديّين على السبجيّين، عدا ذلك المَوسوم على ما يبدو. أنا الذهبيُّ الآخر الوحيد، الأمر الذي يُظهِر مدى ثقة الشغبر. كان اسمه ليجلب بالتأكيد ما يكفي مِن الأتباع لملء مدينة، لكنّه مرتاحٌ في عزلته، مثلي أيضاً.

– «هل مِن الممكن أن تكون فيكترا؟». أسأل: «إنّها لم تبق...».

– لقد أثبتتَ ولاءها للتو. لن تستخدم قنبلة. وإنّها مُغرَمة بك. لا، ليسَت هي.

- «مُغرَمة بي؟». أسأل مُندهشاً.

- «إنّك أعمى مثل أزرق». يُصدِر نخيراً لكنّه لا يتكلّم أكثر عن الأمر: «على تحالفنا أن يبقَى سرّاً إلى أن نغادر هذا القمر المتبّب، ما يعني أنكَ لم تكُن في تلك الحانة. لو كان بليني يعلم بحجم خُطَطنا، لكان أكثر دقّة. أظنُّ بأنّه كان يستهدفني أنا وحدي؛ لذا ستعودُ إلى القلعة مُتظاهراً بأنّ شيئاً لم يحدث. سأستمرّ بخطّتي مع زعماء جماعة الجريمة المنظَّمة، ومِن ثمّ سأشتري عَقدَكَ في ختام المؤتمر».

عند تلكَ اللحظة سيتغيّرُ عالمهم.

أستديرُ لأغادر وأتركه، لكنّ صوته يستوقفني عند الباب: «لقد أنقذتَ حياتي. لم يفعل ذلك سوى شخصٍ واحدٍ آخر مِن قبل. شكراً لك يا دارو».

- قُل لجلدك الجديد أن ينمو بسرعة. لن ترغب في تفويت حَفلِ الختام.

الأيّام الثلاثة القادمة تَمرُّ بضبابيّة، عقلي يُفكّر بإيو وما فقدناه. لا أستطيع إيجاد مَهربٍ مِن الحزن. إنّه يؤرّقني على الرّغم مِن إرهاق نفسي بالتدريبات في الصالة الرياضيّة للفيلّا. لا أنغمس في أحاديث صغيرة. أبتعدُ عن أصدقائي. لا شيء مِن هذا يهُمّ. ليس بالنسبة لي. الحياة تتلاشى بحضور الألم. ثيودورا تلحظُ ذلك، وتبذلُ قصارى جهدها للتخفيف مِن حزني، حتّى إنّها تقترحُ أن أُروِّح عن نفسي مع الورديّين مِن حدائق القلعة.

- «أن تكونَ أنتَ، يا دومينوس، أفضلَ من أن يكونَ رجُلاً ما جِلفاً مِن العمالقة الغازية». تقول.

أخبار التفجيرات تجتاح أرجاء القلعة، مهيمنة على أي أخبار أخرى.

الجمعيّة تلعبُها بحِنكة—تبثُّ مساعداتها الإغاثيّة. مرسلةً تعليماتٍ عن كيفيّة التعامل مع أزمةٍ محتملة. علماء نفسيّون صفر يحلّلون أريس على الشاشة، ويتوصّلون إلى أنّ صدمةً جنسيّةً كامنةً في شبابه جعلته ينتفض ليستعيد السيطرة على عالمه مِن جديد. ممثّلون وفنّانون هزليّون بنفسجيّون يجمعون المال مِن أجل تلك العائلات التي فقدت أحبّتها. الفضيُّ الألمعي بنفسه يتبرّعُ بثلاثة بالمئة مِن ثروته الشخصيّة لأعمال الإغاثة. قوّاتٌ خاصّة سبجيّة ورماديّة تهاجم القواعد الكويكِبيّة حيث أبناء أريس «يتدرّبون». عملاء مكافحة الإرهاب الرماديّون يعقدون مؤتمراً صحفيّاً يتحدّثون فيه عن اعتقال أولئكَ المسؤولين عن ذلك، غالباً بعضُ الحُمر الذين أخرجوهُم مِن منجم، أو عشوائيّات لونا.

إنّها مسرحيّةٌ هزليّةٌ، والذهبيّون يلعبونها جيّداً. إنّهم يختبؤون مِن الكاميرات ويجعلون الأمر يبدو على أنّه معركة جميع الألوان ضدّ الإرهابيّين الحُمر. إنّها ليست معركة الذهبيّين. إنّها تخصُّ الجمعيّة بأسرها، بل أكثر مِن ذلك، الجمعيّة تنتصر بسبب تضحيتنا، وطاعتُنا تتيح للشرفاء أن ينجحوا. هراء لعين!

مع ذلك لا بدّ مِن إلقاء اللّوم على أحدٍ ما؛ لذا يُستَدعى الحاكِم العام لمواجهة استجوابٍ بخصوص تعامُله مع الوضع. كيف انتشر أبناء أريس مِن المرّيخ إلى لونا؟ سيسألون. عشُّ الدبابير الذهبيّ قد جرت إثارته، مثلما قُلت بأنّه سيحدُث، لكنّ الحَفلَ يستمرّ. أراقب الذهبيّين، وهُم يمارسون ألعاب الخداع، والدبلوماسيّة، والتسلّل خفيةً، إلى الحفلات، والمؤتمرات، والقمم، غير متأثّرين بالألعاب القذرة مع الإرهابيّين. إنّهم محميّون ومحصّنون مِن الرعب.

كان الأمر ليضايقني، لكنّهم أصبحوا ظلالاً بالنسبة لي الآن، كما لو أنّهُم باتوا بالفعل مُجرَّد ذكرياتٍ بعيدة.

ألمسُ القنبلة التي على صدري بندم. إنها مِن صُنعِ ميكي. نسخة مِن الحصان المجنَّح الذي ارتديته في المعهد، والذي احتوى على شعر إيو، وهو مخفيٌّ الآن مع بقيّة متعلّقاتي الشخصيّة. كل ما أحتاج إلى فعله هو برم رأسه ليصبح قنبلة. الخاتم الذي أعطوني إيّاه سيُفعِّلها.

أبتعد عن أصدقائي، عن فيكترا. إنّها تسأل روكي ما خطبي. أعرفُ أنّه سيجيب بأنّي مثل الرياح، كائنٌ متقلّب الأهواء والمزاج، أو شيء ما مِن هذا القبيل. يَتقرَّب منّي، يزور غُرَفي عندما أخلدُ إلى فراشي، يحاول مناوشتي في صالة الألعاب الرياضيّة. لكنْ ليسَ بوسعي الابتسام معهُ، أو الاستماع إلى صوته الرقيق، وهو يقرأ الأشعار، أو يناقش الفلسفة، أو حتّى يشارك النكات. لا أستطيع أن أسمح لنفسي بأن أتعاطف معه، لأنّي أعرف بأنّه سيموت قريباً. أحاول قَتلَهُ في قلبي قبل أن أقتُلَهُ جسديّاً.

هل يمكنني إضافتهُ إلى قائمة أولئكَ الذين سبقَ أن أرسلتهُم إلى القبر؟

أخيراً أعثرُ على إجابتي في لَيلةِ الحفل، عندما تُحضِر لي ثيودورا ثيابي المكويّة مِن المصبغة. لا تقول أيَّ شيء يذكّرني بروكي. لا تُقدِّم حِكماً بليغة. بدلاً مِن ذلك، تقوم بشيء لم أشهده منها مِن قبل. تقترف خطأً. لدى ترتيبها لبزّتي على الكرسي، تُطيح بكأسٍ مِن النبيذ على طاولةٍ مجاورة. ينسكب النبيذ على كمّ بزّتي البيضاء. ما يومض في عينيها يشعرني بالقشعريرة—الرُعب. ذلك النوعُ مِن الرُعبِ الذي قد يصيبُ الغزال لدى تحديقه في سيّارة طائرة قادمة. تُطلِق سيلاً مِن الاعتذارات وكأنّني كنتُ لأضربها لو لم تقُم بذلك. يتطلّبُ الأمر مِنها لحظات لتستجمعَ نفسها،

وتتبدّد وَمضةُ الرُعب هذه. عندما ينتهي الأمر، تجلسُ هناك على الأرض، تُربِّت على بزّتي بصمت.

لا أعرفُ ماذا أفعل. أقفُ هناك مُحرجاً للحظة قبل أن أضع يدي على كتفها وأخبرها بأنّ كلَّ شيء على ما يرام. عندها تبدأ بالبكاء بشهقات كبيرة تهزُّ كتفيها الصغيرين. تَجفلُ مِن لمستي وتستجمعُ نفسها، لتخبرني بأنّ عليَّ أن أرتدي الأسودَ بدلاً مِن الأبيض. ربّما لا تعرفُ ما الذي سيحدث، لكنْ بوسعها أن تشعرَ به في داخلي، وفي الأجواء.

بينما ينشغلُ الفُرسان الرمّاحون الآخرون باللّهو مع بعضهم، ويأخذون حمّامات السنفرة المِكرويّة، ويستشيرون خبراء الأزياء ليجهّزوا أنفسهم مِن أجل الحفل، أقوم أنا بعقد رباط حذائي العسكري الثخين بأصابع مرتعشة. لم أبرع قطّ في الحفاظ على أصدقائي. يبدو أنّني أجرُّهم دائماً إلى طريق المشكلات. أعتقد أنّ سيفرو لا يزالُ حيّاً فقط بسبب المسافة التي بيننا. لطالما كان فيتشنير خائفاً مِن أن أقتُلَ ابنه. قال بأنّ خيطَ حياتي قويٌّ لدرجة أنّه يُضعِف كلَّ مَن حوله. الآن، مع مشاهدتي ثيودورا على هذه الحال... يذكرني ذلك كم نحنُ في الواقع مُعقَّدون وهَشّون. لا أعرفُ لماذا بكَت. أهي صدمةٌ مِن الماضي؟ أم إحساسها بما هو قادم؟ عدم المعرفة يذكّرني بعُمقِ الأشخاص الذين مِن حولي. أنا عاجزٌ عن الكلام، أشعر بالبرودة، لكنّ روكي دافئ... كان ليعرف ماذا يقول.

أطرقُ بابه قبل عدّة دقائق مِن موعد بدء مغادرة حاشية أوغوستوس للفيلّا إلى الحَفل. ما مِن مُجيب. أفتحُ الباب لأجد صديقي جالساً على سريره، وهو يُمسِك كتاباً قديماً بلطفٍ مِن غلافه. ملامحهُ الناعمة تتجعّدُ لتنبثق مِنها ابتسامة عندما يدركُ أنّه أنا.

– ظننتُ بأنّكَ تاكتوس، وقد أتيتَ مُتوسّلاً كي أحقنكَ ببعض المحفّزات قبل الحفل. إنّه يعتقدُ على الدوام بأنّني لا أفعل شيئاً فقط لأنّني أقرأ، لا يوجدُ عذابٌ لشخصٍ انطوائيٍّ أكبر مِن شخص مُنفَتح؛ خاصّةً ذلك الوحش. يوماً ما سيتسبّبُ لنفسِه بالانهيار.

أبتسمُ على مضض: «على الأقل إنّهُ صادقٌ بما يخصُّ ذنوبه».

– «ألم تلتقِ بإخوَتِه بعد؟». يسألُ روكي. أهزُّ رأسي: «إنّهم يجعلون تاكتوس يبدو كحَملٍ أمامهُم».

– «تبّاً». أشتم. أستند إلى الباب: «هل الأمر سيّئ إلى هذا الحد؟».

– «الإخوة راث؟ إنّهُم فظيعون. أغنياء على نحوٍ فظيع. موهوبون على نحوٍ فظيع. وميزتُهم الأساسيّة تكمُن في قُدرتِهم على ارتكاب الخطايا. إنّهم استثنائيّون في ذلك». يُكشِّر روكي على نحوٍ تآمري: «إن كُنتَ تصدِّقُ الشائعات—وأنا أحبُّ الشائعات، تذكّرني بباير‌ون ووايلد(*)—فإخوة تاكتوس افتتحوا بيتَ دعارة في أجيا عندما كانوا في الرابعة عشرة. علاقات غراميّة راقية إلى أن بدأوا بتقديم المزيد... تجارب أكثر تخصيصاً».

– ماذا حدث بعدها؟

– «بناتٌ مُدمَّرات، أبناء. إهانات. نِزالات. وَرثةٌ مَيِّتون. دُيون. سُم». يهزُّ رأسه: «إنّها عائلة راث. ما الذي تتوقّعه مِن هؤلاء الحقراء؟ هذا هو سبب اندهاش الجميع إلى هذا الحد مِن أنّ تاكتوس قد تورَّط مع ذهبيٍّ فولاذي مثلك». يوضِّح: «أتعلم بأنّ إخوته يسخرون مِنه لأنّه في ظِلِّك؟ هذا هو سبب كونِه مُتهكّماً وساخراً على الدوام. إنّه يريدُ أن يكون مثلكَ،

(*) تذكره بأعمال الشاعرَيْن: جورج غوردون بايرون، وأوسكار وايلد. (المترجم).

لكنّه لا يستطيع. لذا يلجأ لِدفاعاته المعتادة». يَعبس: «أحياناً أشعُر وكأنّكَ تفهمنا جميعاً أفضل ممّا نفهَمُ أنفسنا. وفي مرّات أخرى، وكأنّكَ لا تهتمُّ على الإطلاق». يُميلُ روكي رأسه نحوي عندما لا أقول أي شيء: «ما الأمر؟».

– لا شيء.

– «لطالما كان لديكَ شيء ما لقوله». يضعُ كتابه على صدره ويُربِّت على حافة السرير، ليجذبني إلى داخل الغرفة: «اجلس، أرجوك».

– «أتيتُ لأنّي أردتُ الاعتذار». أقول ببطءٍ شديد، وأنا أجلسُ على حافّة السرير: «لم أكن قريباً في الأشهر القليلة الماضية، وخاصّةً هذه الأيّام التي خلت. أعتقد بأنّي لم أكن مُنصفاً مَعك. على الأخص عندما كنتَ صديقي الأكثر إخلاصاً. في الواقع، أنت وسيفرو، لكنّه لا يتوقف عن إرسال صور غريبة لي عبر الشبكة».

– المزيدُ مِن الأحصنة وحيدة القرن؟

أضحك: «أعتقد بأنّ لديه مشكلة».

روكي يُربِّت على يدي: «شكراً. لكنّكَ مِثلُ كلبٌ يعتذرُ عن هزّه لذيله. إنّكَ بعيدٌ طوال الوقت يا دارو. ليسَ عليكَ أن تعتذرَ ممّا أنتَ عليه، ليسَ لي».

– أكثرُ بعداً، ربّما؟

– «ربّما». يوافق مُعترفاً بذلك: «كلٌّ مِنّا لديه مَدٌّ وجَزرٌ في داخله. إنّه يذهب ويعود». يهزُّ رأسه: «في الواقع إنّه ليسَ تحت سيطرتنا. الأشياء والناس الذين يدورون مِن حولنا يقومون بذلك، على الأقل أكثر ممّا نريدُ أن نعترف به». بعد مراقبتي للحظة، تتجعّدُ جبهته مِن التفكير: «ألهذا علاقة

بموستانغ؟ أعرف أنّهُ مِن الصعب عليكَ أن تتركها، بصرف النظر عمّا قلته حينها. عليكَ أن تبحث عنها بينما نحنُ هنا. أعلمُ بأنّكَ تَفتقدها. اعترف بذلك».

– لن أفعل.

– كاذب كذّاب، والخدّ مشتعلٌ بالنار.

– أخبرتكَ مئة مرّة، نحن لا نتكلّم عنها.

– «حسناً، حسناً. إذن أنتَ قلق، أليسَ كذلك؟ حول المزاد؟». يتوقّف مبتسماً وينظرُ إليّ: «ليس عليكَ ذلك، لقد سوّيتُ الأمر؛ سأقومُ بالمراهنة عليك».

– روكي، لا مالَ لديك.

– «هل تعلم كَم كان ليدفعَ قردٌ ماجنٌ نظيرَ الحصول على فريدٍ ذي ندبة بعراقة نسَبي واتّصالاتي وجعلِه ضِمنَ مَدينيه؟ الملايين. بوِسعي حتّى الذهاب إلى الفضيِّ الألمعي إن أردت. إنّهُ يُقرِض الذهبيّين طوال الوقت. المغزى يكمنُ في أنّه بوسعي الحصولُ على المال، حتّى لو لم يساعدني أهلي؛ لذا لا تقلق أبداً يا أخي». ينكزني بقدمه: «عُصبة مارس لا بدّ من أن تعني شيئاً، أليس كذلك؟».

– «شكراً لك». أقولها بكلماتٍ مُتلعثِمة، وأنا عاجزٌ عن إدراكِ ما الذي فعله. ولماذا؟ إنّه يخاطر بنفسه. إنّه يُعرِّض نفسهُ للخطر ويعارضُ والديه: «لم يذكر أحدٌ آخر المزادَ لي».

– «إنّهم يخافون مِن حظّك السيّء، فهو مُعدٍ. أنتَ تعلم كيفَ يسيرُ الأمر». يتوقّفُ منتظراً لأنّه يعرفني جيّداً: «هنالكَ شيءٌ آخر، أليسَ كذلك؟».

أهزُّ رأسي: «هل...». تخونني الكلمات: «هل شعرتَ يوماً بأنّكَ ضائع؟». يبقى السؤالُ عالقاً بيننا، حميميّاً، مع شعورٍ بالحَرجِ فقط مِن طرفي. إنّه لا يسخرُ كما كان ليفعل كلٌّ مِن تاكتوس وفيتشنير، أو يحكُّ خصيتيه مثل سيفرو، أو يضحكُ ضحكةً مكتومةً مثلما كانَ كاسيوس ليفعل، أو يخرخر مثلما كانَت فيكترا لتفعل. لستُ متأكّداً ممّا كانَت موستانغ لتفعله. لكنّ روكي، بصرف النظر عن لونه وكل الأشياء التي تجعلهُ مختلفاً، يُقحِم ببطءٍ فاصلاً في الكتاب ويضعهُ على طاولةٍ بجانب السريرِ عالي القوائم، آخذاً وقتهُ وسامحاً للإجابة أن تتطوّر بيننا. حركاتٌ مدروسةٌ ومُتناغمةٌ، مثلما كان الراقصُ قبل موته. هنالكَ سَكينَةٌ في داخله، عظيمةٌ ومهيبةٌ، السَكينَة نفسها التي أذكرها لدى أبي.

– «أخبرتني كوين ذاتَ مرّة بقصّة». ينتظرني أن أتنهّد مشتكياً لدى ذِكرِ القصّة، ولدى عدم فعلي ذلك، نبرتهُ تنخفض إلى مزيد مِن الجديّة: «ذات مرّة، في زمن كوكب الأرض القديم، كان هنالك زوجٌ مِن الحمام الزاجل، وكانا يُحبّان بعضهما حُبّاً عظيماً. في تلك الأيّام، كانوا يربّون مثل هذه الحيوانات ليحملوا رسائل عبر مسافاتٍ كبيرة. تلك الحمامتان ولدتا في القفص نفسه، ورُبّيتا مِن قبل الرجُل نفسه، وبيعتا في اليوم نفسه لرجُلين مُختلفين عشيّة الحرب العظمى».

– «الحمامتان عانتا مِن افتراقهما عن بعضهما، كل منهما بلا حبيبه. أخذهما سيّداهما إلى أماكن بعيدة وواسعة، وخافتِ الحمامتان مِن أنّهما لن تجدا بعضهما مرّة أخرى، لأنّهما بدأتا تريان كم هو شاسع العالم، وكم هي فظيعة الأشياء التي فيه. لأشهر تلو أشهر، كانتا تحملان الرسائل لسيّديهما، تطيران فوق خطوط القتال، عبر الهواء فوق الرجال الذين كانوا

يَقتُلون بعضهم مِن أجل الأرض. وبعد أن انتهتِ الحرب، أطلق السيّدان سراح الحمامتين، لكنّهما لم تعرفا أين تذهبان ولا ماذا تفعلان، لذا فكلاهما طارتا إلى الديار. وهنالكَ وجدتا بعضيهما مرّة أخرى، وكأنّه كان مُقدَّراً لهما دائماً العودة إلى الديار لتجدا -بدلاً مِن ماضيهما- مستَقبلهُما».

يطوي يديه بلطف، كأنّه مُعلِّمٌ وَصَل إلى نقطته الأساسيّة: «إذن هل أشعر بالضياع؟ دائماً. عندما ماتَت ليا في المعهد...». تنزلق شفتاه قليلاً للأسفل: «... كنتُ في الغابة المظلمة، أعمى وتائهاً مثل دانتي قبل فيرجيل(*)، لكنّ كوين ساعدتني. صوتها يناديني للخروج مِن البؤس. هي أصبحت دياري. كما قالتها: (الديارُ ليسَت مِن أين أنت، بل هي حيثما تجدُ الضوء عندما يكسو الظلامُ كل شيء). يُمسِك بظهر يدي: «اعثر على ديارك يا دارو. قد لا تكون في الماضي. لكن اعثر عليها، ولن تكون ضائعاً مرّة أخرى».

لطالما فكّرتُ بليكوس على أنّها دياري. بإيو على أنّها دياري. ربّما هذه هي الوِجهة حيثُ أنا ذاهب الآن لرؤيتها، كي أموتَ وأعثرَ على الديار مُجدّداً في الوادي مع زوجتي. لكنْ إن كان ذلكَ صحيحاً فلماذا لا أشعرُ بالامتلاء؟ لماذا ينمو الفراغُ في داخلي كُلّما اقتربتُ مِنها أكثر؟

- «حان وقتُ الذهاب». أقول، وأنا أنهضُ عن السرير.

- «مثلما أنا مُتأكِّد بأنّي صديقك». روكي يبدأ بالنهوض هو أيضاً: «ستتعافى مِن هذا. مكانُنا في الحياة ليس هو مَن يحدّد مَن نكون. إنّنا نحنُ—مجموعُ ما فعلنا، وما نريدُ أن نفعله، والأشخاص الذين نبقيهم قريبين منّا. إنّك أعزّ أصدقائي يا دارو. ضع ذلك في اعتبارك. بصرف النظر

---

(*) إشارة لمشهد في الملحمة الشعرية الكوميديا الإلهية. (المترجم).

عمّا سيحدث، سأحميكَ بكل تأكيد كما كنتَ لتحميني إن احتجتُ إلى ذلكَ يوماً».

أفاجئهُ بالقَبضِ على يَدِه والإمساكِ بها للحظة.

– إنّكَ رجُلٌ جيِّدٌ يا روكي. أكثر بكثير ممّا يتناسبُ مع لونك.

– «شكراً». يرمقني بنظرةٍ جانبيّةٍ مع تركي ليدِه، وهو يُسوّي التجاعيد في بزّته: «لكن ما الذي تعنيه بذلك؟».

– «أعتقدُ أنّه بوِسعنا أن نكونَ أخوين». أقول: «لو كانت هذه حياة مُختلفة».

– «لماذا نحتاجُ إلى حياةٍ مختلفة؟». ثمّ يلحظُ الحُقنة الأتوماتيكيّة في يدي اليسرى. يداه بطيئتان جدّاً لإيقافي، لكنْ عيناه سريعتان بما يكفي كي تتوسّعا بنظراتِ ثِقَةٍ خائفة، مِثلَ الكلب الوفيِّ عندما يتمُّ تنويمه في حضن سيّده. إنّه لا يفهم، لكنّه يعلَم بأنّ هنالكَ سبباً ما، مع ذلك يأتي الخوفُ، الخيانة التي تُحطِّم قلبي إلى آلاف القِطَع.

الحُقنة تَثقبُ رقبة روكي ليَسقُط ببطءٍ نحو السرير مع عينيين تنغلقان تدريجيّاً. عندما يستيقظ سيكون كلُّ مَن عَمِل معهُ ولأجلِه خلالَ السنتين الماضيتين ميّتاً. سيتذكّرُ ما الذي فعلتهُ مِن أجله بعد قولِه بأنّي أقربُ أصدقائه. سيعرفُ بأنّي كنتُ أعلم ما الذي كان سيحدُث في الحَفلِ. وحتّى إن لم أمُت اللّيلة، حتّى إن لم يكتشفوا بأنّي كنتُ المفجِّر بطرق أخرى، فإنقاذ حياة روكي يعني أنّه سيكتشفُ أمري. لا طريق للتراجع.

# 11

# أحمر

اللّيلة، سأقتل ألفين مِن عظماء البشريّة. على الرّغم مِن ذلك أمشي معهُم الآن، غير آبهٍ بالانحطاط والتكبّر كما لم يحدث مِن قبل. على الرّغم من عجرفة بليني إلّا أنّ دمي يبقى بارداً. فستان فيكترا الفاضح لا يُفقدني تركيزي، ولا حتّى عندما تنسابُ ذراعها في ذراعي بعد أن عرضَ عليها تاكتوس ذراعه. تهمسُ في أذني كم أنّها حمقاء لنسيانها ملابسها الداخليّة. أضحكُ وكأنّها مزحةٌ مرحة، محاولاً إخفاء البرود الذي انتابني.

يا لهذا الثبات!

- «أعتقدُ بأنّ دارو يستحق بعض العزاء قبل أن يغادر». يقول تاكتوس متنهّداً: «هل رأيتَ روكي يا صاح؟».

- لقد قال بأنّهُ يشعرُ بتَوعُّك.

- هذا يشبهُ روكي تماماً. مُنغمسٌ في كتابٍ ما على الأغلب. عليَّ أن أحضره.

- «لو أراد المجيء، لكان أتى». أقول.

- «أريدُه أن يأتي». يردُّ تاكتوس. يهزُّ كتفيه نحو بقيّة الفُرسان الرمّاحين الذين يناورون مِن أجل الحصول على مكانٍ أقرب إلى سيّدنا.

- «إن كنتَ بحاجةٍ إليه لهذه الدرجة، اذهب وأحضره». أقول على نحوٍ تكتيكي.

ينتفض: «لا أحتاجُ إلى أحد بجانبي. لكنّي لو لم أكُن أعرفكَ جيّداً، لكنتُ اعتقدتُ بأنّكَ لا تزالُ تشعر بالمرارة بخصوص فضيحة كبسولة النّجاة».

- «تقصِد عندما أطلقتَها مِن دونه؟». تقولُ فيكترا: «لماذا على هذا أن يُزعِجه أصلاً؟». حتّى الآن تلكَ الخيانة تؤلمني.

- «ظننتُ بأنّه كان ميّتاً! لقد كان الأمر مُجرَّد حسابٍ بسيط». يضربُ كتفي بقبضته ويومئ لفيكترا: «أنتَ تفهمُ ذلك. كانَ عليَّ أن أحرص على السيّدة هنا».

- «إنّها زهرةٌ صغيرةٌ رقيقة». أقولُ، وأنا أسحبُها بعيداً.

- «يا إله البحر الأوحد». يُهمهِم تاكتوس مُلحِّناً: «أصدقاؤه مثل أصدقائي تماماً، هجروه».

فيكترا تُعدِّل الكتفيّة الذهبيّة على كتفها، والتي تلتفُّ نحو الأسفل حول ذراعها في سلسلةٍ مِن الأساور الذهبيّة: «ذلك الفتى الساحر مغرور للغاية لدرجة أنّ بوسعِه جعلَ عاصفةٍ رعديّةٍ تتمحورُ حوله». تلحظُ قِلّة اهتمامي: «المزادُ لن يبدأ قبلَ نهاية الحَفل». تومئ برأسها نحو السيّارة الطائرة: «حسناً، أتساءلُ متى سيظهر».

يخرج الشَّغبَر مِن السيّارة، جلدهُ زهريٌّ باهتٌ، بُقَع مُتفرّقة فقط. الصُفرُ الذين لديه قد أحسنوا صنعاً. ينحني بلطفٍ نحو أبيه، متجاهلاً همهمة المساعدين.

– «أبي». يقول: «ظننت بأنّه مِن المناسب أن تصلَ عائلةُ أوغوستوس إلى الحفل مع أحدِ أولادك على الأقل. علينا أن نظهِر جبهةً موحّدة في نهاية الأمر».

– «أدريوس». ينظرُ أوغوستوس إلى ابنه باحثاً عن شيء لينتقده: «لم أكن أعلمُ بأنّكَ تستمتعُ بحضور المآدب هذه الأيّام. لستُ متأكّداً إن كان الطعامُ سينالُ إعجابك».

يضحكُ الشغبر على نحوٍ مسرحي: «ربّما لهذا السبب لم تصل دعوتي! أو أنّها الاضطرابات بعد الهجمات الإرهابيّة؟ لا يَهُم. أنا هنا الآن، وتوّاقٌ أكثر مِن أي وقتٍ مضى لأكون إلى جانبك». ينضمُّ الشغبر، موجّهاً ابتسامةً واسعةً للجميع، وهو يعلمُ بأنّ أباه لن يُصعِّد الشجارات العائليّة في العَلن. يوجّه لي ابتسامةً شرّيرةً ساحرةً على نحوٍ خاص، تلك التي حين يراها الآخرون ينكمشون ويتراجعون مُبتعدين. كل شيء مُجرَّد تمثيل: «هل نبدأ؟».

أنتبه إلى نفسي، وأتجنّب قول المزيد، بينما نلتحقُ أنا وفيكترا بنهاية المَوكِب الطويل الذي يشقُّ طريقه ملتوياً عبر متاهةٍ مِن الأروقة الرخاميّة مِن فيلّتنا إلى حدائق القلعة على بعد نحو كيلومترين، حيثُ برج الحاكِمة المعظَّمة يطلُّ مِن أرض الحديقة هناك. إنّه سيفٌ عملاقٌ بارتفاع كيلومترين مغروز بحديقةٍ مُزيَّنة بشجيرات الورد الكثيفة والجداول.

تنسابُ المياه عبر الحديقة في آلاف المسارات المتعرّجة. جداولُ مُتدفّقة بأسماكٍ مُلوّنة تُفضي إلى بحيراتٍ هادئةٍ، حيثُ حوريّاتُ بَحرٍ زهريّة منحوتة تسبحُ تحتَ أشجارٍ مُزهرةٍ تتسلّقُها قططٌ قرديّة. وَشقٌّ مُخطَّطٌ رشيقٌ يتمدَّدُ تحتَ الأغصان. عازفون بنفسجيّون يتجوّلون عبر

هذه الغابة المضيئة، يتنقّلون هنا وهناك مثل فراشاتِ العِثِّ الصيفيّة، ويتردّد صدى كماناتهم بلحنٍ مُخيف. إنّها صورةٌ لحدائق باخوس الليليّة مِن دون الفُحشِ الجنسيّ الذي وجدهُ اليونانيّون مُمتعاً جدّاً—القرود الماجنة كانت لتضحك ضحكةً مكتومةً على هذا الابتذال، لكنّ الفريدين ذوي الندبة ما كانوا ليفعلوا ذلك، على الأقل، ليسَ في العلن.

نلمحُ المَواكِب الأخرى عبر الأشجار. نرى راياتهم، أشياء ضخمة متلألئة مِن النسيج والمعدن المتحرّك. الأسدُ الأحمرُ والذهبيُّ لشعارنا يزأرُ بتَحدٍّ صامت. غُرابٌ على خلفيّةٍ فضيّةٍ يشير إلى مرور عائلة فالتي عبر جسرٍ مَرصوفٍ بالحصى. نتابعُ سيّدهُم وفُرسانه الرمّاحين بحذر. كما هو معتاد، الجميعُ يحمل شفرات، لكنّ التقنيّات الأخرى ممنوعة—لا ألواح رقميّة، لا أحذية ثقاليّة، لا دروع. إنّه حدثٌ تقليدي.

البرجُ يمتدُّ مرتفعاً مِن فوقنا. طحالبُ أرجوانيّة، وحمراء، وخضراء، تتسلّقُ قاعدة الهيكل الضخم مع كُرومٍ بآلاف الألوان، تلتفُّ حول الزجاج والحجر كأصابع عُزّاب جَشعين حَول مِعصَم أرمَلةٍ غَنيّة. ستّة مصاعد هائلة تحملُ العائلات عالياً نحو قِمَّة البرج.

خَدمٌ زهريّون جميلون وموظّفو استقبال بنيّون يُخدِّمون المِصعد، جميعهم يرتدون الأبيض. المثلّثات الذهبيّة للجمعيّة تزيّن لباسهم.

المِصعد عبارة عن سطحٍ رخاميٍّ مُستوٍ مع دافعاتٍ ثقاليّة. إنّه يقعُ في مُنتصف فُرجَة حيث العشب الأخضر يرفرف بفعل الرياح. بضعة نحاسيّين يندفعون إلى الأمام للحديث مع بليني، والذي كسياسي يتحدّث بالنيابة عن الحاكِم العام. يبدو أنّ هنالكَ بعض الارتباك. عائلة فالتي تتوجّهُ إلى المصعد أمامنا.

- «هذا فخٌّ اجتماعي». يدمدم أوغوستوس نحو حارسه المفضَّل. ليتو يقترب: «الأغبياء. انظر كيف يتظاهرون بأنّ الأمر مُجرَّد مصادفة. قريباً سيخبروننا بأنّ علينا استعمال المصعد مع آل فالتي، بينما مِن المفترض أن يزحفوا متوسّلين لكي نذهب قبلهم».

- «أمن الممكن ألّا تكون مصادفة؟». يسأل ليتو.

- «ليس في لونا». يشبكُ أوغوستوس ذراعيه: «كلّ شيءٍ هو سياسة».

- اتّجاه الرياح قد تغيّر.

«إنّها في تغيّرٍ دائمٍ منذ مدّة». يدمدم أوغوستوس. وجهه الحاد يتفحّص مُساعِديه، وكأنّه يُحصي الشفرات التي نحملها. بعضهم يحملها ملفوفةً على جانبه، وبعضهم الآخر يحملها ملفوفةً حول ساعده مثلما أفعل أنا مع نصليَ المستعار. تاكتوس وفيكترا كلاهما يستخدمانها كزنانير.

- «أريدُ من ثلاثة فُرسان رمّاحين أن يرافقوا الحاكِم العام على نحوٍ دائم». يعلن ليتو بهدوء. نَحني رؤوسنا، وتصبح المجموعة أكثر تقارباً: «الشُرب ممنوع».

يدمدم تاكتوس مُعترضاً.

بوجهٍ خالٍ مِن التعابير يشاهدُ الشغبر كيف يقومُ ليتو بإعطاء الأوامر.

بليني يعودُ مِن حديثه مع موظّفي القلعة. وكما هو متوقّع، سنتشاركُ المِصعد مع آل فالتي، لكنْ هنالك شيء أكثرُ تهديداً يملأ الأجواء. علينا تركُ أتباعنا مِن السبجيّين والرماديّين خلفنا. «على جميع العائلات أن تستمر نحو الحفل بلا مرافقين». يقول: «لا حرّاس شخصيين».

دمدمة تنتشر بين صفوفنا.

- «إذن لن نذهب». يقول الشَّغبَر.

- «لا تكن أحمق». يردُّ أوغوستوس.

- «ابنكَ على حق». يقول ليتو: «نيرو، الخطر—».

- «بعض الدعوات يكون رفضُها أكثرُ خطورةً مِن قبولها. ألفرون، جوفو». يقوم أوغوستوس بحركة بتٍّ حاسمة نحو مَوسوميه. يحني الرجُلان رأسيهما بصمت، وينضمّان إلى الآخرين جانباً. مشاعر حقيقيّة— قلق—تملأ عيونهم الغريبة، ونحن ننضمّ إلى آل فالتي في المصعد ونرتفع. رأس عائلة فالتي يبتسم. منزلته تحسّنت.

الحفلُ على سطح برج الحاكِمة المعظَّمة مُصمَّمٌ كأرض أحلامٍ شتويّة. الثلجُ يتساقطُ مِن سُحبٍ غير مرئيّة. إنّه يغطّي كالغبار غابات أشجار صنوبر صناعيّة لها شكل رماح، ويُجمِّد شعريَ القَصير بندف ثلج طعمُها كالقرفة مع البرتقال. أنفاسي تتكاثف أمامي.

ظُهور الحاكِم العام قد أُعلِن عنه بنفخٍ في البوق. تاكتوس وبعض الفُرسان الرمّاحين الشباب يقطعون الطريق على آل فالتي ليتمكّن أوغوستوس مِن الدخول إلى الحفل أوّلاً. جِسمٌ مِن الذهب الباهت والأحمر الدموي، نتحرّك نحو مساحةٍ هائلةٍ مِن الشجر دائم الخضرة. فخرُ الحضارة الذهبيّة بانتظارنا. بحرٌ رهيبٌ مِن الوجوه التي رأت أشياء ما كان الإنسانُ الأوّلُ ليحلُم برؤيتها قط. يمكنكَ رؤية لمحاتٍ مِن ماضينا المشترك في المعهد؛ سَحرة أبولو، وقتَلة مارس، وجميلات فينوس.

تحت البرج المدبّب تمتدّ القلعة، ووراء تلك الأراضي تتلألأ المدن بكل أضوائها المِليونيّة. لن تُخمِّن أبداً بأنّ تحت ذلك البحر مِن المجوهرات المتلألئة تتوارى مدينة أخرى مِن الفقر والقذارة. عوالم ضمن عوالم.

- «حاول ألّا تفقد رأسك». تهمس لي فيكترا، ممرّرةً عبر شعري أصابع يدها التي تشبه البراثن قبل أن تذهبَ للتحدُّثِ إلى أصدقائها مِن كوكب الأرض.

أتقدّم نحو طاولتنا. ثُريّات كبيرة تطوف في الأعلى محمولة على دافعات ثقاليّة صغيرة. الضوء يلمع. الفساتين تتحرّك مثل سائلٍ حول قوالب بشريّة مثاليّة. الزهريّون يقدّمون أطايب الطعام والمشروبات الروحيّة على أطباق وأقداح مِن الزجاج والثلج.

المئات مِن الطاولات الطويلة تنتشرُ محيطةً ببحيرةٍ متجمّدةٍ وسط الأرض الشتويّة. الزهريّون ينتعلون الزلّاجات ليقوموا بالخدمة هنا. تحت الجليد هنالك أشكالٌ تتحرّك. ليسَت انحرافات جنسيّة كتلكَ التي سيجدُها المرء وهي تقومُ بتسلية القرود الماجنة وبني الألوان الدُنيا، وإنّما مخلوقات غامضة بذيول طويلة وحراشف برّاقة كالنّجوم. في حياةٍ أخرى، كان سيكون حلمُ ميكي أن يكون لديه مخلوقٌ كُلِّف بالمشاركة بهذه المأدبة. أبتسمُ في سرّي. أفترضُ بطريقةٍ ما أنّه قد قام بذلكَ فعلاً.

الطاولاتُ بلا أسماء، أو أرقام. بدلاً مِن ذلك، نعثرُ على مكاننا لدى رؤيتنا لأسدٍ كبير جالس في منتصف طاولتنا، بلا حراكٍ تقريباً. طاولةُ كلِّ عائلة خُصّصت لها بوساطة شعارها. هنالك غِرفين(*) ونسور، قبضات جليديّة وسيوف حديديّة كبيرة. الأسدُ يزأر راضياً عندما يقومُ تاكتوس بسرقة صينيّة مُقبّلات مِن زهريٍّ، ويضعها بين براثن الوحش الهائلة: «كُلْ أيّها الوحش، كُلْ!». يصرخ.

يعثرُ بليني عليّ. شعرهُ مربوطٌ إلى الخلف بضفيرةٍ مُحكمةٍ مُعقّدة.

---

(*) حيوان أسطوري له جسم أسد ورأس وجناحا عقاب. (المترجم).

ملابسه للمرّة الأولى حازمة مِثل أنفه المدبّب، وكأنّهُ يريدُ إبهارَ الفريدين ذوي الندبة بتقاسيم وجهه المتشدّدة وعتاده الخفيف. «لاحقاً خلال الأمسية سأقومُ بتقديمكَ لبعض الأطراف المهتمّة. عندما أشيرُ إليك، أتوقّعُ منكَ أن تنضمَّ إليّ». ينظرُ مِن حوله، والحيرة تعتريه، باحثاً عن أشخاصٍ مهمّين لمآربه الخاصّة: «حتّى ذلك الوقت لا تُسبِّب المشكلات وانتبه لسلوكيّاتِك».

– «لا مشكلات». أُخرِج قِلادةَ حصانيَ المجنّح: «بشرف عائلتي».

– «نعم». يقول مِن دون أن ينظر: «وأي عائلة نبيلة هي!».

أحدِّقُ في أنحاء الحفل. المئات يتزاحمون منذُ الآن، ومع كل دقيقة يصل المزيد. كم عليَّ أن أنتظر؟ مِن الصعب الحفاظُ على الغضبِ الذي جعَلني مُتمسِّكاً بهذا القرار. لقد قتلوا زوجتي. لقد قتلوا طفلي. لكن مهما يكن الغضبُ الذي أستجمعهُ عن طريق تذكير نفسي، إلّا أنّني لا أستطيعُ التخلُّص مِن الخوف من أنّي أقود التمرُّد نحو الهاوية.

هذا لن يكونَ مِن أجل حُلمِ إيو. إنّه سيكونُ لإرضاء الذينَ على قيدِ الحياة. مِن أجل إشباع رغبتِهم بالانتقام بدلاً مِن تكريم أولئكَ الذين قد ضحّوا فعلاً بكل شيء. وسيكون الأمرُ مُبرماً لا رجعة فيه. لكنْ هذا هو المسارُ الذي حُدِّد.

الكثيرُ مِن الشكوك. أهذا أنا عندما أكون جباناً؟ أُسوّغ انعدام الفعل؟

إني أفكّر كثيراً. هذا يجعلُ الجنديَّ سيّئاً. وهذا ما أنا عليه؛ جنديٌّ لأريس. هو منحني هذا الجسد. عليّ أن أثقَ به الآن؛ لذا أخذتُ الحصانَ المجنّح وثبتُّه على الجانب السفلي لطاولة أوغوستوس، بالقربِ مِن نهاية الطاولة.

- «هل نرفع نخباً؟» يقولُ أحدهم. أستدير لأجد نفسي وجهاً لوجه مع أنطونيا. لم أرها منذ أيّام المعهد، عندما أنزلها سيفرو عن الصليب الذي ثُبّتت عليه بالمسامير مِن قبل الشَّغبَر. أنتفضُ مبتعداً، تلمعُ في رأسي مشاهدُ اللّيلة التي قَطعَت فيها عُنقَ ليا، كلُّ ذلك مِن أجل استدراجي مِن الظلمة.

- «اعتقدتُ بأنّكِ كنتِ في الزهرة تدرسين السياسة». أقول.

- «لقد تخرّجنا». ترد: «استمتعتُ بتعميدك. لقد شاهدتهُ عدّة مرّات مع أصدقائي. رائحة بول كريهة». تشمّني: «يصعبُ التخلُّص منها».

الطبيعة كانت شرّيرةً لجعلها بهذا الجمال الرهيب. شِفاهٌ ممتلئة، ساقان بطول ساقَيّ تقريباً، بشرةٌ ناعمةٌ مثل حجر النهر، شعرٌ أشبه بخيوط غَزلٍ ذهبيّة مثل تلكَ التي في قصّة ساندريلا. كل هذا مجرّد قناعٍ لمخلوقٍ حقيرٍ يوجد مِن خلفه. «أستطيعُ أن أرى أنّكَ افتقدتني في أثناء غيابي». تناولني كأساً مِن النبيذ: «لذا دعنا نشرب نَخبَ لمِّ شَملِنا الجيّد».

لا يوجدُ مغزى بالنسبة لي مِن كوننا نعيشُ في عالمٍ حيثُ بوسعها الوقوفُ هنا لتُحيكَ شباكها الشرّيرة بينما زوجتي ميّتة، وذهبيّون لطفاء مثل ليا وباكس قد حُوّلوا إلى رمادٍ، وقُذفوا نحو الشمس.

- «فيتشنير قال لي شيئاً ذات مرّة يا أنطونيا. يبدو مناسباً الآن». أرفعُ كأسي بنَخبٍ مُهذَّب.

- «ياه، فيتشنير». تتنهّد، ليرتفع نهداها على نحوٍ صارخٍ مِن تحت فستانها الذهبيّ الضيق للغاية: «القارِضُ البرونزي صنعَ لنفسِه اسماً هنا. ما الذي قاله؟».

- (لا يمكن لرجُل أن يشتاق للكلاميديا(*)). أسكبُ النبيذ أمامها

---

(*) نوع من الأمراض الجنسيّة. (المترجم).

وأدفعها مُتجاوزاً. تمسكُ بذراعي وتجذبني للخلف إليها، مقرّبةً إيّاي لدرجة تجعلني أشعر بحرارة أنفاسها: «إنّهم قادمون». تقول: «آل بيلونا قادمون للنَيلِ منك. عليكَ أن تهرُب الآن». تنظرُ إلى شفرتي: «إلّا في حال كنتَ تظنُّ بأنّكَ جيّدٌ بما فيه الكفاية لهزيمة كاسيوس في نزال». تفلتني: «حظّاً جيّداً يا دارو. سأفتقدُ وجودَ قردٍ في حفلٍ راقص أكثر ممّا ستفتقده موستانغ، على الأقل».

لا أعيرُ أيّ انتباهٍ لكلماتها وأسيرُ مبتعداً، متمنّياً أن تملأ عائلاتٌ أخرى الحفلَ كي أتمكّن مِن إنهاء هذا قريباً. ضيوفٌ مِن البريتوريّين، والقسطوريّين، والقضاة، والحكّام، وسيناتورات، ورؤوس عائلات، وقادة عُصَب، وتجّار، وفارسين أولمبيّين، وآلاف الآخرين أتوا ليتمنّوا لسيّدي مساءً سعيداً. أولئكَ الرجال الأكبرُ سنّاً يتحدّثون عن هجمات الطليعة المرتزقة على أورانوس وأريبل، وإشاعة حمقاء عن فارسِ غضبٍ جديد حصل للتوّ على درع، وقواعدَ غامضة لأبناء أريس على ترايتون، وسلالة جديدة مِن الوباء على إحدى القارّات المظلمة لكوكب الأرض. يا لها من وجبة خفيفة!

آخرون كُثر يأخذون سيّدي جانباً، كما لو أنّ مئات الأعين لا تراقبُ كلَّ حركةٍ يقومون بها، وبصوتٍ عذب، يخبرونهُ عن الهمسات الليليّة، عن تقلُّبات الرياح وحركات المدّ والجزر الخطيرة. مزيجٌ مِن الاستعارات اللفظيّة. الفكرة هي نفسها. أوغوستوس فقدَ حظوته لدى الحاكِمة المعظَّمة بالطريقة نفسها التي فقدتُ فيها حظوتي لديه.

السفن التي تحوم جيئةً وذهاباً مِن فوقنا في سماء اللّيل بعيدةٌ هي أيضاً عن المحادثة بمقدار بعدي عنها. تركيزي ينصبُّ على الحاكِمة المعظَّمة

نفسها. يا لهُ مِن أمر غريب! رؤية المرأة هنالك خلفَ ساحة الرقص، على مِنصَّةٍ مُرتفعةٍ، تتحدّثُ إلى لوردات ورجال الأُسَر الأخرى الذين يتحكّمون بحياة المليارات. كم هي قريبة، إنسانيّة وهشَّة جدّاً.

أوكتافيا لونا الذهبيّة تقفُ مع جماعتها النسائيّة المقرّبة، الإيرينيّات الثلاث—شقيقات تثقُ بهنّ أكثر مِن أي أحدٍ آخر. مِن جهتها، الحاكِمة المعظَّمة وسيمة أكثرُ منها جميلة، بوجهٍ جامدٍ كجبل. صمتها هو قوّتها. أرى حديثها نادراً، لكنّها تستمع دائماً، إنّها تستمع إلى الكلمات مثلما يستمعُ الجبل إلى همسات وصراخ الرياح عبر صخوره وحول قممه.

أرى رجُلاً يقفُ وحيداً بالقرب مِن شجرة. إنّه تقريباً بعرض جذعها. يدهُ العملاقة تجعلُ مِن كأسه تبدو صغيرةً جدّاً، ويرتدي علامة سيف مع جناحين، بريتور ذو أسطول. أقتربُ منه. يراني قادماً فيبتسم.

– «دارو أندروميدوس الذهبيّ». يصيحُ كارنوس مزمجراً.

أفرقع بأصابعي للفتِ انتباه زهريٍّ عابر. آخذ كأسَيْ نبيذٍ مِن صينيّته الجليديّة، أُقدِّم واحدةً لكارنوس: «ظننتُ أنّه ربّما مِن الجيّد أن نتشارك الشراب قبل أن تأتي لقتلي».

– «يا لهذه الروح الرياضيّة!». يضعُ شرابهُ جانباً ويأخذُ ذلك الذي أقدّمهُ له. ينظر إليَّ مِن فوق الكأس: «أنتَ لا تدسُّ السمَّ، أليسَ كذلك؟».

– لستُ بهذه البراعة.

– «إذن رفقتنا متكافئة. كلُّ تلكَ الثعابين...». يقولُ مُكشّراً مثل تمساح، عيونه الذهبيّة الداكنة تلاحقُ الرّجال والنساء. يختفي النبيذ بلحظة: «إنّها ليلةٌ مُنحطّة على نحوٍ غريب».

– سمعتُ بأنّ الفضيَّ الألمعي هو مَن نظَّم الاحتفاليّة». أقول.

- «فقط في لونا سيسمحونَ لفضّي أن يتظاهرَ بأنّهُ ذهبيّ». يقولُ كارنوس مكشّراً: «أكره هذا القمر». يلتقطُ بعضَ الأطايب مِن صينيّةٍ عابرة: «الطعامُ ثقيلٌ جدّاً. كلُّ شيء آخر خفيفٌ جدّاً. مع أنّي سمعتُ بأنّ الطبقَ السادس سيكونُ شيئاً سترغبُ بالموت مِن أجله».

مُلاحظاً أسلوبهُ الغريب، أشبكُ ذراعيّ وأشاهدُ الحفلَ. إنّها لراحةٌ غريبةٌ وجودي بالقرب مِن هذا الرجُل المليء بالكُره. لا أحد منّا عليه أن يتظاهر ليُعجِب الآخر. لا أقنعة هنا، أو على الأقل ليس بالحجم المعتاد.

يضحكُ بعمق: «كان جوليان ليُحبَّ هذه المأدبة الفاخرة. كان طفلاً متذلّلاً وحقيراً».

أستديرُ لتفحُّصِ القاتل: «كاسيوس لم يقل سوى أمور جميلة عنه».

- «كاسيوس». يصدرُ نخيراً يشبه ضحكة ما: «كاسيوس ذاتَ مرّة جرحَ طائراً بمقلاع. جاء إليَّ باكياً، لأنّه كان يعلم بأنّ عليهِ أن يَقتُله ليخلّصهُ مِن عذابه، لكنّه لم يستطع. أسقطتُ حجراً عليهِ مِن أجله. تماماً مثلما فعلت». يبتسمُ بتكلّف: «عليَّ أن أشكركَ على مَحوِك لهذه النفاية الجينيّة».

- لقد كان جوليان أخاكَ يا رجُل.

- «كان يبلّل فراشه وهو صبيّ. يبلّل فراشه. لطالما حاولَ إخفاء الملاءات بإعطائها لغاسِلات الثياب بنفسه. وكأنّنا لم نكُن نملكُ غاسِلات الثياب أنفسهنّ. لقد كان صبيّاً لم يستحق عطفَ أمّه ولا اسم أبيه». يلتقطُ كأس نبيذٍ آخر مِن زهريّ عابر: «إنّهم يحاولونَ جعل الأمرِ يبدو ككارثة، لكنّهُ ليسَ كذلك. إنّهُ قانونُ الطبيعة».

- جوليان كان رجُلاً أكثر منكَ يا كارنوس.

كارنوس يضحكُ مُبتهجاً: «أوه، هل تشرحُ ذلك؟».

- في عالمٍ مِن القتلة، يتطلّبُ الأمر جهداً أكبر كي تكونَ لطيفاً مُقارنةً بكونكَ شرّيراً. لكنّ الرجال مثلنا أنا وأنت، نحنُ فقط ندعُ الوقتَ يمضي إلى أن يأتي الموتُ للنيل منّا.

- «الأمر الذي سيحدثُ عمّا قريب بالنسبةِ لك». يومئ برأسه نحو شفرتي: «إنّهُ لأمرٌ مثيرٌ للشفقة أنّكَ لم تَنشأ في عائلتنا. نحن نتعلّمُ استعمالَ النصل قبلَ أن نتعلّم القراءة. أبي جعلنا نصنعُ نِصالنا بأنفسنا، جعلنا نُسمّيها وننامُ إلى جانبها. ربّما كنتَ لتتمتّع بفرصةٍ حينها».

- أتساءل ماذا كنتَ لتكون لو أنّه علّمكَ شيئاً آخر.

- «أنا ما أنا عليه». يقول كارنوس، وهو يأخذُ شراباً آخر: «وقد أرسلوني للنيل منكَ، أنا مِن بين جميع الأبناء والبنات، لأنّي الأفضلُ فيما أنا عليه».

أراقبهُ للحظة: «لماذا؟».

- لماذا ماذا؟

- لديكَ كلُّ شيء يا كارنوس: الثروة، والسُّلطة، وسبعة إخوة وأخوات. كم مِن أبناء العمومة؟ بنات الإخوة والأخوات؟ أبناء الإخوة والأخوات؟ أبٌ وأمٌّ يُحبّانك، على الرغمِ مِن ذلك... أنتَ هنا، تشربُ وحيداً، وتَقتلُ أصدقائي، واضعاً الهدف مِن حياتك هو أن تُنهي حياتي. لماذا؟

- لأنّكَ اعتديتَ على عائلتي. لا أحد يعتدي على آل بيلونا ويبقى حيّاً.

- إذن إنّه الكبرياء.

- إنّه الكبرياء دائماً.

- الكبرياء مجرّد صرخة في الريح.

يهزُّ رأسه، ويصبح صوته أكثر عمقاً: «أنا سأموت. أنت ستموت. نحن جميعاً سنموت والكون سيستمرُ غير عابئ. كل ما لدينا هي تلك الصرخة

في الريح —كيف نعيش. كيف نرحل. وكيف نقف قبل أن نسقط». ينحني إلى الأمام: «إذن أنتَ ترى أنّ الكبرياء هو الأمر الوحيد». عيناه تبتعدان عن عينيّ وتنظران عبر الغرفة: «الكبرياء والنساء».

أتبعُ عينيه لأراها حينها.

إنّها ترتدي السواد وسطَ بحر مِن الذهبيّ، والأبيض، والأحمر. مثلَ شبحٍ مُظلمٍ، تنزلقُ خارجَ المصعد قريباً من حافّة الغابة الاصطناعيّة. تُقلِّب عيونها البرّاقة، تثني فمها المبتسم بتكلّف على الرؤوس التي تستدير نحوها لتحدّق في ردائها الجنائزي. الأسود؛ لونٌ يُظهِر الازدراء لكل الذهبيّين السعيدين مِن حولها. أسود مثل لونِ البزّة العسكريّة التي أرتديها الآن. أتذكّرُ دفء جسدها، ومرحَ صوتها، ورائحة مؤخّرة عُنقِها، وطيبةَ قلبها. أُحدِّق بتركيز شديد حتّى كدتُ أفوّت مرافقها.

أتمنّى لو أنّي فوّته.

إنّه كاسيوس.

ذو الضفائر الذهبيّة اللّعينة! إنّه مع الفتاة التي رعَتني حتّى تعافيتُ في الشتاء، والتي ساعدتني على تذكُّر حُلمِ إيو. يدهُ على خصرها. شفتاه تهمسان في أذنها. تماماً مثلما أقحمَ كاسيوس بيلونا الذهبيّ سيفاً في معدتي، إنّهُ الآن يغرِزُ خنجراً في قلبي.

شعرهُ كثيفٌ ولامع. ذقنهُ مشقوقة، يداه ثابتتان، كتفاه قويّان مهيآن للحرب، وَجهه مهيّأ لقلوب البلاط. ويرتدي الشمسَ المشرقة لفارسِ الصباح. الشائعاتُ حقيقة. إنّها تخترقُ الحفل. الحاكِمة المعظَّمة جعلتهُ واحداً مِن الاثني عشر. على الرّغم مِن حقيقة أنّي فزتُ في المعهد، إلّا أنّه رُقّيَ عالياً، ليجتازَ بسرعة حلقةَ النِزال في لونا كما لو أنّهُ كان مسكوناً بأحد

الأسلاف. شاهدتهُ على شاشة العرضِ المجسَّم، شاهدتهُ كيف يتجوَّلُ حول ميدان النزيف بينما ذهبيٌّ آخر ممدّدٌ على شفا الموت.

لكن هنا، الآن، فإنّهُ يبهرُ الأبصار بسحره. وجههُ تتخلّلهُ ابتسامةٌ بيضاء. في جسده الذهبيّ لديه كلُّ ما لديّ وأكثر. إنّ لديهِ قدمين أسرعَ منّي، ومثل طولي. وهو أكثرُ وسامةً، وأكثر ثراءً، ولديه ضحكة أفضل، والناس يظنّونه ألطف؛ مع ذلك ليسَ لديه أيٌّ مِن أعبائي. لماذا يستحقُّ أيضاً هذه الفتاة، التي تجعلُ الجميعَ عدا إيو يَبهتون بالمقارنة معها؟ ألا تعلمُ كم هو تافه؟ كم يمكنُ أن يكون قلبهُ قاسياً؟

لا أستطيعُ الذهابَ إليها، ولا حتّى مع اقترابي مِنها بما يكفي لسماع ضحكتها. إن رأتني، أعتقدُ بأنّي سأتحطّم. أسيكون هنالكَ شعور بالندم في عينيها؟ أو حرج؟ هل أنا ظِلٌّ يخيّمُ على سعادتها؟ هل ستهتمُّ أصلاً لرؤيتي لها معه؟ أم ستظنّ بأنّي مُثيرٌ للشفقة لمحاولتي الاقتراب منها؟

ليس المؤلم اعتقادي بأنّ موستانغ تافهة في سعيها وراء عدوّي، إنّما المؤلم معرفتي بأنّها ليست تافهة. إن هي مع كاسيوس، فهذا لأنّها تهتمُّ لأمره. وذلك مؤلم أكثر ممّا كنتُ أتوقّع.

– «ولذلكَ انظر...». يد كارنوس تهبطُ بشدّة على كتفي: «... لن يفتقدكَ أحد».

ضيقٌ ينتشرُ عبر صدري مع شقِّ كتفيّ طريقاً إلى خارج الحفل. أستقلُّ المصعد الأصغر نحو الأسفل، بعيداً عن أولئك الناس الذين يعرفون فقط كيف يؤذون. بعيداً في الغابة حيثُ أجد جسراً يمتدُّ فوقَ جدولٍ سريع الجريان. أميلُ فوقَ السياج المصقول، لاهثاً للحصولِ على هواء، كلُّ نَفسٍ هو تصريح.

لستُ بحاجةٍ إلى موستانغ.

لستُ بحاجة إلى أيّ مِن تلكَ المخلوقات الجشعة.

لقد اكتفيتُ مِن ألعاب القوّة لديهم.

اكتفيتُ مِن محاولة القيام بالأمور بمفردي.

لم أكن جيّداً بما فيه الكفاية لأكون زوجاً.

لم أكن جيّداً لدرجة أن تدعني زوجتي لأكون أباً.

لم أكن جيّداً بما فيه الكفاية لأكون ذهبيّاً.

الآن أنا لستُ جيّداً بما فيه الكفاية لموستانغ.

أخفقتُ في القيام بما خُطّط لي للقيام به.

أخفقتُ في النهوض.

لكنّي لن أسقط الآن. ليس الآن.

آخذُ الخاتم الذي أعطاه لي أبناء أريس. اليد ترتجف. الأعصاب مذعورة. أريد التقيؤ، هنالكَ الكثيرُ مِن الأخطاء في داخلي. أقرّب الخاتم البارد إلى شفتيّ. قل الكلمات وسيهلكُ الفاسدون. أقولُ: «حَطِّم القيود». وفيكترا تختفي. كاسيوس يتبخّر. أوغوستوس ينصهر. كارنوس يذوب. موستانغ تموت. في أنحاء المجموعة الشمسيّة تتموّج القنابل، والحُمر ينهضون إلى مستقبل مجهول. ثق بأريس. فقط ثق بأنّه يعرف ماذا يفعل.

حَطِّم القيود.

أحاولُ قولَ الكلمات، كلماتِ إيو الأخيرة قبل أن تُشنق، لكنّها لا تخرج. أُجبِرها على الخروج. اللعنة! أجعل فمي يعمل. لكنّهُ لا يفعل. لا يستطيع لأنّي أعلمُ في داخلي بأنّ هذا خطأ. إنّهُ ليس العنف. إنّها ليست الرأفة بالأناس الذين سأقتلهُم. إنّه الغضب.

قتلهُم لا يثبتُ أيَّ شيء. لا يحلُّ أي شيء.

كيف يمكنُ لهذه أن تكونَ خُطَّة أريس؟

إيو قالت إن انتفضتُ سيتبعني الآخرون، لكنّي لم أنتفض إلى الآن. لم أفرغ بعد ممّا طلبته منّي. أنا لست بمثال. أنا قاتلٌ مأجور. ليس لديّ عذرٌ كي أستسلم. بأن أسلِّم حلمها لآخرين. أريس لم يعرف إيو قط. لم يرَ الشرارة في عينيها قطّ. أنا فَعلت. قبلَ أن أستنشقَ آخر أنفاسي، عليَّ أن أبني العالمَ الذي أرادَت أن تنشئ طفلنا فيه. كانَ هذا حُلمُها. كان هذا سببُ تضحيتها، كي لا يضطرّ الآخرون. ولن أدع الآخرين يقرّرون مصيري. ليسَ الآن. لن أثِقَ في أريس إن كانَ ذلك يعني رفض إيو.

لن أفعل إن كان ذلك يعني أنّه عليَّ التضحية بثقتي بنفسي.

أمسحُ الدموعَ مِن وَجهي مُستبدلاً الغاية بالغضب. يجب أن يكونَ هنالكَ طريقة أخرى. طريقة أفضل. لقد رأيتُ الشروخَ في جمعيّتهم، وأعرفُ ما الذي عليَّ فعله. أعلم ما أكثر ما يخافهُ الذهبيّون. ولا علاقة لذلكَ بانتفاضة الحمر. ولا علاقة لذلكَ بالقنابل، أو المؤامرات، أو الثورات. ما يخيفُ الذهبيّين بسيطٌ، وقاسٍ، وقديمٌ قِدَمَ البشريّة نفسها.

الحرب الأهليّة.

# الجزء الثاني

# انكسار

إن كنت ثعلباً، تظاهر بأنّك أرنب.

إن كنت أرنباً، تظاهر بأنّك ثعلب.

—لورن أركوس الذهبيّ

# 12

# الدم بالدم

أعود بعزيمة وقوّةٍ إلى الحفل.

لقد جلس الذهبيّون في أماكنهم وبدأت المراسم بجديّة. لم أكن بارعاً لدى انحنائي تحت الطاولة للبحث عن قلادة الحصان المجنَّح على الأرض. أضعها في جيبي. أسوّي سُترتي. أتجاهل النظرات المتسائلة، وأتحرّك بجرأةٍ مبتعداً عن طاولة أوغوستوس نحو مَوضِع اهتمامي. بليني يهسهس اسمي. أمرُّ بجانبه. إنّه لا يعرف شيئاً عمّا في جعبتي.

أشقُّ طريقي بانسيابيّة بين الطاولات التي تجلس إليها العائلات النبيلة، جامعاً النظرات مثلما يجمعُ حجرٌ الثلجَ، وهو يتدحرجُ مِن قمّة جبل. أشعرُ بأنّهُم يضيفون إلى سرعتي. خطواتي غير مبالية، يداي مشدودتان متحفّزتان لأيِّ خطر، مِثلَ عضلات أفعى الحُفَر. الآلاف يراقبونني. تتجمّعُ الهمسات مِن خلفي وكأنّها مِعطفٌ يغطّيني لدى إدراكهم لهدفي؛ إنّه يجلسُ إلى طاولته الطويلة محُاطاً بأفراد عائلته—رجُلٌ ذهبيٌّ مثاليٌّ يستمعُ بانتباهٍ إلى حديثِ حاكِمته المعظَّمة. إنّها تُقدِّم مَواعظ عن الوحدة. النظامُ والتقاليد لهما أهميّة قصوى. لا أحد ينهض بعد ليتحدّاني. ربّما لأنّهَم لا يفهمون، أو لأنّهم يشعرون بقوّتي الآن ولا يجرؤون على النهوض.

يلحظ آل بيلونا الهمسات الآن، ويستديرون وكأنّهم شخصٌ واحدٌ تقريباً، عائلةٌ مؤلّفةٌ ممّا يقارب الخمسين وأكثر، لرؤيتي—رجُل مُحارِب، يتَّشِح السواد. شابّ لم يختبر الحرب. لم يختبر القتال خارجَ قاعات المعهد وكويكِبات الأكاديميّة. عدّني بعضهم مجنوناً، وبعضهم الآخر وَصفَني بالشجاع. اللّيلة أنا كلاهما؛ فالثِّقَلُ قد زال، ومعهُ كلُّ الضغطِ الذي تركتهُ يسحقُني في أثناء قلقي مِن التوقّعات وقيامي بالمناورات لتجنُّبِ اتّخاذ قرار. عندها أندفعُ بكلِّ ما أوتيتُ مِن سرعة، وأقول لنفسي: لا تتجمّد. لا تتوقّف. لا تتوقّف أبداً.

صوت الحاكِمة المعظَّمة يرتبك الآن.

فات الأوان للتراجع. أندفِع.

أبتسِم.

ليسودَ الصّمت في الحفل، وأنا أقفزُ ثلاثين قدماً في الجاذبيّة الضعيفة، وأحطُّ بعنفٍ على طاولة آل بيلونا. الأطباقُ تتهشَّم. الخدمُ يتفرّقون. آل بيلونا يسقطون نحو الخلف. بعضهُم يصرخُ عليّ، وبعضهم الآخر لا يتحرّك حتّى مع انسكاب نبيذهم. الحاكِمة المعظَّمة تُراقِب، وقد أخذَها الفُضول، إيرينيّاتها يقِفنَ مُتحمِّسات بجانبها. بليني يبدو وكأنّهُ على شفا الموت. إنّه يُمسِك بركبتيه مذعوراً. بجانبه، الشَّغبَر غريبٌ وغيرُ مَقروء مثل مخلوقٍ صَحراويٍّ وحيد.

لا أنتعلُ حذاءً رسميّاً اللّيلة. حذائي ثخينٌ وثقيل. إنّه يهشِّم البورسلان، وأنا أسيرُ على طاولة آل بيلونا، مُحطِّماً أطباق حلوى البودنغ، وساحقاً الستيك الطازج. الدم يندفع في أنحاء جسمي. مُنتشياً أرفع صوتي.

– «هل لي بانتباهكم؟!». أحطِّم طبقاً مِن البازلاء تحت قدمي:

«ربّما تعرفونني». هنالكَ ضَحكٌ متوتّر. طبعاً يعرفونني. إنّهم يعرفون كل شخص ذي قيمة، على الرّغم من أنّ قيمتي مبنيّة على الشائعات أكثر منها على المضمون. أرى الإيرينيّات، وهنَّ يهمِسنَ للحاكِمة المعظَّمة. وأشاهدُ تاكتوس، وهو يبتسمُ ابتسامةً عريضةً جدّاً. كارنوس ينحني إلى الأمام بلهفة. فيكترا تبتسمُ للشغبر. حتّى إنّي أرى أنطونيا، وهي تنكز ذهبيّاً طويلاً ورزيناً. أتجنّبُ النظر إلى موستانغ. بليني يثرثرُ في أذن أوغوستوس، فيرفعُ أوغوستوس يده لإخراسه. «هل لي بانتباهكُم؟». أسأل.

أجل. أحصلُ عليه.

– «اجلس يا صبي!». أحدهم يصيح.

– «أرغمْه على فعل ذلك». تاكتوس يردُّ، وهو ثمل: «كلّا؟ هذا ما ظننته!».

– «لأولئك الذين لا يعرفونني مِنكُم، أنا الفارسُ الرمّاح لعائلة أوغوستوس، لمدّة ساعة أخرى تقريباً». يضحكون: «أنا الملقَّب بحصّاد مارس، الذي قضى على فارسٍ فريدٍ ذي ندبة، واقتحمَ الأوليمبوس، واستعبد مُشرِفيه. اسمي دارو أندروميدوس الذهبيّ، ولقد ظُلِمت.

نحنُ –الفريدين ذوي الندبة– ننحدر مِن أسلاف ذهبيّين. مِن غزاةٍ بصُلبٍ فولاذي. رجال أشراف، نساء شريفات. لكنْ أمامكم اليوم، أرى عائلةً بلا شرف، عائلةً بصُلبٍ هشٍّ مِن الطبشور، عائلةً فاسدةً ومحتالةً مِن الكذّابين والجبناء الذين يتآمرون لسرقة مَنصِب الحاكِم مِن سيّدي على نحوٍ غير شرعي».

أسحقُ طبقَ تقديمٍ بحذائي. مَن يدري إن كانوا يتآمرون لفعلِ ذلكَ أم لا؟ لكنْ لهذا وَقعٌ جيِّد. يبدو أنّهُم يتآمرون. وهذا هو القِناعُ الذي أريدهُم

أن يرتدوه. كارنوس يردُّ على نحوٍ جميل بسحب شفرته والاندفاع نحوي. والده، الإمبراتور، يشيرُ له مُلوِّحاً بالعودة. البريتور كيلان ينظر مِن حوله في كيفيّة الإمساك بقدمَيّ وسحبي للأسفل حيث بلا شك ستقطعُ كاغني عنقي بشَفرَتي. الفتيات الأصغر في عائلتهِم يظنّونني شيطاناً، شيطاناً قتلَ ابن عمّهم وأخاهم. ليسَ لديهِم أدنى فكرة عمّن أكون حقّاً. لكنْ ربّما كانت لدى الليدي بيلونا فكرة. شاحبة في حزنها، تجلس محاطةً بصغارها مثل لبؤةٍ ذابلة. ينظرون إليها بقدر نظرهم إلى زوجها. آخرُ أمرٍ لحظته هو ارتعاش يدها اليمنى الطويلة، كأنّها تتوقُ للحصول على سكّينٍ لتُقطِّعني بها.

– «لقد ظُلِمتُ مرّتين مِن قِبَل هذه العائلة: مرّة في وَحلِ المعهد، ومرّة أخرى في الأكاديميّة مِن قِبَل هذا... وهذا... وذاك». أشيرُ إلى كلِّ مَن ضربني في الحدائق. أرى كاسيوس الآن بالقرب مِن رأس الطاولة، بجانب والده ووالدته. موستانغ تجلسُ إلى جانبه. وَجهُها كالقناع. خيبة أمل؟ امتعاض؟ ملل؟ عندما ترفع حاجبها، وهي تنظر إليّ، تلتقي نظراتنا، أتقدَّم نحوها، وأضعُ قدمي على حافّة إبريق النبيذ الموضوع أمام كاسيوس. جميعُ العيون تُركِّز هناك، مثل ضوءٍ يسقطُ في ثقبٍ أسود. ليتوقّف الزمان والمكان، وينحني الجميع إلى الأمام، وتنحبسُ الأنفاس: «جميعُ محاكِم القانون الذهبيّ تسمحُ للرجُل أن يدافعَ عن شرفه ضدّ أيّ قوّةٍ قد تُشوِّه سُمعَته على نحوٍ غير عادل. مِن الأراضي القديمة لكوكب الأرض إلى الأعماقِ الجليديّة لبلوتو، حقُّ التحدّي مُصانٌ لكلّ رجُلٍ وامرأة. اسمي، يا أيّها السّادة والسّيدات النبلاء، هو دارو أندروميدوس الذهبيّ. لقد دُنِّسَ شرفي، وأنا أُطالِبُ بتعويض».

أَقلِبُ النبيذ في حضنِ كاسيوس.

ينهضُ مُنفَجراً في وجهي. الذهبيّون جميعاً في أنحاء الحفل الكبير ينهضون مِن مقاعدهم مع صَخبٍ كبير. يندفعُ تاكتوس بعيداً عن طاولتنا وينضمُّ إليه ليتو وفيكترا وجميع المساعدين وحملةُ الراياتِ مِن قادة أتباعِ حاكمي العام—عائلاتُ كورفوس، جولي، فولوكسيس، وعائلة باكس عمالقة تيليمانوس. الشفراتُ تنشط بسرعة في الأيدي. اللعنات تُمزِّق هواء الشتاء. أجا، الأكبر والأسمر مِن بين الإيرينيّات، تنحني مِن على طاولة الحاكِمة المعظَّمةِ إلى الأسفل وتصيح: «أوقفوا هذا الجنون!».

لقد بدأ للتوّ.

يداي ترتعشان كما اعتادتا في المنجم. الآن وكما كان الحال حينها، الأفاعي تحيط بي.

لا يمكنكَ أبداً سماعهم، أفاعي الحُفَر. بالكاد يمكنكَ رؤيتهم. سودٌ كحدقة العين، يزحفون في الظّلال إلى أن ينقضّوا عليك. لكنْ هنالكَ خوفٌ يظهرُ عندما يكونون قريبين. خوفٌ مختلفٌ عن هديرِ الحفّار. مُختلفٌ عن نبضِ الضربات، والحرارة المقزّزة التي تتراكمُ في خصيتيك وأنت تحفرُ عبر مليون طنّ مِن الصخور، وكلُّ ذلكَ الاحتكاك الذي يشعُّ مُنتشراً للأعلى صانعاً بركة مِن البول والعرق داخل بزّتك. إنّه الخوفُ مِن المَوتِ القادم. مِثلُ ظِلٍّ يمرُّ عبر روحك.

ذلك الخوف يملؤني الآن بينما يقف هؤلاء الفريدون ذوو الندبة مِن حولي، كتلةٌ مِن الأفاعي الذهبيّة. يهمسون ويهسهسون. إنّهم قتَلة فتّاكون.

الثلجُ على الأرض يُجرَش تحت حذائي الثقيل. أنحني للأسفل

لدى حديث الحاكِمة المعظَّمة. تتحدّثُ عن الشرف والتقاليد. كيف أنّ النِزالات العسكريّة تُجسِّد عظمة عِرقنا، لذا فهي تقومُ باستثناءٍ لهذا اليوم. من الممكن أن نتبارز خارج ميادين الألعاب. هذه العداوة الدمويّة يجب أن تنتهي هنا، الآن، أمام عُظَماء عرقنا. إنّها واثقةٌ للغاية بفارسها الأولمبي الجديد. لكنْ لماذا لا تكون؟ لقد قتلني مِن قبل.

«على عكس جبناء الماضي، نحسمُ الأمور جسداً لجسد. عَظْماً لعَظم. دماً لدم. الثارات تموتُ في ميدان النزيف فيرتوتيه ايت أرميس». تخطبُ الحاكِمة المعظَّمة.

بالشجاعة والسلاح. لا شكَّ بأنّها تحدّثَت مُسبقاً مع مُستشاريها. سيقولون بأنّي مَهزومٌ سَلفاً، وبأنّ كاسيوس مُبارزٌ أفضل. ما كان للأمرِ أن يَصِل بعيداً لهذا الحدّ لو لم تكن واثقةً مِن نتيجةٍ تعودُ عليها بالنفع.

– «مثلما كان الأمرُ مَع أسلافنا، كذلكَ هو الآن ومرّة أخرى سيكونُ نِزالاً حتّى الموت». تُعلن: «هل مِن اعتراض؟».

كنتُ آمل ذلك.

لا أنا ولا كاسيوس نقولُ أيّ شيء. موستانغ تتقدّم إلى الأمام كي تعترض، لكن الإيرينيّة، أجا، تهزُّ رأسها، ممّا يوقفها.

– «إذن اليوم، ريس، نون فيربا». أفعال لا أقوال.

أتحدّثُ إلى سيّدي قبل أن أخطو إلى وسط الدائرة التي تشكّلت الآن، بينما ينقل البُنيّون الطاولات بعيداً عن المساحة المنبسطة المكسوّة بالثلج. بليني يحومُ إلى جانب أوغوستوس. كذلك يفعلُ ليتو، وتاكتوس، وفيكترا، وبريتوريّو المرّيخ العظماء. الكثيرُ مِن الوجوه المَشهورة، الكثيرُ مِن المحاربين والسياسيّين. الشغبر يقفُ بعيداً، أقصر مِن البقيّة، جامداً،

لا يتكلّم مع أحد. أتساءل ماذا كان ليقولَ لي لو كانت هنالك آذان أقلّ تَستمع؟ لا يبدو غاضباً. ربّما تعلَّم الوثوقَ بخططي. يومئ برأسه وكأنّه يقرأ أفكاري. لا نزال متحالفَيْن.

– «أهذا العرضُ مِن أجلي؟ مِن أجل الكبرياء؟ مِن أجل الحبّ؟». يسأل أوغوستوس بينما أقف أمامه. عيناه تخترقاني محاولتين العثور على معنى. لا أستطيعُ مَنع نفسي مِن النظر إلى موستانغ. حتّى الآن، إنّها تجذبني بعيداً عن مهمّتي.

– «أنتَ شابٌّ صغير». يكادُ يَهمِس: «ما يخبرونكَ إيّاه في كتب القصص خاطئ؛ الحبُّ لا ينجو مِن أشياء كهذه. ليسَ حبّ ابنتي، على الأقل». يتوقّف متأمّلاً: «روحها مِثلُ روح أمّها».

– لا أفعلُ ذلك مِن أجل الحبِّ يا مولاي.

– لا تفعل؟

– «كلّا». أحني رأسي نحوه وأتذكّر لغة الطبقة العُليا لماتيو: «واجبُ الابن هو مجدٌ للأب. أليسَ كذلك؟». أركعُ على رُكبتي.

– أنتَ لستَ ابني.

– كلّا. آل بيلونا قتلوه، وسرقوه منك. وَلدُكَ البِكر، كلاوديوس، كان كلّ ما يتمناه المرء—ابنٌ أفضل وأكثر حكمةً مِن والده. لذا دعني أهديكَ رأس ابنهم المفضَّل. كفى مراوغة. كفى لألاعيبهم السياسيّة. الدم بالدم!

– «يا مولاي، جوليان كان شيئاً، لكنّ كاسيوس...». بليني يحاول.

أوغوستوس يتجاهله.

– «إنّي لأذرف الدمعَ مِن أجلِ بركَتك». أقولُ مُجدّداً، للضغط على

سيّدي: «كَم مِن الوقت ستحافظ على رضا الحاكِمة المعظَّمة؟ شهراً؟ سنة؟ اثنتين؟ عاجلاً أم آجلاً ستستبدِل بكَ أحداً مِن آل بيلونا. انظر كيفَ تُفضِّل كاسيوس. انظر كيف تسرق ابنك. انظر كيف يسير البقيّة على خُطا الفضيّين. وَرثتُكَ مُستنزفون. زمنك كحاكِم عام سينتهي. دعه ينتهي. لأنّكَ لستَ رجُلاً مؤهّلاً لتكون حاكماً عامّاً للمرّيخ وحسب، بل أنتَ رجُلٌ مؤهّلٌ لأن تكون مَلكاً عليه».

عيناه تلمعان. «ليسَ لدينا ملوك».

– «لأنّ أحداً لم يجرؤ على صنع تاجٍ لنفسه». أقول: «فلتكن هذه هي الخطوة الأولى. ابصق في عين الحاكِمة المعظَّمة. اجعلني سيفَ عائلتك».

أسحبُ سكّيناً مِن حذائي وأصنعُ قَطعاً سريعاً أسفلَ عيني. الدَّمُ يسيل مثل قطرات دَمع. إنّها بَركةٌ قديمة، مِن الأسلاف الفولاذيّين، الغزاة. وستثيرُ الرعب في مَن يراها—أثرٌ مِن عصر مَضى، أكثرُ قَسوة. إنّها بَركةُ مارس. بَركةٌ مجبولة بالحديد والدم. بَركةٌ مِن السفن المدمِّرة التي حرقت أسطول الأرمادا البريطاني المشهور فوق القطب الشمالي لكوكب الأرض، وسحقَت القتلة السريعين مِن أرض الشمس المشرقة وسط حزام الكويكِبات. عيون سيّدي تتّقدُ مِثلَ جمراتٍ خاملة نُفِخ عليها ببطءٍ، ومن ثمَّ فجأة دفعةً واحدةً.

نِلتُ منه.

– «أمنحُ بَركَتي بكل حريّة. ما تفعله، افعله على شرفي». ينحني نحوي: «انهض يا ذهبيَّ المَولِد. انهض يا أيّها المجبولُ مِن الفولاذ». أوغوستوس يلمسُ الدم بإصبعه، ومِن ثمّ يرسم العلامة بالضغط أسفل عينه: «انهض يا رجُل المرّيخ وخُذ معكَ غضبي».

أنهضُ وسطَ الهمسات. هذا لم يعد الآن شجاراً بين صبيّين. إنّها معركة عائلتين. بطل ضدّ بطل.

- «إيك سونت ليونيس». يقول، وهو يميل رأسه—جزءٌ منه تحدٍّ وجزءٌ منه مُباركة. يا لهُ مِن خنزير مغرور! إنّهُ يعلمُ مدى استماتتي للبقاء في حظوته. إنّهُ يعلمُ بأنّه يلعب بأعواد الثقاب فوق برميلٍ مِن البارود. مع ذلك فعيناه تتلألآن بشهوة، مُتعطّشة للدم والوعودِ بالسُّلطة مثلَ تعطُّشي للهواء.

- «إيك سونت ليونيس». أقول مكرّراً.

أسير عائداً إلى وسط الدائرة، مومئاً برأسي لتاكتوس وفيكترا. يلمسان مَقابِض شفراتِهم، مثلما يفعلُ باقي المساعدين. عقليَّةُ القطيع التي لدينا مُتحفِّزة. «حظّاً موفّقاً». يقول تاكتوس.

عالياً فوقنا، تسبح السفن بهدوءٍ عبر سماء هذه اللّيلة الطويلة. الأشجار تتمايل في النسيم. المدن تتلألأ مِن بعيد. كوكب الأرض يطوف مثل قمرٍ مُتورِّمٍ بينما أستلُّ شفرتي مِن ساعدي.

موستانغ تأتي إليّ في أثناء قيام والدة كاسيوس بتقبيل جبهته.

- «إذن أنتَ بيدقٌ الآن؟». تسأل بسرعة.

- وأنتِ الجائزة؟

تنتفضُ قبلَ أن تتكوّر شفتاها بابتسامةٍ ساخرة. «أتقولُ ذلكَ لي؟ حتّى لم أتعرَّف عليكَ».

- ولا حتّى أنا يا فيرجينيا. أتخدمين الحاكِمة المعظَّمة الآن؟

لكنّي في الواقع تعرَّفتُ عليها، على الرُّغمِ مِن الهوّة الكبيرة بيننا،

والتي تجعلُها تشعرُ بأنّها غريبة أكثر مِنها صديقة. الضّيقُ في صدري هو مِن صُنعِها. كذلك أيضاً التوتّر الغريبُ في يدَيّ وكأنّهما تتوقان لأن تلمساها، تتوقان لأن تحتضناها وتُخبراها بأنّ هذا كلّه مَظهرٌ كاذب. أنا لستُ بَيدقاً لأبيها. أنا أكثرُ مِن ذلك. كلُّ هذا مِن أجل الخير، لكنْ ليس خيرهم.

– (فيرجينيا). تميل برأسها نحوي، مبتسمةً بحزن، وهي تلقي بنظرةٍ خاطفةٍ على ألفين مِن الفريدين ذوي الندبة المنتَظرين: «أتعلَم؟ لقد تساءلتُ خلالَ السنوات الماضية... كان يُفترض بي أن أتساءل منذ البداية، لكنّك تتميّزُ بشخصيّةٍ نادرةٍ للغاية—كان الأمرُ مُشتّتاً. لكنّي سأسأل الآن». عيونها البرّاقة تخترقني، باحثةً ومُصدِرةً للأحكام: «هل أنتَ مجنون؟».

أنظرُ إلى كاسيوس: «هل أنتِ؟».

– «غيرة؟ كَم هذا سخيف!». تميلُ نحوي هامسةً بصوتٍ مَبحوح: «مِن المعيب أنّكَ لا تحترمني بما يكفي لتفترضَ أنّ لديَّ خطّتي الخاصّة. تعتقدُ بأنّي هنا لأنّ آلام شهوتي قد رَمتني في أحضان ابن بيلونا. أرجوك. أنا لستُ عاهرةً شَبِقة. أنا أحمي عائلتي بكلّ الوسائل الممكنة. من تحمي أنت سوى نفسك؟».

– «إنّكِ تخونين عائلتكِ بوجودكِ معه». ليس لديّ إجابة مزيّفة يمكن أن تكون مكافئة للحقيقة. عليّ أن أعاني مِن كوني حقيراً في عينيها. مع ذلك لا يمكنني مواجهتهم: «كاسيوس رجُلٌ شرّير».

– «انضج يا دارو». بدا وكأنّها تريدُ أن تقول شيئاً أعمق، لكنّها تهزُّ رأسها فقط وتلتفتُ لتقول: «سيقتُلكَ. سأحاولُ إقناع أوكتافيا بأن توقِفَ ذلكَ مُبكّراً». تخونُها كلماتها في البداية: «أتمنى لو أنّكَ لم تأتِ إلى هذا القمر».

تتركني، ثمّ تشدُّ على يدِ كاسيوس قبل أن تنضمَّ إلى حاشية الحاكِمة المعظَّمة على المِنصَّة المرتفعة.

- «أخيراً وحدنا يا صديقي القديم». يقول كاسيوس، وهو يرميني بابتسامة.

كنّا في يوم مِن الأيام مِثلَ الإخوة. تقاسمنا الطعام وتسابقنا في اليوم الأوّل للمعهد. انقضضنا على عُصبة مينيرفا معاً. كيفَ ضَحِكَ عندما سرقتُ أنا طبَّاختهُم، وسيفرو رايتَهُم. عَدَونا بأحصنتنا تلك اللّيلة، عبر السهول وتحت ضوء القمرين التوأمين. أذكرُ الأسفَ في عينيه عندما أمسكوا بكوين. عندما قام ابن قومي تيتوس بضَربِه والتَّبوّلِ عليه. كيف شعرتُ بالدموع تتدفّق حينها، عندما كنّا مثل الإخوة، قبل أن ينهار كل شيء.

الثلج المنكَّه بالقرفة والبرتقال ما زال يتساقط. يَحطُّ في شعره الأجعد. على كتفيه العريضين. لقد كنّا في الثلج حين قاتلني آخر مرّة. مُقحِماً فولاذاً صدئاً في أسفل أحشائي وتركني لأموت في نجاستي. لم أنسَ كيف ثنى ذلك النصلَ ليتأكّد مِن أنّ الجُرحَ لن يلتئم.

نَصلُه مِن الأبانوس الآن.

إنّه ملفوفٌ أمامه، ليُشكِّل سيفاً ضيّقاً بطولٍ يزيد على المتر عندما يصبحُ صلباً. وليُشكِّل شفرةً سوطيّةً بطولٍ يزيد على المترين عندما يجري تحريرها بوساطة زرٍّ على المقبض، يرسلُ نبضات كيميائيّة عبر البنية الجزيئيّة للنصل. هنالك علامات ذهبيّة على طول النصل، تحكي عن نسب عائلته، عن غزواتهم، عن الاحتفالات التي أقيمت تكريماً لهم. قديمٌ، ومتعجرفٌ، وقويّ؛ أمّا نصلي فعارٍ يخلو مِن أيّة زخارف.

– «إذن، أخذتُ ما هو لك». يقول، وهو يقتربُ ليَنكُز موستانغ.

أضحك: «إنّها لم تكن يوماً لي، وبكل تأكيد ليسَت لك».

الأبيض يصل مندفعاً إلى الأمام بردائه المميّز؛ رأس أصلع، وظهر أحدب.

– «لكنّي كنت معها بطرق لم تختبرها قط». يخفض صوته بحيث لا يسمعه أحد غيرنا، «أتساءل، هل تستلقي وحيداً في اللّيل، مفكّراً بالمتعة التي أمنحها إيّاها؟ هل يغيظك أنّي أعرف كيف تُقبِّل؟ كيف تتنهّد عندما تلمس رقبتها بتلك الطريقة؟».

لا أجيب.

– «كيف تنطقُ اسمي متأوّهةً بدلاً مِن اسمك؟». إنّه لا يضحك. ربّما يشمئزّ ممّا يقوله، لكنّه سيقول أي شي كي يؤذيني. في مُعظم النواحي، ليس برجُل سيّئ. إنّه فقط رجُلي السيّئ أنا: «في الواقع، كانت تتأوّه عندما دخلتُ بها هذا الصباح».

– «ماذا كان ليقول جوليان لو أنّ بوسعه رؤيتك الآن؟». أسأل.

– سيكرّر قول أمّي وسيتوَسّلُ إليّ كي أَقتُلك.

– أو سيبكي على الشيطان الذي أصبَحتَ عليه؟

يفكّ شفرته ويُشغِّل ترس أيغيس خاصّته. ترس أيغيس الذي لديّ يُصدر طنيناً لدى تنشيطه—إنّه طاقة حماية شفّافة مِن الأيون الأزرق التي تتقوّس على نحوٍ طفيف لدى انبثاقها مِن كفّي الأيسر، بطول قدمٍ وعرض قدمين. الثلج يذوب عندما أمرّرُ تِرسَ أيغيس بالقرب مِن الأرض. هالةٌ مِن الضباب تتشكّل حول الضوء الأزرق.

- «كلّنا شياطين». ضحكته المفاجئة تطفو للأعلى مثل شريطٍ مِن الحرير يُحمَل بعيداً مع النسيم: «هذه مشكلتكَ دائماً يا دارو. لديكَ نظرة مبالغ بها عن نَفسِك. تعتقدُ بأنّ لديكَ نوعاً مِن الأخلاق الخفيّة. تعتقدُ بأنّكَ أفضلُ مِنّا، بينما أنتَ في الواقع أقلّ. على الدوام تُمارِس ألاعيبَ لا تستطيعُ إتقانها مع أشخاصٍ لا يُمكِنك مُجاراتهم».

- جاريتُ جوليان على نحوٍ جيّدٍ كفاية.

- «أيّها النغل الوضيع». يتلوّى وجهه، ويندفعُ إلى الأمام صارخاً من دون كلمات، دافعاً إيّاي إلى الخلف قبل أن يتمكّن الأبيض مِن تقديم مُباركته. إنّهم يصرخون طالبين منّا التوقّف، لكن مع علوّ صوت الشفرات، تتلاشى الصيحات، وجميع الأعين تتّسع، بينما يصدرُ المعدنُ القاتل للرّجال صوتاً كالعويل وسط الثلج المتساقط ببطء. يستخدم مبادئ الكرافات. أربع ثوانٍ مِن الدقّة، والعنف الحركي، والانسحاب، والتقييم، والاشتباك.

إننا الصوت الوحيد في هذا المكان الغريب. حيث الصفيرُ الحاد والغريبُ للسوط المقوس. وطنين الشفرة الصلبة. والفرقعة أثناء تتطاير شرارات بيضاء مِن تُروس أيغيس على الأذرع اليسرى عندما تلسعها النصال. وسحق الثلج وصرير الجلد.

على الرّغم مِن غضبه، كاسيوس مثاليٌّ في أدائه. قدماه تتحرّكان على نحوٍ متعرّجٍ من دون أن تتقاطعا؛ وركه يدور حول نفسه عندما ينفّذ سلسلةً مِن الطعنات الكثيفة المتتالية. تنفّسه يصبح منتظماً وموزوناً. يَضرِب سوطه بقوّة نحو الأمام بحركةٍ دورانيّةٍ واسعة، ثمّ يجعلُ النصلَ يتصلّبُ ويلوِّح به للأعلى مُستهدفاً منطقتي الحسّاسة. حركاته أشبه برفرفةٍ سريعة، مدرّبة،

مصقولة على يد معلّمي وسيّافي الجمعية. مِن السهل أن نفهم لماذا كان يسحقُ خصومه منذ طفولته، لماذا شقَّ أحشائي في المعهد. لأنّ أعداءه يقاتلون مثله، ولكنْ أبطأ. أنا لا أقاتل مثله. تعلّمت ذلك الدرس.

الآن سيتعلّم هو درسه.

– «لقد كنتَ تتدرّب. بوسعكَ مجاراة مجموعة مِن ستّ حركات». يقول، وهو يتراجع. يندفع إلى الأمام، متظاهراً بضربةٍ إلى الأعلى ليقوم بضربةٍ سفليّةٍ دورانيّةٍ واسعةٍ مستهدفاً كاحلي: «لكنّكَ لا تزالُ مبتدئاً». يوجِّه نحوي وابلاً مِن سبع ضربات، تكادُ تخترقني عبر كتفي الأيمن. أستطيع تمييز نَمطِ الهجوم هذا، لكنّي ما زلت أبطأ منه بجزءٍ بسيط. بالكاد أهرب، ملقياً بنفسي بعيداً عن مسار الطعنات في آخر لحظة. مجموعتان أخريان مِن سبع حركات تأتيان بتتالٍ سريع. بالكاد أهرب مِن الأخيرة، واقعاً على ركبي، لاهثاً، وأنظر مِن حولي إلى الضيوف المجتمعين.

– «أتسمع ذلك؟». يسأل. لا أسمع شيئاً سوى صوت الريح وخفقان قلبي: «هذا صوت الموت وحيداً. ما مِن أحدٍ ليبكي. ما من أحدٍ ليهتم».

– «أركوس سيهتم». أهمس.

يتجمّد في مكانه: «ماذا قلت؟».

– «لورن أركوس الذهبيّ سيهتمّ إن مات تلميذه الأخير». أقول، مُتخلّياً عن التنفّس المرهق الزائف، وأنتصب بفخر. كاسيوس يحدّق بي وكأنّه رأى شبحاً. إنّه متردّد، وكذلك أولئك الذين يسمعون ما أقول: «بينما كنتَ أنتَ تأكل، كنتُ أنا أتدرّب. بينما كنتَ أنتَ تشرب، كنتُ أنا أتدرّب. بينما كنتَ أنتَ تسعى خلف المتعة، كنتُ أنا أتدرّب منذ الأسابيع التي تلت المعهد إلى الأيّام التي سبقت الأكاديميّة».

– «لورن أركوس الذهبيّ لا يقبل تلاميذ». يهسهس كاسيوس: «منذ ثلاثين عاماً».

– لقد قام باستثناء.

– كاذب!

– «أوه؟». أضحك: «أتظنُّ بأنّي أتيت إلى هنا كي أُقتَل؟ أتظنّ بأنّك جديرٌ بحياتي؟ كلّا يا كاسيوس. أتيتُ إلى هنا لأقضي عليكَ أمام والديك».

يخطو إلى الخلف، نظراته تنتقل متراقصةً بين أبيه وكارنوس. أُميلُ رأسي نحوه: «هيّا يا أخي. ألا تريد أن ترى حقّاً كيف يمكنني القتال جيّداً؟».

يتوقّف فأنقضُّ عليه مثل حيوانٍ ليليٍّ مفترسٍ، الأكتاف محدّبة بحرصٍ بدائيّ وهادئ كالظلمة نفسها.

كلمات لورن تعود لتتردّد في ذهني: «الأحمق ينزعُ الأوراق. المتوحش يقطع الجذع. والحكيم يقلع الجذور». ولذا أسلخ ساقيه، موجّهاً له مجموعةً مِن الضربات تلو الأخرى. ليس لأربع ثوانٍ مثلما يقوم الذهبيّون بتعليمها، ولكنْ لسبْع، ومِن ثمّ ستّ، بالتناوب، ومِن ثمّ أكسر النمط. مجموعة مِن اثنتي عشرة حركة.

دفاعهُ مُحكَم. وإن قاتلتُ بالطريقة نفسها التي علّمني فيها القتال، لكنتُ قُتلتُ على يديه، لكنّي تعلّمتُ التَحرُّك مِن قِبَل عمّي، والقتل مِن قِبَل أسطورة. أثور غاضباً وأدور، رافعاً قدمي وأهوي نحو الأسفل ضارباً إيّاه مثل إعصارٍ عظيمٍ يصفعه، ويسحقه، ويطرقه دافعاً إيّاه نحو الخلف. وعندما يهجم، أنحني جانباً لمدّةٍ تسمح لي بتحطيمه، مثلما درّبني لورن أركوس الذهبيّ. تحرّك في دائرة. لا تنسحب إلى الخلف. لا مجال للقيام بهجومٍ عندما يسمحُ المَرء بأن يُدفعَ إلى الخلف. استخدم قوّتهُم لخلق

زوايا جديدة. أنساب مِن حوله. طريقة الصفصاف. جميلٌ وسلسٌ، مثل أغنية الربيع في الدفاع، ثمّ لاسعٌ ومريعٌ مثل فروع شجرة الصفصاف في ذروة الشتاء عندما تَعصِف الرياح الجليديّة القادمة مِن الجبال.

في داخلي، أحمرُ يواجه ذهبيّاً.

نصْلي يتبدّل بسرعةٍ بين سوطٍ ونصلٍ منجليٍّ مقوّس. يصطدم بسيفه، وترس أيغيس على جانبه الأيسر يفرقع مِن قوّة ضرباتي. يترنح كاسيوس. إنّه مُقاتِلٌ محترفٌ يسحقه مقاتل شوارع.

أضحك. أضحك بجنونٍ، والجموع مِن حولي تهتف مصدومة، بعضهم يصرخ عندما أضربُ ترس أيغيس الخاص بكاسيوس بشدّة لدرجةٍ تفوق تحمُّله. الشرارات تهسهس مِن وحدة التحكّم التي على ذراعه. أصنعُ جرحاً هناك، واحداً في كلٍّ مِن مِرفَقه، ورُضفَته، وكاحله. أضربُ النصل بخفّة إلى الأعلى لألسعَ وجهه. أتوقّف، ثمّ أتحرّكُ بسلاسةٍ إلى الخلف، مُستعرضاً السوط، وهو يتموّج مشكّلاً نصلاً منجليّاً مقوّساً. أولئك الذين يشاهدون هذا لن ينسوه أبداً.

النساء يصرخن مِن أجل كاسيوس. حبيباته في شبابه، اللّواتي يشاهدن الآن الرجُل الذي نشأنَ معه، الرجُل الذي طارحهم الفراش، يتركهنّ مع وعودٍ كاذبة، ويجعلهنّ يعتقدن بأنهنّ سيفقدن للتوّ الأقوى في جيلهنّ. يشاهدن كيف أنّ رجُلاً آخر يحوّله إلى كتلةٍ نابضةٍ مِن الدماء.

أحرجهُ، لكنْ هذا كلّه لغاية؛ كل ذلك لجعل الكراهية المتأجّجة بين آل بيلونا وآل أوغوستوس تغلي متحوّلةً إلى حرب.

أسير حول الدائرة مثل أسدٍ في قفصٍ إلى أن أصبح أمام الإمبراتور بيلونا.

- «ابنك سيموت». أقول بوحشيّة، على بُعد قدمٍ مِن وجهه.

إنّه ضخمٌ، ذو فكٍّ مربّع، لطيفٌ، مع لحيةٍ مدبّبة. عيناه تلمعان وتعِدان بفيضٍ مِن الدموع. لا يقول شيئاً. إنّه رجُلٌ نبيل، وسيتبع طريق النبلاء، حتّى لو كان ذلك يعني أنّه سيشاهد ابنه المفضّل يموت.

حتّى وأنا وسط غضبي، أشعر بالعار. أشعر بفظاعة كوني الرجُل الذي أتى مِن الظلام ليهاجم عائلةً بوحشيّة. «هل ستشاهد فقط؟». أصرخ على بيلونا. زوجة الإمبراتور بيلونا ليسَت بهذا القدر مِن النبل. إنّها تغلي مِن الغضب، وتنظر نحو الحاكِمة المعظَّمة نظرةَ اتّهام. أفهم ما الذي تريده.

أعود إلى كاسيوس. عليهِم أن يشاهدوا فقط من دون القيام بأيّ شيء، مثلما شاهدتُ إيو.

- «ليدي بيلونا، هل أنت نبيلةٌ بما يكفي كي تشاهدي ابنك كاسيوس يموت؟ كي تشاهديه وهو يختفي مِن العالم؟». شفتاها تلتويان. تهمسُ لكارنوس وكاغني: «أهذه هي قوّة عائلة بيلونا؟ هل ستشاهدون كالأغنام بينما يقتحم ذئبٌ القطيع؟».

أصنعُ من هذا كلّه عرضاً هائلاً لأولئك المتحمّسين ذوي الدم الحار. يحاول كاسيوس القتال. يتعثّر عندما أجرح رضفته، ليسقط في الثلج قبل أن يحاولَ النهوض على قدميه على نحوٍ يائس. دمه يترك أثراً في الثلج. بهذه الطريقة قتلَ تيتوس ببطء. إنّه مذعور، يحدّق في عائلته، وهو يعلم بأنّها ستكون آخر مرّة يراهم فيها. ليس لديهِم وادٍ. هذه الحياة هي جنّتُهُم. على الرّغم مِن كل شيء، إنّه مشهدٌ حزينٌ، وأنا أشفق عليه.

كاغني، مدفوعةً مِن قِبَل الليدي بيلونا، كانت قد خطت خطوةً إلى الأمام بالفعل، وجهها الحاد والجميل يعتريه الغضب. أريد فقط إيذاء ابن

عمّها القوي كاسيوس أكثر قليلاً، لكنّ الإمبراتور بيلونا يجذُبها إلى الخلف بيدٍ حازمة. يُحدِّق بغضب نحو أوغوستوس، ثمّ يُمعِن النظر في الحشد.

- لا أحد مِن آل بيلونا سيتدخّل. أقسم بشرفي.

مع ذلكَ فزوجتهُ لا توافِق. توجِّه نظرَةً حادّةً أخرى نحو الحاكِمة المعظَّمة، والحاكِمة المعظَّمة ترفعُ يدها: «توقَّف!». تنادي: «توقَّف يا أندروميدوس!».

في الواقع لقد صُعقتُ مِن هذه المقاطعة.

الجميعُ ينظرُ إلى منبر الحاكِمة المعظَّمة. كاسيوس يلهثُ مُلتقِطاً أنفاسه. لا يُمكنها أن تكون بهذا الغباء. هل يمكنها؟ المقاطعة تؤكّد الشائعة لي وللجميع. الحاكِمة المعظَّمة تكشِف عن تحيُّزها. لقد اختارت عائلة بيلونا. سيخلعون عائلة أوغوستوس مِن المرّيخ. كاسيوس سيكونُ مهمّاً مِن أجل هذه الخطّة. الآن بسبب سوء تقديرها، إنّه على وَشكِ أن يموت وخطّتها ستُخفق. مع ذلك لم أكن أملكُ أي فكرة بأنّها ستفعل ما تهمُّ بفعله. إنّه أمرٌ غبيٌّ جدّاً. بلا أيّ بُعدِ نظر. كبرياؤها جعلها حمقاء.

«هنالك مُلحقٌ للقواعد. بما أنّ الأبيض لم يتمكّن مِن منح بَركَته المعتادة، فستكون المبارزة حتّى الموت، أو الاستسلام». تعلنُ ذلك، وهي تنظرُ نحو والدة كاسيوس: «هذه هي حدود النزال. العديدُ مِن أبنائنا المميّزين نفقدهم في مدارسنا. لا حاجة لأن نفقد هذين الرجُلين الممتازين مِن أجل مزاحٍ في باحة المدرسة».

- «حاكِمتي المعظَّمة». ينادي أوغوستوس، مُتلهِّفاً بجشعٍ لجائزته الدمويّة: «القانونُ واضح. حالما تُعلَن المبارزة، القواعد لا تُعدَّل مِن قِبَل أيّ رجُل، أو امرأة».

- إنّكَ تستشهد بالقوانين. يا لها مِن مفارقة ممتعة، تأتي منكَ يا نيرو!

هنالك همسات ساخرة مِن الحشود، ممّا يخبرني بأنّ الشائعات حول تورّطه بالتلاعب بالمعهد مِن أجل الشَّغبَر رائجةٌ جدّاً.

- «يا حاكِمتي المعظَّمة، نحن نقف إلى جانب أوغوستوس في هذه القضيّة». يفجِّر صوتٌ ذلك. داكسو تيليمانوس الذهبيّ يخطو إلى الأمام. شقيق باكس الأكبر، طويل كما كان صديقي، لكن أقلّ توحّشاً. إنّه أشبه بشجرة صنوبر أكثر منه بجلمودٍ ضخم. إنّه مثل أبيه كافاكس، أصلعُ الرأس، ولكنْ منقوش عليه ملائكة ذهبيّة. بريقٌ ماكرٌ يتراقص في عيونٍ ناعسةٍ مُعشعِشة تحت حاجبين كبيرين مُتموّجين.

- «ليس بالأمر المفاجئ». تزمجر والدة كاسيوس.

- «غِشٌّ وخِداع!». كافاكس، والد داكسو يزأر. يربّت بانتناوب على لحيته الحمراء المنقسمة، والثعلب الأليف الكبير الذي يحتضنه على ذراعه اليسرى: «هذا يفوحُ بالغشِّ والتَّحيز. طبعي هادئ، لكنّني أجدُ نفسي مُهاناً، مُهاناً!».

- «حذارِ يا كافاكس!». تقول أوكتافيا ببرود: «بعضُ الأمور لا يمكن التراجع عن قولها».

- «لماذا سيقولها إذنْ؟». داكسو يسأل، مُحدِّقاً في عائلات العمالقة الغازيّة، حيث يعلمُ بأنّه سيجد حلفاء له في هذا النقاش: «لكنْ أعتقد بأنّه سينصحكِ الآن، يا حاكِمتي المعظَّمة: حتى كَلماتكِ لا يُمكِنها أن تغيِّر القانون. اكتشفَ والدكِ هذا بيدكِ أليس كذلك؟».

إيرينيّات الحاكِمة المعظَّمة يتقدّمنَ إلى الأمام مُهدِّدات. مِن جانبها،

تكتفي الحاكِمة المعظَّمة بابتسامةٍ صارمة. «لكنْ يا أيّها التيليمانوس الشاب، إنّكَ تخفق في تذكُّر أنّ كلمتي هي القانون».

هذا أمرٌ لا ينبغي أن تقومَ به. الذهبيّ قد يَحكُم ذهبيّين آخرين، لكنّ إظهار سُلطتك على العلن فيه مجازفة عليك تحمُّل تبعاتها. لقد مضى وقتٌ طويلٌ على وجود الحاكِمة المعظَّمة على عرش الصباح لدرجة أنّها نسيتَ ذلك. كلماتها ليست قانوناً، وإنّما أصبحت الآن عبارةً عن تَحدٍّ.

والذي أقبَلهُ بذراعين مفتوحتين.

إنّها تعلم بأنّ تلكَ الكلمات كانت خاطئة عندما تلتقي نظراتُنا وندركُ كلانا في تلك اللحظة بأنّ هنالكَ حركةً واحدةً بوسعي فعلها ولا يُمكِنها مواجهَتُها.

– «لن تسرقوا ما هو لي». أهدر.

أستدير نحو كاسيوس. يرفعُ نَصلَه. لم يسمح لي قطّ أن أستسلم في وَحلِ المعهد. يعلمُ بأنّي لن أدعه يستسلم الآن. وجههُ يُصبِح شاحباً لدى انقضاضي. إنّه يفكّر بكلّ ما سيخسره. كم هي ثمينة حياته! إنّهُ ذهبيٌّ في نهاية الأمر. يصيحُ الآخرون عليّ كي أتوقّف، يصرخون بأنّ هذا ليس عادلاً.

هذا هو تعريف العدالة.

كانوا سيدعونني أموت.

إنّه يستهدفُ بالطعنات حلقي. هذه خدعة. يضربُ بشفرتِه نحو الأسفل لتلتفَّ حولَ ساقي. يتوقّع أن أتراجع. أنقضُّ نحوه مباشرةً، داخل قوسِ ضربته، أقفز فوق رأسه في الجاذبيّة الضعيفة، ثمّ أضرب بسوطي نحو الخلف مِن دون أن أنظر. يلتفّ سوطي حول ذراعه اليمنى المدودة.

أضغطُ على الزرّ الذي يجعل الشفرة تنقبض، ومع صوت غصن شجرة متجمّد يفرقع في الشتاء، أنتزعُ ذراع كاسيوس بيلونا الذهبيّ الحاملة للسلاح.

إنّه مزيجٌ متساوٍ مِن الصَّمتِ والصراخ. لا ألتفت لبرهة. وعندما أفعل، أجدُ كاسيوس لا يزالُ واقفاً، مُترنّحاً، لم يبق له الكثير في هذا العالم. لا أحد آخر يتحرّك مع سقوط كاسيوس. والده ينظر إلى الأرض بصمت.

- «قلتُ توقّف!». تصرخُ الحاكِمة المعظَّمة. اثنتان مِن الإيرينيّات تقفزان مِن المِنبَر وتهبطان، والنصال تتراقص في أيديهنّ.

«أنْهِ الأمرَ». يأمرُ أوغوستوس.

أمشي متبختراً باتّجاه كاسيوس. يبصق عليّ بشفتين مرتعشتين. لا ينفكُّ حتّى الآن من إظهار ازدرائه. أرفعُ نصلي. عندها تمسكُ يدٌ بمعصمي. ليسَت بقبضة حديديّة، بل قبضة ناعمة. دافئة مُقارنة مع بشرتي. لطيفة.

- «لقد ربحتَ يا دارو». تقول موستانغ بهدوء، تلتفُّ مِن حولي لتصبحَ أمامي بحيث تلتقي نظراتنا. الإيرينيّتان تتوقّفان خارج الدائرة: «لا تخسَر نفسك مِن أجل هذا».

لا يمكن أن أتخيّل إيو، وهي تشاهدني مِن الوادي. في هذا الجحيم، فقدت إيماني. موستانغ تعيدهُ بحركةٍ خاطفة. قد تشاهدني إيو، وربّما لا. أمرٌ واحدٌ فقط هو المؤكّد؛ موستانغ تشاهدني الآن، وما أراه في عينيها كافٍ ليجعلَ يدي تنخفضُ إلى جانبي. عندها تبتسم، وكأنّها رأتني مُجدّداً لأوّل مرّة منذُ سنوات.

- ها أنتَ ذا.

- «اقتلوه!». تصرخ والدة كاسيوس: «اقتلوه الآن!».

– «كلّا!». يزأر الإمبراتور بيلونا. لقد فات الأوان.

تتّسعُ عينا موستانغ.

أستدير في الوقت المناسب لأرى الدائرة تتلاشى، منهارة نحو الداخل، وكأنّها مصنوعةٌ مِن الرمال. ليس دفعةً واحدةً، وإنّما على نحوٍ متردّد. واحد مِن آل بيلونا يركض باتّجاهي بصمت، على نحوٍ منخفضٍ وقاتل. يتبعه آخر، ثمّ يأتي تاكتوس مِن مجموعة أوغوستوس. ومِن ثمّ فارسٌ رمّاح آخر. أسمعُ صيحاتِ حَربِ صديقي. واحدٌ آخر يكرّرها. كان هنالك أكثر مِن ذهبيّ واحد حاضر في جيشي.

كاغني ذهبيّة بيلونا هي أوّل مَن يصل إليّ. نصلي المسروق يتّجه لضرب عنقي. أنحني لتفاديه، لكنْ كنتُ لأفقِدَ رأسي لو لم ترمِ موستانغ بنصلها كي تصدَّ الضربة القاطعة. الشرارت تلسعُ وَجهي، وتاكتوس يضربُ كاغني مِن الجانب، ليقطعها على نحوٍ نظيفٍ إلى نصفين.

صراخ.

ميدان النزيف ينهار بالكامل. الذهبيّون مِن آل بيلونا وآل أوغوستوس يهرعون لحماية زملائهم. البقيّة هربوا. كارنوس يوجّه ضربات قاطعة لتاكتوس—ما يفوق طاقة صديقي. أهرع لمساعدته، لأحميه إلى أن تصل فيكترا والبقيّة ويكونوا بيننا نحن وكارنوس. موستانغ تضيع في النزاع. أبحث عنها بجنون. نصلٌ يلمعُ فوقَ رأسي.

الصيحاتُ تتفجّر مع دعوة الحاكِمة المعظَّمة للسلام، لكنّ الأمر خرج عن سيطرتها. امرأة تصرخ فوق جسد كاغني الممزّق. عشرات مِن الرجال والنساء، جميعهم مع نصال، يضربون بعضهم. تاكتوس يرمي لي الشفرة التي سَرقَتها كاغني، ثمّ يستقبل نصلاً عبر كتفه ليحميني مجدّداً.

أستدير لمساعدة صديقي وأقطع ذراع رجُل بيلونا، وهو يسحب نصله مِن تاكتوس. أشدُّ صديقي نحوي. وأشقُّ الطريق بضرباتٍ لاذعة. نَصلٌ يَخدِش ساعدي. ألمحُ موستانغ في الفوضى، تُغطّي جسد كاسيوس المَجروح. لا أعلم إن كان آل بيلونا سيقتلونها. يتركونها تجلس إلى الطاولة. مع ذلك لا أعلم. أندفعُ نحوها مُلقياً بثقلي على الأجساد التي بيننا. تاكتوس يساعد.

أصطدم بامرأة، أنطونيا. عيونها تومض، وهي توجّه سكّيناً إلى معدتي، لكنّ فيكترا، أختها، تَلكُمها في وَجهها، وتاكتوس يركل رأسها في أثناء سقوطها. فيكترا تقدِّم لي ابتسامة ضاحكة إلى أن جاء كارنوس وشدّها مِن شعرها إلى الأسفل. إنّه يَصدُّ الهجوم ليدخل حينها ليتو المعركة، ويردّ هذا الهجوم الواسع بضرباتٍ دقيقةٍ مِن شفرته القوس قزحيّة. آل تيليمانوس ينضمّان إليه، الأب والابن يسحقان بشفرات تبلغُ نصف حجمي كلَّ ذهبيّ يأتي أمامهما.

- «تاكتوس، معي!». أصيح.

تاكتوس ينزف، لكنّه واقفٌ ويعوي بجنون، وكأنّه لا يزال يقاتل إلى جانب سيفرو. معاً، نقفز لمسافةٍ عاليةٍ في هذه الجاذبيّة الضعيفة. يعلم بأنّي ذاهبٌ لجلب موستانغ، لكنّ آل بيلونا كُثر، وشفراتهُم مُميتة.

- «موستانغ!». أصيح مُتصدّياً لاثنين مِن آل بيلونا. لأشقَّ وَجه أحدهِم، وألكُمَ الآخر في حلقه بترس أيغيس الخاصّ بي. ينضمّ آخر إليهم، وآخر، إلى أن أصبح هنالك حاجز كثيف مِن آل بيلونا يقفُ في طريقي.

- «احْمِ الحاكِمَ العام!». تصرخُ موستانغ عليّ، بصوتٍ أكثر هدوءاً مِن صوتي، يجعلني أشعرُ بأنّي أحمق مَهووس بالشهامة والفروسيّة. بالطبع

هي لا تريد منّي أن أحميها: «احْمِ أبي!». وعلى الرغم مِن عدم قدرتي على رؤيتها مِن بين الحشد إلّا أنّي أطيع.

أدعُ تاكتوس يسحبني بعيداً مِن ياقتي نحو صفِّنا المتراجع، الذي يتعرّض لهجومٍ مِن الجانب. شخصٌ آخر يزأر علينا بأن نحميَ أوغوستوس. آخرون يصرخون بحماية الإمبراتور بيلونا وكاسيوس. العديدُ مِن لوردات العائلات يؤخذون بعيداً مِن قِبَل مَجموعاتٍ مُسلّحة مِن عائلاتهم التي تنسحب مِن الفوضى شاهرةً نصالها. يهربون مِن البرج المدبّب مستخدمين المصاعد لتخرجهم مِن المكان، كون الأحذية الثقاليّة ممنوعة. أصبح المكان شِبهَ مهجور. الحرس البريتوري للحاكِمة المعظَّمة—سبجيّون وذهبيّون يرتدون الأرجواني والأسود—يتجمّعون حولها ويطيرون بها بعيداً عن الحفل المدمَّر. شفراتٌ ونصالٌ نبضيّة تملأ الأيدي الغليظة. الرماديّون يأتون بقيادة الذهبيّين مرتدين ثياب الحرس البريتوري الأرجوانيّة ليفرّقونا. إنّهم يرتدون معدّاتٍ لمكافحة الشغب، وحرّاقاتهم تطلقُ كرات الألم وموجات التشتيت على العائلات المتقاتلة، لتشتّت الذهبيّين مثل ذباب الصيف.

– «أوغوستوس!». يصرخ كارنوس الضخم، وهو يندفع مِن صفوف آل بيلونا عبر موجات التشتيت مثل رجُلٍ مجنون. يطرح أحدهم أرضاً بكتفه، مهشّماً وجه فارسٍ رمّاح بترس أيغيس الخاص به، ومُنقضّاً بتهوّر على أوغوستوس، آمِلاً أن يَقتُلَ خصمَ عائلته بهجومٍ واحدٍ مُميت: «أوغوستوس!».

ليتو، أفضلُ مبارزينا وحارسُ أوغوستوس، يعترضه مِن أمام الحاكِم العام.

- «إيك سونت ليونيس!». ينادي إلى السماء.

ليتو يتحرّك مثل البحر، رشيقاً ورهيباً في جلاله. يدفع كارنوس إلى الخلف، وكان على وشك أن يشقّه على طول بطنه حينما تعثّر فجأة. يتجمّد في منتصف الحركة. يتراجع كارنوس إلى الخلف، ثمّ يستقيم، ربّما مرتبكاً لأنّه لا يزال حيّاً. يميل برأسه نحو ليتو، الذي يمدّ يده نحو فخذه، كما لو أنّه تعرّض لقرصة.

يهوي ليتو ببطءٍ على ركبتيه، وذراعاه مثقلتان. شعره الطويل يتساقط على وجهه، ثمّ يبدو أنّه تجمّد في مكانه، فجأةً بلا أي حركةٍ وسط هذه الفوضى. تتوهّج عيونه الحزينة بدخان محرّك سفينة عابرة تبحر بسلام، وهي متّجهة نحو الأفق. إنّه جميلٌ في هذه اللّحظة قبل أن يقطعَ كارنوس رأسه.

- «ليتو!». يزأر أوغوستوس.

تتّسع عيناه حاثّاً رجال آل تيليمانوس على التحرّك، فيحملونه بعيداً. ألمحُ الشغبر، وهو يدسُّ قلمهُ الفضيَّ في كمّه، ذلك الذي كان يدوّره بين أصابعه في أثناء اقتراحه لتحالفنا السري.

نتبادل النظرات.

يبتسم ابتسامةً عريضةً تظهر أسنانه.

لأعلم بأنّي عقدتُ صفقةً مع الشيطان.

# 13

# الكلاب المجنونة

نهربُ مِن قمّة البرج المدبّب. كان عليّ أن أتركَ موستانغ ورائي. إنّها تعرف ماذا تفعل. على نحوٍ ما تمكّنت مِن نسيان ذلك. اللعنة! إنّها دوماً تعرفُ ما تفعلُه بالضبط.

– «لن يؤذوها». يقول أوغوستوس لي، وأعتقد بأنّها المرّة الأولى التي أرى فيها مشاعر على وجهه. كلّا، إنّها الثانية؛ عندما صرخ مِن أجل ليتو، كان الأمر وكأنّه فقد ابنه. إنّهُ يظهرُ هكذا الآن، وجهه مُترهّل وأكبر بعشرين سنة. لقد فقد ابنه الأكبر. فقد زوجته الثانية، أمّ أولاده. والآن فقد الرجُل الذي تبنّاه ليحلَّ مَحلَّ ذلك الابن، ويخشى على المرأة التي تذكّره بتلكَ الزوجة.

إن آذوها سيكون ذلك بسببي.

أنا مَن حرَّكَ الأمور. للمرّة الأولى، لا يُمكن للأمور أن تسيرَ على نحوٍ أفضل. الدم يقطر إلى أسفل يدَيّ مُشكّلاً طبقةً بين الأصابع، يتجمّع حول لحم الظفر على شكل حدوة حصان. تنقبضُ البراجم مُبيَضّة حيثُ لا يوجدُ دم. إنّه يثيرُ اشمئزازي، لكنْ هذا ما صُنعَت مِن أجله يداي.

نهربُ مِن مكان الشتاء والأشجار بعد أن غمرناه باللّون الأحمر. يحمل الكثيرون جَرحانا، عددهم اثنا عشر تقريباً. سبعة قُتلوا. بالكاد يوجد عشرون شخصاً مِن الحاشية لم يُصابوا بأذى. البقيّة مَفقودون. ليتو الذي لا مثيلَ له رحل، مساعدُ بليني قُطِع إلى نصفين، وواحدة مِن البريتوريّين الذين معنا تتلقّى نصلاً في رقبتها مِن كيلان بيلونا الذهبيّ.

أحملُ البريتور بين ذراعي وأحاول إيقاف النزيف بينما نأخذ المصعد إلى أسفل البرج المدقق. فرصة ضعيفة. فيكترا تضغط قطعةً مِن ثوبها على الجرح.

كنتُ لأعطي أيَّ شيء مُقابل زوجٍ مِن الأحذية الثقاليّة. نتجمّعُ متراصّين حول سيّدنا. الشفرات مُشرَّعة. الدم يغطّي ذراعي حتّى مرفقي. العرق يسيل على وجهي وأضلاعي. القطرات الحمراء تتناثر على أقدام جماعتنا على أرضيّة المصعد، تقطر مِن الأيدي، مِن الجروح والنِصال. على الرّغم مِن ذلك فهنالك ابتساماتٌ بيضاء ترتسمُ على الوجوه مِن حولي.

أشعرُ بالحرِّ في بزّتي، لذا أفتحُ الأزرار العُليا. تاكتوس ينزفُ بجانبي. جُرحه يخترق كتفه الأيسر. طعنٌ نظيف.

- «إنّه مُجرّد دم». يخبر فيكترا، التي تقلق بشأنه.

- إنّه ثقبٌ يَخترِقكَ.

- «ليسَ بالأمر الغريب». يبتسمُ عندَ خَصرها: «تبّاً! لديكِ ثقبٌ في جسمكِ، وأنتِ لا تريننني أشتكي. إنهاااييي». يصرخُ بينما تُقحِم ضمادةً مِن ثوبها في جرحه. يضحكُ مِن وَجعِه لثانية أخرى، ثمّ ينظرُ إليّ ويهزُّ رأسه، بعينين مُثارتين سعيدتين: «التدرّبُ مع لورن أركوس الذهبيّ، يا رجُل. أيّها القوّادُ الوَضيع».

لقد أنقذني مِن كاغني. أومئ برأسي وأنكزُ قبضاتنا الملطَّخة بالدماء، مُتناسياً الإهانات والمراهنات على حياتي مؤقّتاً.

العديدُ مِن الذهبيّين الآخرين -بريتوريّون، فرسان، رجال ونساء عسكريّون على نحوٍ خاص—ونسبتهُم لدينا أكثر مِن نسبة السياسيّين والاقتصاديّين بالمقارنة مَع أغلبِ العائلات الأخرى—يمسحون حواجبهم مخلّفين آثاراً حمراء. هؤلاء نوع مِن الذهبيّين الذين سيخبرونكَ بأنّ مشكلة كونكَ ذهبيّاً هي بأنّ الجميع حاليّاً قد دُحروا مسبقاً؛ يعني أنّهُ لا وجودَ لأحد يستحقُّ القتال. لا وجود لأحد يمكنك أن تستخدم ضدّه كل هذا التدريب والقوّة. حسناً، لقد منحتهم للتوّ طعماً جديداً للمعركة. وعلى الرّغم مِن أنّ حارس حاكِمهم قد قُتِل، وأنّ قائدهم البريتوري ينزف على كتفي، وأنّ موستانغ في أيدي العدو، إلّا أنّهم يريدون اللّعب، وصُنعُ الجثث هي لعبة اليوم.

كبار السنّ والشباب ينظرون إليّ نظرات جوع. ينتظرون أن يجري إطعامهم.

هكذا يبدو الأمر عندما تكون ألفا مهيمن، العريف. البقيّة تنظر إليكَ لتُرشِدهم. بوسعهم شمُّ رائحة الدم اللاذعة عليك حتّى قبل أن تكون هناك. العمر لا يهمّ. الخبرة لا تهمّ. كل ما يهم هو أن أزوّد أبناء العاهرات المرضى هؤلاء بقَتلى جُدد.

الأطفال يبكون مِن حولنا، ممّا يفزعني. أشياء بهذه الهشاشة في ليلةٍ كهذه. أبناء وبنات شقيقة أوغوستوس الصغرى. أباهُم يُمسِّد شعرهُم كي يُهدّئهُم. تنحني زوجته مزمجرةً وتصفع كل طفل على وجهه إلى أن يمتنع عن النحيب: «كونوا شُجعاناً».

أتباعنا مِن السبجيّين والرماديّين لا ينتظروننا على الأرض. لقد أُخِذوا إلى مكانٍ ما. ولا حتّى سبجيّو الحاكِمة المعظَّمة، أو ذهبيّوها لم يأتوا عبر الجوّ. ما يعني بأنّها لم تقرّر ماذا ستفعل بعد. تماماً كما ظننت. لا تستطيع ذَبحَنا. أن تقومَ عائلةٌ بمَحوِ عائلةٍ أخرى أمر، لكنْ أن تقومَ قائدةٌ عظيمةٌ بذلك بوساطة السُّلطة والأموال التي اؤتمنتَ عليها مِن قِبَل مجلس الشيوخ فهو أمرٌ مختلفٌ تماماً. لقد حدث ذلك مِن قبل، حينها قُطِع رأسُ ذلكَ الحاكِم المعظَّم مِن قِبَل ابنته. تلكَ الابنة تجلسُ الآن على العرش.

ياه، لا بدَّ من أنّها تكرهني لذلك!

تحت المصعد، تسطع الأضواء على طول الممرّات المرصوفة بالحجارة والتي تعبر غابةً هائلةً من الأشجار المزهرة. لم يعد الموسيقيّون يعزفون. بدلاً مِن ذلك، نسمع صياحاً وصراخاً مع فترات طويلة مِن الصمت المرعب. الذهبيّون يركضون في الأسفل. يهربون إلى القاعات الحجريّة مجتازين الغابة، حيث بوسعهم الوصول إلى سفنهم والطيران عائدين إلى ديارهم. بعضهم فقط لا يهربون. إنّهم يصيدون.

حدث شيءٌ لم أكن أتوقّعه. عداوات بين عائلاتٍ أخرى قد أُشبِعت اللّيلة. كان الشعور نفسه في المعهد عندما أدرك بقيّة الطلّاب بأنّها ليست لعبة، وبأنّه لا يوجد قواعد. شعور غريب، انطباع بأنّ الشياطين يجولون في الأرض بدلاً مِن البشر. مَن يعلم ما الذي قد يفعله أحدهم الآن وقد زالت القواعد؟

بعيداً، هنالك أربعة صيّادين؛ زمرة مِن ثلاثة رجال وامرأة شابّة يندفعون بصمتٍ عبر الغابة. يقفزون فوق الجدول. يركضون مع كل زخم الجوع. وكل طموح الشباب. إنّهم مِن عائلة فالتي على ما يبدو. أُميِّز عيون

ليلاث الأشبه بالزبيب، الفتاة التي أرسلها الشَّغبَر لتُسلِّم كاسيوس التسجيل المجسَّم الذي يظهرني وأنا أقتل جوليان. برفقتها سيبيو، الفتى الشاب الضخم الذي ساعد ذات مرّة أنطونيا بالدخول والخروج مِن غرفة النوم.

نراقبهُم بصمتٍ مع هبوط مصعدنا، حاملين الموت، تتسابق الزمرة الهزيلة عبر الأشجار نحو رتلٍ غير مُدرك مِن أفراد عائلة ثورن، جميعهم في فساتين وبدلات من اللّون الأحمر والأبيض؛ يتوجّهون مذعورين إلى القاعات الحجريّة، لكنْ بعد فوات الأوان. رايتهُم هي الوردة. تسقط مع انقضاض القتلة مِن بين الأشجار. عائلة تموت. إنّه لمخيفٌ كم أنّ الأمر هادئٌ وسريعٌ باستخدام الشفرات! يختلف ذلك عن نزالي؛ فلقد أخذت وقتي؛ أمّا هُم فليس بوسعهم ذلك. أشاهد صبيّاً ابن عشر سنين قد شُقَّ إلى نصفين. لا رحمة لأطفال الذهبيّين. لا يُنظَر إليهم على أنّهم أبرياء. إنّهم بذور الأعداء. دمّرهم، أو ستقاتلهم بعد سنين مِن الآن. امرأة ترتدي فستان سهرة، تصدُّ الهجوم وتتمكّن مِن قَتلِ أحد أفراد أسرة فالتي قبل أن تُصرَع. طفلان يركضان. يُقبض على أحدهما. الأخرى تتمكّن من الهروب. إنّها الوحيدة.

ثمّ أخذَ الفُرسان الرمّاحون لآل فالتي بالرقص. يدوسون الأرض بخطواتٍ كبيرةٍ مبالغٍ بها. يلتفتون في مختلف الاتّجاهات، يسحقون بأصابع أقدامهم الأرض الداكنة، لكنّهم لا يرقصون.

- «تبّاً!». تاكتوس يشتُم ويَلعن، ويَحكُّ وَجهه.

- «الأطفال...». تهمسُ فيكترا.

أوغوستوس لا يقول أي شيء مع وَجهٍ حازمٍ كالحجر.

- «آل ثرون لديهم خمسة عشر طفلاً». الدموع تملأ عينَي فيكترا لتفاجئني.

- «وحوش». يهمسُ الشَّغبَر، فتسري القشعريرة في جسمي بسبب تمثيله المتقن للغاية. إنّه لا يبالي على الإطلاق.

أطفال. هل كانت إيو لتغنّي لو علمت بأنّ هذا هو الكَورَس؟ جميعنا نحمل أوزاراً. ومَع تسلّل القتلة مبتعدين عن العائلة المقتولة، أعلمُ بأنّ وِزري سيحطّمني تحتَ وطأة ثِقلِه يوماً ما، لكن ليس اليوم.

- «لقد فعّلوا مُشوِّش البيانات». يقول داكسو تيليمانوس الذهبيّ. يُظهِر لي بسرعة لوحةُ الرقمي على معصمه: «الألواحُ الرقميّة مُعطّلة. لا يريدون منّا أن نتّصلَ بسفننا في المدار».

أوغوستوس ينظر إلى لوحه الرقمي الفارغ ويقول بأنّ العائلات الأخرى ستحشد قريباً مُرافِقيها مِن السبجيّين، والذهبيّين، والرماديّين. علينا أن نغادر الكوكب ونعود مِن موقع قوّة قبل أن ينقلب المدُّ ضدّنا.

- «أنت مَن افتعل هذه الفوضى يا دارو. أخرجني منها». ينحني نحوي ويتحسّس نبض البريتور التي أحملها: «تخلّص منها. ستكون ميّتة في غضون دقيقة». يفرك يديه: «الأطفالُ أصلاً أرهقونا بما فيه الكفاية».

البريتور تدمدم لي بشيء ما بينما أضعها على أرضيّة المصعد. لا أعرف ماذا تقول. حينما أموت لن أقولَ أي شيء لأنّي أعرفُ بأنّ الوادي ينتظرني في الجانب الآخر. ماذا ينتظرُ هذه المحاربة؟ الظلمة فقط. لم أفهم حتّى كلماتها الأخيرة؛ نلقيها مثل سيفٍ مكسور. أُغمِض عينيها بأصابعي المدمّاة، تاركاً علاماتٍ طويلةً متلاشية. تشدُّ فيكترا على كتفي، مُلاحِظةً الاحترام الذي أبديته.

وأنا أنهض، أُعطي أوامري للفُرسان الرمّاحين وبقيّة الرجال المحاربين. هنالك خمسة عشر بوسعي عَدُّهم قَتلَةً جيّدين. بعضهُم مِن عمري وآخرون

أكبر سنّاً. مع ذلك لا أحد يعارضني، ولا حتّى بليني. آل تيليمانوس خاصّةً توّاقون للانصياع؛ كل واحد منهُم يُثبِّت نظره في عينيّ لمدّةٍ أطول مِن اللازم، ويحنون رؤوسهم بما هو أكثر مِن مجرّد إجراءٍ شكلي.

– «آمل ألّا أحد منكم يشعر بالملل». يضحكون: «سيكون لدينا رفقة إن قرّرت عائلة أخرى بأنّها قد تحظى باهتمام آل بيلونا، أو الحاكِمة المعظَّمة بنيلها مِن رأس الحاكِم العام». أقول. «علينا أن نَقتُل تلكَ الرفقة، ونشقّ طريقنا نحو العنابر. آل تيليمانوس، أنتَ وابنك ستكونان الآن ظِلّ الحاكِم العام. لا تقوما بأي شيء آخر، هل تفهمان؟». يهزّان رأسيهما الضخمين: «إيك سونت ليونيس».

– إيك سونت ليونيس.

عندما يصل المصعد إلى الأرض، هنالك أربعون رجُلاً وامرأةً بانتظارنا. عائلة نورفو مِن ترايتون، وعائلة كودوفان مِن أقمار المشتري.

– «حظٌّ عاثر!». يصيح تاكتوس.

– «عائلتا كودوفان ونورفو معنا». يرد أوغوستوس: «اشتريناهم ودُفِع ثمنهم».

– «خبيث! كودوفان، يا لكَ مِن خبيث!». يصيحُ كافاكس: «ظننتُ بأنّكم رجال بيلونا!».

– «هم كذلك». توقّع أوغوستوس شيئاً كهذا.

أتولّى قيادة الذهبيّين الجُدد. مرّةً أخرى، اعتقدتُ بأنّ أحدهم سيعترض، لكنّهم اكتفوا بالوقوف ومراقبتي منتظرين أوامري. كل أولئك القادة البريتوريّين والسياسيّين والمحاربين الأقوياء من الرجال والنساء.

أكتمُ ضحكتي. مذهلة هي السُّلطة التي تحصل عليها عندما تكون مضرّجاً بالدم حتّى أكمامك، ولا أيّاً مِن تلكَ الدماء لك!

نقوم بإخلاء الحاكِم العام إلى خارج الغابة. هوجمنا ثلاث مرّات، لكنّي أدَعُ تاكتوس يأخذ مِعطَف أوغوستوس ليجعل بعض المهاجمين يلاحقونه في ما يشبه مطاردة سرابٍ عبثيّة. بتلات ورودٍ بآلاف الألوان تتساقط مِن الأشجار بينما يتقاتل الذهبيّون تحتها. جميعهم يصبحون حُمْراً في النهاية.

عصابة مِن ثلاثة أفراد مِن عائلة فالتي تحاول أن تنصب كميناً لتاكتوس، وهو عائد إلى المجموعة الرئيسيّة. يستدير نحوهم وبجهدٍ بسيطٍ يصرعهم أرضاً عدا ليلاث، التي تهرب بعيداً لدى قَتلِه لسيبيو وقيامه بالدَّوسِ على الرجُل الميّت. «قاتلو الأطفال». يبصق مراراً وتكراراً، إلى أن تقوم فيكترا بسحبه بعيداً. أراقب ما يفعله الشَّغبَر. في كل لحظة أتوقّع سهماً في ظهري، لأموتَ كما ماتَ ليتو. لكنّ الشَّغبر يكتفي بالمتابعة، مثلما يفعلُ والده. لم يرَ أحدٌ ما الذي فعلهُ بليتو، أو أنّهُم رأوا ذلك لكنّ الخوف أسكتهُم.

عندما نصل إلى القاعات الحجريّة وراء الغابة، مجتازين أخيراً جسراً مِن الجير الأبيض، يبدو أنّ قواعد الجمعيّة تعود للتطبيق. بنو الألوان الدُنيا يقفزون بخفّةٍ مبتعدين عن طريقنا بينما نندفع، وقد أصبحنا بقوّة سبعين رجُلاً، عبر الممرّات إلى العنابر لنغادر القمر. لكنْ عندما نصل إلى عنبرنا، نكتشف بأنّ سفينتنا قد اختفت. نُسرِع نحو مِنصّات الهبوط المحاطة بالأشجار والعشب. جميع سفن العائلة مفقودة. مقاتلات الجناح القاطع التابعة للجمعيّة تقوم بدوريّاتٍ في السماء.

نسأل برتقاليّاً يرتجف. تاكتوس يُمسِك به مِن ياقته. يرتعش مختلجاً، وهو ينظر إلينا نحن السبعين روحاً الدامية. لم يتحدّث إلى ذهبيّ مِن قبل،

على الأقل إلى أحدٍ مثلنا. فيكترا تُنزِل يدَ تاكتوس بعيداً وتتحدّث إلى البرتقالي بهدوء.

– يقول بأنّه طُلبَ مِن السفن العودة إلى الديار منذ ساعتين مضت.

– «في بادئ الأمر لم يسمحوا للسبجيّين بدخول الحفل، والآن هذا». يدمدم تاكتوس.

– «هذا يعني بأنّ الحاكِمة المعظَّمة قد خطّطت لشيءٍ ما». يقول الشَّغبر: «شيء لم يُسمَح له بأن يرى النور قطّ. أبعدَت سبجيّينا وسفننا لتعزل العائلات عن مصادر قوّتهم». يشرح، وهو ينظر إلى آل تيليمانوس بحذر: «تركُنا في مكانٍ مهجور. ماذا تعتقد بأنّها كانَت تخفي في جعبتها يا أبي؟».

يتجاهل أوغوستوس ابنه، وهو ينظر إلى السماء.

– «يا أمّاه!». تلعن فيكترا.

– «تجمّعوا!». يصيح كافاكس على محاربيه مزمجراً.

– «سحقاً لي». يصيح تاكتوس شاحباً بجانبي.

أنظر إلى الأعلى وأرى الموت قادماً. «الحرس البريتوري!». سبعون شفرة تُسحَب وننتشر متفرّقين في حال كان لديهم أسلحة طاقة.

– «دارو. أنت ستكون معي». يقول أوغوستوس.

العدوّ أكبر بقليل مِن نقاط سوداء في سماء اللّيل، لكنّ بصرنا حادّ. أولاد العاهرات السود ينهمرون مِن غيوم اللّيل ويرتطمون بالأرض أشبه بشياطين تسقط مِن السماء ودائماً في مجموعاتٍ مِن ثلاث.

بومبومبوم. بومبومبوم. بومبومبوم.

إنّهم يحطّون بين الأشجار على العشب ليسدّوا علينا طريق العودة إلى

القلعة. حرس بريتوري مِن السبجيّين وقادة مِن الفُرسان الذهبيّين. أفرادُ الحرس البريتوري مِن السبجيّين ضخامٌ جدّاً، أشبهُ بعمالقة مِن الغولم استخرجوا مِن حجارة جبلٍ ما. أكثر توحّشاً بكثير مِن أولئك الذين اعتدنا عليهم في الأكاديميّة. لا دروع كدروعهم في كل العوالم. أرجواني داكن مزخرف بالأسود، مثل مرجان يلتفّ على أجسادهم الضخمة. يقفون في تشكيل فرقة مُحكَم، مُخلِصين ومُرتبِطين بعضهم ببعض كما هم مُخلِصون لمعتقداتهم.

بومبومبوم إلى أن أصبحوا تسعةً وتسعين. بوم. قائدهم الذهبيّ آخر مَن يهبط، على ركبتيه. ينهض، خوذة طويلة أشبه بجمجمة ذئب ضاحكة. عباءته الذهبيّة مزيّنةٌ بهرم الجمعيّة وترفرف نحو الجانب بفعل الريح. فارسٌ أولمبي. هنالك اثنا عشر في المجموعة الشمسيّة، أقسموا على حماية ميثاق الجمعيّة ضدّ كلِّ مَن يقاومها. إنّه فارسُ الغضب، المنصب الذي شغله لورن لستّين سنة إلى أن غادر القمر أوروبا. إنّهم يمثّلون ما يراه الذهبيّون أنّه الطابعُ المسيطر للإنسان، تماماً مثل عُصَب مدرستنا. رجُل أضعف منّي يرتدي درعاً. إذنْ، الحاكِمة المعظَّمة قد عيّنت بالفعل من يشغل منصب لورن السابق.

– «عرِّف عن نفسكَ يا فارس!». أصيح.

يسمح الفارس لخوذته أن تندمج مرّة أخرى مع درعه. شعره الأشقر الرملي ينسدل على وجهه القبيح ذي الملامح الخشنة والحادّة. مبلّل مِن العرق، تكسوه تجاعيد العمر والإرهاق. أُطلِقُ ضحكة عندما يبتسم بتلك الابتسامة المائلة بفمه. ألفتُ الأنظار. الآن لن يعتقدوا إلّا أنّي أكثر جنوناً. فارس الغضب يهبط مِن السماء، وأنا أضحك في وجهه.

يضحك مقهقهاً: «ألم تتعرّف عليّ أيّها الوغد الصغير؟».

- فيتشنير، إنّك تبدو أكثر قبحاً ممّا أذكر!

- «فيتشنير؟». تاكتوس يزفر ضاحكاً: «كم في ذلك من حنينٍ للماضي!».

- «مرحباً يا صبيّ». يضحك فيتشنير لدى رؤيته تاكتوس في معطف الحاكِم العام: «عباءة جميلة، لكنّكَ لستَ الحاكِم العام أوغوستوس». فيتشنير يطقطق بلسانه ويضع يديه على وركه: «الحاكِم العام! أيّها الحاكِم العام! أين أنتَ بحق السماء؟».

الحاكِم العام يقلّب عينيه ويخطو إلى الأمام ليتجاوزني: «مُشرِف مارس».

- ها أنا يا عزيزي! وهذا لقب قديم، ألا تعرف ذلك؟

- أرى بأنّ لديك خوذة جديدة.

- «إنّها جميلة، أليس كذلك؟ السيّدات يحببنها. لا أتذكّر متى حظيت بكل هذا الاهتمام مِن السلالة الذهبيّة». يحرّك فيتشنير وركيه على نحوٍ إيحائي: «كان مِن المزعج جدّاً الحصول عليها. ظننت بأنّه لن تكون هنالك نهاية أبداً للنزالات والاختبارات. لقد فعلنا ذلك أمام الحاكِمة المعظَّمة يا صبيّ. كلّ رجُل، كلّ امرأة، يدافعون عن أحقيّتهم. الكل ظنّوا بأنّ المنصب يجب أن يكون مِن نصيبهم، مرّة بعد أخرى، لكنّ الحظ يحالف الشرير».

- «كيف...». أتساءل بصوتٍ عال: «هزمتَ الجميع؟».

- «بصعوبة». حاكمي العام يبتسم ساخراً: «إنّه يُمنح للعظماء مِن المحاربين». يفحص فيتشنير بنظراته: «وأنت لستَ منهُم يا فيتشنير. بماذا وعدت الحاكِمة المعظَّمة مقابل خوذتك الجديدة. أنا متأكّد بأنّ الثمن كان غالياً».

- «أوه، ركبتُ موجة دارو عندما هَزمَ ابنك. مرحباً يا شغبر، أيّها الولد

الصغير. ثمّ كان هنالك منافسة متبّبة، و..حسناً، يمكنك سؤال شقيق تاكتوس الأكبر ومشرف جوبيتر عن تفاصيل...». يتّخذ وضعيّة: «أنا أكثر ممّا يبدو للعيان، أليس كذلك؟».

- «إذن ليسَ لديكَ سيّدٌ جديدٌ بخوذةٍ جديدة؟». يسألُ أوغوستوس.

- «سيّد؟ هع!». فيتشنير ينفخ صدره على نحوٍ كوميدي: «نحن -الفُرسان الأولمبيّين- ليس لدينا سيّدٌ سوى ضميرنا. نحن ندافع عن ميثاق الجمعيّة، لا نخضع إلّا للواجب».

- «هذا كان فيما مضى؛ أمّا الآن فأنتم خدمٌ للحاكِمة المعظَّمة». يعلن داكسو.

- «مثلنا جميعاً يا عزيزي تيليمانوس». يرد فيتشنير: «بالمناسبة، أنا معجبٌ كبيرٌ بأخيك وعائلتك. لقد كانت مطرقة حرب جميلة تلك التي حملتها في البطولة في ثيبوس. نَسبٌ مُرعِبٌ متبّب. لطالما تساءلت مَن مِن أسلافكَ ضاجع وحيدَ القرن؟».

داكسو يرفع حاجبيه بتعبيرٍ ينمّ عن استياءٍ خفيف. كافاكس يهدر كما كان باكس ليفعل.

- «آسف. هل كان دُبّاً أشمطَ بدلاً مِن ذلك؟». فيتشنير يطلق ضحكة أخرى مكتومة: «إنّها مزحة. مفهوم؟ على الرّغم مِن ذلك فجميعُنا خدم، أليس كذلك؟ عبيدٌ متبّبون لمن يحمل الصولجان».

- «أفترض إذنْ أنّ ولاءكَ للمرّيخ قد اختفى ولا يمكن... أن تتذكّره؟». يسألُ أوغوستوس: «بما أنّك خادم».

فيتشنير يصفّق بيَديه اللتين ترتديان القفّاز: «المرّيخ؟ المرّيخ؟ أليس المرّيخ مجرّد كتلة ضخمة متبّبة مِن الصخور؟ لم يفعل لي شيئاً».

– «المرّيخ هو الديار يا فيتشنير». أوغوستوس يلوِّح بيده لأولئك الذين مِن حولنا. «الحاكِمة المعظَّمة كلّفتكَ بالعثور علينا. حسناً، ها نحن ذا— أقرباؤك من كوكبك. هل ستنضمُّ بولائكَ إلينا؟ أم ستُسلِّمُنا؟».

– أوه، يا لك مِن صاحب نكتة يا أوغوستوس! مُهرِّجٌ بارع. ولائي للميثاق ولنفسي، كما أنّ ولاءك لنفسِك يا مولاي، ليس لصخرة، ليس لقريبٍ زائف؛ لذا لا تُهدِر أنفاسك. الآن، لقد طُلِب منّي أن أضعكَ أنتَ وأقاربك تحت الإقامة الجبريّة. هل تذكر؟ لقد خصّصنا فيلّا فاخرة لمتعَتك. سيكونُ مِن الرائع إن تمكّنت مِن العودة بسرعة إلى هناك. لتستمتع بضيافتنا. حاكِمتك المعظَّمة تُصِرُّ على ذلك.

– «لقد نسيتَ نفسك». يهمس أوغوستوس.

– «لقد نسيتُ الكثير. أين أضع سراويلي. مَن قبّلتُ. مَن قتَلتُ». فيتشنير يلمس ذراعه، وبطنه، ووجهه: «لكنْ أن أنسى نفسي؟ فهذا مُحال!». يشيرُ إلى السبجيّين مِن حوله: «ومِن المؤكّد أنّي لم أنسَ كلابي».

– وأين هي تلك التي لي؟ أين ألفرون؟

– «لقد قتلتُ كلبيكَ الهجينين الموسومين، كليهما». يبتسم فيتشنير: «لقد كانا ينبحان يا أوغوستوس. ينبحان بصوتٍ عالٍ جدّاً».

الغضب يستعر على وجه أوغوستوس.

– «آمل أنّهما لم يكونا مُكلِفين جدّاً يا صبي». يقول فيتشنير مبتسماً.

– تتحدّث وكأنّنا زملاء أيّها البرونزي.

– نحن زملاء.

– وكأنّنا متساويان. نحن لسنا متساويَيْن. أنا سليلُ الغزاة، سليلُ الذهبيّين الفولاذيّين! أنا سيّد كوكب. ماذا تكون أنت؟ مجرّد–.

- «أنا رجُلٌ مع قبضةٍ صاعقة». يصيب أوغوستوس في صدره. ينهار أوغوستوس إلى الوراء بينما يلتقط قادته البريتوريّون أنفاسهم منبهرين: «هذا سيعلّمه أن يرتدي دِرعهُ في الحفلات. الآن!». يبتسم فيتشنير: «مع مَن يمكنني التحاور؟».

- «أنا». يقوم الشَّغبَر بخطوة إلى الأمام: «أنا وريثُ هذه العائلة».

- اممم... التالي، إنّكَ مُريع!

يصيب الشَّغبَر في صدره بوساطة القبضة الصاعقة.

- «هذا غباء! كفى حماقة». كافاكس يتقدّم إلى الأمام ويدفع ابنه إلى الخلف: «تحدَّث إليّ أو إلى دارو. نيّاتُك واضحة بما فيه الكفاية».

- بالطبع. دارو. عليكَ أن تأتي معي.

- «بالطبع حالاً». تبتسمُ فيكترا ساخرةً وتتقدّمُ أمامي.

فيتشنير يقلب عينيه. «تيليمانوس، أنتَ وابنكَ خذا الحاكِم العام وأعيداه إلى فيلّته، ثمّ عودا إلى فيلّتكم. على الأمور أن تُسوّى». فيتشنير يحدّق بصمت في الذهبيّ الأصلع. كلماته الآن خادشة مثل حديد خام على الصفيح: «هذا ليسَ طلباً يا تيليمانوس».

يلتفتُ تيليمانوس نحوي: «إن وَثِق فتاي بهذا، فكذلك سأفعل أنا».

- «أريدُ تأكيداً منكَ بأنّ أصدقائي لن يؤذوا». أقول لفيتشنير.

ينظر إلى فيكترا: «لن يحدثَ لهم ذلك».

- أقنعني.

يتنهّد بملل.

- «تبّاً! الحاكِمة المعظَّمة تعرف جيّداً بأنّها لا تستطيع أن تعدم عائلةً

بأسرها مِن دون محاكمةٍ بتهمة الخيانة. هل يمكنها؟ هذا سينتهك الميثاق. وأنت تعلم كيف سيجعلنا ذلك نشعر نحن الفُرسان الأولمبيّين، ولن أذكر باقي العائلات. تذكَّر كيفَ كانت نهاية والدها. لكنْ إن قاومتَ، حسناً، سيكون ذلك أمراً مختلفاً تماماً». فيتشنير يقذف بقطعة مِن العلكة إلى فمه: «هل ستقاوم؟».

– «ليسَ اليوم». أقول.

# 14

# الحاكِمة المُعظَّمة

- «في يومٍ مِن الأيّام، كان هنالك عائلة بإرادةٍ قويّة». تقول بصوتٍ بطيءٍ وموزونٍ كالبندول: «لم يكونوا يحبّون بعضهم، لكنّهم كانوا يديرون مزرعة معاً. وفي تلك المزرعة، كان هنالك كلابُ صيدٍ، وكلبات، وأبقارٌ حَلوب، ودجاجٌ، ودِيَكةٌ، وخرافٌ، وبغالٌ، وخيول. حافظت العائلة على الحيوانات تحت السيطرة. والحيوانات حافظت على العائلة غنيّةً، وبدينةً، وسعيدة. الآن، الحيوانات تطيع لأنّها علِمَت بأنّ العائلة قويّة، والعصيان يعني المعاناة مِن سخطهم المشترك، لكنْ في يومٍ مِن الأيّام، عندما قام أحد الإخوة بضرب أخيه على عينه، قال ديكٌ لدجاجة: (عزيزتي، أيّتها الدجاجة الرزينة، ماذا سيحدث حقاً لو أنّكِ توقّفتِ عن وضع البيض لهم؟)».

تخترق نظرات عيونها عيوني. لا أحد منّا يُبعِد ناظريه. الصمت يخيّم على الجناح البسيط، باستثناء صوت المطر على نوافذ ناطحة سحابها. إنّنا بين الغيوم. السفن في الخارج تخترق الضباب مثل أسماك قرش صامتة متوهّجة. يصدر الجلد صريراً بينما تنحني إلى الأمام وتضمّ رؤوس أصابعها الطويلة المطليّة باللّون الأحمر إلى بعضها مشكّلةً هرماً، وليكون

بقعة اللّون الوحيدة، ثمّ تلتوي شفتاها بازدراء، مشدّدةً على كل مقطعٍ صوتي، وكأنّني طفلٌ مِن شوارع أجيا بدأ للتوّ بتعلّم لغتها.

– بطرائق عديدة تذكّرني بوالدي.

ذلك الذي قَطعتِ رأسه.

هذه هي اللّحظة عندما تحدّق بي مع أكثر ابتسامةٍ غامضةٍ مِن الممكن أن أراها في حياتي. الشرّ يتراقص في عينيها، خاضعاً وهادئاً تحت المظاهر الباردة للسُّلطة. في مكانٍ ما في داخلها هنالك تلك الفتاة بعمر التاسعة التي اشتُهرَت بإطلاقها لأعمال شغب عن طريق رمي الألماس مِن السيّارة الطائرة.

أقف أمامها. إنّها تجلس على أريكةٍ بالقرب مِن النار. كلّ شيءٍ بسيطٌ ومتقشّف، قاسٍ وبارد. امرأةٌ ذهبيّة مِن فولاذٍ وحجر. كل هذه الكآبة وكأنّها تريد القول بأنّها لا تحتاج إلى البذخ، أو الثروة، فقط إلى السُّلطة.

وجهها تملؤه التجاعيد، لكنّه لم يبهت بفعل الزمن. مئة عام، أو هكذا سمِعت، لم تتأثّر بضغوط المنصب، بل على العكس، الضغط جعلها تشبه ذلك الألماس الذي رمته؛ غير قابلة للكسر، خالدة. وستظلّ لا تشيخ لفترة أطول، إن استمرّ النحّاتون بعلاجها بوساطة التجديد الخلوي.

هذه هي المشكلة. ستتمسّكُ بالسُّلطة لفترةٍ أطول بكثير. المَلكُ يحكمُ ومِن ثمّ يموت. هكذا تسير الأمور. هكذا يسوّغ الشباب طاعتهُم لكبارِهِم—وهم على علمٍ بأنّه يوماً ما سيحينُ دَورُهم. لكنْ عندما لا يرحلُ كبارُهُم؟ عندما تحكُم لأربعينَ عاماً وربّما لمئة أخرى؟ ما العمل حينها؟

إنّها الجواب عن هذا السؤال. إنّها ليسَت امرأةً وَرِثت عرشَ الصباح. هذه امرأةٌ أخذته مِن حاكِمٍ لم تكن لديه اللباقة ليموتَ في الوقتِ المناسب.

على مدار أربعين عاماً حاول آخرون انتزاعه منها، ومع ذلك ها هي تجلسُ هنا، خالدةً مثل ذلك الألماس الأسطوري.

- «لماذا عَصيتَ أوامري؟». تسأل.

- لأنني استطعت.

- فَسِّر.

- المحسوبيّة تنكمش وتتلاشى تحتَ ضوء الشمس. عندما غيّرتِ رأيكِ لتحمي كاسيوس، رفضَ الحشد سُلطتكِ الأخلاقيّة والقانونيّة، ناهيكِ عن مناقضتكِ لنفسكِ، هذا بحدِّ ذاته ضعف. لذا استغللْتُه، وأنا أعلمُ بأنّه بوسعي الحصولُ على ما أريد مِن دون عواقب.

أجا، القاتِلةُ المفضَّلة لدى الحاكِمة المعظَّمة، تستغرقُ في التأمّل على كرسيٍّ بالقرب مِن النافذة—امرأةٌ قويّةٌ كالنَّمِر، ذاتُ بشرةٍ أغمق مِن بشرة إخوتها، وبعيونٍ ذات بؤبؤ طوليّ. إنّها واحدةٌ مِن الفُرسان الأولمبيّين، وتحديداً الفارس المتلوِّن. لقد كانَت آخر تلامذة لورن قبلي. على الرّغم مِن ذلك لم يعلِّمها كلَّ شيء. دِرعُها بلون الذهب مع الأزرق الليليّ وعليه تموّجات مِن ثعابين البحر.

فتى يافع يدخل بهدوءٍ مِن غرفةٍ أخرى ليجلسَ إلى جانب أجا. تعرّفتُ عليه على الفور. الحفيد الوحيد للحاكِمة المعظَّمة، ليساندير. لم يتجاوز الثامنة، لكنّه مُتماسِكٌ جدّاً. مَلكيٌّ في هدوئه، نحيلٌ كوشاح. لكنّ عيونه، عيونه تفوق الذهب؛ إنّها ككريستالٍ أصفر تقريباً، تلمع لدرجة أنّه يمكن القول بأنّها تشعُّ تقريباً. أجا تراقبني، وأنا أتفحَّصُ الصبيّ. تأخذه إلى حضنها على نحوٍ وقائي وتكشِّر عن أسنانها، بياضُها يتوهَّج بشدّة مقارنةً مَع بشرتها الداكنة. مثل قطّةٍ ضخمةٍ تُلقي التحيَّة على نحوٍ لعوب. ولأوّل

مرّة ممّا أذكر، أشيحُ بنظري بعيداً عن الخطر. العار يشتعل فجأةً في داخلي. الأمر أشبه بركوعي لها.

– «لكن هنالك دائماً عواقب». تقول الحاكِمة المعظَّمة: «لديَّ فضول، ما الذي كنتَ تريدهُ مِن هذا النزال؟».

– ما يريده كاسيوس بيلونا الذهبيّ نفسه؛ قلبُ عدوّي.

– أتكرههُ لهذه الدرجة؟

– كلّا، لكنْ غريزة البقاء لديّ... مُتَّقدة. كاسيوس، مِن وجهة نظري، صبيٌّ غبيٌّ مُقيَّد بتربيته. قدراته محدودة. يتكلّم عن الشرف، لكنْ ينزل إلى مستوى أفعالٍ منحطّة.

– «إذن لم يكن ذلك مِن أجل فيرجينيا؟». تسأل: «لم يكن مِن أجل طلب يدها، أو لإرضاء غضبك الغيور؟».

– «أنا غاضبٌ، لكنّي لستُ حقيراً». أنفجر: «إضافة إلى ذلك، فيرجينيا ليسَت بتلكَ المرأة التي تتقبّل مثل هذه الأمور. لو أنّي فعلتُ ذلك لأجلها، لكنتُ خسرتها».

– «لقد خسرتها». تبدي أجا تذمّرها مِن الجانب.

– أجل، أدركُ بأنّ لها بيتاً جديداً يا أجا. مِن السهل رؤية ذلك.

– «أتنفجر في وجهي يا سيّد؟». تلمسُ أجا شفرتها.

– «أنا فقط أتصرّف بعنفٍ يا سيّدتي». أبتسم لها ببطء.

– «ستَنحَرُكَ كالخنزير يا ولد». يقول فيتشنير بسرعة: «لا يهمّني إن كان لورن قد علّمك كيف تمسح مؤخّرتك. فكّر جيّداً مَن تهين هنا. النصال الحقيقيّة للجمعيّة لا تتبارز حُبّاً بالرياضة؛ لذا انتبه جيّداً للسانك المتبّب».

ألمس شفرتي.

يصدر نخيراً: «إن كنتَ تشكّلُ تهديداً، هل تعتقد بأنّهُم كانوا سيدعونكَ تحتفظُ بهذا؟».

أومئ برأسي نحو أجا: «مرّة أخرى، ربّما». ألتفتُ نحو الحاكِمة المعظَّمة، مستقيماً في وقفتي: «ربّما علينا مناقشة لماذا تحتجزين عائلتي تحت الحراسة العسكريّة. هل نحن رهن الاعتقال؟ هل أنا؟».

- هل ترى أصفاداً؟

أنظر إلى أجا: «نعم».

تضحك الحاكمة المعظَّمة: «أنتَ هنا لأنّي أردتُ ذلك».

تخطر لي فكرة. أحاول ألّا أبتسم: «يا مولاتي، أودّ أن أعتذر». أقول بصوتٍ عال. ينتظرونني كي أكمل: «لطالما كان سلوكي... ريفيّاً؛ ولذلك أجد أنّ سلوكيّات أفعالي تكادُ دائماً تَصرِف الانتباه عن غايتها. الحقيقة الأساسيّة هي أنّ كاسيوس يستحق ما هو أسوأ ممّا قدمتُ له. وأنّ عِصياني لأوامركِ لم يكن القصدُ منه الإهانة لا مِن طرفي ولا مِن طرف الحاكِم العام. لو لم يكن فاقداً للوعي بسببِ كَلبِك»، أحدّق في فيتشنير: «أراهن أنّه كان سيفعل ما يجب عليه فعله لتصحيح الأمور».

- «تصحيح الأمور». تكرّر: «بسبب...».

- بسبب البلبلة الناجمة.

تنظر إلى أجا: «إنّه يقول بلبلة. إيقاع طبقٍ هو بلبلة يا أندروميدوس، الاستيلاء على زوجة رجُلٍ آخر هي بلبلة. قتل ضيوفي وقطع ذراع فارسٍ أولومبي ليست بلبلة. أتعرف ما هي؟».

- مرح يا مولاتي؟

تنحني إلى الأمام: «إنّها خيانة».

- «وأنت تعلم كيف نتعامل مع الخيانة». تقول أجا: «أبي علّمنا أنا وإخوتي». أبوها هو سيّد الرماد، حارق ريا، الذي يحتقره لورن.

- «اعتِذارٌ مِنكَ ليس بكاف». تقول الحاكِمة المعظَّمة.

- «اعتذار؟». أسأل.

تتفاجأ الحاكِمة المعظَّمة بنبرتي.

- قلتُ بأنّي أودُّ أن أعتذر، لكنَّ المشكلة هي أنّني لا أستطيع، لأنّهُ يجبُ أن تكوني أنتِ مَن عليه الاعتذار لي.

يَسودُ الصَّمتُ.

- «أيّها الجرو الصغير الحقير». تقول أجا، وهي تنهض ببطء.

الحاكِمة المعظَّمة توقفها، الكلمات تقطع الأجواء بوضوح وبرودة: «لم أعتذر لأبي عندما فصلتُ رأسهُ عن جَسدِه. لم أعتذر لحفيدي عندما دمَّرتِ الطليعةُ المُرتزقة سفينة والدته. أنا لم أعتذر عندما أحرقتُ قمراً. فلمَ عليَّ أن أعتذرَ لك؟».

- «لأنّكِ خَرقتِ القانون». أقول.

- ربّما لم تكن تسمع. أنا القانون.

- كلّا. أنتِ لستِ كذلك.

- «إذنْ أنتَ بالفعل تلميذ لورن. هل أخبركَ لماذا تخلّى عن منصبه؟ عن واجبه؟». تنظرُ إلى ليساندير: «لماذا تخلّى عن حفيده؟».

لم أكن أعلم بأنّ الصبيَّ هو حفيد لورن. تقاعدُ معلّمي فجأةً أصبح له معنى. لطالما تكلّم عن مجد الجمعيّة الآفل، وكيف نسي الرجال بأنّهم فانون.

- «لأنّه رأى ما أصبحتِ عليه يا مولاتي. أنتِ لست إمبراطورة. هذه ليسَت إمبراطوريّة، بصرف النظر عمّا قد تظُنّينَه. نحن الجمعيّة. نحن ملتزمون بالقوانين والهرميّة. لا أحد يعلو فوق الهرم». أنظر إلى قَتلتِها: «فيتشنير، أجا، أنتما تحميان الجمعيّة. أنتما تضمنان السلام. أنتما تبحران إلى أقاصي المجموعة الشمسيّة لاجتثاث جذور الفوضى، لكن قبل كل شيء، ما الغرض مِن الفُرسان الأولمبيّين الاثني عشر؟».

- «تفضَّل». تقولُ أجا لفيتشنير: «شارك في مسرحيّته الهزليّة. أنا لن أفعل».

فيتشنير يتشدَّقُ ببطءٍ وبنبرةٍ مُتثاقلة: «لصيانة الميثاق».

- «لصيانة الميثاق». أقول: «والميثاق ينصُّ على: (النزال، بمجرد أن يبدأ، لا يُحسَم حتى تتحقق شروطه على نحوٍ صحيح). الشروط كانت الموت، لكنّ كاسيوس ليس ميّتاً. ذراعه ليسَت كافية. أنا أبجِّل الأسلاف الفولاذيّين، وحقوقي مُصانة لا تُنتَهك؛ لذا أعطِني ما هو لي، أعطني الرأس المتبّب لكاسيوس بيلونا الذهبيّ، أو ارفضي إرث شعبنا».

- كلّا.

- إذن لم يعد لدينا ما نناقشه بعد الآن. يمكنكِ العثورُ عليَّ على المرّيخ. أستديرُ على أعقابي وأسيرُ نحو الباب.

- «الأسدُ يتلاشى». تنادي الحاكِمة المعظَّمة: «ابحَث عن مَوطن جديد. هنا».

أتوقّفُ في مكاني. اللعنة! هؤلاء الناس مِن السهل توقّعهم. جميعهُم يريدون ما لا يمكنهُم الحصول عليه.

- «لماذا؟». أسأل مِن دون أن أستدير.

– لأنّه بوسعي منحكَ موارد لا يستطيع أوغوستوس منحكَ إيّاها. لأنّ فيرجينيا قد رأت بالفعل مدى صحّة ذلك. تريد أن تكون معها، أليس كذلك؟

– «لماذا تريدين رجُلاً يُبدِّل ولاءه بسهولة؟». ألتفتُ وأنظر إلى فيتشنير مباشرةً في عينيه: «رجُل كهذا لا يختلفُ كثيراً عن عاهرةٍ رخيصة».

– «أوغوستوس تخلّى عنكَ قبل أن تتخلّى عنه». تقول الحاكِمة المعظَّمة: «ابنته رأت ذلك حتّى لو أنّكَ لا تراه. أنا لن أتخلّى عنك. اسأل الإيرينيّات. اسأل والدهنّ. اسأل فيتشنير. أنا أمنحُ فرصة للمتميّزين. انضمّ إليّ. قُدْ فَيالِقي وسأجعلكَ فارساً أولمبيّاً».

– «أنا ذو بريق ذهبيّ». أبصقُ على الأرض: «أنا لستُ جائزة».

أمشي مُبتعداً بحذر.

– إذا لم أستطع الحصولَ عليك، فلن يحصلَ عليكَ أحد.

عندها يأتون، ثلاثة مَوسومين ينسلون عبر الباب. كلُّ واحدٍ منهُم أطولُ منّي بقدم. كلُّ واحدٍ منهُم يرتدي ألوان الأرجواني مع الأسود ويحملُ فأساً ونَصلاً نبضيّين. وجوههُم مخفيّة خلف أقنعةٍ عظميّة. عيونُ القتلة الذين نشأوا في الأقطاب المتجمّدة لكلٍّ مِن كوكبي: الأرض، والمرّيخ، تحدّق بي، بسَوادٍ لامعٍ كالنفط. أستلُّ شفرتي وأتّخذُ وضعيتي القتاليّة. حناجرهُم تغنّي أهازيج حرب مُدوّية مِن تحت أقنعتهِم، كرِثاءٍ جنائزيٍّ لإلهٍ مَيّت.

– «هيّا، غنّوا لآلهتكُم». ألفُّ شفرتي: «سأرسلكُم للقائهِم».

– «يا حصّاد، رجاءً توقّف!». ليساندير يصيحُ عالياً. أستديرُ لأجدهُ يسيرُ مُتقدِّماً نحوي وهو يمدُّ يديه بحزن. مِعطفهُ بسيط وأسود. إنّه بنصفِ طولي.

صوتهُ مُتقلِّب. يرتعشُ مثل صوتِ طائر رقيق.

«لقد شاهدتُ كلَّ فيديوهاتكَ يا حصَّاد. ستّ.. ربّما سبع مرّات. حتّى الأكاديميّة. معلميَّ يعتقدون بأنّكَ أقرب رجُلٍ إلى الذهبيّين الفولاذيّين منذ لورن أركوس الذهبيّ، رجُل الصخر».

عندها أدركتُ لماذا يبدو متوتّراً إلى هذا الحد. أكادُ أضحك. أنا بطلُ الصِبا لهذا اللّقيط الصغير.

– «لا نريد أن نشهدَ موتكَ اللّيلة. أليسَ بوسعكَ أن تجد لنفسكَ موطناً هنا كما وجدتَ مع سيفرو؟ مع روكي، وتاكتوس، وباكس، والعوّائين، وجميع محاربيكَ العظماء؟ لدينا محاربون أيضاً. نبلاء. بوسعكَ قيادتهُم. ولكنْ...». يخطو إلى الخلف: «إن قاتلت، حينها ستموت لأنّكَ ستقترف خطأ الاعتقاد بأنّ الاستقامة تجعلكَ فوق سُلطَة جدّتي».

– «إنّها كذلك». أقول.

– يا حصَّاد، لا يوجد مكان فوق سُلطَتها.

هكذا تسري الأمور؛ يمنحونهُم أبطالاً، يربّونهُم على الأكاذيب والعُنف، ومِن ثمّ يدعونهُم يكبرون ليصبحوا وحوشاً. ما الذي كان يمكن أن يكونه مِن دون يدهِم المرشدة؟

– «لقد أرادَ رؤيتك». تقول الحاكِمة المعظَّمة: «أخبرته بأنّ الأساطير لا يتطابقون مع الواقع. مِن الأفضل ألّا تلتقي بأبطالك».

– «وماذا تعتقد؟». أسألُ ليساندير الصغير.

– «كل ذلك يعتمدُ على خيارِكَ التالي». يقول بلطف.

– «انضمّ إلينا يا دارو». يتشدّق فيتشنير: «هذا هو مكانكَ الآن. أوغوستوس قد انتهى».

مبتسماً في سرّي، أُنزِلُ نصلي. ليساندير يشدُّ قبضته مُعرِباً عن سعادته. أمشي معه عائداً إلى جدّته، متظاهراً بالتعاون، لكنْ من دون أن أعلن ولائي بعد.

– «لطالما أخبرتني بأنّه عليَّ أن أنحني». أقول لفيتشنير لدى مروري بجانبه.

يهزُّ رأسه: «لأنّني لا أريدكَ أن تنكسر يا ولد».

– «ليساندير، أحضر لي صندوقي». تقول الحاكِمة المعظَّمة. بسعادة، يندفع الصبيّ خارج الغرفة بينما أجلس قبالة جدّته: «أخشى أنّ المعهد قد علّمك الدرس الخاطئ—بأنّه بوسعكَ التغلّب على أي شيء إن حاولتَ فقط. هذا غير صحيح. في العالم الحقيقي، عليكَ أن تتماشى مع الأمور. عليكَ أن تتعاون وتُساوِم. لا يُمكنكَ تطويعُ العالم لأخلاقك».

– هل كنتِ لتلاحظيني لو لم أحاول؟

تبتسم بلطف: «غالباً لا».

يعود ليساندير بعد لحظات، حاملاً صندوقاً خشبيّاً صغيراً. يناوله لجدّته وينتظر بفارغ الصبر إلى جانبها، وهو يأكل كعكة أعطتهُ إيّاها أجا. تضع الحاكِمة المعظَّمة الصندوق على الطاولة.

– أنتَ تقدِّر الثقة. كذلك أنا. دعنا نلعب لعبةً بلا أسلحة، ولا دروع. بلا حرس بريتوري. بلا أكاذيب. بلا زيف. فقط كلانا مع حقائقنا العارية.

– لماذا؟

– إنْ ربحتَ أنت، بوسعكَ أن تَطلُب منّي ما تريد. إنْ ربحتُ أنا، فسأحصلُ على الشيء نفسه.

- إن طلبتُ رأسَ كاسيوس؟

- سأقطعهُ بنفسي. الآن افتح الصندوق.

أنحني إلى الأمام. الكرسي يصدر صريراً. المطر ينقر على النوافذ. ليساندير يبتسم. أجا تراقب يدَيَّ. وفيتشنير، مثلي، ليس لديه أيّة فكرة ماذا يوجد في الصندوق اللّعين.

أفتحه.

# 15

# الحقيقة

أبذل قصارى جهدي كي لا أهرب. ما يخرج مِن الصندوق مُصدراً فحيحاً يبدو وكأنّه مُستخرَجٌ مِن كابوس، مُستخرَجٌ بدقّة مِن أعماق عقلي الباطن حتّى أكادُ أظنُّ بأنّ الحاكِمة المعظَّمة تعرف مِن أين أتيت. مِن أين أتيتُ حقاً.

– «اللعبة هي لعبة أسئلة». تقول: «ليساندير، رجاءً قُم بالواجب». تسلِّم ابنها سكّيناً. يقطع الصبيُّ أكمام بزّتي حتّى المِرفق، ويطويها للأعلى ليكشفَ ساعدي. يداه لطيفتان. يبتسمُ لي مُعتذراً.

– «لا تخف». يقول: «لن يحدث أي شيء سيّئ، طالما أنّك لا تكذب».

المخلوقات المنحوتة في الصندوق—اثنان منها—تحدّق بي بوساطة ثلاث أعين عمياء لكل منها. جزء منها عقرب. جزء منها أفعى حُفر. جزء منها أم أربعة وأربعين. تتحرّك مثل زجاج سائل، أعضاء وهيكل عظمي مرئية مِن خلال الجلد، أفواه كيتينيّة تبقبق وتهسهس في الوقت نفسه الذي ينزلق فيه أحدها على الطاولة.

– «بلا أكاذيب». أضحكُ على مضض: «هذا أمرٌ سهلٌ عندما تكون طفلاً».

- «إنّه لا يكذب أبداً». تقول أجا بفخر: «لا أحد منّا يفعل. الأكاذيب كالصدأ على الحديد، تُشوِّه السُّلطة».

السُّلطة التي ينتشون بها لدرجة أنّهُم لا يستطيعون حتّى تذكُّر كم هو عدد الأكاذيب القائمة عليها. أخبري قومي بأنّكِ لا تكذبين، أيتها العاهرة الهمجية، وانظري ماذا سيفعلون بك.

- «أدعوها بالعرّافات». تقولُ الحاكِمة المعظَّمة. أحد خواتمها يصدر عنه سائلٌ متموّجٌ مشكّلاً غلافاً فوق إصبعها، محوّلاً إيّاه إلى مخلب، وإبرة تنمو ببطءٍ في النهاية. تغرز هذه الإبرة في معصمي وتقول عبارة: «الحقيقة فوق كل شيء».

إحدى العرّافات تتقدّم إلى الأمام وتتسلّل إلى ذراعي وتلتفّ حول معصمي. فَمُها الغريب يبحث عن الدم، ويلتصق بي كدودة العلق. ذيلها العقربي ينحني لأعلى بمقدار أربعة إنشات، متمايلاً ذهاباً وإياباً كذيل القط في ريح صيفيّة. الحاكِمة المعظَّمة تَخِزُ معصمها، تكرّر القسم، لتخرجَ العرّافة الثانية منزلقةً مِن الصندوق.

- «النَّحاتُ زنجبار صمّم هذا خصيصاً لأجلي في مختبراته في الهمالايا». تقول: «السُّمُ لن يقتلك. لكنْ لديّ زنازين ممتلئة بالرجال الذين لعبوا لعبتي وخَسِروا. إذا كان هنالكَ جهنّم، فما هو موجودٌ في تلكَ الإبرة قريبٌ منها بقدرِ ما يسمحُ العِلمُ لنا بأن نكون».

يتسارعُ نبضي لدى رؤيتي للذيل، وهو يتأرجح.

- «خمس وستّون». تقول أجا عن نبضي: «إنّه يستقرّ عند تسع وعشرين ضربة بالدقيقة».

الحاكِمة المعظَّمة ترفعُ رأسها عندها: «مُنخفِض بمقدار تسع وعشرين؟».

- أصحيح ما أسمعه؟

- «اهدأ يا أندروميدوس». تقول الحاكِمة المعظَّمة: «العرّافة مصمّمة لتقيس الحقيقة. إنّها في تقلُّبات الحرارة، والمواد الكيميائيّة في الدم، ونبض القلب».

- «ليسَ عليكَ أن تلعب إن لم تكن ترغبُ في ذلكَ يا دارو». تقول أجا مصدرةً خرخرة: «يمكنكَ اختيار الطريق السهل مع الحرس البريتوري. الموتُ ليس سيّئاً إلى هذا الحد».

أحدِّقُ في الحاكِمة المعظَّمة: «هيّا فلنلعب».

- هل كنتَ لتغتالني اليوم لو كان باستطاعتك؟

- كلّا.

جميعنا نراقب العرّافة. حتّى أنا. بعد لحظة، لم يحدُث أيّ شيء. أبلعُ ريقي بارتياح. تبتسمُ الحاكِمة المعظَّمة.

- «ليسَ لهذه اللُّعبة نهاية». أدمدم: «كيف يُمكِنني أن أفوز؟».

- بأن تجعلني أكذب.

- «كم مرّة لعبتِ هذه اللّعبة؟». أسأل.

- واحداً وسبعين. في النهاية وَثِقتُ بشخصٍ واحد فقط. أين يخفي أوغوستوس أسلحتهُ الكهرومغناطيسيّة غير المرخّصة؟

- «في مستودعات الكويكِب، ومخازن أسلحة مَخفيّة في أرجاء مدن المرّيخ». أَورِدُها بالتفصيل: «وفي مِنصَّة غرفة استقباله». يفاجئهم ذلك: «وأين تخفين التي لديكِ؟».

تذكرُ ستّينَ موقعاً بسرعة. تذكرُ كلَّ شيء لأنّها لا تخسرُ أبداً، ليسَ عليها أن تخشى مِن خروج المعلومات مِن هذا الباب. يا لها مِن ثقة!

- «ماذا تعني لكَ قلادة الحصان المجنَّح هذه؟». تسأل: «هل هي مِن والدك؟».

أنظرُ نحو الأسفل. تتدلّى مِن قميصي: «إنّها تعني الأمل. جزءٌ مِن إرث والدي. هل ساعدتِ كارنوس في الأكاديميّة؟».

- نعم، أعطيتهُ تلكَ السفينة التي صَدمكَ بها. هل فعلاً كنتَ تَنوي إطلاق نفسكَ نحو مِنصَّة قيادته؟

- نعم. لماذا ضممتِ فيرجينيا إلى دائرتكِ المقربة؟

- للسبب نفسه الذي وقعتَ من أجله أنتَ في حبّها.

نبضي يتسارع. أجا تبتسم، وهي تسمعُ ذلك.

- فرجينيا مميّزة، وكلانا يأتي مِن أبوين... كانا دون المأمول مِنهُما. عندما كنتُ طفلة، كنتُ لأعطي أيَّ شيء كي أنتمي لعائلة أخرى، لكنّي كنتُ ابنة الحاكِم المعظَّم. لقد مَنحتُها هديَّة لم يكن بوسع أحد أن يعطيني إيّاها.

كما ترى، أنا أجمعُ الأُناسَ الذين أستمتعُ معهُم يا أندروميدوس. حتّى إنّي أستمتعُ برفقة فيتشنير هناك. الكثيرون قد يرونهُ بَغيضاً. قد يعتقدون بأنّ إرثهُ غيرُ لائق، لكنّه مِثلُكَ؛ مَوهوبٌ جدّاً. عندما طلبتُ منه أن يلعبَ هذه اللّعبة قبل أن يُصبحَ واحداً مِن فرساني الأولمبيّين، أتعلم ما الذي قاله؟

- أستطيع التخيّل.

- فيتشنير...

يهزُّ كتفيه الهابطين: «أخبركِ بأن تضعي الصندوق على فرجك. أنا لستُ بأحمق».

- «أظنّ بأنّه كان أكثر فظاظة مِن ذلك». تتذمّر أجا.

- «حان دوري». تتفحّصُ الحاكِمة المعظَّمة فارس غضبها: «هل نكث فيتشنير بقسمه كمُشرِف وغشَّ في معهد المرّيخ، كما تشيعُ الشائعات؟».

- «نعم». أقول، وأنا أنظرُ إلى العرّافة بدلاً مِن مُشرفي القديم: «لقد غشَّ مثل البقيّة». أعلم بأنّ فيتشنير ما كان ليحظى بمنصبه إن لم تكن متأكّدة مِن وَلائه لها وليسَ لأوغوستوس، هذا يعني أن فيتشنير لا بدَّ من أنّهُ اعترف وزوّدها بتفاصيل عن تعامُلاتِ أوغوستوس المشبوهة. أعاودُ التحديقَ بالرجُل: «على الرّغم مِن ذلك لا أعرف إن كان قد دُفعَ له كالآخرين».

- «لم يُدفَع له. خطأهم». تقول الحاكِمة المعظَّمة: «أعطانا أدلّةً بالصوت والصورة. كشوف حسابات بنكيّة. ورقة ضغط مفيدة ضدّ كل مشرف».

لا بدّ من أنّ سيفرو أعطى والده لقطات الفيديو عندما جعلته يَعبثُ بها. وَغدٌ مُحتالٌ صغير. إنّه يهتمُّ بوالده في نهاية الأمر. أوغوستوس كان ليقتُلهُما لو عَلِم بذلكَ الخِداع.

أريدُ استجوابَ الحاكِمة المعظَّمة حول المَواقع العسكريّة الأماميّة. خطوط الإمداد. المتطلّبات التشغيليّة، والتدابير الأمنيّة، لكنْ أعلم بأنّ ذلكَ سيبدو غريباً. هذا سيقودها لأن تسأل أسئلة غريبة خاصّة بها. العرّافة تشدُّ قليلاً على ذراعي، ممتصّة قطرات صغيرة فقط مِن الدم في كلِّ مرّة. لا أعلم كَم يجيدُ هذا الشيء استشعارَ عَدمِ قَولِ الحقيقة. لكنْ ماذا سأفعل إن سألتني أينَ ولدت؟ مَن يكون والدي؟ لماذا أفركُ التراب بين أصابعي قبل أن أقاتل؟ سحقاً. يمكنها أن تكتفي بسؤالي إن كنتُ أحمر. لكن كيف ستفكّر بالقيام بذلك أصلاً إن لم أجعَلها تشعرُ بأنّ هنالك... خَطباً ما بي؟

- «هل مِن أحد مِن دائرتي المقرَّبة جاسوس لكِ؟». أسأل.

- «ذكيٌّ جدّاً. كلّا. أينَ ذهبتَ مع فيكترا جولي الذهبيّة منذ ثلاثة أيّام مضت؟ وماذا فعلتَ؟». تسأل الحاكِمة المعظَّمة.

- «إلى المدينة المفقودة». بطريقةٍ ما، العرّافة تستشعرُ بأنّي مُتحفِّظ. تتراقصُ إبرتُها بحماس: «كي أُقابِل الشَّغبَر—ابن أوغوستوس». تشدُّ على نحوٍ أكبر: «كي نُشكِّل تَحالُفاً». قطرات العرق تتجمّعُ على ياقتي، والعرّافة تسترخي، الإجابة كافية: «لماذا يُطلِقون اسم رجُل الصخر على لورن؟».

- أَلَم يُخبِرك؟ ذلك ليس بسبب كَونِه قاسياً كالصخر كما كان ليُخبركَ الآن. إنّهُ بسببِ أنّهُ في الحملة على التمرّد القمري، اشتُهِر بأنّه يأكل أيَّ شيء. وفي أحد الأيّام راهنهُ رماديٌّ على أنّه لا يستطيع أكلَ الحجارة، فلَم يتردَّد لورن. متى علَّمكَ لورن؟

- كل صباح قبلَ ظهور الضوء الأوّل، بين تخرّجي في المعهد والتحاقي بالأكاديميّة.

- إنّه أمرٌ لا يصدَّق أنّ أحداً لم يكتشف ذلك.

- «كم هو عدد الفريدين ذوي الندبة؟». أسأل: «مِن الصعب جدّاً الحصول على بيانات الإحصاء». مجلس ضبط الجودة فظيع في احتكاره لموادّه رفيعة المستوى.

- هنالك 132689 مِن أصل 40 مليون ذهبيّ تقريباً. لماذا اختاركَ لورن كتلميذ؟

- لأنّه يعتقد بأنّنا مِن صنف الرجال نفسه. ما أكبر اثنين مِن مَخاوِفك؟

- «أوكتافيا...». تحذِّر أجا.

- «اخرسي يا أجا. كل شيء مسموح». تنظرُ مُتفحِّصة إلى ليساندير

وتبتسم: «أكبر مخاوفي أن يَكبُر حفيدي ليصبحَ مثل أبي. الثاني هو حتميّة أن تشيخ. لماذا بكيتَ عندما قتلتَ جوليان بيلونا الذهبيّ؟».

– لأنّهُ كان ألطَف ممّا سمحَ له العالمُ بأن يكون. هل دبَّرتِ تقارُبَ فيرجينيا وكاسيوس؟

– لا. لقد كانت فكرتها.

كنتُ مُتمسّكاً بأمل أن يكون ذلك أمراً مُدبَّراً، أمراً اضطرَّت لفِعله.

– لماذا غنَّيتَ بالاد(*) الحُمر لفيرجينيا في المعهد؟

– لأنّها نسيتَ الكلمات، وأعتقدُ بأنّها الأغنية الأكثرُ حُزناً التي غُنِّيت على الإطلاق. أتوقف قبل سؤالي التالي.

– «تريدُ أن تسأل عن فيرجينيا مجدّداً، أليسَ كذلك؟». زوايا شفتيها ترتعشُ مِن المتعة، وهي تنتزع ألمي: «أتريدُ أن تعرفَ إن كنتُ سأعطيها لك في حال انضمامِك لي؟ مُمكِن».

– «إنّها ليسَت بشيء يُعطى». أقول.

تضحك مُستَمتعة ببراءتي: «إن كنتَ تقولُ ذلك».

– «أين تقع مراكز القيادة الثلاثة للفضاء العميق؟». أسأل بلا مبالاة.

تعطيني الإحداثيّات مِن دون أن يرفّ لها جفن. «كيف تعرفُ كلمات أغنية الحصّاد؟».

– سَمِعتُها وأنا صبيّ. وأنا مِن النادر أن أنسى.

– أين؟

---

(*) القصيدة القصصية وهي أقصر من الملحمة وهي تحفظ وتنشد في جلسة واحدة. وهي تتناول مغامرة أو واقعة واحدة لقصة شعبية. (المترجم).

- «إنّه ليسَ دورك؟». أذكّرها: «لماذا تسألينني هذه الأسئلة؟».

- لأنّ إحدى الإيرينيّات التي لديّ جعلتني أشكُّ بأنّ أبناء أريس هُم ربّما شيء مُختَلف عمّا تصوّرناه. شيء أكثرُ خطورة. مَن هو أريس؟

قلبي يدقّ بشدّة.

- «لا أعلَم». أراقبُ ذيل العرّافة. إنّه لا يتحرّك: «مَن تعتقدين أنّهُ أريس؟».

- سيِّدُك.

- «تسع وثلاثون، اثنان وأربعون، ست وخمسون...». تقول أجا.

تهزُّ الحاكِمة المعظَّمة إصبعها الطويل: «غريب. قلبُكَ يفضحك».

أصفّي ذهني. أدعُ كل شيء يتلاشى. أتخيّل المناجم. أتذكّر الرياح التي كانت تهبُّ خلالها. أتذكّر يديها في يدي، ونحن نمشي حافيين عبر التراب البارد إلى المكان حيث استلقينا أوّل مرّة معاً في قعر المجمَع المهجور. همساتها. كيف غَنَّت التهويدة التي غنّتها أمّي لي ولأشقّائي.

- «خمس وخمسون، اثنان وأربعون، تسع وثلاثون». تقول أجا.

- «هل أوغوستوس هو أريس؟». تسأل.

الارتياح يغمرني: «كلّا، إنّه ليسَ أريس».

يُفتح الباب بقوّة مِن خلفي. نستدير لنرى موستانغ تقتحم الغرفة مرتدية البزّة الذهبيّة والبيضاء لعائلة لونا، والمزوّدة بالهلال رمز العائلة. اللَّوح الرقمي يومض في معصمها. تنحني للحاكِمة المعظَّمة: «مولاتي».

- «فيرجينيا، لا تزالين في حالة يرثى لها». تقول أجا متشدّقة.

- «لومي ابن العاهرة الأحمق هذا». موستانغ تشيرُ إليّ: «ثلاثة وسبعون

قتيلاً. عائلتان مِن سُلالات كوكب الأرض أُبيدَتا، ولا دخلَ لأيّ منهما بآل بيلونا، أو آل أوغوستوس. أكثرُ مِن مئتي جريح». تهزُّ برأسها: «لقد مَنعتُ كلَّ السفن مِن الطيران كما طلبتِ يا أوكتافيا. قيادة الحرس البريتوري أنشأت منطقة حظر طيران في المدار. كل السفن الرئيسيّة المملوكة للعائلات، أُلغيَت تصاريحها وأُعيدَت إلى ما وراء منارات الروبيكون حتّى إشعارٍ آخر. وكاسيوس لا يزالُ على قيد الحياة. إنّه عند الصُّفرِ. نحّاتو القلعة يُعدّون الخطط لاستبدال ذراعه».

تشكرها الحاكِمة المعظَّمة وتطلبُ منها الجلوس: «أنا ودارو نتعرَّفُ على بعضنا. هل هنالك أية أسئلة تعتقدين بأنّ علينا أن نسأله إيّاها؟».

تجلس موستانغ بجانب الحاكِمة المعظَّمة.

– أتريدين نصيحتي يا مولاتي؟ لا تحاولي حلَّ دارو. إنّهُ أحجية بقطعٍ ناقصة.

– «إنّه أمرٌ مُهينٌ بعض الشيء». أقول مُبتهجاً، لكنّ كلماتها تَلسَع.

– إذنْ أنتِ لا تعتقدين بأنّه يجبُ علينا إبقاؤه؟

– «كاسيوس ووالدته سوف—». تبدأ موستانغ.

– «سوف ماذا؟». تقاطعها الحاكِمة المعظَّمة: «لقد جعلتُ مِن كاسيوس فارساً أولمبيّاً. سيكونُ مُمتنّاً، وسيدرس فنّ استخدام الشفرة حتّى لا يتكرّر هذا مرّة أخرى». وَجهُها يصبح أكثر لطفاً وتَلمُس ركبة موستانغ: «هل أنتِ على ما يرام يا عزيزتي؟».

– أنا بخير. يبدو أني قاطعتُ لُعبتكُما.

لا أستطيع أن أُميِّز أيّ امرأة تتلاعبُ بالأخرى، لكنْ مع كلمات

كارنوس في الحفل ومعرفة أنّ السفن قد مُنعَت مِن الطيران قبل حتّى أن أبدأ الاشتباك، أعلم بأنّ الحاكِمة المعظَّمة كان لديها مخطّطات. والآن أعتقد أنّه بوسعي جمع أجزائها، ومعرفة ماهيّتها.

– سؤال واحد أخير. كنتُ أحتفظ به إلى النهاية.

– «هيّا اسأل يا فتى. ليس لدينا أسرار هنا. لكنْ يجب أن يكون الأخير. أغريبينا جولي الذهبيّة قد تُركَت تنتظر بما فيه الكفاية». أجا تفتح الصندوق حتّى تتمكّن العرّافات مِن العودة إلى داخله.

– الليلة، في الحفل، خلال تقديم الوجبة السادسة، هل كنتِ تخطّطين للسماح لآل بيلونا بأن يغتالوا الحاكِم العام أوغوستوس وكلَّ مَن كان يجلس إلى طاولته؟

أجا تتجمّد. موستانغ تلتفتُ ببطء لتنظر إلى الحاكِمة المعظَّمة، التي لا يُظهِر وَجهُها أيّ علامة خداع. تأخذ المرأة نَفَساً بسهولة وبابتسامةٍ بسيطةٍ تمتدّ عبر أسنانها: «كلّا». تقول: «لم أفعل».

ذيلُ العرّافة الشائك ينغرزُ في لحمها.

# 16

# اللُّعبة

شفرة فيتشنير تطنّ، ويقطع الذيل بحركةٍ أسرع مِن خفقان جناحِ نحلة. يتخبَّطُ الذيل على الأرض، والإبرة الشفّافة تُخرِج السُّمَّ منها مصدرةً صوت هسهسة؛ أمّا على ذراع الحاكِمة المعظَّمة فيصرخ المخلوق المجروح. يئنّ ويتلوّى مثل قطّةٍ تحتضر. تنزعه الحاكِمة المعظَّمة عنها وترميه نحو الحائط. بينما يتحرّر ذلك الذي لديّ ببطء، وكأنّه مُتَّصلٌ بالبقيّة. يموء على نحوٍ مثيرٍ للشفقة، وينسحب إلى صندوقه ليختبئ بالظلام. أمسحُ الأثرَ الباهتَ للدم الذي خلَّفهُ على ساعدي.

– «إذن لقد كذبتِ». أقولُ مع تكشيرة شريرة.

تزفرُ الحاكِمة المعظَّمة زفرة طويلة.

تقف موستانغ غاضبة. «لقد وعدتني بأنّكِ لن تؤذيهم. لقد كذبتِ».

– «نعم». تفرك أوكتافيا صدغيها: «للضرورة أحكام».

– «قلتِ بأنّه لا وجود للأكاذيب هنا». تهسهس موستانغ: «هذا كان شرطاً مُسبقاً لمبايعتي لكِ. الأمر الوحيد الذي طلبته، ولقد خطَّطتِ للقيام به، وأنا أشاهد؟».

- «اجلسي». تنهض الحاكِمة المعظَّمة لتقف وجهاً إلى وجه مع موستانغ: «اجلسي».

تجلس موستانغ، وهي تتنفّس بشدّة. ترفض النظر إليّ، أو إلى الحاكِمة المعظَّمة. إنّها مُحاطة بالخيانة. تنتبه الحاكِمة المعظَّمة لذلك، وتقوم بتجميع استراتيجيّة جديدة بينما تسحب موستانغ خاتماً ذهبيّاً مِن جيبها وتُقلِّبُه على نحوٍ لا إرادي بين أصابعها.

- «أتعلمين لماذا أريدُ زوالَ عائلتك؟». أوكتافيا تسأل موستانغ. لا تردُّ: «لقد سألتكِ سؤالاً يا فيرجينيا. ضعي غضبكِ جانباً وأجيبي».

- «إنّه تهديدٌ للسّلام». تردُّ موستانغ بفتور، وهي تزحلق الخاتم على إصبعها: «إنّه يتجاهلُ أوامركِ، لا ينصاعُ للتوجيهات الماليّة، ويؤخّر تصدير الهيليوم-3 لمكاسب سياسيّة».

- إن حاولتُ إزاحته مِن السُّلطة، ماذا سيحدث؟

تنظر موستانغ إليها: «سيتمرَّد».

- إذنْ ماذا عليَّ أن أفعل؟ إن تمرَّد وهو في المرّيخ، سيتحوّل الكوكب بأكمله إلى حصن له. حجم المبالغ التي سيتطلّب منّي إنفاقها لخلعه—للعثور عليه وقتله واستعادة النظام—إنّها... مِن غير الممكن تقديرها. سفن، ورجال، وطعام، وذخيرة، ومبادلات تجاريّة، ونقص في الهيليوم-3. لن تتعافى الجمعيّة لسنوات.

- لا يمكننا تحمُّل عدوٍّ مثله، لكنّنا أيضاً لا نستطيع تحمُّل حليفٍ يُسيء إلينا على نحوٍ علني. ماذا لو ظنَّ حُكّام العمالقة الغازية أنّهم محصّنون ضدّ أوامري لأنّنا تساهلنا مع والدك؟ لأنّنا تركناه يتلاعب بأسعار الهيليوم، أو يتجاهل توجيهات الحاكِمة المعظَّمة؟ قبل أربعين عاماً مضت، في أوّل

سنةٍ مِن حكمي، تمرَّدت أقمار زحل. لم تنته الحرب حتّى دمّرتُ القمر ريا برمّته. خمسون مليوناً قُتِلوا. هذا هو مدى عناد عرقنا. إنّهُم يعلمون كم يصعب عليَّ بسط يدي الضاربة على بعد مليارات الكيلومترات مِن المنطقة المركزيّة. لكنْ مع ذلك لا يزالون خائفين. جزءٌ كبيرٌ مِن سُلطة الحاكِم هي مجرَّد نسج مِن خيال الناس. قوّتي لا تكمن بالسفن، ولا بالحرس البريتوري. قوّتي تكمن بالخوف. لكنْ يجب أن يكونَ هُنالكَ إنعاشٌ لذاكِرتهم.

– وعائلتي إذنْ ستكون بمنزلة تذكير لهُم.

– نعم. أخبريني، أليس هذا منطقيّاً.

تبقى موستانغ صامتةً لمدّةٍ طويلة: «إنّها حركةٌ سياسيّةٌ منطقيّة، لكنّهُ والدي...».

– لذلكَ لم أخبركِ. أخذتُ ذلك بعين الاعتبار.

تُلوِّح بيدها ليتوهّج عرضٌ مُجسَّم على الأرض، ويَرتفِع ليَشغَل نصف الغرفة. إنّها أعمالُ شغب. الدخان يتصاعد مِن المباني. الرماديّون يَحصدون النساء والرجال بالأسلحة النبضيّة. تُغيِّر الصورة. عِدَّة صور أخرى تتراقص عبر أرجاء الغرفة. امرأة تسقط ميّتة أمامي. فجوة في جمجمتها. لا يزال الدخان يتصاعد منها.

أحدّق في الأسفل نحو الإرهاب المفاجئ.

– «أهذا في المرّيخ؟». أسأل، وأنا خائف على عائلتي.

– «ستظنّ ذلك، أليس كذلك؟». الحاكِمة المعظَّمة تَتتبَّع بإصبعها فوهة بندقيّةٍ نبضيّة وهي تُطلِق: «إنّها الزهرة».

– «الزهرة؟». تهمسُ موستانغ: «لا وجود لأبناء أريس في الزهرة».

- ولن يكون هنالكَ بعد اللّيلة. اللّهبُ ينتشر حتّى نحو المنطقة المركزيّة. قبل ساعتين مَضت، تعرَّضت هذه الجمعيّة لعدّة تفجيرات. أتباعي مِن السياسيّين والبريتوريّين والعديدُ مِن طواقمي عالية المستوى في أرجاء الإمبراطوريّة قد بدؤوا بتنفيذ الأمر صفر. لن تنشُر أيُّ وسيلة إعلاميّة ذلك. أينما توجدُ ألسنة اللّهب، نُقيم حَجراً. سنسحقهُم كلّهم. شيء لم يفعله والدُكِ يا فيرجينيا. في الواقع لقد سمحَ لأبناء أريس بالازدهار والانتشار هنا.

لقد حذَّرتُ هارموني. آمل بأنّ الأبناء لم يُقضَ عليهِم جميعاً.

تنحني الحاكِمة المعظَّمة أمام موستانغ: «والدُكِ يجب أن يموت. لقد شنقَ تلكَ المرأة عينها التي استخدمها أبناء أريس ليُطلِقوا كلَّ هذا. وَجهُه يتوهّج عبر آلتهم الدعائيّة. إن رحل، إن ضربناهم، حينها سيتلاشون. سنقتلُ عصفورين بحجر واحد. نُرتِّب نقلَ السُّلطة إلى آل بيلونا، وسيعمُّ السلام في المرّيخ لأوّلِ مرّة خلال حُكمي. كل ما سيكلّفُه الأمر حياة خمسين شخصاً. أعلمُ بأنّه والدُكِ، لكنّكِ انضويتِ تحت جناحي لسبب».

بالنظر إلى موستانغ، فهمتُ السببَ الآن، ولقد فطر ذلك قلبي.

تنهضُ ببطء، تسيرُ نحو النافذة وكأنّها تهرب مِن القرار. تُحدِّق في الخارج نحو سفينة تمرُّ في الضباب البعيد: «عندما كانَت أمّي حيّة، اعتادَ أن يركبَ الحصان معي عبرَ الغابة. كنّا نتوقّف عند تلكَ الفُرجَة مِن الورود البريّة ونستلقي بين الأزهار الحمراء، ونمدُّ ذراعينا، مُتظاهرَين بأنّنا ملائكة. ذلكَ الرجُل قد مات. افعلي مع الجديد ما تريدين».

# 17

# ما تجلبه العاصفة

السبجيّون يرافقونني إلى مسكني الجديد، فيتشنير يتبعنا مِن الخلف، وهو يسير بمرح على الأرضيّة الرخاميّة. عندما نصل إلى بابي، يأخذني مِن يدي.

- «أحسنتَ صُنعاً يا ولد. أحسنتَ قراءتها—بمعرفتكَ بأنّها تريد ما لا تسطيع الحصول عليه. تبّاً كم هذا ذكي! إنّه ليثلج قلبي أن أراكَ أخيراً تلعبُ اللّعبة وتربح أيّها المشاكس الصغير». يَلكُم كتفي: «غداً سنذهب إلى السوق ونشتري لكَ خدماً؛ زهريّين، زُرقاً، سبجيّين، على هواك؛ أمّا الآن... فتركتُ لكَ هديّة». يشير إلى غرفتي حيث تستلقي زهريّة رشيقة القِوام على الفراش: «استَمتِع».

- «أنت لا تعرفني على الإطلاق. آم ماذا؟». يتنهّد وينحني إلى الأمام.

- هذه هي اليدُ التي مدَّتها لك الحياة. إنّها ليسَت بيدٍ سيّئة. تخيّل الأمور التي بوسعكَ فعلها كمندوبٍ شخصيٍّ للحاكِمة المعظَّمة. إنّها تجعل مِن حاكِمكَ يبدو كمالكِ أراضٍ حقير في بلدةٍ صغيرة. لديكَ فتاتُك. لديكَ فرصة. رحِّب بحياتك الجديدة وخُذها بالأحضان.

يضربُ الباب بقوّة.

حياة جديدة، لكنْ هل تستحق ثمنها؟ لا أعرف ما الذي حدث مع أبناء أريس. إنّه أمرٌ لا أستطيع أن أؤثّر فيه. لكنّه يتوقّعُ منّي أن أدعَ روكي يموت؟ بأن أدعَ تاكتوس، وفيكترا، وثيودورا يهلكون على يد فريق قتلة من الحرس البريتوري؟

أمشي في أرجاء شقّتي مُتجاهلاً الزهريّة. الغيوم الليليّة في لونا تمتدّ على مرمى البصر بقدر ما يمكن رؤيته مِن خلف صفٌّ مِن النوافذ التي يتضمّنها الجدار الشمالي للجناح. الأبنية تخترق الغيوم مثل رماح متوهّجة.

أنا محاصرٌ بمظاهر البذخ.

المطر لا يزال ينهمر. العواصف في لونا كائنات غامضة. بالنسبة لرجُل مِن المرّيخ، إنّه مطرٌ بطيءٌ، خامل، وكأنّ القَطراتِ ضجرة مِن سقوطها في هذه الجاذبيّة الضعيفة، لكنّ الرياح التي تأتي على شكل عواصف، لا توجد شقوقٌ في نوافذ القلعة يُمكِن لها أن تصفر مِن خلالها. أفتقدُ أنينَ قلعتي القديمة على المرّيخ. أفتقدُ نحيبَ المناجِم العميقة. تلكَ اللّحظات عندما يبردُ الحفّار وأجلسُ هناك ألمسُ رِباط زواجي مِن خلال بزّة شوائي، مُفكّراً كم اقتربَ الوقتُ الذي ستكون فيه شَفتاها على شفتيّ، ويداها على خصري، وجسمها ينزلق بخفّةٍ مثل الغبار على جسمي.

لكن لا يمكنني التفكير في الفتاة الحمراء فقط. عندما أرى القمر، أفكّر بالشمس: موستانغ تحترقُ في أفكاري. إن كانت لإيو رائحة الصدأ والتربة، فإنّ الفتاة الذهبيّة هي النار وأوراق الخريف.

جزءٌ منّي يتمنّى لو أنّي أتذكّر إيو فقط. لو أنّ عقلي كان مُلكاً لها، كي يصبح بوسعي أن أكون مثل واحدٍ مِن فُرسان الأساطير؛ رجُلٌ مُغرمٌ جدّاً بمَن

فقدها لدرجة أنّه يغلقُ قلبه أمام كل الأخريات، لكنّني لستُ الأسطورة. مِن نواح عديدة، أنا ما زلتُ صبيّاً، ضائعاً وخائفاً، يبحثُ عن الدفء والحب. عندما أشعر بالتراب أُكرِّم إيو، وعندما أرى النار، أتذكّرُ دفء وتلألؤ ألسنة اللّهب عبر بشرة موستانغ، ونحن مستلقيان في مقصورتنا التي مِن الجليد والثلج.

أتفحَّصُ الغرفة الفارغة، التي لها رائحة ليسَت برائحة أوراق ولا تربة وإنّما رائحة هَيل. الغرفة واسعة جدّاً على ذوقي. فخمة جدّاً. هنالك عاجٌ على الجدران، وساونا، وصالون تدليك مجاور لغرفة المتعة. هنالك كرسي اتّصالات، وسرير، وحوض سباحةٍ صغير. هذه هي غرفي الآن. أرى في ملف البيانات بأنّه قد صُرِف لي خمسون مليون وحدة نقديّة كمنحةٍ مِن أجل اختيار حاشيتي. وتركوا لي عشرة ملايين إضافيّة لملء الحرملك الخاص بي. هذا هو الثمن الذي يدفعونه لي مقابل خيانة أصدقائي. إنّه ليسَ بكاف.

عيوني الآن تلقي بنظراتها على الزهريّة المستلقية على سريري. عارية ومغطّاة ببطانيّة فقط. رَميتُها عليها كي أستر قوامها، مفكّراً بإيفي المسكينة عندما رأيتها لأوّل مرّة. لكنْ كلّما أطَلتُ النظرَ إلى هذه الفتاة الجديدة، باتَ مِن الأصعب تذكُّر إيفي، تذكُّر إيو، أو موستانغ. لأجل هذا وُجِدَ الزهريّون، لكي يساعدوكَ على النسيان. إنّهم ذوو كفاءةٍ عاليةٍ لدرجة أنّهُم يجعلونكَ تنسى محنتهم الحزينة الخاصّة. عندما تكبر، ستُباعُ بعد أن كانت مِن موظّفي القلعة إلى بيت هوى رفيع المستوى. ومع تشكُّل بضع تجاعيد أخرى ستُباعُ إلى مستوى أدنى وأدنى إلى أن لا يبقى لديها ما تعطيه. هذا يحدث للرجال. هذا يحدث للنساء. وبدأت أدرك بأنّ هذا يحدث للذهبيّين.

الزهريّة تطلبُ منّي أن أنضمَّ إليها، كي أدعها تُسكِّن ما يؤلمني. لا أردّ. أجلس على حافّة النافذة، يداي تعصران فخذيّ منتظراً. شفرتي ليست بحوزتي. السبجيّون يحرسون الممرّ في الخارج. زجاج النافذة لن يتحطّم بأي طريقةٍ متاحةٍ لدي، لكنّي لا أقلق. أجلس أراقب العاصفة، لأشعر بأنّ هنالك واحدة أخرى تتشكّلُ في داخلي.

يُفتَح الباب مصدراً هسيساً. ألتفتُ، مع ابتسامةٍ ترتسم على وجهي.

– موستانغ، أنا–.

عبر الباب ينسلُّ رجُلٌ زهريٌّ خجولٌ مع شعرٍ أبيض وعينين بوسعهما تحطيم آلاف القلوب في ليكوس. وحطَّمَت قلبي الآن. لقد كنتُ مخطئاً.

– «مَن أنت؟». أسأل.

يضع صندوقاً صغيراً مِن حجر الجزع على سريري أمام الزهريّة الأخرى.

– «ممّن هذا؟». أطالب.

«سترى يا دومينوس». يقول. يمدُّ يَدهُ بلُطفٍ إلى الزهريّة الأخرى، التي تُمسِكُ بها بارتباك وتتبعه إلى خارج الغرفة. يغلق الباب. أنا مرتبكٌ مثلي مثل الزهريّة تماماً. أهرع نحو الصندوق وأفتحهُ لأجد في داخله مُكعَّبَ عرضٍ مُجسَّمٍ صغيراً. أشغّله.

يظهر وجه موستانغ متوهّجاً: «احْتمِ». تقول.

تنقطعُ الطاقة ويُقفَل الباب تلقائيّاً. الغرفة تغرق في الظلام. البرق يضربُ مخترقاً الغيوم في الخارج؛ والرعدُ يهدر. وأنا أسمع شيئاً. عواء. إنّها ليست الريح.

وميضٌ آخر مِن البرق، وها هو يظهر، طافياً في العاصفة الشديدة مثل

أبشع ملاك يُمكِن للسماء أن تقذفه. فرو ذئبٍ يتدلّى مِن كتفيه، ويرفرفُ في الرياح. خوذته سوداء معدنيّة على شكل رأس ذئب، وهو مُسلَّحٌ بالكامل حتّى أسنانه اللّعينة.

سيفرو أتى، وقد جلبَ معهُ أصدقاء.

البرقُ مِن جديد، هذه المرّة يضيء ابتسامتَهُ الحادّة والثمانية قتلة الذين يحومون مِن خلفه. بالمجموع تسعة عوّائين. شياطين صغار متوحّشون ينتظرون في الظلام، تظهر ظلالهم مع وميض كهرباء العاصفة. كوين ذات الساقين الطويلتين هناك أيضاً.

أندفعُ إلى الساونا بينما يلمس سيفرو الزجاج بقبضةٍ نبضيّةٍ بعد أن فعَّل حقلَ تشويش ليمتصَّ الصوت. الزجاج يتشظّى نحو الداخل. صوت العاصفة المشوَّه يتبعهم، وهم يهبطون على الأرضيّة الرخاميّة المغطّاة بالسجّاد. الرياح تعصف بأغطية سريري والنجود. واحداً تلو الآخر يركعون—الحصوة المكتنزة، القيثارة المتوحّشة، المهرّج النحيل بريء الوجه، وكل البقيّة.

- «يا أصدقاء. انهضوا!». أصيح: «أنتم أصلاً قصار بما يكفي».

يضحكون وينهضون. الحصوة والمهرّج يندفعون إلى الأمام، ويغلقون بابي المعدني بلحام مِن مشاعل بلازميّة.

الماء يقطرُ مِن أنف سيفرو المعقوف، وهو ينحني نحوي، خوذتهُ تنسحب إلى داخل درعه. الشعر مقصوص على شكل تنانين. هادئ وممتلئ بالسخرية، يرفعُ كيساً كبيراً وثقيلاً بيده الأخرى. وعندما يمشي، يتحرّك بازدراء مِن هذه الجاذبيّة الضعيفة. وكأنّها كانت شيئاً يخصّ الضعفاء والمغفّلين.

- «أيّها اللورد الحصّاد، إنّك تبدو مثلَ قردٍ ماجنٍ قوّاد في وِكر السيّدات هذا». يقوم سيفرو بحركةٍ خاطفةٍ مع انحناءةٍ مسرحيّةٍ بعد أن يضع الكيس عند قدمي: «ربّما لهذا السبب تعتقد موستانغ بأنّك بحاجةٍ ماسّة إلى قطيعكَ المتنّب».

- هل أعادتكَ مِن المنطقة الهامشيّة؟

- «جميعنا». تقول كوين: «نحن هنا منذ عدّة أسابيع في حالة تأهّب. إنّها بحاجةٍ إلى رجالٍ تعلَمُ بأنّهم لن يكونوا مُخلِصين للحاكِمة المعظَّمة».

بوليصة تأمين. لا أستطيع أن أصدّق بأنّي شككتُ بها يوماً.

لا يوجد عالمٌ يمكنُ لموستانغ أن تساعدَ فيه بقتلِ والدِها. أدركتُ خلال محادثتي مع الحاكِمة المعظَّمة سبب وجودها هنا في المقام الأوّل—لاختراق عائلة الحاكِمة المعظَّمة مثلما اخترقتُ أنا الذهبيّين. مع دخولها لجناح الحاكِمة المعظَّمة، تذكّرتُ كيفَ ذكرَت قبلَ النِزال بأنّ لديها خُططها الخاصّة. الآن، وأخيراً اتّضحتِ الأمور. كانت كل واحدة منهما تلعب لُعبَتها الخاصّة، لكنّي ساعدتُ على كشفِ أوراق الحاكمةِ المعظَّمة.

الحاكِمة المعظَّمة لم تكن قلقةً بشأن مَعرِفتي بأيّ شيء، وإلّا لماذا تلعبُ اللّعبة؟ لكن حالما دخلَت موستانغ إلى الغرفة، فالمنظور الفكري تبدّل. كان عليها حَسمُ اللُّعبة حالاً، لكنّ كبرياءها تغلَّبَ عليها.

بالنسبة لموستانغ، علمتُ بأنّها كانَت معي فورَ إخراجها لخاتِم الحصان الذهبيّ، الذي أعطيتها إيّاه، مِن جيبها، وجعَلَتهُ ينزلق على إصبعها. قلبي قفزَ في تلكَ اللّحظة، وكنت أعلم بأنّها ستجدُ طريقاً لإخراجنا مِن كل هذا.

- «سيفرو». ابتسمَ وأمسكَ يده بإحكام: «حاكِمنا العام، إنّه—».

– أعلم، موستانغ أطلعتنا بإيجاز.

«تعالَ إلى هنا أيّها الشيطان الطويل». كوين تخطو إلى الأمام متجاوزةً الآخرين وتحيط خصري بذراعيها وتُقبِّلني مِن خدّي. رائحتها أشبه بالديار. كم أفتقدُ أولئكَ الناس! الرياح تصدر صوت عواء، وهي تمرُّ عبر حقل تشويشنا. عين سيفرو البيونيّة تلمعُ على نحوٍ غير طبيعي. كوين تُحضِر لي أحذيةً ثقاليّةً بلون الأبنوس الأسود. أنتعِلُها.

– «ربّما جلبتنا موستانغ مِن المنطقة الهامشيّة، لكنّنا لم نأتِ مِن أجلها. لم نأتِ مِن أجل أوغوستوس. أتينا مِن أجلكَ يا حصّاد». سيفرو يقولُ مزمجراً. كوين تعبسُ لدى بَصقِ سيفرو على السِّجاد الجميل: «رأينا ما الذي فَعلتهُ بكاسيوس، ونريدُ ما تحاول صنعه».

– «وهو؟». أسأل، وأنا أكثرُ مِن مُرتبِك.

– «الذي يريده القَتلةُ الفقراء دائماً؛ الحرب». يصيحُ مزمجراً: «وكل غنائمها».

– ماذا بالنسبة لأبيك؟ أصبحَ ذا منزلةٍ مرموقةٍ الآن.

– «فيتشنير، إنّهُ وَغدٌ حقير». يبتسمُ ساخراً: «لقد صنع سريره. دعه ينام فيه بينما نحرق المنزل برمّته».

– حسناً، إن كنتَ تُريدُ الحرب، إن كنتَ تريدُ الغنائم، يُستَحسن أن نتحرّك. الحاكِم العام هو مَن لديه الجيش.

تومئ كوين برأسها: «وروكي هناك في الأسفل.. وتاكتوس».

– «تاكتوس». يُدمدِم سيفرو، وعلى الرغم مِن معرفتي بأنّ الابتسامة الساخرة التي على وجهه هي لروكي. إنّه يراقب كوين، عيناه حزينتان لبرهة صغيرة، قبل أن يضبط درعه.

- «إذن ما الخطّة؟». أسالُ، وآخذ الشَفرة التي تقدّمها الحصوة لي.

سيفرو وكوين ينظرُ كل منهما إلى الآخر ويضحكان: «موستانغ تعملُ على جلب سفينة. قالَت بأنّكَ ستكتشفُ الباقي». تقول كوين.

بعدها مباشرةً يهتزّ الباب مِن خلفي ويتوهّج بنقطةٍ حمراء متوسّعة كحدقةٍ مِن المعدن الساخن، وألحظُ شيئاً؛ الكيسُ الذي رماه سيفرو على الأرض، إنّه يتحرّك.

سيفرو يبتسم في وجهي. أعرفُ تلكَ الابتسامة.

- سيفرو؟

- حصَّاد.

- ماذا فعلتَ؟

- «موستانغ جَلبَت لنا طرداً. فلنقُل»، كوين تبتسم ابتسامة عريضة على كتفي: «إنّه ليس بطبخها».

أفتح سحّاب الكيس، وأحدّق مُندهشاً.

- «هل جُننت؟». أسأله.

يكتفي بالعواء.

# 18

# بقع الدم

أخبرني أبي ذات مرّة بأنّ غطّاس الجحيم لا يمكنه التوقّف أبداً. إن توقّفتَ فيمكن للحفّار أن يعلق. يحترق الوقود بسرعة كبيرة، ممّا قد يجعلك تتجاوز الحصّة. لا تتوقّف، فقط بدِّل الحفّارات إن أصبحتِ الحرارة مرتفعة جدّاً بسبب الاحتكاك. الحذر يأتي لاحقاً. استخدم عَطالتَك وزَخمَك. لهذا نحن نرقص. نحوّل الحركة إلى حركةٍ أكثر. عمّي نارول يطلب منّي التوقّف دائماً. لقد كان مخطئاً. عطبتُ الكثيرَ مِن رؤوس الحفّارات بسببه.

لكن مِن ناحيةٍ أخرى، نارول عاش لفترةٍ أطول مِن أبي، لذا ربّما لديه وجهة نظرٍ مُحقَّة.

عوّائيَّ يقفزون معي مِن النافذة لنغطس في العاصفة السوداء مِن دون توقّف. نسقط سقوطاً حرّاً مخترقين الغيوم مِن دون أن نستخدم أحذيتنا الثقاليّة. مثل مطرٍ أسود يهوي بسرعة نحو الأرض. أنا الأوّل. أشعر بهم خلفي. عوّائيَّ. الأوكسجين قليلٌ في البداية. أحبِسُ أنفاسي. مُقلتاي على وشك أن تتجمّدا في محجرهما. الدموع تنهمر. جسمي يرتعش مع عضّ الرياح الباردة له.

نستخدم أحذيتنا الثقاليّة الآن لعبور القلعة. نُحاذي الغيوم لنبقى بعيدين عن الأنظار. الفيلّات تحتنا. أبنية، وبساتين، وحدائق. ثكنات وساحات مزيّنة بالتماثيل. مقاتلة جناح قاطع تخترق السماء. ننزلق خلف برج مدبّب ونبقى هنالك ملتصقين مثل العناكب إلى أن تخبرنا ماسحاتنا بأن المقاتلة قد مرَّت. أنتفضُ بين أصدقائي المدرّعين، ثمّ نهبطُ إلى الأسفل مجدّداً. على بعد كيلومتر مِن الفيلّا، يحملُ الحشيشة هديّة سيفرو. معلّقةً على ظهره، إنّها ثقيلةٌ عليه قليلاً.

أحطُّ على الجدار المحيط بالفيلّا، والذي يفصلها عن باقي المجمّعات حيث تحتمي باقي العائلات المرموقة في خوف ممّا ستحمِلهُ هذه اللّيلة.

الجوّ يزداد دفئاً الآن مع انخفاضنا أكثر نحو الأرض. يحطُّ العوّاؤون مِن حَولي، وأشكالهم تشبه الغراغيل(*) الموجودة على الجدار. الظلام يسود أراضي الفيلّا.

- «هل أتينا باكراً؟». أتعجّب. لا توجد أيّ علامات على حدوث قتال، لكنّ الأضواء مطفأة.

- «أو ربّما متأخّرين». يقول سيفرو: «إن قُتِلوا في أسرّتهم».

«يبدو هذا وكأنّها مذبحة مِن فعل آل بيلونا. لا تريد الحاكِمة المعظَّمة أن تتورّط». لكن ما الذي يعنيه هذا أصلاً؟ آل بيلونا سيأتون مع رماديّين، وسبجيّين، وذهبيّين، وعلى الرّغم مِن كل تبجّحهم بمدى شرفهم، إلّا أنّهم سيدمّرون كل شيء حتّى آخر امرأةٍ وطفلٍ مُتبقٍّ وبكلِّ الوسائل المتاحة

---

(*) الغرغول هو مخلوق قبيح منحوت أو مصنوع مع صنبور مصمم لنقل مياه السطح بعيداً عن جانب المبنى، لمنع مياه الأمطار من الجريان على جدران البناء. (م).

لهم. لا يمكنكُ رفعُ قدمكَ عن عُنقِ عدوّكَ والبقاء قويّاً، وهكذا فعلوا هم لمئات السنين.

لكنّ القتلَ سيكونُ صامتاً. الحاكِمة المعظَّمة قد يكون بوسعها السيطرة على القلعة، لكنّ الفوضى ستجلبُ عيوناً غير مُرحَّب بها، مع متغيّرات غير مُرحَّب بها، وسيجعلها تبدو ضعيفة. مِن الأفضل أن يُنجزَ الأمر بسرعة. مِن الأفضل القول بأنّ آل بيلونا قاموا بذلك وتبّاً لما سيظنّه الآخرون. مع مَقتَل آل أوغوستوس، ما الغاية مِن رثائهم؟ هكذا يفكّر الذهبيّون. لكن إن كانوا على قيد الحياة ونجوا مِن محاولة الاغتيال...حسناً، هذا أمرٌ مختلفٌ تماماً.

- «كوين». أنحني مُقترباً كي أستطيعَ سماع همساتها.

- «الرؤية صافية جدّاً. في حال امتلاكِهم معدّات بصريّة، فسيتمكّنون مِن رصدنا على الجدار». تشير نحو السقف: «بوسعنا القيام بغارةٍ هناك. ونهبط ماسحين المكان مستوى تلو الآخر». أسمع القلق في صوتها.

- «سنجلبُ روكي». أقول: «هذا وعد». أربِّتُ على ذراعها: «سيفرو، كم نحتاج مِن الوقت حتّى نحصل على مركبة؟».

- موستانغ على بعد عشر دقائق.

أطقطق رقبتي وأفرك المطرَ بين أصابعي: «بير أسبير١ أداستر١».

- «مِن بين الأشواك إلى النّجوم». يضحكُ سيفرو ضحكة مكبوتة: «أيّها الحقير التافه. أومنيس فير لوبوس». الجميع ذئاب. العَوّاؤون يومئون بابتسامات لبعضِهم، وننطلق مبتعدين عن الجدار.

نهبط على السقف. هدوء وظلمة. يبقى الحشيشة على الجدار العالي

مع هديّة موستانغ تتلوّى في الكيس. كالحيوانات المفترسة نتسلّل فوق القرميد عبر نافذة في الطابق السابع للفيلّا، اثنان كلَّ مرّة. المكانُ مُعقَّد. عشرات الغرف. سبعة طوابق. النوافير تعمل في كل مكان. حمّامات، قبو، غرف البخار. لذا فأشعّتهم تحت الحمراء عديمة الجدوى. الكثير مِن الماء الحار يسري عبر الأنابيب. المكان هادئ هنا كالسرداب.

نتسلّل على طول المكان، نتفحّص غرف النوم، منسابين مثل الماء حول بعضنا كما كنّا نفعل في المعهد. سيفرو والشوكة يتسلّلان في المقدّمة ليستطلعا. الأحذية الثقاليّة غير مُفعَّلة حتّى لا يُسمَع الطنين. لا أثر لأحد على مدِّ البصر. كل غرفة فارغة، الأسِرَّة غير موضّبة، حتّى تلك التي للحاكِم العام. آل أوغوستوس ليسوا هنا. إذنْ أين هم؟

ليس لديهم أسلحة عسكريّة سوى بضعة دروع وشفرات وعدّة قبضات نبضيّة. قُضي على الحرّاس الشخصيّين قبل حتّى أن يعودوا إلى الفيلّا. أوغوستوس وحاشيته ليسَ بوسعِهِم تسلُّق الجدران. ربّما هربوا باستخدام الأحذية الثقاليّة؟ لكن كانوا ليُرصَدوا ويُسقَطوا. تمكنّا نحن مِن التسلّل فقط لأنّنا كنّا غير مُتوَقّعين.

- «هل أُلقيَ القبض عليهم؟». يسأل سيفرو.

كلّا. بالنسبة للحرس البريتوري اللّيلة، الفرد الصالح مِن آل أوغوستوس هو الفرد الميّت.

فرقعة.

ننظر جميعاً إلى بعضنا. حقل تشويش فُعِّل للتوّ. حقل كبير. نحن في داخله. على الأغلب مُجمَّع الفيلّا بأكمله موجود بداخله. شيء ما على وشك الحدوث. أنظر خارج النافذة وأرى ظلّاً يتحرّك عبر مرج الحديقة.

ثلاثة ظِلال في المطر. أنحني وأشير إلى سيفرو. الحرس البريتوري. عباءات الشبح. خفقان قلبي يجعل قفصي الصدري يرتعش.

يتحرّكُ نحو النافذة، ويهمُّ بالقفز لمحاولة قَتلِهم. أسحبهُ إلى الخلف.

- «ما الذي تفعله بحق الجحيم؟». أهمس.

يعبس: «أريد قتل أحدٍ ما».

- ليس بعد، تبّاً! نحن لسنا بجيش.

لا أحد يوجد في الطابق السابع. نهبط عبر بيت درج رخامي دائري. دروعهم المزيّتة تصدر صريراً ناعماً، يتردّد صداه عبر بيت الدرج الغائر. يمكننا رؤية رخام الطابق الأوّل لأكثر مِن مئة قدم في الأسفل، لكنْ لا وجود لأي حركة. أولى الدماء نعثرُ عليها في الطابق السادس، تتسرّب مِن غرفة البخار. أسحب الباب لأفتحه، قلبي يقفز إلى حلقي، مستعدٌّ لرؤية ذهبيّين مُشوَّهين. إلّا أنّهُ مشهدٌ أكثرُ حزناً.

أكثر مِن عشرين زهريّاً، وبنيّاً، وبنفسجيّاً فكّروا بالاختباء في هذه الغرفة، إلّا أنّ آل بيلونا والحرس البريتوري عثروا عليهم وقتلوهم. إنّه منظرٌ غريب. كل عمليّة قتل نظيفة تماماً. جروح طعنات في الجمجمة. إنّها تظهر تماماً كم كانت فرصتهم ضعيفة أولئك الخدم المساكين. الذهبيّون قضوا عليهم مثل قطيع. أبحث بينهم بجنون، آملاً ألّا أجدها. أُصلّي بأن لا تكون هنا، ثيودورا يجب أن تكون مع البقيّة.

غضبٌ باردٌ يجتاحني. أشعر به يتسلّل إلى العَوّائين.

نعثرُ على أوّل ذهبيّ ميّت على بيت الدرج في الطابق الخامس. فارسٌ كبير بالسنّ مِن عائلتي. موته لم يكن جميلاً. أبعد بقليل نعثرُ على رجُلٍ

آخر ميّت بالقرب مِن المصعد الثقالي. لقد سقط، وهو يدافع على ما يبدو عن المصعد بينما يهبط الآخرون.

عبر النافذة ألمحُ الفارسة الرمّاحة لآل أوغوستوس التي سخرت مِن مهاراتي باستخدام الشفرة قبل يوم واحد فقط. تندفعُ مِن المنزل إلى الحدائق. شكلٌ يتكوّن في الظلمة. ذهبيّ مِن الحرس البريتوري بدرع أسود مع حوافّ أرجوانيّة يطاردها. اثنان مِن سبجيّي بيلونا يطوّقانها، ليجبراها على الاستدارة والتوجّه مباشرةً نحو مطاردها. يقتلها بضربةٍ واحدة. لا شيء يمكن فعله. موتها سريع للغاية. في لحظة كانَت تلهث خائفة، وهي تركض، وفي اللّحظة التالية، يسقط جِزآها على الأرض.

– «هؤلاء الحرس البريتوريّون لا يلعبون بغذائهم». يدمدم سيفرو. كوين تنظرُ إليّ، عيونها تلحظ غياب الدرع، أو الخوذة. تَعرِض خاصّتها. أتجاهلها.

– دارو، نحن لم نمرّ بكل هذا مِن أجل أن نشاهدك تموت بضربةٍ على الرأس.

– «تخلَّصي منها». أقول لها: «روكي سيكتب آلاف الأشعار المتبّبة إذا أصابك مجرّد خدش صغير».

– «احتفظي بالخوذة يا كيو». يتوسّل سيفرو: «إنّه لسببٍ ما فقط، لأنّي أكره الأشعار».

أدع شفرتي المستعارة تنسل إلى كفّي وأتحرّك عبر الطابق. عند باب كل غرفة، يتسارعُ تدفّق الدم في عروقي. أتوقّع العثور على جثّة روكي. أتوقّع رؤية جسم فيكترا المشوّه.

سيفرو يرفع يده عند بيت درج الطابق الرابع ويشير لي بالمضيّ قُدماً.

أنزلق نحوه مع كوين وأمعن النظر نحو الأسفل. الغبار يرتفع عبر بيت الدرج الدائري، ومن ورائه، على سطح الطابق السفلي، تتحرّك الظلال، لكنْ لا يوجد ضجيج هناك. سيفرو ينحني ويضع قطعةً مِن الحطام على حافّة الدرابزين، مشيراً لي بالمراقبة. يتجمّع العَوّاؤون مِن حولها ينظرون إليها وأتجمّد. على الرّغم مِن عدم وجود أي صوت، قطعة الحطام تتأرجحُ قليلاً.

اهتزاز في البناء.

قبل أن يتمكّن سيفرو والبقيّة مِن إيقافي، أقفزُ فوق الدرابزين وأهبط عبر منتصف بيت الدرج الحلزوني بسرعة تفوق بعشر مرّات ما تسمح به جاذبيّة هذا القمر. فرقعة. أدخلُ مجال حقل التشويش الثاني، لتَصدُر أصوات جلبة حرب مِن فوقي. انفجارات متتالية، صرخات، هسيس الحرّاقات وهي تطلق النار، الأسلحة النبضيّة تصدحُ مثل أشباحٍ مجنونة. في اللّحظة التي تَسبِقُ هبوطي، أُعدِّل حذائي الثقالي، وبحركة اهتزازيّة أُوقِف نفسي بقوّة. أرتطمُ بالرخام وألوِّحُ بشفرتي بعنف مشكّلاً حلقةً فوقَ رأسي. أربعة رماديّين مِن الحرس البريتوري يموتون، ليُسمَع وَقعُ ثماني ضربات على الأرض. عباءاتهم الشبحيّة تتلاشى مثل صقيعِ نافذةٍ رقيق أمامَ نَفسٍ حار.

الأجساد متناثرة عبر الممرّات. ركامٌ ونيران. رماديّون وسجيّون يلاحقون ذهبيّاً مِن آل أوغوستوس. ستّة رماديّين يُخضِعون ذهبيّين بوساطة بنادق كهرومغناطيسيّة، الذخيرة المغناطيسيّة تندفع مصدرةً زعيقاً باتّجاه تروس أيغيس إلى أنْ تنهار وتلتوي إلى الخلف، لتأتيَ على أذرع الذهبيّين اليُسرى. الطلقات ترتطم بالواقيات النبضيّة التي تغطّي أجسامهم، فتزيد الحمولة على الدوائر الكهربائيّة. الرماديّون ينسلون إلى الأمام بدقّة تدرّبوا

عليها، ويطلقون النار مِن مسافةٍ قريبةٍ جدّاً على رؤوس الذهبيّين التي ترتدي الخوذ. أفضل درع في المجموعة الشمسيّة ينهار نحو الداخل فيختفي الرجال والنساء. يستدير الرماديّون باتّجاهي ويصوّبون بنادقهم، ليهبط عوّائيَّ تباعاً ويحيطوا بي. تروس أيغيس السوداء الخاصّة بهم تنبضُ لدى تداخلها مع واقيات الذراع التي تغطّي سواعدهم اليسرى. إنّهم يتصدّون لإطلاق النار القادم نحوهم. سيفرو ينفصل عن التشكيل. تتبعه كوين. كالأشباح، يظهران ويختفيان، يتحرّكان كخيطي دخان توأمين. بطريقةٍ ما هم بين الرماديّين، ثمّ يعودون إلى جانبي قبل أن يسقط الرماديّون.

وابلٌ آخر مِن إطلاق النار يضرب بعنف تشكيلنا، يكاد يطيح برأسي المكشوف. أنحني مختبئاً خلف رفاقي المدرّعين. الرعب يسري في داخلي. رماديٌّ يقفز إلى الممرّ ويطلق طلقة ميكرويّة نحونا. ثلاثون قنبلة صغيرة تنتشر مثل سرب دبابير. الشوكة والأحدب يفجّران السرب بقبضاتهم النبضيّة. سحابة نار زرقاء تتدفّق متموّجة عبر الممرّ. سربٌ ثانٍ مِن القنابل ينطلق خلف الأوّل مصدراً صوتاً كالعواء. كوين تحوِّلُ الطاقة إلى قبضتها الثقاليّة وتطلق نحو سرب القنابل قبلَ أن تَصِل إلينا. تعكِسُ مسارها، لتعود أدراجها مِن حيث أتت لترتطم بفرقة الرماديّين وتنفجر.

لن نصمُدَ هنا. لن يصمُدَ أي شيء، أقرّر ذلك عندما يظهر في المشهد ثلاثة سبجيّين مِن آل بيلونا ويتبعهُم عن قرب كارنوس بيلونا الذهبيّ. بعض أصدقائي سيموتون في هذا الطابق إن بقينا نقاتل كلَّ مَن يواجهنا. هنالكَ طريقةٌ أفضل. طريقةٌ أذكى.

- «سيفرو، اِصنَع فتحة!». أصيح، مشيراً إلى سبعة طوابق فوقنا، نحو الفراغ وسط بيت الدرج. يُطلِق مِن قبضته النبضيّة نحو الأعلى لتنهمر قطع

حجارة مِن حولنا، فتوقِفُها قبضةُ كوين الثقاليّة. يطلقُ سيفرو مُجدّداً ليسيلَ الماء إلى الأسفل عبرَ الفتحة، ويدور ضمن فقاعة الجاذبيّة التي صنعتها كوين. أقف وأصرخ: «اتبعوني!».

نرتفعُ خارجَ الفوضى قبل أن ينقضَّ الحرسُ البريتوري علينا. أتوقّفُ على ارتفاع مئتي متر فوق الفيلّا. الرياحُ تعصف بشدّة. لم يكن لديَّ أيُّ خطّة عندما هبطت إلى الأسفل إلى الطابق الأوّل. فكّرتُ فقط في أصدقائي. الآن أدرك أنّني والعوّائين سنُقتَل إن قاتلنا. أدعُ شفرتي تلتفُ بهدوء حول ذراعي. أُعطي تعليمات للعوّائين بأن يقوموا بالمثل وأصرخ مزمجراً في الظلام.

- «أجا!». العَوّاؤون يحيطون بي عن قرب، مُتوَتِّرين بينما نحومُ مَكشوفين فوق الفيلّا. العاصفة ترسل أمواجاً مِن المطر الغزير ليهطل علينا: «أجا!».

حشدٌ مِن الحرس البريتوري يطفئون عباءاتهم الشبحيّة بالقرب مِن الينابيع والبحيرات الشاطئيّة الحارّة، حيث يضطرب عمل الأشعّة تحت الحمراء بفعل حرارة الماء. اثنان مِن الحرس البريتوري ينطلقان مِن الحديقة إلى الأعلى بسرعة صاروخيّة، مخترقان شجر الصنوبر. أحدهما موسوم. يطيرُ مُقتَرباً ومُصوِّباً قبضته الأيونيّة نحو رأسي.

- «أبعِد هذا الشيء عن وجهي المتبّب، أيّها الحقير الموسوم. ألا تُميِّز مَن هم أعلى منك مقاماً؟». ذهبيّ مِن الحرس البريتوري ينضمُّ إليه. لا أتعرَّف على المرأة. خوذتها التي على شكل ثعبان تنحسر إلى درعها الأسود الأرجواني، والذي يبدو أملس مِن درع السبجيّين. وَجهُها حاد وقاس كنصل فأس.

– «فارغا، هيّا إليّ». تصيح بحدّة. الموسوم يخفض سلاحه. خوذته تنحسر إلى درعه البريتوري لأكتشف بأنّ فارغا امرأة. إنّها سبجيّة أقصر منّي بمقدار رأس، مع وشمٍ قَبَليّ يغطّي وجهها الشاحب. شعرٌ أبيض يرفرف خلفها. على وجهها ندوب أكثر ممّا لديّ في كامل جسدي.

– «كلبٌ أبنوسي». ينفجر سيفرو: «سأطلقُ النار عليها إن هي زمجرت مجدّداً».

– «هل كنتم أنتم الفرقة التي كانت في بيت الدرج؟». الذهبيّة ترمقنا، غير متأكّدة ممّا يجب أن تفعله بي أو بعوّائيَّ: «لقد قتلتَ رماديَّ».

– «لا تنتحبي على الرماديّين». أقول: «لقد رفعوا أيديهم في وجهي».

– «لماذا أنتَ هنا؟». تمسحُ المطر عن وجهها: «الحاكِمة المعظَّمة جعلت حركتك في اللّيل مقتصرة على غرفتكَ. هل أنت مسؤول عن انقطاع الطاقة؟».

– «ما أقوم به هو عمل مِن شأن الحاكِمة المعظَّمة». لا يمكنها تحمّل عدم تصديقي.

تتوقّف للحظة وأدركُ بأنّ لديها عدسات في عينيها. إنّها تتفحّصُ قاعدة بيانات. «كاذب».

سلاحُ المَوسومة يُرفَع مِن جديد.

– «هل تعرفين مِن أنا أيّتها الحارسة البريتوريّة؟». أقولها بكل ما أوتيتُ مِن سُلطة: «أنتِ تعلمين أيضاً بأنّي لستُ على قائمتكِ للقتل. لديَّ حصانة».

– لقد رُفِعت.

- إذنْ خذيني إلى أجا.

- أجا ليسَت هنا.

- لا تكذبي عليّ.

قزحيّات عدساتها تلمعُ وكأنّها تتلقّى أوامر رقميّة: «اتبعني».

نحطُّ على حجارةٍ بيضاء ونتبعُ الحارسة البريتوريّة عبر الأشجار نحو البحيرة الشاطئيّة حيث تصبُّ الينابيع الحارّة.

- «ماذا تفعل؟». يهمس سيفرو في أذني، وهو ينظر إلى فارغا. يوجّهُ للمرأة حركة بذيئة مِن خلال لفِّ إصبعه الأوسط فوق السبّابة.

- أستخدمُ نُفوذكَ.

أجا تقف في الحديقة، محاطةً بآل بيلونا، ذهبيّان والبقيّة سبجيّون. واحدٌ فقط مَوسوم، فارغا. البحيرة الشاطئيّة تنفثُ بخاراً على شكل مِحلاق(*) يلتفُّ حولَ كتفيّ الفارس المتلوّن. إنّها تنظر إلى الماء مجرّدةً مِن أيّ عواطف، مثل طفلٍ يراقب نار مُخيَّم منتظراً الحطب كي يحترق.

- «دارو؟». أجا تصدرُ صوتَ خرخرة مِن دون أن تنظرَ إليّ. «أنتَ لستَ في غرفتك». تُقيِّم العَوّائين بنظرة. تتعرّفُ عليهم: «كما أنّكَ قتلتَ رجالي. فيتشنير كان مُخطئاً بشأنك».

- «لديَّ شيءٌ ستودّين الحصول عليه». أقول بحدّة: «لكنْ اسحبي كلابك».

- لقد حاولوا الهروبَ قبلَ أن نأتي، حتّى مع مُصادَرة أحذيتهم الثقاليّة.

---

(*) عضو نباتي ذو شكل لولبي تستعمله بعض أنواع النباتات المتسلقة للتعلق على دعامة. (المترجم).

إنّها محاولةٌ غبيّة. حاولوا التواصلَ مع آل جولي، لكنْ كان قد جرى شراؤهم.

- «فيكترا؟». أسأل. خانتنا.

- إنّها حيّة. مع البقيّة. سيُعفى عنها بفضل تعاون والدتها. سفينتان لآل أوغوستوس حاولتا الإفلات مِن حصارنا في المدار. أسقطناهما. آل أوغوستوس أشبه بحيوانات غرير محاصرة.

- «أُسود». أذكّرُها.

تنفضُ الدم عن شفرتها: «ليسَ تماماً».

- «أما يزالُ أحد منهم على قيد الحياة؟». أبعِدُ الذعر من صوتي وأعاودُ التحديق في الفيلّا.

- نعم، الجوائز.

أتنفّس الصّعداء.

تدع شفرتها تنزلق إلى يدها. تصبح صلبةً وتلتفت نحوي. الحدقات الطوليّة لعيونها تبتلع الضوء: «أصدقاؤكَ في البحيرة الشاطئيّة. اختبأوا هناك لأنّ أشعّتنا تحت الحمراء تصبح عمياء بفعل حرارة البركة. إنّها محاولةٌ أخيرةٌ يائسة. أنظمة تنقية الهواء في خوذهم سيصيبها ماس كهربائي نتيجة تعرّضها للنبضة الكهرومغناطيسيّة؛ لذا لن يكون لديهِم سوى الهواء الذي في خوَذِهِم، وليس حتّى بالكثير. لن يصمدوا أكثر مِن خمس عشرة دقيقة. وأولئكَ الذين بلا خوَذ... ربّما ستّ دقائق. قريباً سيطفون على السطح مثل التفّاح». تبتسم مبتهجة: «إنّي أحتفظ بهِم لكارنوس؛ إلى أن ينهي لهوه في الداخل. مِن الممتع مشاهدته، أليس كذلك؟».

مَطرٌ حارٌّ يطرطق على دروعنا. لا صوت غيره.

- «لماذا أنتَ هنا يا أندروميدوس، ولستَ في غرفتك؟». أجا تلعب بشفرتها، وتشطرُ قطرات المطر إلى شطرين: «الحاكِمة المعظَّمة كانت واضحةً جدّاً».

- «لديَّ شيء ستودّين الحصولَ عليه». أكرّر.

- ما أريده هو أن تُطاع أوكتافيا. طِر عائداً إلى غرفتك يا فتى، وخذ حمّاماً لطيفاً وداعب الورديّة التي تركناها في سريرك. فَرِّغ غضبك، أو أيّاً يكن ذلك فيها. واترك قَسَمك سليماً. لا ترفع إصبعاً ضدّي. لقد قتلتَ رماديّين فقط. هذا سيُنسى بسهولة، أليس كذلك؟ عُد وستظنُّ بأنّ هذا مجرّد نزوة شباب. ابقَ، لأضيف جثثكم أنتَ وأصدقاءك البرونزيّين إلى الكومة.

العَوّاؤون منزعجون مِن خلفي.

- «مثلما قتلتِ الخدم؟». أسأل متحمّساً: «كأنّهم ماعزٌ مُعدٌّ للذبح».

أجا تلتفت إلى الخلف نحو البركة: «حان وقتُ الرحيل يا حصّاد».

- «إنّكِ مقرفة». أخطو مقترباً منها: «كل هذه السُّلطة، وهكذا تستخدمينها؟ بقتل العائلات وسط ليلة متبّبة. الحقيقة الأساسيّة هي أنّكِ وصمة عار. آمل أن تتذكّري الألمَ الذي جلبتِه للآخرين عندما أقفُ فوقَ جُثّتك».

تلتفت نحوي بكل غضبها. تستلّ الشفرة، والعيون تلمع، لكنّها لا تستطيع لمسي. ليس الآن. ليس هذه اللّيلة.

- «دارو». يصيح سيفرو مع لطافة مفاجئة غريبة في صوته.

- نعم يا سيفرو؟

- كل هذا الكلام عن التذكر. ألم تنسَ شيئاً الآن؟

- «أظنّ ذلك». كوين تؤكّد: «حصّادنا الحكيم...».

«... لكن الساهي». ينهي المهرّج بأسلوبٍ تافهٍ لعوب.

- «همم. أعتذر يا أجا. نسيتُ ما الذي أتيتُ لأخبرك به». أقفُ هنالكَ، وعليَّ علاماتُ الارتباك.

تتنهّد كوين: «الكيس».

- «ياه، أجل! شكراً لكِ على تذكيري يا سيفرو». أصيح على نحوٍ مسرحي. أجا لا تعرف كيف تتعامل مع هذا المزاح المفاجئ: «أخبر الحشيشة بأن يأتي إلى الأسفل هنا».

يتكلّم سيفرو عبر جهاز اتّصاله، وبعد لحظة يفصل الحشيشة عباءته الشبحيّة ويطير مِن الجدار على بعد كيلومتر. نراقبه، وهو يقترب. الحصوة تصفِرُ لحناً سعيداً، لتحصلَ على عُبوسٍ مِن القيثارة وضحكة مكتومة مِن سيفرو، الذي ينضمُّ إليها أيضاً. الحُرّاس البريتوريّون يظنّون بأنّهُم مجانين. فَرو الذئاب يتدلّى معلّقاً مِن ظهورهم. درع أسود مخصّص. خوَذ ذئاب. ولا أحد أطول مِن مترين إلّا أنا وكوين. إنّه أشبه بسيرك متنقّل مِن البنفسجيّين.

- «ما الذي تحاول فعله؟». تسأل أجا.

- «ألم يقم أحد بالمساومة معكِ مِن قبل قط؟». أسأل متفاجئاً: «يا للأسف!».

الحشيشة يحطُّ أمامي ويناولني الكيس الذي أهداني إيّاه سيفرو. أجا تسأل ماذا يوجد في الكيس.

- مُري رجالكِ في الفيلّا بأنْ يتوقّفوا عن القتل، وسأخبرك.

- «لا أتفاوض مع صبيان». تقول أجا.

أنكزُ الكيسَ قليلاً بحذائي، مُظهراً لأجا بأنّ أيّاً كان الذي في الحقيبة فهو حيّ. تعبسُ وربّما بدأت تفهم ماذا يكون. تتكلّم عبر جهاز اتّصالها طالبةً مِن رجالها التوقّف: «ماذا يوجد في الحقيبة المتبّبة؟».

أفتَحُها وأسحبُ منها وَريثَ عرش الصباح، وكأنّه أرنب قد أُمسِك به للتوّ. يدا وقدما ليساندير مربوطتان برفق، ووشاح حريري وضِعَ على فمه ليمنعه مِن إحداث أيّة ضجة. أفكُّه.

- «مرحباً يا أجا». يقول.

أجا تندفع نحوه. أسحبه إلى الخلف. «هيه! هيه!». أرفعُ شفرتي عند رقبة الصبي، وأجعلُها تلتفُّ حولها، تماماً مثلما لفَّت العرّافة الرؤوم نفسها على معصمي.

أجا تتجمّد. حَرَسها البريتوري يراقبون بهدوء—الخوذ السوداء والأقبية(*) الأرجوانية تجعلهم ظلالًا. بعضٌ مِن آل بيلونا يتقدّمون عدّة خطوات إلى الأمام. أجا تشير إليهم بالتراجع. «الشخص التالي الذي سيتحرّك، سأقطّعه إرباً. كيف أمسكوا بكَ يا ليساندير؟ حُرّاسك—».

- «لقد كانت موستانغ». يقول: «أتَت لتلقي التحيّة. صنعت فتحةً في نافذتي وسلّمتني للعوّائين».

- هل تأذّيت؟

---

(*) القباء هو رداء قصير واسع يوضع على الكتف ويغطي الظهر والصدر، ومفتوح من الأمام. (المترجم).

– «دورك في الحديث قد انتهى يا أجا». أقاطع: «ستدعين أفراد عائلتي يخرجون مِن البركة. ستدعينهم يصعدون إلى المركبة التي استقدمتها. ستخبرين طائرات الأجنحة القاطعة والمقاتلات في السماء والفضاء فوق لونا بأن يسمحوا لنا بالمرور، أو سأجعل عوّائيَّ يقتلون الصبي».

– «لقد وَعدتَ بحماية الحاكِمة المعظَّمة». تهمس أجا: «وأنتَ تقوم... بهذا؟ إنّه ولد. إنّه بلا حولٍ ولا قوّة».

– «هذا جزءٌ مِن اللّعبة». يقول ليساندير بكل جديّة: «أنتِ تلعبينها أيضاً يا أجا. جميعنا مشتركون».

– «أترين؟ إنّه أقلُّ عجزاً مِن الخدم الذين ذبحتِهم اللّيلة». تردّ كوين: «أقلّ مِن أولئكَ الذين حرقهم والدكِ في ريا، لكنّه واحدٌ منكُم؛ لذا بالطبع فأنتِ تهتمّين».

– «بوسعكِ أن تقتلي عائلة بأكملها لضمان سلامة حاكِمتكِ المعظَّمة». أقول ببرود: «بوسعي قتلُ طفلٍ لضمان سلامة أصدقائي. تكلَّمي مرّة أخرى، وسأقطعُ يده اليسرى».

إنّها تعلم بأنّي سأقتلُ الصبي.

أنا أعلم بأنّي لن أفعل. لستُ كارنوس، ولا إيفي، أو هارموني، بصرف النظر عمّا أودُّ أن يعتقده هؤلاء الذهبيّون. لذا حتّى لو اكتشفوا خداعي، كنت لأحجم عن فعل ذلك. على كل حال، في اللّحظة التي سأقتلهُ بها، سيقتلون كلَّ مَن أعرفه. القتلُ سيكونُ بلا طائل.

لهذا بالضبط أبني سمعتي كقاتل، كي أستغِلَّها كوسيلة ضغط في حالاتٍ كهذه. لو أنّهم يعلمون ما في قلبي، لقتلوا أصدقائي واحداً تلو الآخر. إنّها مُقامرة.

أراهن على نوعين مِن الكبرياء: الأوّل هو بأنّ الحاكِمة المعظَّمة لن تدعني أقتلَ حفيدها الوحيد، الذي درّبته منذ نعومة أظافره ليخلفَها عندما يحين الوقت، والثاني هو أنّه في أعماقِها ستعتقدُ بأنّها ليسَت بالخسارة الكبيرة أن يهرب أوغوستوس مع عائلته اليوم؛ حيث إنّها تملكُ الرغبة والوسائل لمطاردتنا حتّى آخر أطراف المجموعة الشمسيّة. فلماذا تكشفُ خُدعَتي وتخاطر بموت حفيدها؟ أعلم ذلك بسبب الكيفيّة التي قتلَت بها والدها—ليس مباشرةً، وإنّما فقط بعد أن نالَت دعم جميع أتباعه السابقين، وفقط بعد أن طلبوا منها التمرّد على الطاغية الطويل وتولّي الحكم بدلاً منه.

امرأة مثلها لديها صبر. إنْ قالت لي الحاكِمة المعظَّمة بأن أفعلَ أسوأ ما عندي، إن صرخت متحدّيةً، وهي تدعوني لقتل الصبيّ وتحمُّل النتائج، ستكون هذه مجازفةً حمقاء، استعراضاً سافراً وهمجيّاً للقوّة، وكأنّها تقول: (خذ حفيدي، لن تتمكّن مِن إيذائي). كلّا، بدلاً من ذلك ستختلقُ الضعف، ستدعني أحظى بهذا النصر، ومِن ثمّ ستُلحِق الدمار الأبدي بي وبكل مَن يخصّني. هذا مُنصِف، لكن سنلعبُ هذه اللّعبة في يومٍ آخر.

سفينةٌ تهدرُ فوق رؤوسنا. الناقِلةُ اللَّقلَق، بُنيَت لنشر الرجال في بِدَلهم النجميّة المدرَّعة على نقاطِ الإنزال، لكنّها أبطأ مِن دبس السكّر، وهو ينزلق صعوداً. أبوابُ العنبر تفتح على ارتفاع مئتي متر، كما أوعَزتُ. طالما لدينا الصبيّ، فسرعة السفينة لن تهُمّ البتّة. بالطبع خطّطت موستانغ لهذا.

– سنذهبُ الآن لجَلبِ جماعتنا يا أجا. أخبري رجالكِ بأنّ عليهِم تجنُّب فعل أي شيء مِن الممكن أن يُعيقَنا.

أجا تُحدِّق بي فقط، تراقبُني مِثلَ نِمرٍ مُعنّفٍ في حديقة حيوان، العيون صامتة، مُريعة، كأنّها ترغبُ بأن تختفي القضبان التي بيننا.

– «سيفرو، شوكة، تفقّدا الفيلّا. تحقّقا إذا كان هناكَ أيّ شخص قد تمكّن مِن النجاة». ينطلقون بعيداً: «كوين، احرسي الصبي. بقيّتكُم، أخرجوا الحاكِم العام وحاشيته مِن البركة».

– «سيتعيّنُ عليكِ سحبُ مُقاتلات الجناح القاطع». أقول لأجا. إنّها تومض في الظلام على ارتفاع عدّة كيلومترات: «مِن دون أيّة ضوضاء، وإلّا سيتحوّل كل هذا إلى كابوسٍ لنا جميعاً. الحاكِمة المعظَّمة تذبحُ عائلة... لكنّ العائلة تهرب! يا لها مِن شهادة شنيعة على جوعها وعجزها! يا لها مِن هزيمة نكراء قد تسبّبها!». أبتسم لها بتصنُّع: «لماذا؟ أخشى أن تقوم بعض العائلات بالتجمّع حول العائلة التي أهينت. قد يخشى بعضهُم أن يُطفأوا أيضاً مثل شموعٍ في اللّيل. ماذا سيحل بالسلام الشمسي المسكين حينها؟».

كوين تبقى معي، أصابعها تنتفض متّجهةً نحو أسلحتها بينما تنصاع أجا لأوامري. أبقي يدي على الصبيّ بينما يندفع العَوّاؤون الآخرون إلى الماء ويَخرُجون مع أعضاء عائلة أوغوستوس مُتشبِّثين بهم، مُبلّلين ويلتقطون أنفاسهُم بصعوبة—بعضهُم بلباس رسمي، وبعضهُم بدُروعِهم، ومُعظمهُم بلا خوَذ. إنّهُم يتشاركون الأوكسجين، على ما يبدو.

أوغوستوس يتعلّق بظَهرِ القيثارة. الشغبر يتعلّق بذِراع المهرِّج. بليني يتعلّق بقدمَيه. أين هم أصدقائي؟

العَوّاؤون يودِعون الناجين في عنبر النّاقِلة اللّقلق التي تحومُ عالياً ويعودون لجلبِ البقيّة. فيكترا، إنّها التالية التي يحضرونها. إنّها بلا خوذة ومُصابة في رقبتها. لكنّها تتشبّثُ بشفرتها وكأنّها الشيء الذي يحمِلُها إلى أعلى. عيونها ترمقُ الحرس البريتوري المجتَمع بغضب، وعندما تعثرُ

عليّ، يتطاير الشّررُ لدى مواجهتها لعيوني، وكأنّهما حجَرا صوّان. يتلاشى غضبها للحظة فأرى ابتسامة فرح، ثمّ تختفي وتصرخ.

- «سأتذكرّكم جميعاً بفرحةٍ كبيرة!». تضحكُ بجنون: «بداية بكِ، أجا غريموس الذهبيّة. سأصنعُ مِعطفاً مِن جلدك».

تختفي في جوف المركبة التي تحلّق فوقنا. روكي هو التالي الذي يُرفَع عالياً. ثيودورا معه. أتلو صلاة شكر صامتة. كوين تلمسُ كتفي وتدفعهُ على نحو متموّج. وجهه النحيل ينفجرُ مبتسماً لدى رؤيته لها. إنّه حتّى لم يلحظني. ومِن ثمّ يختفي أيضاً وقد حطَّ في مؤخّرة السفينة. سرعان ما تنضمُّ إلينا الشوكة مِن القصر، وهي تساعد عدّة ناجين، بما فيهم آل تيليمانوس وتاكتوس الذي ينزف مِن عدّة ثقوب في درعه الذهبيّ. لقد خاض معركةً شرسة.

- «دارو؟». يصيح: «أيّها الوغد المجنون!». يرى ابن الحِاكمة المعظَّمة ويقهقه مُبتهجاً. «أوه، هذا مثير، هذا مثير! أنا مَدينٌ لكَ بشرابٍ يا صاح...». صوتهُ يَخبو، وهو ينسابُ عالياً في السماء، على الرّغم من ذلكَ يتمكّنُ مِن ثني أصابعه في حركةٍ بذيئةٍ والتّلويح بها بجهة أجا.

- «تاكتوس». يهمِسُ ليساندير: «إنّه أطول ممّا يبدو عليه في العروض المجسَّمة».

- «هذا كان آخرهم». يخبرني سيفرو.

- «أخبري سيّدتكِ بأنّنا نحن -أهل المرّيخ- لا ننحني بسهولة». أقول لأجا.

ينهمر المطر بيننا، بقطراتٍ تتساقط على وجهها الداكن، فتلمعُ عيونها الغريبة في الليل، لتكسِر الصمتَ الذي فَرضتُه عليها.

– «هذا ما قالهُ حاكِم ريا عندما أتى إليه سيّد الرماد ليضع حدّاً لتمرّده». صوتها لا يبدو وكأنّه صوتها. إنّه يبدو وكأنّ أحدهم يتكلّم مِن خلالها: «نظرَ إلى الرجُل الهزيل الذي أرسلتُه مع الأسطول الحربي فضحكَ وسأل لماذا عليه أن ينحني لي، أنا العاهرة القاتلة لأبيها الطاغية الهالِك».

الحاكِمة المعظَّمة تتحدّث في أذن أجا، عبر جهاز اتّصالها، وأجا تعيد ترديد كلماتها. الدم يجمدُ في عروقي.

– حاكِم ريا جلسَ على عرشه الجليدي في قصره الزجاجي المشهور وسأل واحداً مِن خدمي: (مَن أنتَ كي تبُثَّ الرعب في رجُل مثلي ؟ أنا الذي أنحدر مِن العائلة التي نحتَت جنّةً مِن مكان كان ذات مرة لا يوجد فيه شيء سوى جحيمٍ مِن الجليد والحجارة. مَن أنتَ كي تجعلني أنحني ؟) ومِن ثمّ ضربَ بصولجانه سيّد الرماد تحت العين. (اذهب إلى ديارك في لونا. اذهب إلى ديارك في المنطقة المركزية. المنطقة الخارجية هي لمخلوقات مِن صلبٍ أكثر قساوة). حاكم ريا لم ينحنِ. الآن قمره بات رماداً، وعائلته باتت رماداً، وهو بات رماداً؛ لذا عُد يا دارو أندروميدوس الذهبيّ، عُد إلى ديارك في المرّيخ، كي تطاردكَ فيالقي حتّى أصقاع هذا الكون.

– «أتمنّى ذلك». أقول.

– «لديكَ ورقة مساومة واحدة». تذكّرني الحاكِمة المعظَّمة مِن خلال أجا: «حفيدي هو ضمان مرورك الآمن. إن مات، سأمسحُ سفينتكَ مِن السماء. استخدمهُ بحكمة».

لماذا تخبرني بشيء أنا أعرفه أصلاً؟

– «حان وقتُ الذهاب يا دارو». تنحني كوين على كتفي. تضع يداً أسفل ظهري وكأنّها تذكرني بأنّي لستُ وحيداً. أومئ برأسي نحوها. إنّها

تغطّي انسحابي في أثناء صعودي إلى الأعلى مع الصبي، والشفرة تنساب ملتفّة حول عنقه.

كوين تراقبُ الحرس البريتوري بحذر وتصعد لتتبعنا. لديّ ورقة مساومة واحدة.

ما الذي كانت تعنيه الحاكِمة المعظَّمة بهذا؟ هل تذكّرني بأنّي أستطيع استخدامها لمرّة واحدة فقط؟ بأنْ أقتل ليساندير فقط في حال كان ظهري للحائط؟ ومِن ثمّ أدركُ السبب، عندما تنظر أجا إلى كوين، وهي تصعدُ مِن الأرض وكأنّها قطّةٌ تنظرُ إلى فأر.

– «أجا، كلّا!». يصرخ ليساندير.

– «كوين!». أصيح.

بطرفةِ عين، تندفع أجا إلى الأمام، أسرع مِن أيّ قطّةٍ ولدت على الإطلاق. تجذب شعر كوين بجنون، تلوّح كوين بشفرتها لتصدّ المرأة العملاقة، لكنّها بطيئةٌ للغاية. تضرب أجا رأسها في الأرض بيدها اليسرى. تلكُم صدغها. بالقبضة المدرَّعة على العظم. أربع مرّات قبل أن أتمكّن مِن رمش عيني. ساقا كوين تركلان وتنتفضان، ثمّ تنثني إلى الداخل مثل عنكبوت يحتضر، يلتوي مِن التشنّجات. أجا تبتعدُ إلى الخلف، وهي تنظرُ إليّ مبتسمة.

# 19

# النَّاقِلة اللَّقلق

إنّهم يعلمون بأنّي أرعن. كوين هي الطُّعم. أجا هي السنّارة. سيأخذون ليساندير إن عضضتُ على الطُعمِ وهاجمتُ أجا. سيستغلّون ذلك الجزء مِن الثانية الذي أُبعِد فيه شفرتي عنه ليصعقوني، أو يقتلوني. أسمع الأسلحة وهي تُشحَن مِن خلفي؛ لذا أُبقي الشفرة على حلقِ الصبيِّ الصغير. الدموع تشوّه رؤيتي، وأنا أحوم هناك عاجزاً. أهزُّ رأسي بينما تتدفّق الآلام. لا أستطيعُ تركها. أعكس حذائي عائداً كي ألتقطها مِن الأرض، لكنْ قبل أن أصِل إليها، ذهبيٌّ آخر يجتازني بسرعة، وهو يهبط مِن الأعلى، إنّه بلا درع ليرفعها مِن الأرض ويحملها عالياً.

الشَّغبَر.

أُسرِع إلى الأعلى مُبتعداً عبر المطر إلى أبواب العنبر، وأحطُّ داخل النَّاقِلة اللَّقلق. حذائي يُصدِر جلجلةً على سطح الأرضيّة المعدني وأركع، دافعاً ليساندير إلى الأمام في العنبر نحو سيفرو. ينزلق الصبي على ركبتيه. العشرات مِن آل أوغوستوس المبلّلين يحدّقون بي. يحوّلون نظراتهم إلى الصبيّ. يتبعني الشَّغبَر، مُمسكاً بكوين على نحوٍ غريبٍ بذراعٍ واحدة.

سفينتنا ترتفع، والأبواب تُغلق خلفنا مصدرةً هسيساً. روكي يندفع عبر المجتمعين ليراني، ثمّ تتّجه عيناه نحو الشَّغبَر وكوين، قِواهُ تتسرّبُ مِنه مع كل ثانية. الشَّغبَر يضعُ كوين بلطف على الأرض، ويركل خالعاً الأحذية الثقاليّة غير المناسبة التي استعارها مِن أحد العوّائين.

فمُ روكي يتحرّك، لكن لا يخرج أي صوت: «هل هي...». يتمتم أخيراً.

– «هل مِن أصفر على متن السفينة؟». يسألني الشَّغبَر. أنظرُ إلى القيثارة.

أُوجِّه القيثارة نحو القُمرات الرئيسية: «اعثري على موستانغ. اسأليها». تذهب مسرعة.

– «حقيبة الإسعافات». ينفجر الشَّغبَر مُتحسّساً نبض كوين. يتفقّدُ حدقَتيها. لا تتحركان: «في الحال!». يتعثّر روكي وهو يبحث عنها. الحصوة تقتلع الحقيبة مِن الحائط وترميها إليه. يجلبها إلى الشَّغبر. العقل يصيبه الجمود، أحدّق في الأسفل نحو كوين بينما ينتاب تشنُّجٌ آخر جسدها، وصوت خشخشة غير بشريّ يصدر مِن أنفها وفمها. وجه روكي إلى جانبي شاحبٌ بلا دماء. يداه تمتدّان عاجزتان إلى الفتاة التي يحبّها، وكأنّ إرادته وحدها قادرةٌ على إصلاح ما تحطّم؛ لكنّه يعلم في قرارة نفسه بأنّه بلا حولٍ ولا قوّة. يسقط على ركبتيه.

الشَّغبر يفتح حقيبة الإسعافات ويُقلِّب في محتوياتها.

يده الوحيدة تتحرّكُ بثقةٍ على الأجهزة في الداخل إلى أن تعثر على قضيبٍ فضيٍّ لا يزيد حجمه عن سبّابتي. يجذبه ويُفعِّل الجهاز. يصدر همهمةً بسيطةً، ويُشعُّ بضوءٍ أزرق خفيف.

– «أحتاج إلى لوحٍ رقميٍّ مِن أحدكِم. لَوحي شُوي نتيجة النبضة

الكهرومغناطيسيّة». لا أحد يتحرّك: «الفتاة ستموت. لوح رقمي متبّب. الآن».

أعطيه لوحي. لا ينظر إليّ، على الرّغم مِن توقّفه لثانية لدى رؤيته يديَّ المميّزتين.

- «شكراً لكَ على الإنقاذ يا حصّاد». يقول بعُجالة.

- اشكُر شقيقتَك.

ليساندير ينهضُ ويأتي إلى جانبي. يراقب بهدوء، لا دموع في عينيه. الحصوة والمهرج يجلسان على أعقابهما. لا أحد يلمس روكي، على الرّغم مِن أنّهم يحدّقون به، أيديهم متشابكة على ركبهم، أو شفراتهم، ويهمسون بتلكَ الصلوات التي يتهامسُ بها الذهبيّون طلباً للحظ.

الشّغبَر يُحرِّك جهاز التصوير بالرنين المغناطيسي الفضيّ فوق رأس كوين، وهو يراقب العرضَ المجسَّم على لوحيَ الرقمي. يشتم.

- «ما الأمر؟». يسألُ روكي.

الشّغبَر يتردّد: «دماغها يتورّم. إن لم نتمكّن مِن السيطرة على الضغط، سيكون لدينا مشكلة». يتلمّس الجهاز الطبيّ، ويحلّ الآلة ذات السّلك الشفّاف: «هذا الضغط سيمنع تدفّق الدم المناسب إلى الدماغ. سيتسبّب ذلك بحرمانه منه مع تَضيُّق الأوعية تحت التورّم».

- «هل ستموت؟». أسأل.

- «ليس مِن التورّم». يقول الشّغبَر: «ليس إن تمكّنتُ مِن سحب السائل وتحرير الضغط في أثناء تعاظمه. لكنّنا بحاجةٍ إلى جعل رأسها مائلاً بحيث يتدفّق الدم عبر أوردة الرقبة. للحفاظ على ضغط الدم ثابتاً، وتزويدها بـ O2». ينظر إلى الأعلى، هزيل ومبلّل لدرجة كنتُ لأظنّه مِن الحُمر بدلاً

مِن الذهبيّين لولا الشَّعرِ المغبرّ: «حصوة، أليس كذلك؟ اعثري لها على أوكسجين. قناع تنفّسٍ سيفي بالغرض طالما أنّه لا يغطّي وجهها إلى ما بعد جبهتها».

الحصوة تتسلّل مبتعدة.

تشنّجاتٌ جديدةٌ تجعل جسد كوين ينثني. أنظرُ إليها عاجزاً وأضع يدي على كتفِ روكي. ينتفضُ رافضاً اللّمسة.

القيثارة تنسل عائدةً إلى داخل الغرفة: «لا وجود لأيّ أصفر متبّب».

– «سحقاً!». يشتم المهرج: «سحقاً. سحقاً. سحقاً. سحقاً!». يركل الجدار.

يتوقّف الشَّغبَر، يلقي نظرةً على روكي، ثمّ يتصرّف. يشير إلى المهرّج والقيثارة وبعض أفراد العائلة: «أريدُ واحداً منكُم لكلٍّ مِن ذراعيها ورأسها. ستستمرّ بالتشنّج، ولسببٍ ما، أظنّ بأنّ هذه الرحلة لن تكون هادئة. سننقلها خارج هذا العنبر المتبّب ونثبّتها مِن أجل العمليّة الجراحيّة». يسحبُ شعرها إلى الخلف على شكل ذيل حصان، يطلب منّي أن أمسكَ به، ويُخرِج جهاز تأيّن صغير مِن حقيبة الإسعافات. يضغطُ عليه بأسنانه ويمرّرهُ فوق يده متألّماً، بينما يُدمّر الجراثيم وجريبات الجلد الجافّة: «مهرّج! أمسك بشعرها—بأكمله».

ينهض الشَّغبَر ويرمي جهاز التأيّن للمهرّج، الذي ينحني ويَهمُّ بتمريره فوق شعر كوين الذهبيّ لمسحه عندما يأخذه روكي مِن قبضته. إنّه يحومُ فوق كوين، غير قادر على الحركة.

– «ما اسمها؟». الشَّغبر يسأل روكي.

– كوين.

- تحدّث إليها. ارْوِ لها قصّة.

مع رجفةٍ بسيطة، يأخذ روكي شهيقاً ويتحدّث بهدوءٍ إلى كوين: «ذات مرة، في زمن كوكب الأرض القديم، كان هنالكَ زوجٌ من الحمام الزاجل، وكانا يحبّان بعضهما حباً عظيماً...». يُشغِّل جهاز التأيّن ويحرّك يده. إنّه حميمي. وكأنّه يُحمِّمُها، وهما وحدهما في مكانٍ ما بعيدٍ وناء. قبل وقتٍ طويل مِن روايتها القصص حول نيران المعسكر في المعهد. قبل وقتٍ طويل مِن الرعب.

أشمّ رائحة شعرٍ يحترق، بينما ينهض الشَّغبر ويأتي إليّ.

- «ما الذي حدث هناك في الأسفل؟». يسأل: «أكانت قبضة نبضيّة؟».

أنظر إليه متفاجئاً: «ألم تشاهد ذلك؟ أجا استخدمَت يديها».

- «تبّاً». يزمُّ فَمه مع عيونٍ مثقلةٍ تستوعب المشهد: «كيف وصلنا إلى هنا؟».

- «أوكتافيا كانَت قد حدَّدت هذا المسار مُنذ البداية». أقول بهدوء: «حتّى قبل قدومنا إلى المرّيخ، لقد عزمت على مَنح آل بيلونا مَنصِب الحاكِم العام. الحفلُ كان مجرّد فخ».

- متى اكتشفتَ ذلك؟ قبل أم بعد النِزال؟

- «قبل». أكذب.

- أحسنتَ صنعاً. يجعلنا ذلك نبدو كضحايا. أرى أنّ موستانغ قد أخفقت في مهمّتها.

- هل أرسلها والدكَ كي تخترق بلاط أوكتافيا؟

- كلّا. أتخيّل بأنّها فِكرتُها. الاقتراب مِن التنّين...

– آل جولي ضدّنا أيضاً.

يومئ برأسه ممعناً بالتفكير: «هذا منطقي. السياسيّون حاولوا أخذ فيكترا منّا قبل مجيء كارنوس وأجا».

– لا يبدو عليكَ القلق.

– «فيكترا، إنّها ابنة أمّها المفضَّلة». يهزُّ برأسه متذكّراً شيئاً ما: «لكنّها قضَت على ثلاثة سبجيّين مِن أجلي. ثلاثة. إنّها معنا، قلباً وقالباً».

أراقب روكي، وهو ينهي إزالة شعر كوين. «هل ستعيش؟». أسأل بهدوء.

– لديها شظايا عظميّة في نسيج دماغها. حتّى لو أوقفنا التورّم، إنّها تنزف بشدّة.

ننظر إلى الأسفل إلى كوين، رأسها أصلع الآن. وجهها تعلوه الطمأنينة. رضوض صغيرة فقط على جانب جمجمتها. لن تُخمِّن أبداً بأنّها تموت في الداخل. روكي يُمسِّد جبهتها برفق، هامساً بأشياء لطيفة.

– «هل بوسعكَ إنقاذها؟». ألتفتُ إلى الشَّغبَر: «هل هنالكَ فرصة؟».

– ليس هنا. إن تمكّنتُم مِن إيصالنا إلى الحُجرة الطبيّة، عندها نعم، هنالك فرصة جيّدة.

يغنّي روكي أغنيةً لطيفةً لها في أثناء رفعِهم لجسمها ونقلها إلى غرفةٍ أخرى. هي إحدى الأغاني التي ألَّفها حول نار المعسكر بينما كان جيشي يأكل في المرتفعات. كانت كوين حينها مع كاسيوس؛ إذْ كما يبدو فجميعُ النساء كُنَّ معه بطريقةٍ، أو بأخرى. لكنْ حتّى حينها، لحظتُ نظراتها وهي تلتقي بنظرات روكي. إنّهما الحمامتان الزاجلتان في قصّته، اللتان تعبران السماء مرّة تلو الأخرى. كم كان متحمّساً للالتقاء بها مرّة أخرى!

أشعر بشرخٍ في داخلي. ما زال بوسعي إنقاذها. بمقدوري إصلاح ذلك.

كانت الحاكِمة المعظَّمة على حق؛ أسأتُ فَهمَ قوّتي التفاوضيّة. ماذا كنت لأفعل؟ أقتل حفيدها إن قامَت أجا بقتل كوين؟ ماذا لو قَتلَت سيفرو، وموستانغ، وروكي؟ مِن حسن حظّي أنّها لم تؤذِ المزيد مِنهُم.

ألتفتُ لأرى سيفرو.

إنّه يقفُ بهدوءٍ في درعه وينظرُ إلينا، يشاهدُ روكي وهو يحتضن الفتاة التي أحبَّها سيفرو لكنّه لم يبُح لها بذلك قط، الفتاة التي ليسَ بوسعِه الحصولُ عليها أبداً. الألمُ قاسٍ ومحفورٌ عميقاً في ملامح وَجهِهِ الحادّة كالصقر. سيفرو المحصَّن، المنيع ضدّ الأذى والحزن، وضدّ اقتلاع عينه مِن قِبَل ليلاث، مُساعِدة الشَّغبر؛ يتحمّل الآن كل هذا. كوين لم تنادِ سيفرو باسم غوبلن مثل بقيّتنا قطّ. فيكترا تضع يدها على كتفه، ملاحِظةً الألمَ وإن لم تفهَم سبب وجوده. يُبعِد يدها عنه بعنف.

– «أنا لا أعرفك». يزمجر.

فيكترا تتراجع: «آسفة».

– «ما الذي تنتظره يا حصّاد؟». يسأل مُطالباً: «ألم نغادر هذه الصخرة بعد؟». يهزُّ رأسه. أتبعُه طالباً مِن فيكترا أن تجلبَ صبيَّ الحاكِمة المعظَّمة.

أنا وسيفرو نتسلّق سلّماً ونقابل تاكتوس في ممرٍّ ضيّقٍ يفضي إلى عنبر المسافرين وقمرة الطيران.

– «أوه يا صاح!». ينادي تاكتوس، وهو يسند كتفه المصاب. شعرٌ مبلّلٌ يتدلّى مغطّياً العيون الضاحكة. صوته عالٍ، غافلٌ عن حالة كوين:

«في المرّة القادمة عندما تخطّط لشيء درامي، أخبرنا بأنّك قادمٌ حتّى لا نفعلها في سراويلنا».

أدفعه في أثناء تجاوزي له: «ليس الآن يا تاكتوس».

– «مُمِلٌّ على الدوام». ينظرُ إلى سيفرو: «انظُر يا غوبلن انظُر. إن كان بوسعك ذلك فلقد انكمشت أكثر يا صاح».

سيفرو لا يبتسم.

ندخل إلى عنبر المسافرين، حيث يثبّت آل أوغوستوس والعَوّاؤون أنفسهم إلى المقاعد يتجهّزون لاختراق الغلاف الجوّي. تاكتوس يسير في أعقابنا.

– «مرحباً أيّها المختلّون نفسيّاً». تاكتوس ينادي على العَوّائين: «إنّه لمن الممتع رؤية أشكالكم المصغّرة مرة أخرى. خاصّة أنتِ يا حصوة».

– «لا تتفوّه بالهراء». تقول الحصوة، وهي تنظر إلى الأعلى بعد مساعدتِها لأحد الأطفال من آل أوغوستوس بتثبيت نفسه في مقعده.

تاكتوس ينحني نحوي بعد اجتيازنا لعنبر المسافرين: «يا لهم من أصدقاء جيّدين أتوا لإنقاذك! اعتقدتُ بأنّهم تشتّتوا في المنطقة الهامشيّة».

– «كانوا كذلك». يقول سيفرو.

– «ما الذي أعادكُم؟». يسأل تاكتوس: «الطقس؟».

سيفرو لا يقول شيئاً.

تاكتوس يضحك على الرغم مِن الثقوب المتعدّدة في درعه. «تماماً كما تحبّهُم. أليسَ كذلك يا دارو؟ أصدقاء قد يغامرون بحياتهم وأطرافهم ليبقوا دائماً في ظلّك؟». ينكزني، بابتهاج مُبالغٍ به بعض الشيء، تاركاً

لطخات باهتة مِن دمه عليّ. نصِلُ إلى الباب المغلق لقمرة القيادة. تاكتوس ينقبضُ فجأةً عندما يصطدم كتفه بحاجز. سيفرو يتبعنا مِن الخلف.

- «كيف هي حال الكتف؟». أسأل.

- أفضلُ مِن رأس تلك الفتاة هناك في الخلف. كوين، أليس كذلك؟ تلكَ السريعة مِن عُصبة مارس. لقد دمّرتها أجا تماماً. المسكينة. كنت لآخذها لـ—.

سيفرو يركل خصيتيّ تاكتوس مِن الخلف، قدَمهُ تلج بين ساقيه بقوّة كافية لبَعجِ معدن. يضربهُ بكوعه على جانب رأسه، مُطيحاً بساقيه بحركة كرافات سريعة. وثلاث ضربات إضافيّة على الأذنين قبل أن يسقط تاكتوس على الأرض. سيفرو يضعُ ركبة واحدة على جُرحِ كَتفِ تاكتوس، وساعِدهُ على حَلقِ تاكتوس، والركبة الأخرى على مِغبَن تاكتوس، ويده الحرّة تلوّح بسكّين متدلّية فوق عين تاكتوس: «تكلَّم مرّة أخرى عن كوين، لأقتلع جوهرتيك وأقحمهما في محجري عينيك».

- «لطالما قال لي أخي... أبْقِ عينكَ... على الجوهرة». يتجشّأ تاكتوس.

الباب المعدني للقمرة يُفتح مصدراً هسهسة. يظهر أوغوستوس وقد ملأ المدخل. ينظرُ إلى المشهد الذي أمامه، بينما تحضر فيكترا ليساندير إلى الأمام مِن القسم الخلفي للسفينة.

- «لقد أوشكوا على الانتهاء يا مولاي». أقول. أخطو مِن فوق تاكتوس وسيفرو لأنضمّ إلى الحاكِم العام في القمرة. فيكترا تقومُ بالمِثل، عدا أنّها تدوسُ على تاكتوس، وتفركُ كعبها فيه.

- «عملٌ رائع». تقول لسيفرو.

- تبّاً لك أيّتها البقرة!

- «مَن هذا الصغير؟». تسألني، ونحن ندخل إلى داخل القمرة ونغلق الباب.

أُخبِرها.

- ابن فارس الغضب؟ رجُلٌ حقيرٌ صغير. لا أعتقدُ بأنّه يحبّني.

- لا تأخذي ذلكَ على نحوٍ شخصي.

قمرة القيادة أكبر مِن غرفتي في فيلّا القلعة. صفٌّ مِن الأضواء يحيط بمِقعدَيّ الطيّار ومساعده. موستانغ تجلسُ إلى اليسار، وطيّارة زرقاء تجلس إلى اليمين. الزرقاء مُتّصلة بالسفينة مع ضوءٍ أزرق يتوهّج تحت بشرة صدغها الأيسر. موستانغ تتولّى القيادة، فتضعُ يدها اليمنى على موشور التحكّم المجسَّم، وتتحدّث بسرعةٍ مع الزرقاء. خارج نافذة الرؤية المقوّسة، يحوم كوكب الأرض. أوغوستوس، وبليني، وكافاكس تيليمانوس الذهبيّ، المنحني على نحوٍ كوميدي، يناقشون خياراتنا خلف موستانغ.

يسود الهدوء.

- «أحسنت صنعاً يا دارو». يقول أوغوستوس مِن دون النظر إليّ: «على الرغم مِن ذلك كان بوسعكَ اختيار سفينة أفضل...».

تُقاطعنا موستانغ: «ما الذي يجري هناك في الخلف؟ يقولون بأنّ أحدهم قد تأذّى».

- «كوين تحتضر». أقول: «علينا أن نوصلها إلى الحجرة الطبيّة، بأسرع ما يمكن».

- «حتّى مع بلوغنا المدار، سنبقى على بعد ثلاثين دقيقة عن أسطولنا». تقول موستانغ.

- طيري أسرع.

السفينة تهتزّ مع قيام موستانغ والزرقاء بدفعها لأقصى طاقتها.

- «لقد كانت خطّة جيّدة». يقول كافاكس، وهو يبتسم بإشراق نحو موستانغ: «لقد كانت خطّة جيّدة يا فيرجينيا، اختراق معقل الحاكِمة المعظَّمة. تماماً كما كنتِ في طفولتك. وقتها كنتما أنتِ وباكس تختبئان في الشجيرات لتسمعا محادثات والدكما. لولا أنّ باكس كان أكبر مِن الشجيرة!». يفجّر ضحكةً أفزعت الزرقاء الهادئة.

تمدّ موستانغ يدها، الأصغر مِن مرفقه، إلى الخلف كي تضغط على ساعده. يتباهى مثل كلب صيدٍ مع ديكٍ بريّ بين أنيابه، ينظر مِن حوله ليرى إن لحظ الجميع مديحها. لديها أسلوبها في التعامل مع رجالٍ أكبر مِن الدببة.

الحبّ الذي يرتسم على وجه الرجُل يجعل التجاهل الذي لدى أوغوستوس يبدو شنيعاً، والأسوأ من كلّ ذلك، التفكير بأنّ الشَّغبَر قتل ابن هذا الرجُل ما يجعلني أشعر بالغثيان.

موستانغ تمنحني نظرةً خاطفة، شعرها مربوطٌ خلف رأسها، وذكرى ابتسامة لا تزال تظهر آثارها في زوايا شفتيها؛ أمّا أنا فكأنّني تلقّيت لكمةً في القلب. ما مِن ابتسامةٍ لي، وخاتم الحصان لم يعد يزيّن إصبعها.

يسودُ الصمت لمدّةٍ طويلة. أوغوستوس يلتفت لينظر إليّ: «أفترض بأنّ أوكتافيا حاولَت ضمّكَ إلى كنفها أيضاً؟».

- حاولَت.

- «تبّاً لها! أراهن بأنّكَ رددت عليها بـ: تبّاً لكِ، أليس كذلك يا فتى؟».
كافاكس ينفجر. يصفعني على كتفي، دافعاً إيّاي نحو فيكترا: «آسف».
إنّه منحنٍ مثل شجرة مشتل نمت حتّى بلغت سقفه. الماء يقطر مِن لحيته الحمراء المقسومة: «آسف». يقول لفيكترا مكرّراً.

- في الواقع، يا لورد تيليمانوس، وجدتُ عرضها مُغرياً. إنّها تجيدُ معاملة فرسانها الرمّاحين باحترام، على عكس البقيّة.

أوغوستوس لا يضيّعُ وقتاً بالمزاح: «سنُصلِح ذلك. أنا مدينٌ لكَ يا دارو. شرطَ أن نصِلَ إلى أسطولي».

- «أنتَ مَدينٌ لموستانغ والعوّائين بالقدر نفسه أيضاً». أقول.

- «ما هو العَوّاء؟». يسأل.

- أصدقائي في الدرع الأسود. سيفرو هو القائد.

- «سيفرو؛ ذلك الشيء الصغير الحقير الذي كان فوق فارسي الرمّاح، أليسَ كذلك؟» الحاكِم العام يرفع حاجبه: «أظنّ أنّي تعرّفتُ عليه. ابن فيتشنير». نبرته لا تروق لي: «ذاك الذي قتلَ ذلكَ الولد المزعج بريام في أثناء العبور».

- إنّه معنا يا مولاي. مُخلِصٌ مِثلَ يدي.

الباب يفتح مع صوت هسهسة، وسيفرو وتاكتوس ينضمّان إلينا. جميعنا نستيدر لنلقي نظرة. سيفرو يتراجع بعض الشيء. «ماذا؟». يقولها بتحدٍّ.

تاكتوس يهرع إلى الجانب بعيداً عن سيفرو.

- «هل ولاؤكَ لي أم لوالدكَ يا سيفرو؟». يسألُ أوغوستوس.

- «أيُّ أب؟ أنا نغلٌ ابن نغلٍ». سيفرو يتفحّص الحاكِم العام بنظرةٍ متشائمةٍ مِن أعلى إلى أسفل: «ومع كامل الاحترام يا مولاي، أنا أيضاً لا أكترثُ لأمركَ البتّة. ابنتكَ أحضرتني مِن المنطقة الهامشيّة. ولائي لها. لكنْ فوق كل هذا ولائي للحضّاد. هذا هو الأمر».

- «انتبه لسلوكَ، أيّها الجرو الصغير». يزمجر كافاكس.

- لا بدَّ من أنّكَ والدُ باكس. آسفٌ لرحيله. إنّهُ رجُلٌ كنتُ لأموتَ مِن أجله، لكنْ أرى بأنّه حصل على مظهره الجميل مِن أمّه.

كافاكس لم يكن متأكّداً إن كان ذلك إهانة له أم لا.

أوغوستوس يراقب ذلك: «دارو، أدين لك باعتذار. كنتَ محقّاً. يبدو أنّ الولاء يمكن أن يتجاوز المعهد. الآن... ليساندير». أوغوستوس يلقي بنظرة خارج نافذة الرؤية للمركبة. نرتفع بثبات. يركع ليتكلّم مع الصبي: «سمعت روايةً بأنّك فتى استثنائي».

- «أنا كذلك يا مولاي». يقولها ليساندير بقدر ما أوتي مِن حزم: «يختبرونني على نحوٍ دوري، وأتدرّب في جميع أنواع الدراسات. نادراً ما أخسر في الشطرنج، وإن حصل، أتعلّم مِن ذلك كما ينبغي لي».

- حقاً؟ كان لديَّ ابن مثلك ذات مرّة يا ليساندير، لكنّي متأكّد بأنّك تعرف ذلك.

- «أدريوس أوغوستوس الذهبيّ». يقول ليساندير، وهو يعلمُ النسب.

- «كلّا». يهزُّ أوغوستوس رأسه: «كلّا. ابني الأصغر ليسَ مِثلك على الإطلاق».

يعبس الصبي متجهّماً: «إذن الأكبر؛ كلاوديوس أوغوستوس الذهبيّ؟».

موستانغ تنظر إلى الخلف.

– «نعم». أوغوستوس يومئ برأسه: «صبيٌّ مميّز، لطيفٌ بقلب أسد. أفضلُ منّي وألطف. له شخصيّة حاكِم». يلقي عليَّ نظرةً غريبةً ذات مغزى: «كنتما لتكونا صديقين».

ليساندير يحاول أن يبدو رصيناً: «ما الذي حدثَ له؟».

– «لقد تجاوزوا ذلك الجزء، أليسَ كذلك؟ حسناً، رجُلٌ شابٌّ وضخم، مِن عائلة بيلونا يدعى كارنوس، تجاوز حدوده مع إحدى النساء الشابّات التي كان ابني يغازلها. شعرَ ابني بالاستياء وتحدّى كارنوس في نزال. في النهاية، عندما كان ابني مُحطّماً وينزف، ركع كارنوس، وأحاط بيديه رأس ابني»، يضع يداً واحدة حول رأس ليساندير: «وسحقه على الأرض المرصوفة بالحجارة إلى أن كُسِر وفُتِح وسالَ كلُّ تَميُّزه على شكل قطرات للخارج». يُربِّت على وجنة الصبي: «فلنأمل بأنّه لن يكون عليكَ أن تشهدَ مِثل هكذا أمر».

– «أهذه هي خطّتكَ لي يا مولاي؟». ليساندير يسألُ بشجاعة.

– «أنا وحشٌ فقط عندما يكون ذلكَ عمليّاً». يبتسم أوغوستوس: «لا أظنّ بأنّه سيكون عليَّ أن أكون كذلكَ هذه المرّة. كما ترى، نحن نحاول فقط العودة إلى الديار. حالما تسمح جدّتكَ بعبورنا، ستكون حينها بأمان».

– جدّتي قالت بأنّكَ كاذِب.

– هذا مثيرٌ للسخرية. آمل أن تُخبِرها بأنّنا أحسنّا مُعامَلتك.

– إن أحسَنتَ مُعاملتي.

– «هذا مُنصِف». أوغوستوس يلمسُ كتف الصبي وينهض: «فيكترا. خذيه إلى عنبر المسافرين».

فيكترا تعبس متجهّمة. بالطبع يختار أوغوستوس المرأة الوحيدة عدا موستانغ. تاكتوس يلحظ ردّ فعلها ويتقدّم: «أتسمَح لي يا مولاي؟ لم أرَ إخوتي منذ فترة. لن أمانع التكلّم مع الفتى». أوغوستوس يومئ برأسه وكأنّه يقول بأنّه لا يهتم. فيكترا تشكرُ تاكتوس، متفاجئة بمبادرته. يغمزها، يلكم كتفي، ويُربِّت على رأس ليساندير بخشونة، حتّى يكادُ يطرحه أرضاً. أخشى التعرّف على إخوته.

– «تعال أيّها الصغير. أخبرني، هل ذهبتَ مِن قبل قط إلى نادي اللؤلؤة؟». يسأله وهو يقوده إلى الخارج: «الفتيان والفتيات هناك مُبهِرون...».

النَّاقِلةُ اللَّقلَق الثقيلة تتسلّق إلى أعلى وأعلى. خلال دقيقتين، سنصل إلى حافّة الغلاف الجوي.

– «لقد حاولوا قتلي وأنا نائم». يتمتم أوغوستوس: «إنّها تعلمُ بأنّي لن أسامح على هذا».

– «ستأتي إلى المرّيخ». أقول.

– «ألا يوجد أي فرصة لعَقدِ الصُّلح؟». يسأل بليني.

– «صُلح؟». تزمجرُ موستانغ: «عَقد الصُّلح مع امرأةٍ حرقت قمراً يا بليني؟ هل أنتَ أحمق؟».

– «السلام سيحافظ على سلالتكَ يا مولاي، أكثر مِن الحرب. إن وضعتَ نفسكَ في مواجهة الحاكِمة المعظَّمة، فما الأملُ الذي يمكن أن يكون هناك؟». بليني ليسَ بأحمق عندما يتعلقُ الأمر بالخطابة: «أساطيلُها مَهولة. أموالها لا تَنفَد. اسمك وشرفك لا يهمّان كم هما عظيمان، لا يمكنهما الصمود تحت ثقل الجمعيّة. يا مولاي، لقد ربَّيتَني إلى جانبكَ

بسبب قيمتي، لأنّكَ تثق بنصيحتي. مِن دونكَ أنا لا شيء. رِعايتُكَ هي كل ما أقدِّرُه؛ لذا التفِت إلى نصيحتي الآن، إن كنتَ لا تزال تعدّها ذات أهميّة، ولا تدع هذا الجرح مِن مواجهة الحاكِمة المعظَّمة يتفاقم. لا تدع الحرب تنجم عن هذا. إنّكَ تتذكَّرُ ريا، أليسَ كذلك، وكيفَ احترق. حافظ على عائلتكَ النبيلة عن طريق السلام بأي طريقة».

أوغوستوس يرفع صوته: «عندما تضغط الحاكِمة المعظَّمة عليّ، سأنحني مثلما يفعل الذهبيّ، بسُموٍّ وكرامة. لكن الآن، فإنّها تسدّد ضربةً قاسيةً وخاطفةً لي، وتحت السُّموّ وتحت الثّقة، سكّينها ستصطدم بالفولاذ. سنتوجّه إلى المرّيخ، وسنذهب إلى الحرب».

- «إنّنا نقترب مِن الغلاف الجوي السُّفلي». تقول موستانغ: «انتظر».

- «ما هذا الضوء؟». يسأل سيفرو: «الذي يومِض فوق مؤشّر الارتفاع».

الزرقاء تطلق جواباً سريعاً: «باب عنبر التخزين يُفتح يا دومينوس».

- «عنبر التخزين...». أتجهّم: «هل يمكنكِ تجاوز ذلك؟».

- كلّا يا دومينوس. لقد حُجِبْت.

لمَ بابُ عنبر التخزين قد...؟

- «لقد تطوّع». تقول موستانغ، بصوت مضطرب: «تاكتوس تطوّع».

- «كلّا!». أقول مزمجراً ومُفزعاً الجميع عدا موستانغ. أدركنا ذلك في وقتٍ واحد: «سيفرو، فيكترا، اتبعاني!». أدور حول نفسي وأركض مُسرعاً خارج أبواب القُمرة، أخفض رأسي، وأنا أتحرّك بأسرع ما يمكن نحو مؤخّرة السفينة.

- «استعدّوا لمناورة تَملُّص». أسمع موستانغ تقول ذلك في القمرة في الخلف.

– «ما الذي يحدث؟». يتأفّف بليني.

– «تاكتوس!». أصيح. فيكترا وسيفرو يركضان في أعقابي. بقيّة العوّائين وأفراد العائلة ينادونني مرتبكين، بينما أركض مسرعاً عبر حُجرة المسافرين. المتجهّم يفكُّ حزام أمانه: «لقد مرَّ مع الصبيّ».

– «انزل!». أقولها، وأنا أدفعه إلى مقعده: «ابقوا جميعاً في مقاعدكُم!».

تاكتوس لن يفعل. لا يستطيع. لكن لماذا بحق الجحيم؟ لماذا أفترِضُ أصلاً بأنّه لن يفعل ما هو الأفضل بالنسبة له؟ إنَّ ذلك مِن طبيعته.

ننزلقُ نحو الأسفل على الدرابزين إلى طابق التخزين، نمرُّ عبر الغرفة حيث يقوم الشغبر بعملٍ جراحي لكوين. أفتح الباب المفضي إلى عنبر التخزين ليستقبلني عوّاء الرياح. غطاء فتحة التخزين مفتوح ومعلّق على نحوٍ حرّ ليظهر الظلام، وقد اخترقته أضواء المدينة بعيداً في الأسفل. المُهرِّج والفارس الرمّاح لأوغوستوس يستلقيان فاقدين للوعي وينزفان. ينزلقان ببطءٍ نحو باب العنبر المفتوح. بالنسبة لتاكتوس، أصبح مجرّد نقطة بعيدة في الظلام. لا أستطيع رؤيته بوضوح، لكنّي أعلم ما الذي أخذه: ليساندير.

– «سيفرو». أقبضُ على كتف صديقي: «توقّف!». إنّه يهتاج غضباً. يبدو وكأنّه يريد القفز مِن مؤخّرة السفينة واللحاق بتاكتوس في الهواء. لا يستطيع. لقد فات الأوان. بدلاً مِن ذلك نمسك بالذهبيّين فاقدي الوعي قبل أن ينزلقا إلى الأسفل عبر الرصيف المفتوح. فيكترا تغلقهُ عند لوحة التحكّم. يُغلَق الباب مصدراً هسيساً.

– «ليس لديه أيُّ معدّات اتّصال». تقول فيكترا، وهي تلهث: «ليس بعد النبضة الكهرومغناطيسيّة».

- «لا يحتاج إلى المعدّات المتبّبة». سيفرو يشير إلى أقدام المهرِّج العارية: «الوغد لديه حذاء ثقالي. حالما يصل إلى مجال ماسحات مقاتلة الجناح القاطع، سيجري التقاطه».

لقد حسبتُ ذلك: «لدينا دقيقتان قبل أن يُرسِلوا فِرقَ الاقتحام».

# 20

# غطَّاسُ الجحيم

كان عليّ معرفة ما الذي سيفعله تاكتوس؛ فقد قتل عريفته الأولى تمارا في المعهد. لطالما تبع القوّة فقط. لطالما سعى وراء النصر فقط. كنتُ أعلم بأنّه وحش، لكنْ ظننتُ بأنّه وحشي أنا. ظننت أنّه بوسعي الوثوق به. كلّا، ظننت أنّه بوسعي تغييره. ألعن نفسي. يا لي مِن أحمق مُتكبِّر! أعودُ بخطوات حذرة إلى قُمرَة القيادة، حيث يتحدّث أوغوستوس مع الطيّارة الزرقاء.

- أيّتها الطيّارة، هل ستتمكّنين مِن إخراجنا بسلام؟

- «كلا يا دومينوس. النماذج الهندسيّة لا تُظهِر وجود أي احتماليّة للنجاة». ردُّها ردٌّ أزرق بامتياز—بعيدٌ عن العاطفة، وفعّال، وتصريحي. جسدها نحيف، يكاد يشبه الطيور، وكأنّها مصنوعة بأكملها مِن الأغصان، عنقها طويل، رأسها أصلع وأصغر قليلاً مِن الطبيعي، عيناها كبيرتان ولازورديّتان على نحوٍ غير طبيعي مثل الوشوم الرقميّة التي تغطّي جمجمتها. عندما تتحرّك تبدو وكأنّها مغمورة بالمياه. يبدو أنّها مولودة على كويكِب، بحسب لهجتها البيضاء.

– ما السيناريو المحتمل؟

– سيدمّرون محركاتنا بوساطة نيران مِن مقاتلة الجناح القاطع، ممّا سيُعجِّل باختراق جسم سفينتنا وقَتلِ كلِّ مَن فيها، أو بدلاً عن ذلك، سيُعجِّل هجوماً مِن سفينة اقتحام علقيّة، وأسرِ كلِّ مَن في سفينتنا.

– «أو بكلِّ بساطة سيفجّروننا مِن السماء المتبّبة». يضيف سيفرو.

– «يا زرقاء، أوصليني إلى سفينتي وسأجعلُكِ تقودين فرقاطة». يعرض أوغوستوس.

– «أفضِّل أن يكون طرّاداً». تُعلِّق.

– حسناً، طرّادٌ إذن.

– «حسناً». الزرقاء تُعدِّل بعض المفاتيح: «سأطير جيّداً، لكنّ المنظور الفكري يجب أن يتغيّر قبل أن يهجموا على مركبتنا، إن كنّا نريدُ النجاة».

النَّاقِلة اللَّقلق ترتفع باتّجاه حافّة الغلاف الجوي للونا. هذه السفينة وحشٌ ببطن كبير. بدينةٌ مع غرفة تخزين، لأنّ كل ما صنعت مِن أجله هو ولادة جنودٍ مِن أنابيب في أحشائها. رجال مثلي سيمزّقونها إرباً بوساطة مقاتلات الأجنحة القاطعة. كنّا نستعمل سفناً مثل هذه في الأكاديميّة لإطلاق الرجال في بِدَلهم النجميّة المدرّعة على القواعد الكويكبيّة للعدو.

النّار الناجمة عن الاحتكاك تحيط بالسفينة.

– «إن اختُرِق هيكل السفينة، احبسوا أنفاسكُم يا سادتي الدومينوس». تعطي الطيارة التعليمات: «ليسَ لدينا ما يكفي مِن خوذ النجاة على متن السفينة».

فيكترا تعبس متجهّمة: «رئاتُنا ستنفجر إن قمنا بذلك».

– «إذن ازفري». تردُّ الزرقاء: «وستحصلين على ثلاثين ثانية مِن الحياة بينما تنفجر طبلات الأذن، وتتورّم الأوعية الدمويّة مثل بالوناتٍ منفوخة. أنا سأحبسُ نفسي».

ينظر سيفرو إلى الخلف نحوي، مع عينين واسعتين: «أكره الفضاء!».

– أنتَ تكره كل شيء.

نخرج مع فرقعةٍ مِن الغلاف الجوي للونا. النّار تتلاشى، وننزلق إلى الفضاء المفتوح، حيث تنسابُ السفن الرئيسيّة للأسطول الحربي مثل كائنات البهيموث(*) العملاقة في البحر العميق للقمر أوروبا. أبراج المدافع تنتشر على هياكلها مثل البرنقيل(**)، وحظائر المركبات تمتدّ على جوانبها السفليّة كخياشيم ضخمة. السفن التجاريّة تطفو ببطءٍ على طول طرق الشحن. مقاتلات الجناح القاطع ومركبات الدبور تجوب في دوريّاتها. لا أحد يُلقي بالاً لوجودنا ما عدا أولئكَ الذين رافقونا مِن لونا. الحاكِمة المعظَّمة لن تبُثَّ هذا. الوقتُ ينفد.

لا يوجد مكانٌ للهروب. كنّا نعتقد بأنّنا سنمرّ مِن تحت مدافع أسطول الصَّولجان الحربي عندما كان ليساندير بحوزتنا، لكنْ الآن علينا اجتياز طريق محفوف بالمخاطر.

طيّارتنا هادئة وباردة كالمعدن.

قالَت بأنّ المنظور الفكري يجب أن يتبدّل.

ما الذي بوسعي فعله؟ فكّر. فكّر.

---

(*) Behemoth وحش ذكر في سفر أيوب. بات يرمز لكل ما هو ضخم وقوي جداً. (المترجم).

(**) نوع من المحار الذي يعرف بالتصاقه بسطح السفن تحت الماء. (المترجم).

- «سنفتح قنوات اتّصال مع إحدى السفن». يقول أوغوستوس: «سنَرشيهم كي يحمونا. لكلِّ رجُلٍ ثمن».

- «إنّنا نتعرّض لتشويش. لا يمكننا حتّى البثّ». تذكّره موستانغ.

سنموت. جميعنا نعلم ذلك. أوغوستوس لا يصاب بالذعر، ولا يتخلّى عن عزيمته. لا أعرف كيف كنت أظنّ بأنّه سيتعامل مع الموت. ربّما تمنّيت أن ينهار باكياً ويصبح لونه شاحباً، لكن على الرّغم مِن كل أخطائه، إلّا أنّه قويٌّ وصامد. بعد لحظة، يضع يده النحيلة على كتف موستانغ. إنّها ترتعش متفاجئة.

- «سواء أتى صاروخ أم سفينة إنزال، موتوا كذهبيّين». يقول لنا أوغوستوس بجديّة مهيبة. ليس لأنّه يرغب بأن نظنّ بأنّه قويٌّ في آخر لحظاته، ولكنْ لأنّه يؤمن بما هو عليه—كائن متفوّق، وسيِّدُ نقاط ضعفه البشريّة. بالنسبة له، الموت هو مجرّد نقطة الضعف المطلقة. البشر يئنّون عندما يموتون. إنّهم يتشبّثون بالحياة حتّى لو لم يكن هنالك أمل؛ أمّا هو فلن يفعل، فالموت ليس أعظم مِن كبريائه.

الذهبيّون، مِن نواحٍ عديدة، يشبهون الحُمر كثيراً. غطّاسو الجحيم يذهبون إلى حتفهم مِن أجل عائلاتهم، مِن أجل كبرياء عشيرتهم. إنّهم لا يئنّون عندما تنهار المناجم مِن حولهم، أو عندما تخرج أفاعي الحُفَر مِن الظلال. إنّهم يسقطون، وأصدقاؤهم يبكون ويسحبون جثثهم جانباً. لكنْ نحن لدينا الوادي كي نتطلّع إلى الوصول إليه؛ ماذا لدى الذهبيّين؟ عندما يهلكون، لحمهم يذوي وأسماؤهم وأفعالهم تبقى إلى أن يمسحها الزمن. وهذا كل شيء. إذا كان على أحد أن يتشبّث بالحياة الآن، يجب أن يكون ذا بريقٍ ذهبيّ.

أنا أتشبّث لأنّي أحمل مِشعَل شيءٍ يجب ألّا يموت، يجب ألّا ينطفئ؛

لهذا أمسكُ سيفرو مِن كتفه، وبضحكةٍ مريعةٍ وغريبةٍ أخبر الطيّارة بأن تقترب بنا مِن أخطر سفينةٍ في المدار، تلك التي تستدير الآن كي تعترضنا.

- «اقتربي بنا مِن فينغارد». أكرّر للزرقاء.

- هذا سيؤدّي إلى انخفاض فرصنا بالنجاة بمقدار—.

- «لا تخبريني بالاحتمالات، فقط قومي بذلك». آمرها.

الجميع يستديرون وينظرون إليّ. ليس لأنّي قلت شيئاً غريباً، ولكن لأنّهم كانوا ينتظرون اللحظة المناسبة حتّى يستديروا وينظروا إليّ. جميعهُم كانوا يرفعون الصلوات بصمتٍ آملين أن أخرج بخطّة، حتّى أوغوستوس.

إيو قالَت بأنّ الناس سيتطلّعون إليَّ دوماً. كانَت تعتقدُ بأنّ لديَّ بعض الصفات، بعض الجوهر الذي يمنح الأمل. نادراً ما أشعر به بنفسي. لا يوجد شيء في داخلي الآن. رعب فقط. في داخلي أشعر كأنّني صبيٌّ -غاضبٌ، نزقٌ، أنانيٌّ، مُذنبٌ، حزينٌ، وحيد- ومع ذلك يتطلّعون إليّ. أكاد أنهار تحت نظراتهم، أكاد أختفي وأطلب مِن أحدٍ آخر أن يتولّى زمام القيادة. لا أستطيع فعل ذلك. أنا صغير. أنا مجرّد كاذبٍ في جسدٍ منحوت. لكنْ لا يجب للحلم أن يخمد.

لذا أتصرّف، وهم يراقبون.

- «هل أفقدكَ الفضاء عقلك؟». تسأل فيكترا: «عندما يدركون بأنّ الصبيَّ ليس لدينا...».

- «ارسمي زاوية باتّجاه مِنصَّة قيادة فينغارد». موستانغ تخبر الزرقاء.

أوغوستوس يوجّه لي إيماءةً مقتضبة، مُخمِّناً ما أخطّط له: «إيك سونت ليونيس».

- «إيك سونت ليونيس». أقول مكرّراً، محتفظاً بآخر نظرةٍ لي

لموستانغ، وليس للرجُل الذي شنق زوجتي. لا تلحظ. أغادر منصّة القيادة مع سيفرو بسرعةٍ فائقة. شيء ما يصطدم بسفينتنا. هيكلها يهتز. إنّهم يعلمون بأنّ ليساندير ليس بحوزتنا.

– «يا عوّاؤون! انهضوا!». أصيح.

القيثارة ترفع يدها عالياً: «ظننتُ بأنّكَ قلت—».

– «انهضي!». أزمجر.

أضواءٌ حمراء ثانويّة تغمرُ عنبر الإطلاق بألوان دمويّة، بينما نُقحِم أنا وسيفرو أنفسنا في بدلة القذيفة النجميّة الباردة. يتطلّب الأمر اثنين مِن العوّائين لكلٍّ منّا كي يساعدونا في الانزلاق إلى داخل هذه القوقعة الروبوتيّة. أستلقي ضِمنَ الدرع، بينما تثبّتُ هاربي قدميَّ في الركائب، وتغلق الساقين المدرّعتين فوق لحمي وعظمي. العَوّاؤون سريعون في حركتهم حتّى مع تَرنُّح السفينة من جرّاء ضربة صاروخ آخر قريب. عوّاءُ صفّارة إنذارٍ يُبلِغ عن اختراق الهيكل. أحاول إبطاء تنفّسي بينما تُدخِلُ فيكترا رأسي في خوذة القذيفة النجميّة.

– «حظّاً موفّقاً». تقرّب وجهها نحوي. قبل أن أتمكّن مِن إيقافها، تضغطُ بشفتيها على شفتيّ. لا أنتفضُ مبتعداً، ليس وأنا بهذا القرب مِن الموت. أسمحُ لشفتيها أن تتباعدا وتتشبّثا بدفء وراحة حول شفتيّ، ثمّ تنتهي اللّحظة الإنسانيّة، وتغادر، وهي تُخفِض الواقي الضخم لخوذتي. عوائيَّ يقومون بالعواء والهُتاف عند رؤيتهم المشهد. لا أستطيع إلّا أن أتمنّى لو أنّ موستانغ هي مَن حبستني في علبة الصفيح هذه وقبّلتني لتوَدِّعني؛ لكن حينها ستستحوذُ الشاشة الرقمية على رؤيتي وأختفي عن أصدقائي في أنبوب الإطلاق المعدني. أنا وحيدٌ وخائف.

ركّز.

ملفوفٌ كالشرنقة، وبطني إلى الأسفل في أنبوب القذف. هنا حيث الغالبيّة سيتبوّلون على أنفسهم، منفصلين عن أصدقائهم، عن دفء الحياة. لا وجود للجاذبيّة في الأنبوب. ومِن دون ضغط. أكره حالة انعدام الوزن التي فيه.

لا أستطيع النظر إلى الأعلى، وإلّا ستنكسر رقبتي عندما يطلقونني. لا أستطيع التحرّك مِن جانبٍ إلى آخر. قذيفتي النجميّة مثبّتة بإحكام بوساطة آلاف الخطّافات المغناطيسيّة الشبيهة بالأسنان. تطقطقُ ملتصقة في مكانها مثل حشرات صغيرة تصدر صوت صرصرة.

خلال لحظات سيطلقونني في الفضاء. أنفاسي تتعاظم. قلبي ينبض بجلبة في قفصي الصدري. أتجرّع رعب جسمي وأبتسم. قالوا بأنّه انتحارٌ عندما أردت إطلاق نفسي في الأكاديميّة. ربّما كانوا على حق.

لكن هذا هو سبب صُنعي؛ كي أغطُسَ في الجحيم.

أنا أشبه برجل خنفساء في قوقعةٍ مِن المعدن، والأسلحة، والمحركات، بكلفة أكبر مِن معظم السفن. لديَّ مدفعٌ نبضيّ على ذراعي اليمنى. عندما أحتاج إليه سيتفتّح مثل برعم الهايمانتوس.

أتذكّر حين وَضعَت إيو زهرة هايمانتوس أمام بابي، حينما قَطفتُ واحدةً مِن الحائط في الليلة التي كان يفترضُ فيها أن أفوزَ بالإكليل. كم تبدو بعيدةً تلك الأيّام الدافئة عن هذا المكان البارد! حيث البتلات معدنيّة بدلاً مِن أن تكون ناعمة كالحرير.

- «إننا نتعرَّضُ للحصار. فِرقُ الاقتحام على وشك الوصول». يأتي صوت موستانغ عبر جهاز الاتّصالات: «تجهّز للإطلاق». تئنّ السفينة بينما

يكادُ صاروخٌ آخر يقضي علينا. دروعنا أُصيبَت. فقط الهيكل المتداعي هو الذي يُبقينا معاً.

- «صَوِّبوا بدقّة». أقول.

- «دائماً. يا دارو...». صمتُها يقول آلاف الأشياء.

- «أنا آسف». أخبرها.

- حظّاً موفّقاً.

- «هذا ليس ممتعاً». يتأوّه سيفرو.

النظام الهيدروليكي للسفينة يصدر هسيساً، والأسنان المعدنيّة تجذبني نحو الأمام لداخل الأنبوب، لتقوم بتحميلي إلى الحُجرة. على بعد إنشاتٍ من رأسي، التدفق المغناطيسي للمدفع الكهرومغناطيسي يطنُّ بقوّةٍ مرعبة، متحدّياً إيّاي للنظر نحوه.

يقولون بأنّ العديد مِن الذهبيّين لا يمكنهُم تحمُّل ذلك، حتّى الفريدون ذوو الندبة يمكن أن يصابوا بالذعر ويصرخوا ويبكوا في أنبوب القذف. أُصدِّق ذلك. القرود الماجنة كانوا ليصابوا بسكتةٍ قلبيّةٍ الآن. بعضهمُ لا يستطيع حتّى ركوب سفينة فضاء لخوفهم مِن الأماكن الصغيرة والفضاء الواسع. حمقى رخويّون. ولِدتُ في منزلٍ أصغر مِن عنبر الشحن في هذه السفينة. بَنيتُ حياتي في نهاية مخلب حفّار يجعل هذا الأنبوب يبدو مثل لعبة أطفال، كل ذلك بينما كنت أفقد روحي مِن التعرّق والتبوّل في بِزّة شواءٍ مصنوعةٍ من قطع خردة مرقّعة.

مع ذلك، لا يزالُ هنالكُ رعب.

- «انظر يا بنيّ كيف تقوم أفعى الحُفَر بالانقضاض». أمسكَ بي أبي ذات مرّة مِن معصمي وجعلني ألعب هذه اللّعبة: «راقبها كيف ترتفعُ ملتوية

أعلى وأعلى حتّى تصل إلى قمة مداها. لا تتحرك قبل ذلك. لا تضرب بنصلكَ المنجلي. إن فعلت، حينها ستنالُ منكَ. ستقتلُكَ. تحرّك فقط عندما تبدأ بالهبوط. افعل ذلك مع الرعب الذي في الحياة. لا تقُم بأي تصرف حتى تصل إلى أقصى درجات الخوف، ثم...». ينقر بأصابعه.

بلغتُ النقطة التي تستحوذ فيها موسيقا الآلات عليّ. النقرات والطقطقات، الهسهسات والطنطنات، يتردّدُ صداها عبر الهيكل. يبدأ العدّ التنازلي.

- «هل أنت مستعدٌّ هناك يا غوبلن؟». أسأل سيفرو عبر جهاز الاتّصالات.

- كاكاتنيه أورسوس إنسيلفيس؟

هل يتبرّز الدب في الغابة؟ تدور السفينة وتهتز. المزيد مِن صفّارات الإنذار يعوي.

- تتحدّث اللاتينيّة الآن؟

- «أوديتيس فورتونا يوفات». يقولها سيفرو، وهو يضحك ضحكةً مكتومة.

- الحظ يحالف الشجعان؟ إنّك تستحق الموتَ فعلاً لأنّ هذا سيكون آخر ما تقوله في هذه الحياة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

- حقّاً؟ حسناً تباً لك ولـ—.

قلبي يلتزم بنبضه المتراجع.

الأسنان المعدنيّة تشدّني إلى الأمام نحو التدفّق المغناطيسي في الأنبوب. ويحدث الأمر. حتّى مِن خلال بدلتي، قوى التسارع تضربني وكأنّها ضربةٌ مِن يد إله الرعد عند السبجيّين. نظري يومض بالسواد. المعدة

ترتفع إلى الحلق. الرئتان تتقلّصان. الدماء تتباطأ في عروقي. أندفع إلى الأمام. الأضواء تومض في عيني. لا أرى جدران الأنبوب الذي أُطلِقتُ عبره. أنا حتّى لا أرى السفينة التي أحضرتني إلى هنا. أرى وجه إيو في الظلام. أفقد الوعي. الأجسام ليس بوسعها تحمُّل ذلك. إنّه سريعٌ جدّاً.

ظلام.

ثمّ يصبح للظلام ثقوب.

نجوم.

لا يوجد وقتٌ ضائع. في ثانيةٍ أنا على متن السفينة، وفي ثانيةٍ أخرى أخترق أعماق الفضاء بسرعةٍ تزيد عن سرعة الصوت بعشرة أضعاف.

الكثيرون عند هذه النقطة يفعلونها في بِدَلهم. هذا ليس مُنصفاً. إنّها البيولوجيا والفيزياء. يمكن للجسم البشري أن يتحمّل فقط قدراً معيّناً. ميكي النحّات حرص على أن يكون بوسع جسمي تحمُّل ما يزيد عن ذلك بقليل. آمل أن يكون بوسع سيفرو ذلك أيضاً.

أندفع مخترقاً الفضاء بلا صوت. واثقاً بأنّ سيفرو بجانبي. لا أستطيع رؤيته حتّى على المستشعرات. كل شيء يجري بسرعة. نحو أكبر سفينة في أسطول الصولجان الحربي- تلك التي مِن المفترض أن نتفاداها. كل هذا يحدث خلال ستّ ثوانٍ. مجموعة مِن صواريخ الطوارئ تمرُّ بجانبنا. المدفعيّون يروننا الآن. يعرفون ما الذي يحدث. لكنّنا لا نستخدم منظومة الدفع الصاروخيّة، لذا لا يمكن للصواريخ أن تتقفّانا. المضادّات لا يمكنها أن تنفجر بفتيلٍ قصيرٍ كهذا. تُحلِّق عُلَب الذخيرة غير المستخدمة بجانبنا، كادت تصطدم بي. طيّارتنا قامت بإطلاق نارٍ مثالي.

المدافع الكهرومغناطيسيّة تخطئنا. المقذوفات تومض بجانبنا. سيفرو

يعوي في جهاز الاتّصالات. دروعهم معطّلة. ليس بوسعهم إعادة تشغيلها بسرعةٍ كافية. الأمر يستغرق وقتاً. يومض ضوءٌ أزرق قزحيّ على هيكلها بينما يُشغّل الواقي النبضي. فات الأوان يا أولاد العاهرة!

فات الأوان كثيراً، عليكُم اللعنة!

لا أستطيعُ التفكير. أصرخ في داخلي. أضحك مثل ألسنة لهب في حريق غابات جامح. أضحك لأنّي أعلمُ بأنّ جنوني هو ما لا يستطيعُ هؤلاء المحاربون المنطقيّون قِتالَه.

مِنصَّة القيادة قريبة. ألقي نظرةً نحو الأعلى. أرى ذهبيّين في الداخل يصرخون بصخب على بعضهم. يهرعون إلى بزّات وكبسولات نجاتهم. مُحدِّقين فينا، ونحن نقتربُ مثلما فعلَت موستانغ عندما اصطدمَت أحصنتي مِن عصبة مارس بها وبباكس في الحقل الموحل. غَضبُنا شيءٌ فريدٌ مِن نوعه. شيء أبناء القمر لا يفهمونه.

الزُرق يتفرّقون. السبجيّون يسحبون أسلحتهم. ذهبيّان يضعان أقنعة تنفّس ويفتحان شفراتهما، يستعدّان للقتل. في الثانية التي تسبق اصطدامنا، أطلقُ مِن مدفعي النبضيّ. يضربُ على زجاج ثخين. أطلقُ مراراً وتكراراً. ثمّ أنثني متّخذاً شكل كرةٍ وأندفع كي أرتطم بالزجاج الثخين لمِنصَّة القيادة بالسرعة القصوى لإطلاقي، إضافةً إلى دفعةٍ إضافيّةٍ في اللّحظة الأخيرة مِن أحذية الدفع الخاصّة بي.

يخرج منّي صراخٌ مجنون.

# 21

# وسوم

أندفعُ عبر مِنصَّة القيادة مثل كرةٍ مِن الرصاص أُطلقَت نحو متجرٍ للزجاج والخزف الصيني. أصطدمُ مُحطِّماً الشاشات ومكاتب التخطيط الاستراتيجي قبلَ أن أخترقَ المعدنَ المعزِّزَ لجدران مِنصَّة القيادة ومن ثمّ الفولاذ الموجود في الممرّات، إلى أن يرتطم جسمي أخيراً بحاجزٍ فاصلٍ يبعد مسافة مئة متر عن مِنصَّة القيادة التي تجاوزتها. أنا مُشوَّش، لا أستطيعُ إيجادَ سيفرو. أناديه عبر جهاز الاتّصال. يتأوّه، وهو يذكرُ شيئاً عن مؤخّرته. ربّما فعلها في سرواله.

لا يمكننا سماع ذلك بسبب خوذنا، لكنّ السفينة تمتلئ بالعواء حيث يشفط فراغ الفضاء أفرادَ الطاقم ويدفعهِم إلى حتفهم. في الواقع هو لا يشفطهُم ويسحبهُم عبر النوافذ المحطّمة بقدر ما يدفعهُم الضغط الداخلي للسفينة إلى الخارج. وفي كلتا الحالتين، فالزُرق، والبرتقاليّون، والذهبيّون، يطيرون صارخين في الفضاء. السبجيّون يطيرون بصمت. حقيقة ليس للأمر أي أهميّة، فالفضاء يجعل كلَّ شيء صامتاً في النهاية.

ذراعيَ اليسرى تقذف الشّرر. مدفعي النبضي ممزّق؛ أمّا داخل البدلة،

فذراعي تؤلمني بشدّة. لديّ ارتجاجٌ في الدماغ. أتقيّأ داخل خوذتي. لأملأها برائحةٍ نتنةٍ لاذعة وحارقة للأنف، لكنّي ما زلت واقفاً على قدمي، وذراعي اليمنى تعمل جيّداً. واقي الرؤية تصدَّع. أتعثَّرُ وأنا أُشفَط أيضاً نحو مِنصَّة القيادة.

أزحفُ عائداً عبر الفتحاتِ التي أحدَثتُها في الجدران. أصل إلى مِنصَّة القيادة لأجدَ المكان يعجُّ بالفوضى. أفرادُ الطاقم يتشبّثون بأي شيء للحؤول دون شَفطِهم إلى الظلام البارد. فتاة ذهبيّة تمرُّ، وهي تتقلَّبُ مِن أمامي وتطيُر خارج الحاجز. أخيراً، تومض الأضواء الحمراء. تُغلَق جميع حواجز الطوارئ في هذا المكان مِن السفينة لقطعِ التَّسرب الحاصل في الضغط. أحدُها يبدأ بالانغلاق ورائي، مُعزّزاً الجدارَ الذي اخترَقتُه. أرفعهُ لدى رؤيتي لسيفرو قادماً. المعدن يئنُّ تحتَ ضغط الذراع الآليّة لقذيفتي النجميّة. يرمي سيفرو بنفسهِ ليَعبُر مِن تحت الحاجز في اللّحظة الأخيرة، ويَنغلقُ الباب. مِنصَّة القيادة تُقفَل، ونحن داخلها. ممتاز!

تختفي رياح الضغط خلفنا بينما تنزلق ألواح الفولاذ المقوّى فوق نافذة الرؤية المحطَّمة. ينهضُ ضبّاط السفينة وطاقمها مِن الأرض، يلهثون لالتقاط أنفاسهم، ولكنْ لا وجودَ لها. الأوكسجين والضغطُ ما زالا يُضخّان إلى الغرفة مُجدّداً؛ لذا فأولئكَ الذين يرتدون أقنعة التنفّس— الذهبيّون، والسبجيّون، والزّرق—يشاهدون بهدوءٍ كيف يتلوّى بعضُ الخدمِ الزهريّين والفنيّين البرتقاليّين على مِنصَّة القيادة مثل سمكةٍ تلهثُ لالتقاط الهواء الذي ليسَ موجوداً هناك. أحدُ الزهريّين يتقيّأ دماً؛ إذْ تنفجر رئتاه في صدره لأنّه حاول حبسَ أنفاسه. يشاهدُ الزُّرق الموتى برعب. لم يروا رجالاً يموتون مِن قبل. معتادون على رؤية الإشارات تختفي على

الشاشات. ربّما تنفجر سفينةٌ بعيدةٌ، أو تخرج ألسنة لهب في أثناء صعود السبجيّين والرماديّين على متنها. فهمهم لصراعات الوجود البشري والحياة الفانية يتغيّر.

السبجيّون والذهبيّون لا يتفاعلون مع المشهد. يحاول بعض الرماديّين تقديم المساعدة، لكنّ الأوان قد فات. بحلول الوقت الذي يعود فيه الضغط والأوكسجين إلى مستواهما الطبيعي، يكون بنو الألوان الدُنيا قد ماتوا. لن أنسى تلكَ الوجوه أبداً. أنا مَن جلبَ هذا لهُم. كم مِن العائلات ستبكي بسبب ما فعلتهُ هنا؟

بغضب، أضرب بحذائي المعدني على سطح الأرضيّة الفولاذيّة. ثلاث مرّات. وأولئكَ الذين لم يفعلوا شيئاً بينما مات حلفاؤهم، يلتفتون ليرونا أنا وسيفرو في بِدَلنا القاتلة.

أوه، كيف تُظهِر تلكَ الوجوه الذهبيّة والسبجيّة العواطف أخيراً!

يندفع أحد السبجيّين نحونا لمهاجمتنا برمح القوّة. يضربه سيفرو مرّة واحدة، ساحقاً الرجُل الضخم بقبضةٍ معدنيّة. الأربعة الآخرون يرتبطون معاً ويهاجموننا، وهم ينتحبون ويصرخون مرُدّدين إحدى ترانيمهم الحربيّة الرهيبة. يواجههم سيفرو، وهو مسرورٌ لأنّه أخيراً أصبح الأكبرَ حجماً في الغرفة؛ أمّا أنا فأهاجمُ فريقاً مِن الرماديّين الذين يتخبّطون في البحث عن أسلحتهم.

هكذا تسيرُ الأمور. نحن رجالٌ مِن مَعدن نُقاتل رجالًا غير مُنظَّمين مِن لحمٍ ودم. وكأنّنا قبضاتٌ مِن الفولاذ تقوم بالضرب داخل بطّيخة. لم أقتل رجالاً بهذه اللا مبالاة مِن قبل، ويُرعِبني مدى سهولة ذلك في الحرب. لا يوجدُ غموضٌ هنا، ولا انتهاك لمبادئ الأخلاق. هؤلاء الناس هم مِن بني

ألوان الحرب. إمّا أن يقتلوني، وإمّا أقتلهُم. الأمر أبسطُ مِن مرحلة العبور. أبسطُ لأنّني لا أعرفهُم، ولا أعرِفُ إخوتهُم وأخواتهِم، وأستخدمُ المعدن بدلاً مِن جسدي لدفعهِم عبر الباب المظلم للموت.

أنا بارعٌ في ذلك، أكثر مِن سيفرو بمراحل، وهذا ما يخيفني أكثر من أيّ شيءٍ آخر.

أنا الحصّاد. تتلاشى أيُّ شكوكٍ كانَت تساورني حولَ نفسي، وأشعرُ بوصمةِ ذَنبٍ تزحفُ إلى روحي.

نبذل قصارى جهدنا للحفاظ على أرواح الزُرق. مِنصَّة القيادة كبيرة، لكنْ لا وجود سوى لبضعة سبجيّين ورماديّين مسلّحين بمقذوفات، أو أسلحة طاقة. لا سبب لوجودهم هنا؛ إذْ لم يأتِ أحد قطّ عبر نافذة الرؤية. ذهبيّتان مع شفرتيهما هما الخطر الحقيقي: إحداهنّ طويلةٌ وعريضة، والأخرى بوجهٍ حادٍّ يعتريه اليأس، وهي تندفع نحونا. بشفرتيهما يمكنهما حتّى شطر بدلتينا إلى نصفين، لذلك يُطلِق سيفرو عليهما مِن مسافةٍ بعيدةٍ باستخدام مدفعه النبضيّ، ممّا يؤدّي إلى انهيار ترس أيغيس لدى كل منهما، نتيجة تحميلها بأكثر مِن قدرتها، فتتسرّب الطاقة وتنتشر على درعيهما، متسبّبةً بفرطٍ في تحميل الواقيات النبضيّة، ممّا يجعل الطاقة تخترق الدرعين وتُذيبُ الذهبيّتين؛ لهذا يسيطرون على التكنولوجيا. فالبشر، بصرف النظر عن لونهم، هشّون كحماماتٍ في طاحونة اللّحم الحربيّة.

أعدائي موتى، ألتفتُ الآن إلى الزُرق في غُرفِ القيادة. «هل مِن قبطان هنا؟». أسأل.

أقف ببدلتي، وأنا أطول منهُم بنحو متر. ما زالوا يحدّقون في كل تلك

الفوضى التي صنعناها مِن الآخرين. لا شكَّ أنّي أبدو ككابوسٍ متنقّل. ممسكاً بشفرةٍ رهيبةٍ مع ذراع تقذف الشرارات، وبدلة نصف مُدمَّرة.

– ليس لديَّ اليوم بأكمله لممارسة التهديد والإبادة. أنتم رجالٌ ونساءٌ مثقّفون. هذه ليست سفينتكُم. أنتم تُشغِّلونها فقط مِن أجل الذهبيّ الذي يقودها. الآن أنا مَن يقودها. إذن، هل يوجدُ قبطان أزرق هنا؟

القبطان نجا. إنّه رجُلٌ هادئٌ نظيف المظهر، جذعه هزيلٌ وكأنّه مكوّنٌ من مجموعة أطرافٍ فقط، مع جرحٍ جديدٍ في وجهه يؤلمه بشدّة. إنّه يرتجف ويشهق، ممسكاً الجرح كما لو أنّ وجهه سيسقط إن أبعد يده. كانت أمّي لتصفه بأنّه جبانٌ ذليلٌ لا يساوي شيئاً. إيو كانت ستتعامل معه بطريقةٍ مختلفةٍ، لذا أقف فوقه وأتحدّث بهدوء.

– «أنت بأمان». أقول: «لا تحاول القيام بأيّ شيء متهوّر».

أخلع خوذتي. القيء يسيل منها. أخبره بأنّ عليه أن يذهب إلى الزاوية وينزع شارة رتبته ذات النجوم. يرتجف، ومِن دون أن يُعطى فرصةً لتنفيذ الأمر، يندفع سيفرو نحوه، ويأخذ شارته، ويرفعه إلى الأعلى، ويحركه مثل الدمية.

امرأةٌ ذات وجهٍ طويلٍ، وكتفين مشدودتين، وبشرةٍ زيتونيّةٍ داكنةٍ تزفر ساخرةً على هذا التجريد مِن الرُّتب. نظرتها ثاقبةٌ على نحوٍ مميّزٍ بالنسبة إلى زرقاء. صلعاء مثل البقيّة، مع وشومٍ رقميّة لازورديّة تلتفّ ليس فقط على اليافوخ والأصداغ، بل على اليدين والرقبة أيضاً.

يعود سيفرو إليَّ، وهو يقفز.

– سيفرو، كُفَّ عن العبث.

– أحبّ أن أكون كبيراً.

- ما زلت أنا الأكبر.

يحاول أن يلوح لي بحركةٍ بذيئةٍ بوساطة بدلته، لكنّ الأصابع الميكانيكيّة ليست رشيقة بما يكفي.

أصدر أوامرَ للزُرق في المواقع التقنيّة بأن يسمحوا لأصدقائنا في النَّاقِلة اللَّقلق بالدخول إلى واحدةٍ مِن حظائر المركبات. بعد استقرارهم في مواقعهم يطيعون ويُنفِّذون. جميعهُم هنا مخلصون، لأنّهم تحت تأثيري. ولكن في باقي أنحاء السفينة، مَن يعرف؟ قد يكونون مخلصين للحاكِمة المعظَّمة، أو قد يكونون مخلصين فقط للرجُل الذي يسيطر على هذه السفينة. سيكون مِن الحماقة الاعتقاد بأنّهم جميعاً يعملون وفق العقيدة نفسها. سأجعلهم يفعلون ذلك.

أراقب النَّاقِلة اللَّقلق، وهي تنزلق نحو إحدى حظائر المركبات على الشاشة. بالكاد تبقيها مسامير ها متماسكة. سفينتا اقتحامٍ علقيّتان تحيطان بها كالإكليل. سيتعيّن على عوائيَّ محاربة فرق القتلة الموجودة فيها. قد يتمكّنون من تدبّر ذلك، ولكنْ إن حاصرهم سبجيّو ورماديّو فينغارد في الحظيرة، فسنخسر كل شيء.

تأتي الأصوات الآن مِن الحاجز الذي يربط مِنصَّة القيادة بباقي السفينة. هسهسة عميقة. الباب يتوهّج باللّون الأحمر مِن شدّة الحرارة، مع وجود بؤبؤٍ صغيرٍ في مركز الفولاذ الرمادي المقوّى. جنود مشاة سبجيّون، أو رماديّون، يقودهم بلا شك أحد الذهبيّين، يبذلون جهودهم لاستعادة السفينة. سيستغرق ذلك منهُم بعض الوقت.

- «هل هنالك كاميرا مُجسَّمة في الممرّ؟» أسأل الزُرق.

يتردّدون. «فليَسودَّ فضاؤكم، أيّها الثرثارون الأغبياء». تلعنُ وتشتُم

الأنثى الزرقاء التي لاحظتها مِن قبل. تدفع أزرق آخر بعيداً وتزامنُ وشومها مع وحدة التحكّم. يظهر عرضٌ مُجسَّم على إحدى الشاشات، ليؤكّد مخاوفي. الذهبيّون يقودون المجموعة محاولين الوصول إلى مِنصَّة القيادة.

- «أرني غرفة المحرّك، روابط دعم الحياة، وحظيرة المركبات». أقول مطالباً. تفعل ذلك. مرّة أخرى، يقود الذهبيّون مجموعات مِن جنود المشاة الرماديّين والفرسان-العبيد السبجيّين لتأمين الأنظمة الحيويّة للسفينة. سيحاولون انتزاع السيطرة عليها منّي. والأسوأ، سيحاولون الصعود على متن النَّاقِلة اللَّقلق، أو تدميرها؛ لقَتلِ، أو أسرِ موستانغ وأصدقائي.

- «مَن يريد هذه السفينة؟». أسأل بصرامة. أطوف في أرجاء مِنصَّة القيادة المرتفعة، راكلاً جانباً جثّة في طريقي، وألقي نظرةً نحو الأسفل على الزُرق المسؤولين عن الاتّصالات في مواقعهم. تتجنّبان النظر إليّ، إنّهما امرأتان لا تزيد أعمارهما عنّي. بوجوهٍ شاحبةٍ ونقيّةٍ مثل الثلج الصباحي، ملطّخة الآن بآثار الدموع والأوساخ، وعيون سيروليتيّة(*) واسعةٍ محاطةٍ بحوافّ ملتهبةٍ وممزوجةٍ بالأحمر. لقد شاهدوا أصدقاءهم يموتون اليوم، وها أنا أغضب بأنانيّة، متصرّفاً كأنّ هذا هو انتصاري. مِن السهل جدّاً أن أفقد نفسي.

لا تنسَ أبداً ما تكون -أُذكِّر نفسي- لا تنسَ أبداً.

تتواصل معنا عشرات السفن والقيادة الأرضيّة للقلعة. ما الذي حدث؟ يريدون أن يعرفوا. سفنُ شُعلةٍ ومُدمِّرات تتحرّك بحذرٍ نحونا. أفتح قناة اتّصالٍ مغلقة مع كامل طاقم سفينتي.

---

(*) درجة من ظلال اللون الأزرق. (المترجم).

«انتباه! طاقم السفينة التي كانت تُعرَف سابقاً باسم فينغارد، ستُعرف مِن الآن وصاعداً باسم باكس». أتوقّف بطريقةٍ دراميّةٍ، وأنا أعلم بأنّ أيّ أغنيةٍ جيّدة، وأيّ رقصةٍ جيّدة، هي في مضمونها لعبة توتّرٍ تفضي إلى ذروةٍ مِن الصوت والحركة.

لا يمكن لسيفرو التوقّف عن التبسّم لي بابتسامةٍ عريضةٍ كطفلٍ صغير. يبدو مثل عفريتٍ في البدلة الكبيرة، رأسه يبدو صغيراً جدّاً بعد أن نزع خوذته. يقوم بحركةٍ كبيرةٍ بيديه محاولاً جعلي أضحك. أهزّ رأسي نحوه. الآن ليس الوقت المناسب.

– اسمي دارو أندروميدوس الذهبيّ، الفارس الرمّاح لعائلة أوغوستوس المريخيّة، وقد استوليتُ على هذه السفينة كغنيمة حرب. إنّها ملكي؛ وهذا يعني حسب قوانين الجمعية لحروب الأساطيل أنّ حياتكُم ملكي. أنا آسف لذلك، لأنّ هذا يعني بأنّكُم جميعاً ستموتون على الأرجح.

لقد كُرِّسَت حياتكُم لمهنةٍ، أو مهمّةٍ واحدة: الإلكترونيّات، الملاحة الفلكيّة، المدفعيّة، خدمة الصيانة والنّظافة، الإضاءة والإصلاح، القتال العسكري؛ أمّا مهنتي فهي الغزو. يعلّموننا إيّاها في المدارس. وفي المدرسة، علّموني الطريقة الصحيحة للإغارة، والاستيلاء، وامتلاك سفينة حربيّة للعدو. وبعد أن يستولي المرء على مِنصّة قيادة السفينة التي يسيطر عليها العدو، الإجراء الذي علّمونا إيّاه بسيط: تهوية السفينة.

يفعّلُ سيفرو وحدة التحكّم المخفيّة المثبّتة في الجانب الخلفي لشاشة الملاحة، والتي يقتصر الوصول إليها على الذهبيّين. يتراجع الزُرق في دهشة. يشبهُ الأمرُ الدخولَ إلى مطبخ رجُلٍ لتظهر له قنبلة نوويّة مخبّأة تحت مغسلته. وِحدةُ التحكّم تَمسحُ شعار سيفرو الذهبيّ وتضيء باللّون

الذهبيّ. كلُّ ما عليه فِعلُه هو إدخال الرمز، وستُفتَح السفينة بأكملها على الفضاء. عشرون ألف رجُلٍ وامرأةٍ سيموتون.

– «لقد صنعنا هذه السفن بحيث نستطيع تفريغها. لماذا؟ ليس لأنّنا لا نثقُ في ولائكُم –في الواقع، نحن نعتمدُ على ذلك– ولكنْ لأنّه لايزال هنالك». أنظرُ إلى القائمة التي أعطاني إيّاها أحدُ الزُرق: «واحدٌ وستّون ذهبيّاً على مَتنِ السفينة. إنّهم مُخلِصون للحاكِمة المعظَّمة. أنا عدوّها. لن يطيعوني. سيُخرِّبون السفينة، محاولين السيطرة على مِنصَّة القيادة؛ سيجمعونكُم، ويستغلّون ولاءكم، ويقودونكُم إلى الموتِ المؤكّد. بسببِهم وبسبب كراهيتهم لي، لن تروا أحبّاءكُم مرّة أخرى».

– هنالكَ أيضاً تعقيدٌ آخر. خارج هذا الهيكل، تتساءل الحاكِمة المعظَّمة عمّا حدث هنا. قريباً ستدرك أنّ فخر أسطولها الحربي لم يعد ملكاً لها. إنّه ملكي. سُفن قادتها البريتوريّين ستقذف أسراباً مِن سُفن الاقتحام العلقيّة التي تحملُ فيالقَ مِن جنود المشاة السبجيّين والرماديّين. سيقودهم فُرسانٌ ذهبيّون يسعون وراء رأسي، وعلى أهبة الاستعداد لقتل كلِّ من في طريقهم.

– إن ألقيتُ بكُم في الفضاء، فلن يكون هنالك مِن أحد ليمنعهُم عن قتلي؛ لذلك فكما ترون، أنتم خَلاصي، وأنا خَلاصكُم. لن أضحّي بعشرين ألفاً منكُم لقتل واحدٍ وستّين مِن أعدائي. اخترتُ هذه السفينة مِن بين كلِّ السفن الأخرى بسبب طاقمها. أفضل ما يمكن أن تقدّمه الجمعيّة. وبالنسبة لي لن أستغني عنكُم أبداً. لذا ما أطلبهُ منكُم هو هذا: اختاروني قائداً لكُم وأطيحوا بأولئك الذهبيّين الذين يعتقدون أنّه بوسعِهم الاستغناء عنكُم والتضحية بكُم.

- لديكُم إذني، وضمانتي، وشارة الحاكِم العام للمرّيخ، نيرو أوغوستوس الذهبيّ، لإلقاء القبض أو قتل قادتكُم الذهبيّين مِن أجلي. استولوا على أسلحتهِم وأخضِعوهُم، ثمّ أمّنوا السفينة ضدّ الغزاة الذين يأتون لتدميرنا. افعلوا ذلك الآن. إذا انتظرتم سيقتلونكُم! أوّل من سيتمرّد مِن الرجال والنساء سأعرفهُم. وبصفتي قائدكم الجديد سأكافئكُم. الحاكِم العام سيكافئكُم. افعلوا ذلك الآن! لأنّني فتحتُ للتوّ كلَّ مستودع أسلحة في السفينة. استولوا على الأسلحة، وحيِّدوا الطُغاة.

يسود صمتٌ ثقيلٌ مع اندلاع أولى شرارات الثورة.

يقترب سيفرو: «كان ذلك مثيراً».

- «هل كان ديمقراطيّاً أكثر مِن اللازم؟». أهمس.

- «لا أعتقد أنّ الديمقراطيّة الأوتوقراطيّة تُحتسب». يكشّر سيفرو أنفه: «لقد هدّدت بإلقائهم في الفضاء».

- هدّدت؟ ظننت أنّني ألمحتُ إلى ذلك بأسلوبٍ سلسٍ غير خشن.

- «أجل، غير خشن، وأملس كالحصى، أيّها الأحمق». يضحك سيفرو مقهقهاً بحماسةٍ مفرطةٍ بعض الشيء، ويصفع ساقه بيده الآليّة، ما يتسبّب في انبعاج المعدن هناك. يجفل، ثمّ ينظر إليَّ بنوع مِن الإحراج: «تبّاً!».

يأخذ الباب مِن خلفنا بإصدار صوت هسهسة. ألتفت لأرى الحاجز المتوهّج. أعدائي قد أحضروا مِثقاباً لمهاجمتي. يداي ترتعشان مِن الأدرينالين. أشعر بثقل العشرات مِن العيون الزرقاء. الاحمرار في الباب يصبح أكثر عمقاً وانتشاراً. لم يتبقّ لنا الكثير مِن الوقت.

شفرتي تتموّج وتتحوّل إلى وضعية القتل، طويلة ومرعبة. «سيصبح

لدينا رفقة عمّا قريب». أقول. أنظرُ إلى سيفرو، الذي يبدو مُشتّتاً بإحدى شاشات العرض المجسَّم. أُصدِر أمراً للزُرق بالاحتماء.

– «إنّهم يفعلونها». يتمتم سيفرو: «تبّاً! دارو، تعال وانظر».

يتنقّل سيفرو بين الصور الحيّة التي تُظهِر البرتقاليّين والزُرق، وهم ينهبون مخازن الأسلحة. بعض الرماديّين يساعدونهُم، بينما يقف آخرون متردّدين، غير متأكّدين مِن صلاحيّاتهِم حتّى عندما يُطلِق بعضهم النار على أعدادٍ غفيرة مِن زملائهم، لكنْ لا يوجد رصاص بوسعه إيقاف هذا المد. يأخذون الأسلحة، ويركضون عشوائيّاً عبر الممرّات، وتتعاظم صفوفهم. يقودهم الأكثر قسوة، ليسوا من الزُرق، بل من البرتقاليّين، إنّهم عمّال الحظائر والميكانيكيّون، إلى جانب الرماديّين... أعرف أحدهم. العريف في منتصف العمر الذي كان على سفينتي في الأكاديميّة، الشخص الذي هرب معنا. يقود عشرين مِن الرجال والنساء إلى الجناح الخاص بأحد الذهبيّين. يُخضِعونه باحترام، ولكن هذا التفاهم السلمي لا ينتشرُ بعيداً.

ثلاثُ فِرَقٍ قويّة مِن الذهبيّين، تقود سبجيّين ورماديّين، تحتشد في غُرفِ دعم الحياة، وعند المحرّكات التي تبعد خمسة كيلومترات إلى مؤخّرة السفينة، وأمام باب مِنصَّة القيادة مباشرة. أولئكَ خارج باب مِنصَّة القيادة، هم أربعة ذهبيّين، وستّة سبجيّين، مع عشرة رماديّين يلقّمون الأسلحة مِن خلفهم.

– «ما زلنا سنحصل على رفقة». أقول.

سيدخلون عبر الباب في أيّة لحظة. الشرر يتطاير مِن داخل الحاجز حيث يتمكّن مِثقابهُم الحراري مِن التغلُّب على الباب. المعدن يذوب ويسيل إلى الداخل، مُشكّلاً فقاعات على الأرض. الزُرق يرتعدون مِن

الخوف، وأنا وسيفرو نُسوّي أنفسنا ونرتدي خوذنا، مستعدّين للهجوم الجديد. مرّة أخرى، رائحة قيئي تملأ أنفي. أُخبِر الزُرق أن يختبئوا في حجرة الاتّصالات. سيكونون آمنين هناك.

يومض ضوء الاتّصال فجأةً على لوحةٍ قريبةٍ منّي. غريزيّاً أجيب. صوتٌ يشبه الرعد يهزُّ عظامي. لا يوجد عرضٌ مرئيّ.

- «**هل تسمعني؟**». يسأل.

- «أسمعك». ألتفتُ نحو سيفرو. أيّاً يكن الشخص الذي يتّصل بنا فإنّه يستخدم مكبّر صوتٍ يبدو مثل دويّ الرعد. يهزُّ سيفرو كتفيه كما لو أنّه ليسَ لديه فكرة عمّن يكون: «مَن هناك؟»

- **هل أنتَ إله؟**

إله؟ يهيمن عليَّ هدوءٌ غريب. هذا ليس مكبّر صوت. كان يجب أن أعرف ذلك مِن اللهجة الباردة والجامدة. أختارُ كلماتي بعناية، مُتذكّراً ما تعلّمته: «أنا دارو أندروميدوس الذهبيّ، مِن أبناء الشمس».

- **لقد استوليتَ على السفينة، ولم تُصبِح بعد بريتوراً؟ كيف؟**

- طرت إلى الداخل عبر مِنصَّة القيادة.

- **وحيداً مِن أغوار الفضاء؟**

- مع رفيق.

- **سأحضر للقائكما أنتَ ورفيقك، يا ابن الإله.**

ينظر الزرقُ إلى بعضهم برعب. يتكلّمون بشيءٍ ما. موسوم. ثِقَلُ الخوف يحطُّ على كتفي. أنا وسيفرو نُمعِن النظر حول مِنصَّة القيادة، كما لو أنّ الوحش يختبئ في مكانٍ ما في الظلال. يتقشّر الباب أكثر فأكثر، ويسيل للداخل كثمرةٍ حمراء فاسدةٍ متوهّجة.

ثمّ يشهق واحدٌ مِن الزُرق، فننظر إلى الخلف إلى شاشة العرضِ المجسَّم لنرى الكاميرات في الممرّات خارج باب مِنصَّة القيادة، وهي تنقلُ مَشهداً مُرعباً. هذا -هو- يجري نحوهم مِن الخلف وهُم يستعدّون لدخول مِنصَّة القيادة — سبجيّ، لكنّه أكبر مِن أيّ شخصٍ رأيته مِن قبل. لكنّ حجمه ليس هو ما يميّزه فقط، إنّها الطريقة التي يتحرّك بها. مخلوقٌ مُفزِعٌ مجبولٌ مِن ظلٍّ، وعضلٍ، ودرع. يَنسابُ ولا يركض. مُنحرِف، وكأنّك تنظر إلى نصلٍ، أو سلاحٍ مصنوعٍ مِن اللّحم. هذا مَخلوقٌ ستهربُ الكِلابُ منه، وستصدر القطط هسيساً عليه. مخلوقٌ يجب ألّا يوجد في أي مستوى فوق أوّل طبقةٍ مِن الجحيم.

يضربُ فرقة القتل مِن الخلف بنصلين أيونيّين ينبضان بالأبيض يخرجان مِن درعه، ويمتدّان لمسافة ثلاثة أقدام مِن يديه. يمرّ عبر الرماديّين بكل سهولة، يسحقهم على الجدران بكتفيه، مُهشّماً عظامهم، ثمّ يبدأ بالقتل الحقيقي. إنّه وَحشيٌّ لدرجة أنّني اضطررتُ إلى أنْ أشيح بنظري.

المِثقابُ الحراريّ يواصِلُ إذابة الباب مِن تلقاء نفسه، ووَسطه يُشكِّل ثقباً. مِن خلاله أستطيع رؤية الرجال والنساء يموتون. الدم يَنشُّ على المعدن الملتهب.

مع تبقّي ذهبيّةٍ واحدةٍ فقط يتوقّف المَوسوم، وقد نزف مِن عشرات الجروح. تطعنه الذهبيّة بشفرةٍ تخترق درعه الداكن عند واقي الصدر، فيلتفّ بجسده، مطبقاً على النّصل، ثمّ يقبضُ عليه عندما تجعلُ النّصل يرتخي ليعود لقوام السّوط. بعد ذلك، يُمسِك بها مِن خوذتها، ودرعها الذهبيّ يلمع تحت أضواء الممرّ، فتحاولُ الهرب، تحاولُ الزحف بعيداً، لكنّه كالأسد حين يُمسِك بضَبعٍ بين فكّيه. يكتفي بالضغط فقط، وعندما

تلفظُ أنفاسها، يضعها على الأرض بلُطف، وهو الآن حسّاسٌ بعدَ أن منحها موتاً كريماً. سيفرو يتراجع لا إراديّاً عن الباب.

- يا أم الرحمة...

المَوسوم يقف على الجانب الآخر، الباب بيننا يذوب ببطءٍ مِن المركز. وعندما يصبحُ الثقب الذي في الباب بحجم جذع إنسان، يخلع خوذته. وجه شاحب، بلا شعر، ينظر إليّ. بعينين سوداوين، ووجنتين تبدو عليهما آثار الرياح، ومكسوّتين بالثفن، وكأنّه جلد وحيد القرن، ورأسٍ أصلع إلّا مِن خصلة شعر بيضاء بطول مترٍ تمتدّ إلى منتصف ظهره.

تلتقي نظراتنا، ويخاطبني.

**- يا ابن الإله أندروميدوس، أنا راغنار فولاروس، المَوسوم البِكرُ لأمّي، آليا دوريَّةُ الثلج مِن قمم فالكيري شمال سلسلة التنّين جنوب المدينة المنهارة، حيث يطير الرعب المجنّح، وشقيق سيفي الصامتة، مُحطِّمة تانوس التي كانت ذات مرّة قائمة بالقرب مِن المياه، أقدّم لكَ عرضَ المَوسومين.**

يفردُ يديه العملاقتين الملطَّختين بالدماء، ثمَّ يمدُّ يدهُ اليمنى عبر الباب. نصلاه الأيونيّان يتراجعان إلى درعه. الشفرة لا تزال بارزةً قليلاً مِن ضلوعه.

أتبوَّلُ في بدلتي اللّعينة.

- «حسناً، تبّاً لي». يتمتم سيفرو: «افعلها يا دارو، قبل أن يُغيِّر رأيه».

أخلع خوذتي وأتقدّم. أريده معي.

- راغنار فولاروس، أهلاً بك. أرى أنّكَ لا تحمل أيّ شارة. هل لديك سيّد؟

**- كنتُ أحملُ علامة سيّد الرماد، وكان مِن المُفترض أن أُقدَّمَ كهديّةٍ مع هذه السفينة العظيمة إلى عائلة جولي، لكنّكَ استوليتَ على هذه السفينة، وبذلك حصلتَ عليّ.**

آل جولي؟ هديّة لخيانتهم آل أوغوستوس، بلا شك.

وهل استخدم توّاً ثغرة بيروقراطيّة لتسويغ قَتلِه لرجال سيّده؟ إن كان هنالكَ سُخرية في صوته، فلا أستطيعُ التقاطها. ولكنْ لمَ سيفعل ذلك؟ هل عيونه السوداء تعرفاني؟ المَوسومون لا يمكنهُم استخدام التكنولوجيا باستثناء المعدّات العسكريّة. لا يمكن أن يكون قد رآني مِن قبل، ومع ذلك تبقى يده ممدودة، منتظرةً لتُمسِك بيدي.

- «لماذا تفعل هذا؟». أسأل: «أبسبب آل جولي؟».

- «**يتاجرون بأمثالي**». كنتُ قد نسيت. إنّها سفنُ آل جولي التي تَنقُل العبيد السبجيّين عبر أغوار الفضاء. يعرفون أنّ عليهِم الخشية مِن الشَّمسِ المَطعونة برُمحٍ في شعار عائلة فيكترا.

ليسَ مُتمرّساً في إخفاء كراهيته، إنّها باردةٌ كالثلج الذي وُلد فيه هذا الرجُل.

- «**هل ستقبل هذه الوسوم يا ابن الإله؟**». يسأل، وهو يميل إلى الأمام، وصوته مفعمٌ بالحزن. قلقٌ غريبٌ يرسم تجاعيدَ على زوايا فمه. الذهبيّون فعلوا هذا بعد التَّمرُّدِ المظلم، الانتفاضة الوحيدة التي هدّدت حُكمَهم يوماً. أخذنا تاريخهُم، أخذنا تقنيّاتهِم، قضينا على جيلٍ بأكمله، وأعطينا عِرقَهُم أقطابَ الكواكِب ودينَ الإسكندنافيّين، وأخبرناهم بأنّنا آلهتهم. بعد مئاتٍ مِن السنين، أقفُ هنا، وأنا أنظرُ إلى أحد أكثر أبنائهم رُعباً، وأتساءل كيف يمكن له أن يعدّني إلهاً.

– «أقبَلُ هذه الوسوم باسمي، يا راغنار فولاروس». وأنا مرعوبٌ، أمدّ يدي نحو الأمام، بينما يحيط المعدن الملتهب بذراعينا، نتصافح، أيدينا متساوية تقريباً في الحجم، على الرّغم من أنّ يدي مغطّاة بالمعدن. آخذ الدم الذي يسيل مِن يده إلى يدي، وأمسحهُ على جبهتي المكشوفة. «أقبَلُ عبئهم وثقلهم».

**– شكرًا لكَ يا ابن الشمس. شكراً لكَ. سأخدمُ بشرفِ أمّي وأمّها مِن قبلها.**

– لديّ أصدقاء على متن النَّاقِلة اللَّقلق في حظيرة المركبات الثالثة. أنقذهُم يا راغنار، وسأكون مديناً لك.

تنكشف أسنانه الصفراء، وهو يبتسم، ومِن داخله تصدحُ ترنيمة حربٍ أعمق مِن المحيط أثناء العاصفة. تملأ الممرات بالخوف. تملأني بالفرح والخوف والفضول البدائي. ماذا كسبتُ للتو؟

# 22

# براعم النار

جسدي يرتعش إثر رحيل العملاق. أستعيد توازني، وألتفت إلى الزُرق الذين يقفون مذهولين، غير متأكّدين ما إذا كان عليهم النظرُ إليّ، أو إلى شاشات العرضِ المجسَّم، أو الماسحات التي تظهر السفن الحربيّة للحاكِمة المعظَّمة، وهي تطوّقنا. «ليس لديكُم ما تخافونه هنا». أقول: «قبطان هذه السفينة قد جُرّد مِن رتبته لأنّه تركَ نوافذ الرؤية الخاصّة به مفتوحة بغباء. الرتبة لا تسوّغ الأخطاء. أريدُ قائداً جديداً. ليسَ لدينا الكثيرُ مِن الوقت: لذ سأقرّر في ستّين ثانية».

الزرقاء ذات الكتفين المشدودين تتقدّم إلى الأمام مجتازة زملاءها. في البداية، اعتقدتُ أنّ الوشوم التي على يديها تبرز خطوطاً مِن الأزهار، ثمّ ألحظ سيلاً مِن العلامات الرياضيّة: صيغة لارمور. معادلات ماكسويل في الزمكان المنحني، نظريّة ويلر-فاينمان للامتصاص، ومئات أخرى لا أعرفها أصلاً.

- «أعطني الشّارة، وسأنحت لك ثقباً للعودة إلى المرّيخ يا فتى». صوتها لا يتقلّب. إنّه ثابت. دقيقٌ وكسولٌ في آنٍ واحد. العاطفة قد استُنزِفت

منه حتّى لم يبق سوى الأحرف وأصوات الكلمات وكأنّها معادلات في الهواء: «أقسم بحياتي».

- (فتى؟). أسأل.

- أنتَ بنصفِ سنّي. هل أدعوكَ (الفتى اللورد)؟ أم ستشعر بالإهانة؟

يرفع سيفرو حاجبه، مُرتبكاً مِن وقاحتها اللّطيفة.

- «سامِحها، يا دومينوس». يقول أزرق آخر بهدوء: «إنّها مُجرَّد مُلازِم مع—».

أرفعُ يدي: «ما اسمكِ أيّتها الزرقاء؟».

- أوريون زينوني أكواري.

- «هذا اسم فتى». يقول سيفرو.

- «أهو كذلك؟ لم ألحظ». هل يمكن للزُرق أن يتمتّعوا بحسّ السخرية؟ «طائفتي كانت تنوي أن أكون رجُلاً. لقد فاجأتهم».

- «أي طائفة؟». يسأل سيفرو.

- «ليس لديها طائفة. لقد أُخِذَت مِن قبل الطائفة الكوبرنيكيّة، لكنّها فُصِلت بعد مدّةٍ قصيرةٍ لأسبابٍ واضحة». ذلك الأزرقُ الفضولي يقاطِع مجدّداً: «إنّها عاملة شحنٍ وتفريغ».

تنتفضُ أوريون. تستديرُ نحو الأزرق الآخر. صوتُها لا يرتفع: «وماذا تكون أنت سوى نفخة ريح تافهة متحذلقة يا بيلوس؟ هاه؟».

- «أترى؟». يشرح بيلوس بهدوء: «إنّها عاملة شحنٍ وتفريغ. المقاييس العاطفيّة غير قابلة للإدارة. ليس خطأها، إنّها نتاج بيئتها القذرة».

- «كلام فارغ». تقول وتتقدّم بسرعة.

تضربُ بيلوس في وجهه. يصرخ منتحباً ويسقطُ إلى الخلف، وكأنّه لم يتعرّض للضرب مِن قبل. مِن المحتمل أنّه كذلك. لماذا قد يَضرِب أزرقُ أزرقَ آخر؟ إنّهم يُجرونَ الاختبارات، يبتكرون الحسابات، ويضعون مخطّطاتٍ للنجوم؛ ليسوا مقاتلين.

- «أُحِبُّ تلك الجريئة». يقول سيفرو.

- «انتظر يا دومينوس! أنا أريدُ السفينة!». يتقدّم أزرقُ آخر، مُحدِّقاً في بيلوس الملقى على الأرض: «أنا... أنا أستحقّها. أوريون ليسَت سوى... كسولة مُهمِلة! براعتُها في الفيزياء الفلكيّة بالكاد يُمكِن وَصفُها بالكافية، ناهيكَ عن فهمها لحركيّة الكُتل خارج الكواكب. إنّها حتّى لم تلتحق بالمرصد».

أزرق آخر يندفع إلى الأمام.

- انسَ أرنوس! إنّه غبيّ في الفيزياء الفلكيّة وافتراضاته في الحساب التفاضلي النظري متهوّرة على أفضل تقدير! كنت الثاني في تسلسل قيادة هذه السفينة لمدّة ستّة أشهر تحت إمرة سيّد الرماد. خدمتُ على متنها، وهي ما تزال في مينائها. المنطق يدعم مناورة وضعي كقبطان لك يا دومينوس.

سفن الأسطول الحربي تواصل مُناداتنا عبر أجهزة الاتّصال. السفن الحربيّة تقترب أكثر. داخل بطونها، يرتدي الرجال والنساء الشجعان بِدَل الدّروع؛ سيركبون سُفن الاقتحام العلقيّة ويُقذَفون في الفضاء ليهبِطوا على هيكل سفينتي، ويحفرون طريقهم نحو الداخل، وهم يصلّون أن يعودوا إلى بيوتهم لتناول وجبةٍ أعدَّتها أمّهاتهُم، أو زوجاتهُم. كل ذلك بينما يتدافعُ الزُرق الذين لديّ ويضغطون لقيادة سفينتي، يصرخون مُطلقين الشتائم على بعضهم حول مهاراتهِم في الرياضيّات ونزاهتهِم الأكاديميّة.

- «لا تستمع لأيّ مِنهُم يا دومينوس!». تصرخ امرأةٌ بتلك اللّكنة البطيئة. تسقط على ركبتيها: «اسمي فيرغا زينونية سيديرتا. لقد درستُ فيزياء الانجراف النجمي في مدرسة منتصف الليل—المتفوّقة بمراحل على المرصد. لديَّ -مِن بين الأمور الأخرى- درجة دكتوراه في المادّة المظلمة وعدسات الجاذبيّة. دعني أقود سفينتك يا دومينوس. أن تقرّر لصالح أحد آخر سيكون خطأً مشيناً والأسوأ: غير منطقي!».

كان ينبغي لهؤلاء الزُرق أن يستخدموا منطقهم ويدركوا أنّني أنظر فقط إلى المرأة التي لم تركع مثل بقيّتهم. أوريون، أوّل مَن تحدّث، لا تزال واقفة، بكتفيها المستقيمين، وعنقها الطويل غير المنحني. لهجتها وضيعة، أكثر حدّةً وعصريّةً من لهجة هؤلاء الأكاديميّين الحالمين. ربّما لأنّها مِن مدينة الأرصفة في فوبوس، أو مِن منطقة أرصفة الحبال قرب مقرّ الأكاديميّة. إذا كانت حقّاً عاملة شحن وتفريغ ولم تلتحق بالمرصد، أو بمدرسة منتصف اللّيل، فأنا أتساءل عن قصّتها، وكيف وَصلَت إلى مِنصّة القيادة في المقام الأوّل.

- «ما قصّة كل هذه الجلبة؟». أسألُ أوريون، مُشيراً إلى الزُرق.

- «إنّهم ممتلئون بالهراء يا دومينوس». تنقرُ بإصبع نحيف على صدغها: «أنا لستُ ممتلئة بالترّهات». تبتسم وتومئ إلى الشاشات حيثُ تزحف سُفن الشعلة الأخرى مُقتَربة: «والوقتُ يَنفدُ مِنكَ». أُلقي نظرةً على مَحطّات الماسح حيث تُظهر التنبيهاتُ عمليّة إطلاق سريّة لسفينتَيّ اقتحام علقيّتين مِن السفن الحربيّة وطرّادات الحاكِمة المعظَّمة القريبة: «أعلمُ أنّني أستطيع فعل هذا، وإلّا لما تحدّثت. أعطني فرصة».

أومئ إلى سيفرو، فيُلقي لها نجمة القبطان المجنَّحة.

- أوصلينا إلى أسطولنا.

- «ما قواعد الاشتباك؟». تسألني.

- «أقلّ عدد مُمكن مِن الخسائر». أقول: «نحن الأخيار. الحاكِمة المعظَّمة هي الطاغية. هكذا يجب أن يُلعب الأمر».

- أجل يا دومينوس.

أراقب مع سيفرو كيف تتولّى أوريون قيادة سفينتي وتصدر الأوامر بالالتقاء مع سفن أوغوستوس خلف منارات الروبيكون. يتوقّف الشجار فور تعييني لأوريون. يعلمون أنّ فرصتهم قد وَلَّت، لذا يعودون إلى أدوارهم المريحة كما لو أنّهم تمنّوا لو لم يغادروها قطّ. شعاراتهم الزرقاء تبدو كرماح ثلاثيّة الشُّعَب على سواعدهِم في هذه الإضاءة الخافتة.

هناك نوعٌ غريبٌ مِن الانعزاليّة عند الزُرق. إنّهم مثل شَعبِ جزيرةٍ في أعماق الفضاء، صُمّموا للتحمُّل والنّجاة في الرحلات الطويلة مِن لونا بلا حدوث تمرّد؛ لذا هم يتشاركون الأوكسجين نفسه، والطعام نفسه، والأسرَّة نفسها، والروتينات نفسها، والمواقع نفسها، والقادة نفسهم، والأحبّة نفسهم، والطوائف نفسها، والطموحات نفسها—للقيام بعملهم بدقّة والصعود عالياً بجدارتهم حتّى يتمكّنوا مِن تشريف طائفتهم.

أفتح قناة الاتّصال لبقيّة الأسطول وللأقمار الصناعيّة التابعة للونا. لا يمكنهُم إيقاف الإشارة. ليسَ التابعة لهذه السفينة. مصفوفاتنا معقّدة مثل أيّ شيء في أسطول الحاكِمة المعظَّمة.

- يا أبناء الجمعية وبناتها، أنا دارو أندروميدوس الذهبيّ مِن عائلة أوغوستوس. أحملُ لكم أخباراً رهيبة. هذه اللّيلة، اِنتَهكَت حاكِمتكُم المعظَّمة ميثاق جمعيّتنا. بينما كان سيّدي، الحاكِم العام نيرو أوغوستوس

الذهبيّ، نائماً تحت حمايتها، حاولَت النَّيْل مِنهُ ومِن أسرته وقادته البريتوريّين ومساعديه. بالتعاون مع آل بيلونا، حاولَت ارتكاب جريمة قتل غير قانونيّة وغير أخلاقيّة بحق أكثر مِن ثلاثين فريداً ذا ندبة، لكنّها أخفقت.

– ردّاً على ذلك، استوليتُ على إحدى سُفنِها القياديّة. والآن أنا مُحاصر، وحياتي وحياة سيّدي وأسرته في خطر. إذا لم نقاوم سنموت. إذا استسلمنا سنموت. لم أقم بتهوية السفينة. والذين على متنها قد رأوا عدالة قضيّتي وتحالفوا مع العائلة التي ستقاوم الطاغية المتعطّشة للسُّلطة؛ أوكتافيا لونا الذهبيّة.

هذا قريبٌ بما يكفي مِن الحقيقة.

– قبل ساعات، أمرَتني حاكِمتُنا المعظَّمة بخيانة عائلتي. بخيانة عهدي. مثل والدها مِن قبلها، إنّها منتشية مِن السُّلطة وتعتقد الآن بأنّها إمبراطورة. أمرَتنا بالانحناء، فلتشاهد الآن ردنا.

أطفِئ جهاز الاتّصال.

– «سيّد بيلوس، الأمر لك». تعلن أوريون: «دَعِ الحثالة ينالون ما يستحقّون عندما يأتون». تفعّلُ وشومها وتغرق في الحديث الرقمي مع بقيّة الطاقم.

مِنصَّة القيادة صامتة. تمرّ الثواني، واحدة تلو أخرى. على شاشة العرضِ المجسَّم، أرى ثلاثة رماديّين وهُم يطلقون النار على ذهبيّ في رأسه. في الحظائر، يتجمَّع البرتقاليّون جانباً بينما يقود الذهبيّون بني ألوان الحرب ضدّ النَّاقِلة اللَّقلق الراسية، ثمّ يصلُ راغنار إلى الحظيرة، ويحتشد البرتقاليّون مِن حوله، كما يفعل الحُمر المسلَّحون، الذين تبعوه مِن

الممرّات. يموت الكثيرون. غضبٌ ما يستحوذ على تلكَ الألوان. وعلى الرّغم مِن أنّهم يموتون، إلّا أنّي أشعرُ بوَميض مِن التَّمرُّد، وأنا أمنحهُم الإذن للقيام بما كانوا يريدون فعله طوال حياتِهم. إنّهُ موجود، حتّى لو لم تره إلّا في النهاية—تلكَ الشرارة مِن الفرديّة، مِن الحريّة. ينفتحُ باب النَّاقِلة اللَّقلق وتندفع موستانغ خارجةً مع عوّائيَّ لمساعدة بني الألوان الدُنيا وراغنار، على الرّغم من أنّه حتّى آل تيليمانوس يبقون محافظين على مسافة تُبعِدهُم عن هذا الرجُل الضّخم.

خلف سفينتي، أخيراً تُظهِر سُفن العدوّ تهديدها. تمتلئ أجهزة المسح باللّون الأحمر: الأعداء. سُفن اقتحامٍ علقيّة تنطلقُ للتوّ مِن بطون الأسطول الحربي مِن حولنا، مندفعةً بسرعة عبر الفضاء لتصل إلى هيكلنا. يهدفون إلى الاستيلاء علينا بالقوّة.

تفتحُ أوريون نيران مدافعها الجانبيّة.

– «إنّه جميلٌ جدّاً». يهمس سيفرو. أقف بصمت. تصطدم مقذوفات المدافع الكهرومغناطيسيّة بسفن الاقتحام العلقيّة، لتقطع المعدن والرجال، وتستمرّ في طريقها لتصطدم بهياكل ودروع السُّفن الحربيّة نفسها التي أطلقَت سُفن الاقتحام العلقيّة.

قبطانتي المعيّنة حديثاً تسير على مِنصَّة القيادة، وذراعاها متقاطعتان. تبدأ سفينتي الحربية التي يبلغ طولها خمسة كيلومترات بالدوران، مُبدِّلة بين مجموعات مدافعها الكهرومغناطيسيّة لتقذفَ المَوت في وجه أسطول الحاكِمة المعظَّمة. تلتفتُ أوريون نصف التفاتة نحوي، وهي تبتسمُ بتكلّفٍ ليشاهدها الجميع.

– والآن، بشأن شَقِّ الطريق يا دومينوس.

تأمرُ حجرة المحرِّكات بإطلاق المادّة السوداء. ننطلقُ إلى الأمام عبرَ بقايا سفينتين حربيّتين.

مِنصَّة قيادتي صامتة باستثناء ضجيج الأوامر التقنيّة. الصواريخ تومض بتناغم خلف هيكلنا. ننشر سواترنا المضادّة، مثلما ينشرُ العدو سواتره الآن، ممّا يجعل الصواريخ عديمة الفائدة. هالة مِن الضوء تحيط بنا وكأنّها أرضٌ مُحرَّمة. مقذوفات المدافع الكهرومغناطيسيّة تصطدم بهيكلنا، على الرّغم مِن ذلك لا نشعرُ بالارتجاجات هنا في مِنصَّة القيادة. معدّاتنا لا تشتعل. الأسلاك لا تسقط مِن المقصورات العُلويّة. هذه السفينة تُمثِّل قِمَّة تصميمٍ امتدَّ على مدى سبعمئة عام.

سيفرو ينكزني: «تبّاً! قد نتمكّن مِن فعلها».

الأسطول الحربي الذي يحيط بنا ضخم. أكثر بكثير مِن مجرّد ضخم. أُحضر إلى هنا لإرهاب اللوردات المجتمعين وكل أساطيلهم الممتدّة خارج منارات الروبيكون، ومع ذلك فهو لا يصل إلى نصف الأسطول المشترك، لكن الآن ذلك الأسطولُ الحربيّ نفسه يهتز مِن الداخل مثل جِسمٍ مترهّل ضخم في أثناء التهامه مِن قِبَل كائنٍ غريبٍ يحاول شقَّ طريقه إلى خارج المضيف.

نهربُ مِن الأسطول الحربي على نحوٍ سريع.

لا يلاحقوننا بعد منارات الروبيكون، حيث ينضمُّ إلينا أسطولنا الصغير إضافةً إلى أساطيل عائلات: كوردوفان، وتيليمانوس، ونورفو. آمل أن ينضمَّ المزيدُ إلى راياتنا بعد مفاجأة اليوم الأخيرة.

أفحصُ أثرنا الذي خلّفناه—حطام بحري. أجساد الرجال والنساء تطفو خلف سفينتي. خرجوا مِن سفن متشقّقة ومثقوبة. بعضهم لا يزال

على قيد الحياة، ولكنّه سيتجمّد، أو يختنق قريباً. مزيدٌ مِن الموتى في طريقي. كَم سيتطلّبُ الأمر؟

أتركُ مِنصَّة القيادة لأوريون. أنا وسيفرو نجد طريقنا إلى حجرة الهندسة، حيث يُخرجنا البرتقاليّون مِن بِدلنا المتضرّرة. نُسرِع مِن هناك إلى الحظيرة، وهي مستودعٌ معدنيّ شاسعٌ ممتلئٌ بسفنٍ ومعدّاتٍ مبعثرة، والآن برجالٍ مُحطَّمين. الصُّفر يهرعون لمساعدة الجرحى ونقلهِم إلى الحجرة الطبيّة، الرماديّون والبرتقاليّون يساعدون في الحمل.

يَخِزُ الحشيشة بعض الذهبيّين غير المسلّحين بشفرته. الحصوة والقيثارة تساعدان الصُّفر. عيوني تبحث على نحوٍ محموم عن موستانغ. أجدها تحت أحد أجنحة النَّاقِلة اللَّقلق المتضرّرة، تتحدّث إلى والدها. جرحٌ طويلٌ يشوّه ذراعها اليسرى. لا أذكره. لقد تعرّضوا لاقتحامٍ بوساطة سفينة اقتحام علقيّة، وتمكّنوا مِن التَّخلُّص مِن الأخرى لدى دخولهم الحظيرة.

– «لقد تركنا معظم أسطول الحاكِمة المعظَّمة خلفنا». أقول لأوغوستوس.

– «أين كوين؟». يسأل سيفرو بحدّة: «هل نقلوها إلى الحجرة الطبيّة أم لا؟».

موستانغ لا تجيب. بدلاً مِن ذلك، تنظرُ إلى رصيف النَّاقِلة اللَّقلق، حيثُ يهبط روكي وهو يحمل كوين بين ذراعيه. إنّها شاحبة، طويلة، بلا حياة. سيفرو لا يتحرّك. لا يتكلّم. تتّسعُ فتحتا أنفه مع التقاطه لأنفاسه في صدره، نحيبٌ بائسٌ محبوسٌ في الصبيّ الذي لم يبكِ قطّ. يصبح مخدّراً. أشبه بشبح. أحاول أن أصل إليه، لكنّه يبتعد، ليس بغضب، بل بحيرة، وكأنّ أحدهم أخبره بالمستقبل، وهذه الحقيقة ليسَت ما وُعِد به. يتراجع

إلى الخلف مُتعثِّراً، ويبتعدُ عن جسدها، ينظرُ حوله، قبل أن يلتفتَ ويَفرَّ هارباً مِن الحظيرة.

يمرّ روكي بجانبي مع كوين. وجهه مرتخٍ ومُتعب. يريدُ قولَ شيء مرير، لكنّه يعضُّ على لسانه مُكتفياً بهزّ رأسه نحوي. لا يزالُ لا يَعرِف لماذا هاجمتُه في غرفته قبلَ الحَفلِ. والآن هذا. لم أره يوماً مكسوراً بهذا الشكل.

- «انظر إليها». يقول لي: «دارو، انظر إلى صديقتك».

أنظر إلى كوين وأشعر بأنّ كل شيء يُصبِح صامتاً. ها هي تنعمُ بالسلام في موتها. لماذا لا نستطيعُ أن ننفخ الحياة فيها مرّة أخرى؟ لماذا لا نستطيعُ ببساطة إعادة تشغيل اليوم؟ وفعل كل شيء بالشكل الصحيح؟ إنقاذ مَن نحبّ.

يبتعد روكي مع كوين نحو الحقل النبضي الشفّاف للحظيرة، المفتوح على الفضاء. إنّه مُنحنٍ ومكسور، وهو يسيرُ نحو النجوم ليَدفَع بفتاتِه الضائعة إلى الخارج بينها.

أُمسِك بالشَّغبر عندما أراه يخرُج مِن النَّاقِلة اللَّقلق، مُطالباً بمعرفة ما الذي حدث. «لقد ماتت». يقول لي. هذا كل شيء. إنّه مُتعَبٌ مِثل بقيّتنا. يُنزِل أكمامه: «لن أعتذر. لقد بذلتُ قصارى جهدي».

- «بالطبع فَعَلت». أقول له، وأنا أرجف: «طبعاً».

يسألني عن الكاميرا الموجودة في خوذتي. أحدِّق فيه. «اللقطات». يقول: «هل تفهم حتّى ما الذي فعلتَه للتوّ؟». يشيرُ مِن حوله: «رجُلان استوليا على واحدةٍ مِن أعظم السفن التي بُنِيَتْ على الإطلاق. سيحتشد الذهبيّون حول راياتنا. كل ما يحتاج إليه الأمر هو إعلامي وقصّتك».

أخبره بذهول، وكأنّني كِدتُ أنسى مُسجِّل البيانات الذي وضعه لي أبناء أريس في سنّي لتسجيل انفجار القنبلة. يُفعَّل عندما أضغط على أضراسي. ضغطت عليهم بمجرّد جلوسي في مكتب الحاكِمة المعظَّمة. أُدخِل يدي في فمي وأنزع الجهاز بلطف مِن اللّثة. إنّه أصغر مِن شعرة. عينا الشَّغبر تلمعان.

- «من أين حصلتَ على هذا؟». يسأل.

- «السوق السوداء». أقول: «لقد حكمت الحاكِمة المعظَّمة على نفسها. استخدم التسجيل. اجعل هذه الحرب معركة عادلة».

أتركُ الشَّغبر هناك وأوشكُ على تركِ أعمال التنظيف للآخرين، عندما ألاحظ البرتقاليّين وبني الألوان الدُنيا يراقبونني. لا أستطيع أن أقود بالعنف فقط؛ لذا أنضمُّ إلى الحصوة والقيثارة وأساعدُ في نقل الجرحى إلى الحجرة الطبيّة. بقيّة العوّائين يساعدون أيضاً، وموستانغ، وفي النهاية حتّى فيكترا.

بعد تحميل آخر رمادي على النقّالة، أقف في الحظيرة الفارغة. أوغوستوس كان قد ذهب إلى مِنصَّة القيادة. الشَّغبَر يتجنّب أفراد عائلة تيليمانوس الذين يرافقونه، ويتّجه بدلاً مِن ذلك إلى مركز الاتّصالات. أُترَكُ وحيداً. روكي رحل. لا أعرفُ ماذا أفعل، أو إلى أين أذهب.

بقع الدم وآثار الحروق تُلطِّخ سطح الأرضيّة. أنظرُ إلى يديّ. هذه هي عواقب أفعالي، وأشعر بوحدةٍ شديدة. أضع رأسي على الجدار المعدني البارد.

تأتي مِن خلفي. لا أعتقدُ بأنّها نادت اسمي. لستُ متأكّداً. أشمُّ رائحة شعرها الرّطب، وهي تلفُّ ذراعيها حولي. تضغطُ عليَّ بشدّة.

– «أعلمُ أنّكَ مُتعَب». تقول موستانغ بهدوء: «لكن سيفرو بحاجة إليك».

– «ماذا عن روكي؟». أسألها، وأنا أستدير لمواجهتها. الكثير ممّا بيننا لا يزال عالقاً ولم يُقَل. الكثير مِن الأسئلة لم يُجب عنها. الكثير مِن الجرائم لم تُغفر. الكثير مِن الغضب وربّما ما يزال هناك بصيص مِن شيء آخر، أشعر به عندما تضعُ يدها على رقبتي، وتدع القوّة التي في أصابعها تنتقلُ إليّ.

– «ليس الآن». تقول. روكي يلومني. وينبغي له. يجب أن يلومني الجميع. وسوف يزداد الأمر سوءاً.

# 23

# الثقة

أعثر عليه في حمّامٍ مشترك. لقد استحقّ واحداً مِن الأجنحة التي يطالب بها الآخرون لرحلة العودة إلى المرّيخ، لكن هذا ليس أسلوب تفكيره. إنّه لا يزال ذلك الفتى الذي اختبأ داخل الحصان. كلّا، أعتقد.. إنّه لم يعد فتى بعد الآن.

- كانَت تهتمُّ لأمركَ يا سيفرو.

تتشابك ذراعاه مِن أمامه، نحيفتان وممتلئتان بالنمش. منشفة ملفوفة حول خصره، وأخرى معلّقة على كتفيه. لا يكترث الذهبيّون للعُري، لكنّ سيفرو دائماً ما كان يهتمّ. لقد حصل على وشمٍ منذ آخر مرّة رأيته فيها؛ ذئبٌ ضخمٌ باللّونين: الأسود والرمادي يمتدّ على ظهره. العَوّاؤون هم كل شيء بالنسبة له. كانوا مجرّد أداةٍ لي في يومٍ مِن الأيّام؛ الآن أفكّر فيهم على أنّهم أكثر مِن ذلك. لكن ماذا يعني هذا، عندما أستخدمهُم بالطريقة نفسها؟ يحدّق في الماء المتدفّق نحو مصرف الحمّام الذي يلتفّ ويدور نحو الأسفل في دوّامة.

- «في النهاية، أعتقد أنّني سأستمتعُ بالحرب». يقول: «عليَّ أن أقوّيَ

عموديَ الفقري قليلاً، وأجعل يديَّ أكثر صلابة. الأوغاد يخبروننا أنّ الأمر كلّه وردٌ ومجد». ينظر إلى الأعلى: «ألا تشمُّ رائحة الورود يا حصّاد؟».

أجلس بجانبه على المقعد: «هل سمعتَ ما قلته؟».

– «تبّاً! بالطبع سمعتك. فقدتُ عيناً، وليس أذناً». ينقر على عينه البيونيّة بإصبعه النحيل: «بالطبع أعلم أنّها كانَت تهتم، لكن لم يكن ذلك بالطريقة التي أردتها. كانَت تستحق أن تعيش. إن كان هنالكَ أحدٌ منّا نحن الصغار الحقراء القبيحين يستحقُّ ذلك، فقد كانَت هي. لم يكن فيها ذرّة مِن القسوة، ولا واحدة. لكنّ ذلك لم يكن مُهمّاً. لا يهمّ إن كنّا طيّبين أم أشراراً. الأمر كلّه يتعلّق بالمصادفة».

– «كانت مصادفة أنّكَ عَرفتَها أصلاً». أقول: «المصادفة هي التي جلبتها إلى عُصبة مارس».

– «لا، كان والدي». يقول سيفرو: «هو مَن انتقاها، تبادلَ حقّ اختيار مَع جونو ليحصلَ عليها». يهزُّ رأسه: «كل ذلك لأنّه ظنَّ بأنّها ستضبطُنا وتتحكّم بغضبنا. لو لم يخترها، لما قابلناها، ولكانَت على قيد الحياة».

– «ربّما». أقول، وأنا أفكّر في إيو: «لكنّها اختارَت أن تأتي إلى هنا. اختارَت أن تتبعني. أن تتبعك».

– تماماً مثل باكس.

أومئ، لامساً حصاني المجنّح.

– «الأمر كلّه هراءٌ وقذارة، أليسَ كذلك؟». يقول سيفرو: «لا يهمّ كم يحاولون تجميلها. ما زلنا في اللّعبة. سنظلّ دائماً في لعبةٍ متبّبة. تبّاً لإمبراطوريّتهم! سحقاً لهذا الهراء وهذه القذارة! أتيتُ مِن أجلكَ لأنّه أخبرني بما تكون».

أنظر إليه غير قادرٍ على الفهم.

- «ماذا تعني؟». أسأل بضحكةٍ عصبيّة.

- «شغِّلْهُ». يقول: «أعلم أنّكَ جلبتَ واحداً. أنتَ دائماً دقيقٌ يا حصّاد. دائماً دقيق».

- لماذا تتصرّف هكذا—.

- اخرس وشغِّلْه!

أومئ وأشغّل الجهاز في جيبي مُفعّلاً حقل تشويش. لستُ مغروراً مثل الحاكِمة المعظَّمة كي أعتقد أنّه لا يمكن لأحدٍ أن يتنصّت. يُحدِّق بي سيفرو إلى أن بدأتُ أشعرُ بعدم الراحة.

- «إذن، ماذا أنا؟». أسأل.

- «حتّى في هذه اللّحظة؟». يسأل، وهو يهزُّ رأسه: «أنتَ متوتّرٌ بشدّة. قل اسم الشخص الذي أرسلني».

- موستانغ أرسلتك. لقد أخبرتَني بأنّها أحضرتكَ مِن المنطقة الهامشيّة، مثل كل العَوّائين.

- هذا صحيح. لقد فعلَت. استغرق الأمر ستّة أشهر للوصول إلى هنا مِن بلوتو. لكن خمِّن مَن جاء إليّ في أثناء توقّفي في تريتون. هيّا يا حصّاد، خمِّن.

- «لورن؟». تتلوّى شفتاه في سخرية: «فيتشنير؟».

يبصقُ سيفرو في وجهي، تحت عيني مباشرة: «أخطئ التخمين مرّة أخرى وسأترككَ بكل بساطة هكذا». يطقطقُ بأصابعه: «لن أعود. لن أساعدكَ. لن أنزف مِن أجلك. لن أضحّي بأصدقائي مِن أجل رجُل لا يهتمّ

بي بما يكفي ليخاطر بنفسه مرّة واحدة فقط. الثقة يجب أن تكون متبادلة يا دارو. هذه المرّة عليكَ أن تخاطر».

إنّه لا يتظاهر. وأنا أعلم ما أريد قوله. لكنْ كيف يمكن لذلكَ أن يكون؟ سيفرو ذهبيّ. ذهبيّ ملعون. سمعني أقول: «ملعون» لأبولو. لقد اكتشف الأمر. أليس كذلك؟ أم كان ذلك خطأً؟ هل يحاول الإيقاع بي؟ لا لا، إذا كان هذا صحيحاً، فإنّ اللّعبة قد انتهَت بالفعل. حلم إيو قد أخفق. مَن أقرب إليّ منه؟ مَن يحبّني أكثر مِن هذا المنبوذ الغريب البغيض؟ لا أحد.

لذا أنظر إليه في عينيه الذهبيّتين الباهتتين: «أريس أرسلَك».

الصمت يخيّم بيننا.

خمس ثوانٍ رهيبة. ستّ. سبع. يقف ويقفل الباب قبل أن يُخرِج بلّورةً سوداء صغيرة من جيب سرواله المجعّد: «هذا سريّ لكَ وحدك».

- جوهرة الهمس... مكتبة سُر مَن قرأ

آخذها برفق، مدركاً مدى تكلفتها، وأنفخ على سطحها. أنفاسي تجعلها تتذبذب، ثمّ تتهشّم متناثرة. تصعد جسيمات صغيرة سوداء منجرفة إلى الأعلى مثل اليراعات التي تظهر مِن العشب مع حلول الغسق في ذروة الصيف. إنّها تتجمّع، لتطفو مُشكّلةً ما يشبه العرض المجسَّم، يحوم بيني وبين سيفرو. خوذة أريس ذات الأشواك.

- «يا بني». يتحدّث بصوتٍ مرتجف: «أنا آسف. لقد خانتني هارموني وأطلقَت حملة ضدّ مبادئنا. اكتشفتُ نيّتَها في استخدامكَ بعد فوات الأوان، لكنّكَ كنتَ حكيماً؛ لهذا السبب اخترتكَ. تُخذَ الآن خطوات لكبح جهودها. استمرّ في طريقك. حرِّض أوغوستوس على بيلونا وحطِّم السلام الشمسي».

أحاول طرح سؤال عليه، لكنّه مجرّد تسجيل. صُنِع في وقتٍ ما بعد الحَفل.

«أُدرِكُ بأنّ هذا لا بدّ صعبٌ عليك. لقد سبق أن طلبتُ الكثير منك بالفعل. لكنّكَ يجب أن تستمر. ازرع الفوضى. أضعفهُم. لديكَ أسباب كثيرة للشكِّ بي. لم نتّصل بك حتّى الآن، لأنّكَ كنتَ مُراقباً مِن قِبَل بليني، والشَّغبر، وجواسيس الحاكِمة المعظَّمة. مُثيرو الشغب يجلبون الاهتمام. لكنّني راقبتكَ أيضاً، وأنا فخورٌ بك. أعرفُ بأنّ إيو كانَت ستفخر بكَ أيضاً. في حال كنتَ تشكِّك في صحّة هذه الرسالة، فإنّ صديقاً يرغب بإلقاء التحيّة».

تتلاشى خوذة أريس ليبتسم الراقص لي: «دارو، أريدكَ أن تعلم، نحن معك. عائلتكَ على قيد الحياة وبخير. النهاية قادمة يا صديقي. قريباً ستكون معنا. حتى ذلك الحين، ثق بالشخص الذي أرسله أريس؛ لقد جنّدته بنفسي. حطِّم القيود».

تتفكّك الصورة، والضوء الأسود يتلاشى في الهواء، وأبقى محدّقاً في أرضيّة الحمّام.

– «تبدو جيّداً بعد كل تلك الجِراحات». يقول سيفرو. ابتسامته لا تقلّ شرّاً عن المعتاد: «أريس أرسلَ لي ذلك المعاق، الشخص الذي أرسلكَ إلى المعهد؛ الراقص».

لا يستطيعُ قول المزيد لأنّني أحتضنه وأبكي. أجهش بالبكاء وأتشبّث به مرتجفاً، ممّا يخيفه. لا يتحرّك سوى لكي يُربِّت على رأسي. تسقط كل الأثقال عن كتفي. أحدهُم يعلم. إنّه يعلم وهو هنا. يعلم وجاء ليساعدني. ليساعدني. لا أستطيع التوقّف عن الارتعاش وقول شكراً. إيو كانَت على

حق. أنا كنتُ على حق. «أنت صديقي». أقولها مرتعشاً مثل طفل. يكاد يبكي، وهو يراني بهذا الشكل.

صديق حقيقي.

– «بالطبع». يقول متردّداً: «لكن فقط إن توقّفتَ عن النحيب يا رجُل. نحن لا نزال ذهبيّين».

أتراجعُ مبتعداً عنه، خجلاً، وأمسح وجهي بكُمّي. أعتقد أنّني تمتمت باعتذار. نظري مشوّش. أشهق. يعطيني منشفة، فأمسحُ بها أنفي الذي يقطر. يعبس وجهه.

– ماذا؟

– هذه كانت مِن أجل عينيك.

نضحك معاً، ثمّ نجلس في صمتٍ مُحرِج. بعد مدّة، أسأله منذ متى يعرف. كان يشكُّ بشيء ما منذ المعهد، يقول عندما سمعني أقول «اللّعنة» لأبولو. صَوتي كان غليظاً، كأنّه لصدئ، ثمّ أراه الراقص الفيديو الخاص بعمليّة نحتي.

– بطريقةٍ ما، كانوا يعرفون أنّكَ تستطيع الوثوق بي، حتّى لو لم تفعل، أيّها الأحمق. لقد كان الحال دائماً كذلك، وسيظلّ كذلك.

– «ألا... يزعجك؟». أسأله: «ما أكونه؟».

– «يزعج. هذه كلمة صغيرة جدّاً على شيء متبّب ضخم جدّاً». يحكُّ رأسه المحلوق: «طفحٌ جلديٌّ في عضوي يزعجني. سمكةٌ سيّئة تزعجني. الحمقى المتغطرسون أصحاب السُّلطة يزعجونني؛ أمّا هذا...». يهزّ كتفيه: «فلتذهب إلى الجحيم. يُعجبكَ أسلوبي أكثر مِن أسلوب أي غبيّ

آخر في العوالم. لذا أعتقد بأنّه يجدر بي ردُّ الجميل، حتّى لو أنّي أقوم بما هو بالفعل أكبر مِن ذلك بكثير ومِن مؤخّرتك الصّدئة».

أضحكُ لذلك. وأتخيّل كيف كان ليُحجِّم ويسحقَ ذاتي الحمراء. «لا بدَّ من أنّكَ تعلم ما الذي جئتُ لفعله هنا. إنّه ليسَ مجرَّد اختراق. سينتهي الأمر بسقوط الجمعيّة».

– ما عَلا امرؤ وارتفع إلّا في الطّين وَقع.

– «أهذا كل شيء؟». أسأل غير مصدّق: «هل أنت موافق؟».

يصدر نخيراً: «استغرقَ الأمرُ منّي ستّة أشهر على متن سفينة شعلة للوصول إليك. وبالتحديد ثلاثة أشهر مِن ترايتون بعد أن أظهرَ لي الراقص الحقيقة. هل كنتُ مرتبكاً؟ بالتأكيد. لكن مع ذلك ركبتُ السفينة ولديَّ ثلاثة أشهر لأعيدَ النظر. ما أزالُ هنا. لذا أعتقدُ أنّ وقتَ الشَّكِّ مرةً أخرى بالتزامي قد انتهى. على أيِّ حال، (إخواني) الذهبيّون يحاولون قتلي مُنذ ولادتي». ينظرُ حوله، غير مُرتاح حتّى بعد كل ما مررنا به معاً، وعلى الرّغم مِن وجود حقل تشويش: «الأشخاص الوحيدون الذين عاملوني باحترام هم الأشخاص الذين ليسَ لديهِم سببٌ لذلك؛ بنو الألوان الدُنيا، وأنتَ. أعتقدُ أنّه حان الوقتُ لردِّ الجميل».

– «وماذا عن الآخرين؟». أسأل بحدّة: «الحصوة والمهرج؟».

– «ليس سِرّي كي أشاركه. كوين كانت ستتفهّم ذلك». يقول ببطء، وهو يقاوم شيئاً ما بداخله: «البقيّة قد يوافقون. الشوكة لن تفعل. روكي لن يفعل. ولا بمليون سنة. إنّهما مغرمان جدّاً بنَوعهما. ولا معرفة لي بذلك الطّويل المتعجرف».

– «فيكترا. وموستانغ؟». أسأل.

- «أنا لا أقدِّم نصائح في الحبّ أيّها الأحمق». ينهض: «لمجرّد كوني ثوريّاً بأفكاري لا يعني أنّني لا أستطيعُ الحصول على جلسة تدليك مِن زهريّة، أليس كذلك؟ سيكون الأمر مُزعجاً جدّاً».

- «لا أعلم». أضحك: «ما زلتُ أكتشفُ الأمور، بصراحة».

- «فلتذهب إلى الجحيم! سآخذُ جلسة تدليك. أشعرُ بظهري مُحطَّماً للغاية». تكشفُ أسنانه المعوجّة عن نفسها وهو يضحك: «أشعرُ بالراحة. هذه هي الكيفيّة التي أعلمُ بها أنّه أمرٌ صحيحٌ يا حصّاد. بصرف النظر عن كل هذا الهراء. أشعر بالراحة هنا». يدقّ على صدره النحيف: «أشعر... كيف تقولها... براحة ملعونة».

فيكترا تعثرُ عليّ بعد أن وَدَّعتُ سيفرو. «أوغوستوس أرسلني لأخبركَ أنّ جناح سيّد الرماد باتَ لك».

- أوغوستوس يمنحني أكبر غرفة؟

- إنّها سفينتك، وهذه غنائمك؛ قال. أنت تعلمُ كَم هو مهووسٌ بالنظام.

- آمل أنّكِ تعرفين الطريق. لقد ضعتُ بالفعل.

أشارت لي بأن أتبعها. نسيرُ بصمتٍ عبر الممرّات. أنا مُرهق، لكنّي سعيدٌ بما يكفي لمعرفتي أنّ سيفرو معي، وأنّ أريس لا يزال يؤمن بي، وأنّ الراقص لا يزال حيّاً هناك في مكانٍ ما. إنّه بلسَمٌ لألمي بسبب وفاة كوين.

- «أفترض بأنّكَ تعلمُ أنّ عائلتي قد خانت الحاكِم العام». تقول.

- سمعتُ ذلك. لكنّكِ لا تزالين معنا.

- «كما قلت. أفعلُ ما أريد. والدتي لا تسيطر عليّ، ولا على حساباتي

مثلما تفعلُ مع أنطونيا». تُكشِّر نحو الجانب، وهي تنظر إليّ: «تُعجبني عندما تكون هكذا».

- «هكذا؟». لم أستطع إلّا أن أضحك: «ماذا تعنين؟».

- لا أعلم. تبدو هادئاً، مُسترخياً، على الرغم ممّا حدث.

- «وأنتِ تبدين لطيفة جداً». أقول.

- لطيفة؟ هذه خرافة طريفة. ولكنْ كلانا يعلم بأنّني بعيدةٌ عن اللّطف.

نسيرُ بصمتٍ إلى أن نصلَ إلى باب جناحي. أنظرُ إلى الخلف لأرى راغنار يتبعنا في الممرّات. لولا الضّمادات على جسده، لما كنتُ رأيته على الإطلاق. أشير له بالانصراف.

عند الباب، أنظرُ في عينَيّ فيكترا المتعجرفتين: «كان بإمكانكِ إرسالُ أحدٍ مِن بني الألوان الدُنيا لإخباري أنّني سأكون في الجناح».

- لكن ماكنتُ لأراكَ حينها.

- «هل هذا هو السبَبُ الوحيد؟». أسأل.

تبتسم بمكر: «أعتقدُ أنّني سأحتفظ بأسراري». وبعد لحظة، تنظرُ إلى الأعلى نحوي: «لكنّني أقلقُ عليك».

- «عليّ؟». أقلّبُ عيوني: «ما الذي تحاولين فعله يا فيكترا؟».

- «لا شيء». تقول بنبرةٍ مستاءة: «أنتَ حقّاً مُنافقٌ كبيرٌ يا دارو».

- أنا؟

- «تذكُر عندما ألقى تاكتوس بكمانكَ لأنّه شكَّ بأنّكَ كنتَ تريد شيئاً ما؟ الآن تعاملني بالطريقة نفسها. مثلما فعلتَ عندما جئتُ إليكَ في الحدائق في لونا. هل مِن الصعب أن تُصدِّق أنّني صديقتكَ وأهتمُّ بك؟». تُكشِّر أنفها: «أنتَ تجعلُني عاطفيّة، وأنا أكرهُ ذلك».

– «أنا آسف». أقول: «أنتِ مُجرَّد...». أحاول إيجاد الكلمات المناسبة للمرأة الطويلة، لكن لا أعثرُ على أيّ منها؛ لذا أهزُّ رأسي وأقول: «إنّه لمن الصعب معرفة أنّكِ أختُ أنطونيا. هذا كل ما في الأمر».

– لكنّني لستُ هي.

– أُدرِك أنّ—.

– «حقّاً؟». تمدّ يدها وتلمسُ وجهي. تفتحُ شفتيها وكأنّها تبحث عن شيءٍ ما. أتذكّرُ إحساسي بها عندما لامسَت شفتيّ قبل أن أُطلِق نفسي عبر أنبوب القَذف. سمحتُ لها بتقبيلي حينها. على الرّغم مِن كَونها امرأةً باردةً، لكن يوجدُ شيء في قلبها تجاهي، شيءٌ مُختَلف عن إيو، وعن موستانغ. أبتعدُ برفقٍ عن يَدِها وأهزُّ رأسي.

– «أنتَ رجُلٌ غريب». تقولها مع تنهيدةٍ بسيطة، كل الضعف الذي كان فيها اختفى الآن. عادت مخالبها. تتّكئ على الحائط المقابل لي، وتثني ركبتها، وتضع قدمها على الحائط، لتضحك عليّ بعيونها؛ هذه هي فيكترا التي أعرفها.

– «أنتَ تحِبُّ النساء، لكنّكَ لا تستمتعُ بنا». تتجعّد خطوط الابتسامة مع فَتحِ شفتيها قليلاً. لم أستطع مَنع عيوني مِن تتبُّع الخطوط الرفيعة لعُنقِها، والقوّة التي في كتفيها النحيفتين، وارتفاع نهديها. كانت عيونها تلتهبُ، وهي تنظرُ إليّ: «هناك الكثيرُ لتستمتع به. هل تعرف حتّى كم هي ناعمة بشرتي؟».

أضحك مع سعالٍ: «أنتِ تسخرين منّي».

– كالعادة.

فيكترا تدبِّرُ المكائد بطبيعتها؛ هذا هو أسلوبها، ولكنْ للحظة، كانت

ضعيفة. ورؤية ذلك... رؤية ذلك يُحدِثُ فارقاً كبيراً. أقتلُ التوتّر الجنسي بأفضل طريقةٍ أعرفها.

- «تصبحين على خير يا أختاه». أقولها وأقبّلُها على جبينها.

- «أختاه؟ أختاه؟». تضحكُ بازدراء بينما أغادر. يستغرقها الأمر لحظة، لكنّها تناديني.

- هل لأنّكَ تعتقد بأنّي شرّيرة؟

أستدير نحوها: «شريرة؟».

- «هل هذا هو السبب في أنّكَ لم ترغب بي قطّ؟». تتوقّف، منتقيةً كلماتها بعناية: «لأنّك تنظر إليّ بدونيّة؟».

- «لماذا تعتقدين ذلك؟». أسألها بلطف.

تهزُّ كتفيها وتنظرُ حولها في الممرّ، بتردّدٍ غريب. «أنا لا...». تلوّي يديها مُحاوِلة انتزاع الكلمات المناسبة. تشيرُ إلى نفسها: «هذا ما أفعلهُ للبقاء. هل تفهم؟ هذا ما علّمتني إيّاه أمّي. هذا هو الأسلوب الذي ينجح».

«ما رأيكِ أن نحاول شيئاً جديداً؟». أعرضُ عليها، وأنا أسيرُ عائداً نحوها. أمدُّ يدي: «دارو، عكس الشائعات المتداولة، أنا لا أتناول الزجاج. أحبّ الموسيقا والرقص، وأنا مُغرمةٌ بالفواكه الطازجة، خصوصاً الفراولة».

تضحكُ مُصدرةً نخيراً: «كم هذا سخيفٌ هل نعيدُ تقديمَ أنفُسِنا لبعض؟».

- «بدون دروع. مُجرَّد شخصين. أنا أنتظر». أقولُ بمرح.

تُقلِّب عينيها، تخطو إلى الأمام، وهي تنظرُ في كلا الاتّجاهين على

طول الممرّ. تَرفعُ يدَها، مُقاومةً ابتسامةً طُفوليّة: «فيكترا، أُحِبُّ رائحةَ الحجر قبل هُطولِ المطر». ثمّ قامت بحركة في وَجهها واحمرَّت وَجنتاها: «و... لا تَضحك. في الواقع أكرهُ لون الذهب. الأخضر يُناسِب بشرتي أكثر».

لا أتمكّن مِن النوم. أجسادُ مَن تركتهُم خلفي تطفو في الظلام معي. أستيقظُ عشرات المرّات، مع ومضاتٍ مِن الانفجارات، وضرباتِ السيوف، وهي تُمزِّق أحلامي. أستحقُّ هذه اللّيالي الممتلئة بالأرق. أعلمُ ذلك، وهذا ما يجعلُها أكثر صعوبة.

أنهضُ وأمشي في جناحيَ الجديد، مُتجوِّلاً في أرجائه الواسعة. سِتُّ غرف، صالة رياضيّة صغيرة، حمّام كبير، مَكتَب. كلُّ هذا كان يعودُ إلى الرجُل الذي أحرقَ قمراً؛ والِد الإيرينيّات. كيف لي أن أنام في غُرفةٍ مِثل هذه؟ أُخرِج قلادة الحصان المجنَّح مِن جيبي، وأنا على وشك أن أنسى أنّها قنبلةٌ مِن الراديوم.

أتجوّل في ممرّات السفينة، مثل الشبح، أنظر خلفي وأتساءل إن كان راغنار يتبعني. طلبتُ منه أن ينام، لكنّني لا أعلمُ الكثيرَ عن مزاجه، وكيف يُفكِّر، وماذا يفعلُ في اللّيل. هناكَ الكثيرُ لأتعلّمه.

أسيرُ عبرَ ممرّاتٍ خافتة الإضاءة، مُتجاوزاً تِقنيّين برتقاليّين ومُشغّلي أنظمةٍ زُرق، يهدؤون وينحنون لدى مروري عبر الممرّات المعدنيّة نحو جَوفِ السفينة، حيثُ لا يطأ الذهبيّون أبداً. الأسقفُ منخفضة، مصمّمة للعمّال الحُمر وعمال التنظيف البنيّين. هذه السفينة مدينة، إنّها جزيرة. الألوان كلّها هنا. أتذكّرُ القائمة. آلاف الوظائف. ملايين الأجزاء المتحرّكة.

أفحصُ لوحة الصيانة. ماذا لو زادَ البرتقالي الذي يشغّلها الأحمالَ على اللّوحة؟ ماذا سيحدث؟ لا أعرف. أراهن بأنّ قِلّة مِن الذهبيّين تعرفُ حقّاً. أُدوِّن مُلحوظةً حول ذلك.

أُواصِلُ السير، الجوع يجذبني نحوَ قاعة الطعام. يُمكِن إرسال الطعام إلى غُرفي بسهولة، لكن خَدمي لم يُنظّموا بعد. على أية حال، أكرهُ أن أُخْدَمَ. في قاعة الطعام، أجدُ شخصاً لا ينامُ مثلي جالساً إلى طاولةٍ معدنيّةٍ طويلة.

موستانغ.

# 24

# البيضُ ولحمُ الخنزير المُقدَّد

أمرُّ مِن أمامها.

- «ألا تستطيعين النوم؟». أسأل.

تنقرُ ببراجمها على رأسها: «هنالكَ جَلَبة كبيرة في الأنحاء». تشير إلى ضجيج المقالي في المطابخ في الخلف: «الطبَّاخ خارجٌ عن طوره». تقول: «يظنُّ بأنّني أحتاجُ إلى وليمة. أخبرته أنّني أريدُ فقط بيضاً ولحمَ خنزير مُقدَّداً. أنا متأكّدة أنّه تجاهلَ كلَّ ما قُلتُه تماماً. كان يتمتمُ بشيء ما عن الديك البريّ. لهُ لَكنةُ أهلِ كوكب الأرض، مِن الصَّعبِ فَهمُها».

بعد لحظات، يخرجُ طبّاخٌ بُنيٌّ مِن المَطبخ مُتعثّراً، حاملاً صينيّة لا تحتوي فقط على البيضِ ولحمِ الخنزيرِ المقدَّد، وإنّما على وافل اليقطين أيضاً، ولحم هامٍ مُدخَّن، وأجبان، ونقانق، وفواكه، وعشرات الأطباق الأخرى. لكنْ لا يوجد ديك بريّ. تتّسعُ عيناه بحجِم الوافل عندما يراني. يعتذرُ من شيءٍ ما، ويضعُ الصينيّة، ثمّ يختفي، ليعودَ بعد دقيقةٍ مع المزيدِ مِن الطعام.

- «كم تظنّ أنّنا نأكل؟». أسأله.

يحدِّقُ في وَجهي فقط. «شكراً لك». تقولُ موستانغ. يتمتمُ بشيء غَيرِ مَسموع ويتراجع بعيداً مُنحنياً.

- «أعتقدُ أنّ سيّد الرماد كان مختلفاً عنّا بعض الشيء». أقول. تدفع موستانغ الفاكهة نحوي: «ظننتُ أنّكِ لا تحبّين لحم الخنزير المقدَّد». أقول.

تهزّ كتفيها: «كنتُ أتناوله كل صباح في لونا». تدهن الزبدة على الوافل بكل رقة: «كان يذكّرني بِكَ». تتجنّب النظر في عينيّ: «لماذا لا تستطيع النوم؟».

- لست جيّداً في ذلك.

- لم تكن قطّ. إلّا عندما كان لديكَ ثقب في معدتك؛ كنتَ تنام مثل الطفل آنذاك.

أضحك: «أعتقد أنّ الغيبوبة لا تُحتسب».

نحن نتحدّث عن كل شيء عدا الأشياء التي ينبغي أن نتحدّث عنها. ببراءة وهدوء، مثل فراشتين ترقصان حول اللّهب نفسه. «مِن المدهش كيف أنّ الأَسِرَّة كبيرة حتّى على متن السفينة الفضائيّة». تقول موستانغ: «سريري ضخمٌ جدّاً، أكبر ممّا يجب حقّاً».

- أخيراً، شخصٌ آخر يوافقني. نصف الوقت أنام على الأرض.

- «أنتَ أيضاً؟». تهزُّ برأسها: «أحياناً أسمع أصواتاً وأنام في الخزانة، ظنّاً منّي أنّه في حال جاء مَن يريدُ النَّيل منّي فإنّه لن يبحث هناك».

- لقد فعلتُ ذلك. إنّه يساعد حقّاً.

- «إلّا إذا كانت الخزانة كبيرة بما يكفي لتتّسع لعائلةٍ مِن السبجيّين،

حينها يكون الوضع سيّئاً». تعبس فجأة: «أتساءل إن كان السبجيّون يحتضنون بعضهم أصلاً».

– لا يحتضنون.

يرتفع حاجباها: «هل بحثتَ عن ذلك؟».

أُنهي حفنةً مِن الفراولة، وأهزّ كتفي غير مبالٍ، بينما تعبس موستانغ متجهّمة لسلوكي: «السبجيّون يؤمنون بثلاثة أنواع مِن اللّمس: لمسةُ الربيع، ولمسةُ الصّيف، ولمسةُ الشّتاء. بعد التمرُّد المظلم، عندما انتفض السبجيّون وحملوا السلاح ضدّ الأسلاف الفولاذيّين، ناقش مجلس ضبط الجودة مسألة القضاء على اللّون بأكمله. تعلمين كيف منحوهم ديناً وسرقوا تقنيّاتهم. لكنّ أكثر ما أرادوا قتله كان روابط الدم المدهشة التي امتلكها السبجيّون ؛ لذا أمروا سحرة القبائل، الذين كانوا كذّابين مأجورين، بالتحذير مِن اللّمسِ، قائلين إنّه يُضعِف الروح. لذا فالسبجيّون الآن يلمسون بعضهم في أثناء الجنس، يلمسون بعضهم لمنع الموت، ويلمسون بعضهم للقتل. لا يوجد احتضان». ألحظ أنّها تراقبني مع ابتسامةٍ متصنّعة صغيرة: «لكنْ بالطبع أنتِ تعرفين كل ذلك».

– «أعرف». تبتسم: «لكن في بعض الأحيان مِن الجميل أن تتذكّر كل ما يحدث بداخلك».

– «أوه». أنظر بعيداً بينما تحاول أن تثير انتباهي بنظراتها.

«لقد نسيتُ أنّكَ تستطيع أن تحمرَّ خجلاً!». تراقبني للحظة: «ربّما لا تعرف ذلك، لكن إحدى أطروحاتي في لونا ركّزت على الأخطاء في نظريّات التلاعب الاجتماعي التي استخدمها مجلس ضبط الجودة». تقطع قطعة نقانق بلطف: «عددتُهم قصيري نظر. على سبيل المثال: التعقيم

الجنسي الكيميائي لجنس الزهريّين أدّى إلى ارتفاعٍ مأساويّ في معدّلات الانتحار في الحدائق».

مأساوي. معظمهم كانوا سيقولون: «غير فعّال».

– التحجّر في القوانين التي تحافظ على التسلسل الهرمي شديدٌ جدّاً لدرجة أنّها ستُكسرُ يوماً ما. بعد خمسين سنة مِن الآن؟ مئة؟ مَن يعلم؟ كانت هنالكَ تلكَ الحالة التي درسناها عن امرأة ذهبيّة وقعت في حُبِّ سبجي. لجأوا إلى نحّاتٍ غير قانوني عدّلَ أعضاءهم التناسليّة حتّى تصبح نِطافُه متوافقة مع بويضاتها. اكتُشِفَ أمرهما، فأُعدِما وقُتل النحّات. لكنّ أشياء مثل هذه حدثت مئات المرّات، بل آلاف المرّات، لكنّها تمحى مِن السجلّات فقط.

– «إنّه أمرٌ فظيع». أقول.

– وجميل.

– «جميل؟». أسأل مستنكراً.

«لا أحد يعلم عن هؤلاء الأشخاص». تقول: «لا أحد سوى قلّة مِن الذهبيّين الذين لديهم صلاحيّة الوصول لمثل هذه المعلومات. الروح البشريّة تحاول التحرّر مراراً وتكراراً، ليس بدافع الكراهية مثل التمرُّد المظلِم، بل مِن أجل الحبّ. إنّهم لا يُقلِّدون بعضهم. لا يستلهمون مِن الذين جاءوا قبلهُم. كلُّ واحد منهُم مستعدٌّ للمخاطرة، معتقدين بأنّهم أوّلُ مَن يقوم بذلك. هذه هي الشجاعة؛ وهذا يعني بأنّها جزءٌ ممّا نحن عليه كبشر».

الشجاعة. هل كانت لتقول ذلك لو علمَت أنّ أحد هؤلاء الأشخاص يجلس أمامها؟ هل تعيش في عالم النظريّات الذي تحدَّثَت عنه هارموني؟ أم هل تستطيع حقّاً أن تفهم...

- «إذن أتساءلُ كَم مِن الوقت سيتطلّب الأمر». تُكمل: «حتّى تجد مجموعة مثل أبناء أريس السجلّات وتَبثّها؟ فعلوا ذلك مع بيرسيفون؛ الفتاة التي غنَّت. إنّها مسألة وقت فقط». تتوقّف، ممعنةً النظر بي، وأنا أتفاعل لا إراديّاً مع ذكر إيو: «ما المشكلة؟».

لا أستطيع إخبارها بما أفكّر فيه، لذا أكذِّب: «الأطروحات. علم الاجتماع. أنتِ وأنا نتخصّص في أشياء مختلفة تماماً. كنتُ دائماً أتساءل كيف كانت حياتكِ على لونا».

تنظرُ إليَّ موستانغ مازحة: «أوه؟ إذن كنتَ تفكّر بي؟».

- ربّما.

- ليلاً ونهارًا؟ ماذا ترتدي موستانغ؟ بماذا تحلم؟ أي فتى تُقبِّله—؟

تنتفضُ عندَ تلكَ الجزئيّة الأخيرة.

- دارو، أريدُ أن أشرحَ شيئاً.

- «ليسَ عليكِ ذلك». أقول مُلوِّحاً بيدي.

- مع كاسيوس كان الأمر—.

- «موستانغ، لا تدينين لي بشيء. لم تكوني لي. لستِ لي. يمكنكِ أن تفعلي ما تريدين، متى تريدين، مع مَن تريدين». أتوقّف: «حتّى لو كان غبيّاً مُتبّباً».

تضحكُ مُصدِرةً نخيراً، لكنْ سرعان ما يتلاشى الضحكُ بقدر ما جاء بسرعة. هنالكَ ألمٌ في عينيها. في فمها المفتوح نصفه. شوكتها وسكّينها المتراخيتان تحومان فوق طبقها المنسي. تنظر إلى الأسفل وتهزُّ رأسها.

- «أردتُ أن تكون الأمور مختلفة». تهمس: «أنتَ تعرف ذلك».

- «موستانغ...». أضع يدي على مِعصَمها. على الرّغم مِن قوَّتِها، كان هشّاً في يدي القاسية. هشّاً مثل مِعصَم الفتاة الأخرى عندما أمسكتُ بها في المناجم العميقة. لم أستطع مساعدة تلك الفتاة. والآن أشعر أنّني لا أستطيع مساعدة هذه المرأة. لو كانَت يداي قد خُلقتا للبناء، كنتُ سأعرف ماذا أقول. ماذا أفعل. ربّما في حياةٍ أخرى كنتُ سأكون ذلك الرجُل. في هذه الحياة، كلماتي -مثل يدي- خرقاء. كل ما يمكنها فعله هو القطع. كل ما يمكنها فعله هو الكسر: «أعتقد أنّني أعرف ما تشعرين به—».

تنتفض موستانغ مبتعدةً عنّي: «تعرف ما أشعر به؟».

- «لم أقصد—». أتوقّف لدى سماعي جلبة.

ننظر معاً لنرى الطبّاخ يقف هناك على نحوٍ محرج مع صينيّة أخرى. يخطو نحو الأمام بخطواتٍ حذرة، ويضعها، ثمّ يغادر الغرفة، متراجعاً بتوتّر.

- «دارو. اصمت واستمع». تُحدِّق بي بشراسة مِن خلال خصلات شعرها التي سقطت على وجهها: «أتريد أن تعرف كيف أشعر؟ سأخبركَ بكل شيء. طوال حياتي تعلّمتُ أن أضع عائلتي فوق كل شيء.

- «ما حدث مع أخي في المعهد... عندما سلَّمتُه لك، كان ذلك ضدَّ كلِّ ما تربيتُ على فعله، لكنّني اعتقدتُ أنّكَ». تأخذ نفساً عميقاً يهتزُّ في نهايته: «شخصٌ يستحق ولائي. واعتقدتُ أنّ الأمر سيكون أكثر أهميّة بكثير إذا منحته لكَ في تلكَ اللّحظة بدلاً مِن إعطائه لأدريوس، الذي لم يرفع إصبعاً مِن أجلي قطّ. كنتُ أعلم أنّه الشيء الصحيح الذي يجب فعله، لكنّه كان يُمثِّل رفضاً لأبي، لكل ما علّمني إيّاه. هل تعرف حتّى ما يعنيه ذلك؟ لقد حطَّم عائلات بسهولة كما يكسر الرجال العيدان. يمتلكُ قوّة لا

تصدّق. لكنْ أكثر مِن ذلك. إنّه الرجُل الذي علّمني ركوب الخيل، وقراءة القصائد، وليس فقط التاريخ العسكري. الرجُل الذي وقف بجانبي، وتركَ لي الفرصة أن أنهض بقوّتي الذاتيّة عندما أقع. الرجُل الذي لم يستطع النظر إليّ لمدّة ثلاث سنوات بعد وفاة والدتي. هذا هو الرجُل الذي رفضته مِن أجلك. لا». تصحّح لنفسها: «ليس مِن أجلك. بل مِن أجل حياةٍ مختلفة، مِن أجل ما هو أكبر، أكبر مِن مجرّد كبرياء».

– «في المعهد، أنتَ وأنا قرّرنا أن نكسر القواعد، أن نكون محترمين عوضاً عن الرّعب. لذلك صنعنا جيشاً مِن الأصدقاء الأوفياء بدلاً مِن العبيد. اخترنا أن نكون أفضل، ثمّ بصقتَ في وجه ذلك بمغادرتكَ لتصبح واحداً مِن القتلة الذين لدى أبي». ترفعُ إصبعها في الهواء: «لا، لا تتحدّث. ليس دورك فقط لأنّني توقّفت للحظة».

تأخذ وقتها لتَجمَع أفكارها، وتدفعُ طبقها بعيداً.

– الآن، أنا متأكّدة مِن أنّكَ تفهم أنّني شعرتُ بالضياع. أوّلاً: لأنّني اعتقدتُ أنّني وجدتُ شخصاً مميّزاً فيك. ثانياً: لأنّني شعرتُ بأنّكَ تتخلّى عن الفكرة التي مكّنتنا مِن غزو الأوليمبوس. خذ بعين الاعتبار أنّني كنتُ ضعيفة، وحيدة، وربّما وقعتُ في سرير كاسيوس لأنّني كنتُ مجروحةً، وكنتُ بحاجةٍ إلى مُداواة ألمي. هل يُمكنكَ تخيُّل ذلك؟ يمكنكَ أن تردّ الآن.

أتململُ على وسادتي: «أعتقد ذلك».

«جيّد. الآن ادفع تلكَ الفكرة إلى مؤخّرتكَ». ترتسمُ على شفتيها ابتسامة صارمة: «أنا لستُ بشخصٍ تافهٍ سطحي. أنا عبقريّة. أقول ذلك لأنّه حقيقة. أنا أذكى مِن أيّ شخص قابلتَهُ على الإطلاق، ربّما باستثناء

توأمي. قلبي لا يجعلُ عقلي غبيّاً. سعيتُ إلى علاقة مع كاسيوس للسبب نفسه الذي جعلني أسمحُ للحاكِمة المعظَّمة أن تعتقدَ بأنّها كانَت تُقلِّبني ضدَّ والدي: لحماية عائلتي».

تنظرُ إلى الأسفل نحو طعامها.

– لطالما استطعتُ التلاعُبَ بالناس: رجالاً، أو نساء، لا فرق. كاسيوس كان جرحاً متحركاً يا دارو، غيرَ ملتئمٍ ونازفاً على الرّغم مِن مرور عامين على مَقتَل جوليان. رأيتُ ذلكَ فيه خلال ثانية، وعرفتُ كيفَ يُمكنني أن أجعلهُ يحِبُّني. أعطيتهُ شخصاً يستمعُ إليه، شخصاً بوسعِه مَلءُ الفراغ.

تتلاشى الصرامة في صوتها. تنظر مِن حولها وكأنّها تحاولُ الهربَ مِن المحادثة التي بَدأتها. لو توقّفَت، لكنتُ أسعَد بذلك.

– جعلتهُ يعتقدُ بأنّه لا يستطيعُ العيشَ مِن دوني. كنتُ أعلمُ أنّه الشيء الوحيد الذي بوسعه إبقاء بقيّة عائلتي آمنة. كنتُ أعلمُ أنّه أفضل سلاحٍ يمكنني استخدامه في هذه اللّعبة. ومع ذلك... شعرتُ بالبرودة، شعرت بالفظاعة، وكأنّني الساحرة القاسية التي تصطادُ أوديسيوس، وأجعلهُ يقع في حبّي، وأُبقيهِ لأهدافي الأنانيّة. بدا ذلك منطقيّاً للغاية. وعندما وضع ذراعيه حولي، شعرتُ وكأنّني أغرق، وكأنّني ضائعة، أختنقُ تحتَ ثِقَل كلِّ ما فعلتُه، أختنقُ بمعرفة أنّ هنالكَ حياة أمامي مع شخصٍ لا أحبّه.

– ومع ذلك، كان هذا مِن أجل العائلة. كان مِن أجل الناس الذين أحِبّهُم حتّى لو لم يستحقّوا ذلك. العديد ضحّوا بما هو أكثر بكثير؛ لذا كان بإمكاني أن أضحّي بذلك». تهزُّ رأسها، والدموع التي بدأت تتشكّل في عينيها تعكسُ تلكَ التي تتراكمُ في عيني. لتنهمر عندما تقول: «ثم دَخلتَ أنتَ إلى الحفل، و... وكان الأمر وكأنّ الأرض قد انشقّت لابتلاعي.

شعرتُ وكأنّني محتالة. فتاة شرّيرة اخترعت سبباً لارتكاب شيءٍ غبي». تحاوِلُ مسحَ عينيها: «ألا ترى لماذا فَعلتُ ذلك؟ لم أُرد أن تموت. لا أريدكَ أن تموت. لا مثل أخي كلاوديوس، ولا مثل باكس. كنتُ سأفعلُ أيَّ شيء لأوقف ذلك».

– بوسعي إيقافه.

– أنتَ لستَ بذاك الذي لا يُقهر يا دارو. أعلم أنّكَ تعتقد ذلك، لكن يوماً ما ستكتشف أنّكَ لستَ قويّاً كما تعتقد، وأنا سأكون وحيدة.

تصمت بينما يتحرّر كل ما كان يتراكمُ بداخلها. إنّها لا تنتحب باكيةً، لكنّ الدموع تنهمر، فهي امرأةٌ مِن النوع الذي يشعرُ بالحرج مِن الدموع.

قلبي ينفطر لرؤيتها هكذا.

– «أنتِ لستِ شرّيرة». أقول ذلك بينما أمسكُ يدها بيدي: «أنتِ لستِ قاسية». تهزُّ رأسها محاولةً الانسحاب مبتعدة. أمسكُ ذقنها بين أصابع يدي اليمنى، وأميلُ رأسها حتّى تجد عيناها ملاذاً في عيوني: «وما تفعلينه مِن أجل الناس الذين تحبّينهم لا يمكن أن يُحكَم عليه. هل تفهمين؟». أجعل صوتي أكثرَ عمقاً: «هل تفهمين؟».

تهزُّ رأسها.

لا ينبغي أن تكون الأمور على هذا النحو. لدى الذهبيّين كل شيء، ومع ذلك يُطالِبون بتضحيات حتّى مِن بني جلدتهم. هذا المكان مريض. هذه الإمبراطوريّة مُحطَّمة. تلتهمُ ملوكها وملكاتها بالنهم نفسه الذي تلتهمُ فيه الفقراء الذين يحرثون أرضها. ولكنْ لا يمكنها أخذ هذه المرأة كما أخذتِ الفتاة التي دَفنتُها. لن أسمح لها أن تفترسها. لن أسمح لها أن تفترس عائلتي في ليكوس. سأحطِّمها، حتّى لو كان الثمن حياتي في النهاية.

أمسحُ دموعها عن وجهها بإبهامي. إنّها مختلفة عن قومها. وعندما تحاول أن تفعلَ مثلهُم، يحطِّمُ ذلك قلبها في صميمه. بالنظر إليها، أعلم أنّني كنتُ مُخطئاً. إنّها ليسَت مجرّد تشتيت. إنّها لا تعيقُ مهمّتي. هي مغزى كل هذا. ومع ذلك، لا أستطيع تقبيلها. ليس الآن، وأنا مُضطَّر لكسرِ قلبها كي أكسِر هذه الإمبراطوريّة. لن يكون ذلك عادلاً. لقد وقعتُ في حبّها، لكنّها وقعَت في حُبِّ أكاذيبي.

– «لا يمكنكَ الوثوقُ به». تقول بهدوء.

– «مَن؟». أسأل، مستغرباً مِن كلماتها المفاجئة.

– «توأمي». تهمسُ وكأنّه يجلسُ في زاوية الغرفة: «إنّه ليسَ رجُلاً مثلك. إنّه شيء آخر. عندما ينظر إلينا، عندما ينظر إلى الناس، يرى أكياساً مِن العظام واللّحم. نحن لا نوجد حقاً بالنسبة له». أعبس بينما تقبض على يدي: «دارو، استمع إليّ. إنّه الوحشُ الذي لا يعرفون كيف يكتبون القصص عنه. لا يمكنكَ الوثوق به».

الطريقة التي تقولُ بها ذلك تجعلني أعلمُ أنّها تفهمُ اتّفاقنا.

– «أنا لا أثقُ به». أقول: «لكنّني بحاجةٍ إليه».

– «يُمكِننا الفوز في هذه الحرب مِن دونه». تقول.

– اعتقدتُ أنّكِ قلتِ إنّني لستُ قويّاً بما يكفي.

– «أنت لستَ كذلك». تقول بابتسامة: «ليسَ بمفردك». ترتسم تكشيرتها المائلة: «أنتَ بحاجةٍ إليّ».

لو كان الأمر بسيطاً هكذا.

بعد وقتٍ قصيرٍ أتركُ موستانغ مغادراً إلى غرفي. الممرّات هادئة، وأشعر وكأنّني ظِلٌّ ينجرف عبر عالم معدني. لا أعرف كيف أقبل مساعدتها، أو كيف ينبغي أن أتعامل معها. رؤيتها مع كاسيوس جرحتني أكثر ممّا قد أُخبِرها به يوماً، وجزءٌ منّي يعلم أنّ الأمر ليسَ مُجرَّد تلاعب. هو لم يكن يوماً وحشاً؛ وإن أصبح يوماً ما كذلك، أعلم أنّه سيكون بسببي.

الباب المفضي إلى جناحي يُفتَح مُصدراً هسهسة. توضع يدٌ على كتفي. ألتفتُ لأرى صدر راغنار. حتّى إنّي لم أسمعه. «**هناك شخصٌ يتنفّسُ في الداخل**».

– ربّما ثيودورا. إنّها خادمتي الزهريّة. ستعجبك.

– نَفَسٌ ذهبيّ.

أومئ برأسي، من دون أن أسألهُ كيف يعرف، وأُخرِج شفرتي مِن ذراعي. تتحوّلُ الشفرة بخفّةٍ أشبه بالهمس إلى سيف بينما أخطو إلى الداخل. الأضواء مضاءة، ولكنّها خافتة. أفتّشُ في أرجاء الجناح مع راغنار لأجد الشَّغبر جالساً على أريكتي مع كأسٍ مِن الشيري. يضحكُ على أسلحتنا.

– أعترِفُ بأنّي أشكّلُ تهديداً كبيراً للغاية.

إنّه يرتدي رداء الحمّام وخفّين.

أُعفي راغنار. مع جروحه، يجب أن يستريح. على مضض، يمشي مغادراً.

– «يبدو أن لا أحد ينام في هذه السفينة». أقولُ، وأنا أنضمُّ إلى الشَّغبَر على الأريكة: «أعتقد أنّنا بحاجةٍ إلى إعادة هيكلة اتّفاقنا قليلاً».

- «إنّكَ مولعٌ بالاستهانة بالأمور، أليسَ كذلك؟». يرشفُ الشراب مِن الكأس ويتنهّد: «ظننتُ أنّني سأغرق في تلك البحيرة الشاطئية المتبّبة. لطالما اعتقدتُ أنّ موتي سيكون شيئاً عظيماً. أُطلَقُ إلى الشمس، يُقطع رأسي على يَدِ خصم سياسي، ثمّ عندما جاء...». يرتعش، يبدو ضعيفاً جدّاً وصبيانيّاً: «كان مُجرَّد برودٍ لا مبالٍ، مثل الصخور التي سقطت حولي في ذلك المنجم في المعهد».

إنّهُ مُحِق، لا يوجد دفءٌ في الموت. بكيت كطفلٍ عندما اعتقدتُ أنّني سأموت بعد أن طعنني كاسيوس.

- مِن الواضح أنّ هذا يغيّر استراتيجيّتنا، لكنّني لا أعتقد أنّه يجب أن يغيّر تحالفنا.

- «ولا أنا». أوافق: «سنحتاجُ إلى جواسيسك الآن أكثر مِن أيّ وقتٍ مضى. بليني لن يتقبّل ارتقائي بسهولة. وأنتَ عالقٌ هنا في بلاط والدك. السياسي سيحاول التخلُّص مِن كلينا». لا أذكر أبناء أريس. كما توقّعت، جرى نسيانهم جميعاً بمجرد أن سكبتُ ذلك النبيذ على حضن كاسيوس.

- يجبُ أن نتخلَّص مِن بليني. لكن أنا وأنت يجبُ أن نحافظ على مسافة اجتماعيّة حتّى لا يدرك أنّ التهديد ضدَّه موحّد. مِن الأفضل له أن يُسيءَ فَهمَ مواردنا الفرديّة.

- «وكي تستمرّ أيضاً عائلة تيليمانوس بالتواصل معي». أقول.

- صحيح. فهُم يريدون موتي.

- طبيعي. هذا حقّهم.

- «لا ألومهم على ذلك، لكنّه مزعجٌ للغاية فقط». يسلّمني جهازَ تواصُلٍ مُجسَّم يخرجه مِن جيبه: «إنّها متزامنة. سأستدعي سفني للالتقاء

بنا، وأتخيّل أنّكَ ستبقى هنا مع جائزتكَ الجديدة. لا داعي لأن تقومَ المركبة برحلات مكّوكيّة ذهاباً وإياباً».

أريد أن أسأله عن ليتو، لماذا قتله؟ لكن لماذا تُظهِر للشيطان أنّك تعرفُ قوّته؟ ذلك سيجعلُ منّي تهديداً له فقط. وقد رأيتُ كيف يتعاملُ مع التهديدات. مِن الأفضل أن ألعبَ دور الجاهل وأتأكّد مِن أنّني مفيدٌ دائماً.

– «الحرب تُقدِّم لنا المزيدَ مِن الفُرَص». أقول: «يعتمدُ ذلك على مدى رغبتنا في انتشارها...».

– أعتقدُ أنّي أفهم قصدك.

– الآخرون سيحاولون إخماد النيران، للحفاظ على ما لديهِم، خصوصاً بليني وأختك.

– حسناً، إذن يجب أن نكون أكثر دهاءً.

– لا ينبغي أن تُصابَ بأذى. ذلك الجزء مِن اتّفاقنا ثابت.

– «إذا تعرّضَت يوماً للأذى، أعتقدُ أنّ السببَ سيكونُ مِنكَ، وليسَ منّي». ربّما أنّه على حق: «لكنّني معكَ في المستوى نفسه: أشْعِل النيران، انشُر الحرب، اربحها، خُذ الغنائم».

– أعتقدُ أنّني أعرفُ كيفَ أفعلُ ذلك. ماذا يمكنُ لشبكتكَ أن تخبرني عن أحواض السفن في غانيميد؟

# الجزء الثالث

# غزو

عندما يهطل المطر الحديدي، كن شجاعاً، كن شجاعاً.

**—لورن أركوس الذهبيّ**

# 25

# البريتوريّون

– «لقد دُمِّرنا؛ هذا ما قاله الحاكِم العام لكاليستو». ينظرُ الحاكِم العام نيرو أوغوستوس الذهبيّ حول الطاولة ليرى إن كنّا ندرك خطورة كلماته. تتلقّف الزوايا المعقوفة لوجهه أضواء غرفة الحرب في السفينة، ممّا يجعل وجنتيه تبدوان مجوّفتين وتمنحهُ مظهراً أشبه بصَقرٍ يُحدِّق إلى الأسفل مِن خلال منقاره: «ولِمَ لا يقولُ ذلك؟ المنطقة المركزيّة تتّحِدُ ضدّنا. نيبتون في مداره البعيد—سُفن فيسباسيان ستستغرقُ ستّة أشهر لتصلَ إلينا وتعزّزنا. كل هذا بينما يختبئ حمَلة رايتي خلفَ دروع حماية مُدنِهم على المرّيخ، ويرسلون فقط الثواني والثوالث مِن أبنائهم لمساعدتنا». ينظرُ إلى اثنين مِن أعضاء الطاولة البعيدين: «تخاذلهُم هذا يُصيبنا بالشّلل. والآن، أنا أجلسُ هنا في المجلس مع قادتي البريتوريّين ومحاربيَّ، وما المخطّطات العظيمة التي يبتكرونها؟».

الهرب؛ هذا ما يقولونه. لقد هربنا مِن لونا قبل شهر، ولم نتوقّف عن الهروب منذ ذلك الحين، لأنّ الحاكِمة المعظَّمة كانت ماكرةً، وقوّاتها سبقتنا إلى المرّيخ.

هذا ليس ما كنتُ أتوقّعه، لكنْ مِن ناحيةٍ أخرى، لا شيء مِن هذا هو خطئي اللّعين. مجموعة مِن الحمقى اللعينين الذين يتملّكهم الحذر يحيطون بالحاكِم العام. الذهبيّون خائفون جدّاً مِن فقدان كل السُّلطة والحظوة التي حصلوا عليها في الماضي، كي يخاطروا بأيٍّ منها الآن، والأسوأ أنّهم يبعدونني. التحالفات تتشكّل ضدّي. يمكنكَ رؤية ذلك في عيونهم، في أكتافهم. نجاحي هو خسارة لهم. حتّى أولئكَ الذين تبعوني في لونا، حتّى أولئكَ الذين أنقذتهُم مِن الموت المؤكّد. يفعلون الشيء نفسه مع الشَّغبَر، ويعتقدون أنّ عدم وجوده هنا في هذه الغرفة ليتجادل معهم، هو نصرٌ لهم. إنّه خطؤهم.

أجلس على بعد عشرة مقاعد مِن سيّدي على طاولةٍ كبيرةٍ مصنوعةٍ مِن خشب الكرز في غرفة حرب سفينته القياديّة، المدرّعة إنفيكتوس ذات الستّة كيلومترات. السقف على ارتفاع أربعين متراً فوقنا. الغرفة ضخمة ومهيبة للغاية. نقشٌ بارزٌ منحوتٌ لأسد، يُحدِّق بغضبٍ مِن وسط الطاولة. هنالكَ أكثر مِن أربعين مقعداً فارغاً. المستشارون الموثوقون ذهبوا، مُتخلّين عن أوغوستوس مثل الجرذان التي تهرب مِن سفينةٍ تغرق. الذين معنا هُم: بليني، والبريتور كافاكس، وابنه داكسو، وخمسون مِن أقوى حاملي راية أوغوستوس وقادته البريتوريّين والليغاتيّين. يمتنعون عن النظر إليّ. لا يوجد ما هو طفوليٌّ أكثر مِن هذا. هؤلاء الذهبيّون يحكمون أكثر مِن مليار نسمة؛ لذلك يتجاهلونني ببساطة، ويزرعون الشكَّ في عقل أوغوستوس بشأن أفكاري.

– «هل نحن متّفقون إذن مع الحاكِم العام لكاليستو؟ هل انتهينا؟». يسأل أوغوستوس.

قبل أن يتمكّن أحدٌ مِن الردّ، تنفتح الأبواب الضّخمة مصدرةً هسهسةً، وتنزلق متراجعة ضمن الجدران الرخاميّة. تدخلُ موستانغ متجوّلة، وهي ترمي تفّاحةً مِن يدٍ إلى أخرى.

- «أعتذر لتأخُّري». تبتسم لوالدها، تقترب منه وتمنحه قُبلَةً لبقةً جدّاً على خاتمه الذي يحمل رأس الأسد.

- «أرسلتُ رسالةً بخصوص الاجتماع قبل ساعة». يقول أوغوستوس.

- «أوه!». تلقي موستانغ نظرةً خاطفةً على بليني: «لا بدَّ من أنّها فاتتني. علمتُ أنّكم هنا فقط لأنّني كنتُ أبحث عن أخي للعب الشطرنج». تضحك على النكتة. فقط آل تيليمانوس فهموها. تتنهّد، وهي تشقُّ طريقها إلى الطرف الآخر مِن الطاولة، لتضغط في أثناء مرورها على كتفَي داكسو وكافاكس. يرحبّ بها كافاكس مهمهماً بكلمات دافئة. تجلس وترفع إلى الأعلى قدميها المنتعلتين للحذاء العسكري: «هل فاتني شيء ما؟ بالطبع لا. متردّدون كالمعتاد؟».

وجنة والدها ترتعش: «هذا ليس إسطبلاً». يرمق حذاءها. تتنهّد وتخفض قدميها وتُلمِّع التفّاحة بوساطة كُمِّها الأسود.

إنّها إحدى النساء القليلات في الغرفة. أغريبينا جولي الذهبيّة مِن المفترض أن تكون هنا، ولكنّ خيانتها هي التي استنزفت أعداداً مِن أسطول أوغوستوس كان بحاجةٍ إليها للاستيلاء على المرّيخ بسرعة. وكانت خيانتها هي التي جعلت أوغوستوس يخصّص رجالاً لمراقبة فيكترا والتأكّد مِن أنّ ولاءها له حقيقي. تطلّبَ الأمرُ منّي تقريباً كلَّ نفوذي مع الرجُل لإبقائها خارج السجن.

لقد طاردونا مِن عوالم المنطقة المركزيّة إلى هنا، بعيداً عن المسار

المداري للمرّيخ، واستولوا على عمليّات تعدين الكويكِب الخاصّة بنا. أصولُ أوغوستوس مجمّدة. ومدنه -تلك التي لم تستسلم بعد للحاكِمة المعظَّمة- محاصرة. ناهيكَ عن أنّ هنالك مكافآت على رؤوسنا. لا تعجبُ الشيوخ حقيقة أنّه رُصِد لي ثاني أعلى مكافأة بعد أوغوستوس.

- «قبل مقاطعتنا». يواصل أوغوستوس: «أعتقد بأنّ أحداً ما كان يسوّغ موقفه». صوت قضمة. يتلاشى صوته بينما تعضّ موستانغ بصوتٍ عالٍ تُفّاحَتها. تنظرُ مِن حولها إلى الوجوه المنزعجة. أكتمُ ضحكة.

- «مولاي». ينحني بليني إلى الأمام: «أخشى أنّه لا يوجد بديل سوى مواصلة انسحابنا التكتيكي. إذا استمرَّت الأمور على هذا النحو، فسوف نخسر. وأنتَ، يا مولاي، ستُحاكَم بتهمة». صوت قضمة. ينتفض قبل أن ينهي: «الخيانة». ينظر في أنحاء الطاولة نحو حلفائه الذين اشتراهم: «هناك طريق واحد فقط مُتاح لنا».

- «مواصلة الهروب بأسطولنا حتّى تصل تعزيزات فيسباسيان مِن نبتون». يتمتم أوغوستوس: «في غضون ستّة أشهر».

يومئ السياسي: «أو الاستسلام».

- «ليتكَ قتلتَ أوكتافيا عندما سنحَت لك الفرصة يا فتى». يقول كافاكس.

- «لو فعلت، لكان جميعُ مَن هنا ميّتين». أجيب.

يومئ داكسو: «لم يقصد الإساءة. مجرّد أمنيات».

- «لماذا لم تَقتُل أوكتافيا؟». يُحدِّق بليني فيّ مشكّكاً.

- لم أستطع. كنت في غرفة مع أجا غريموس الذهبيّة. ربّما لو كنتَ أنتَ هناك، لقمتَ بما هو أفضل، لكنّني مجرّد رجُلٍ فان.

القادة البريتوريّون المخضرمون يضحكون.

- «حتّى لورن أركوس الذهبيّ لم يكن ليجرؤ». يتمتم أوغوستوس: «هذا وقد رأيته ذات مرة يقتل موسوماً من دون استخدام شفرة. دارو فعل ما كان باستطاعته». ثمّ يوجّه انتباهه لي: «هل تعتقد أنّنا يجبُ أن نهرب الآن أيضاً؟».

- سيجعلُكَ ذلك تبدو ضعيفاً.

- «نحن ضعفاء». يردُّ بليني: «لكن هذا سيجعلهُ يبدو حكيماً».

- الرجال الحكماء يقرأون كتباً عن التاريخ يا بليني. الرجال الأقوياء يكتبونه.

- «توقّف عن اقتباس لورن أركوس الذهبيّ!». ينفجر بليني.

- ظننت بأنّكَ ستكونُ مُنفتحاً على جميع المعارف.

- «بلا شك أنّ سنوات حياتكَ الطويلة تجعلُكَ خبيراً في أمور لا تُعدُّ ولا تُحصى». يقول بليني بنبرةٍ موسيقيّة: «أعد تدوير المزيد مِن أقوال المحاربين القدامى حتّى نتعلَّمَ المزيدَ عن الحياة والحكمة».

- «هذا ليس عنّي يا عزيزي بليني؛ لذا توقّف عن التهجّم الشخصي». أشير إلى الحاكِم العام: «هذا يتعلّقُ بمَولانا. هذا يتعلّقُ بمصيره».

- «يا لهُ مِن تصنُّعٍ منكَ أن تشير إلى ذلك يا دارو!». يفركُ أوغوستوس عينيه، مُتعباً مِن مشاحناتنا.

- «لا يستطيع الشباب إلّا أن يكونوا متحمّسين». يتابع بليني: «لكنْ يجب أن نتذكّر أنّه لا عار في التحلّي بالحذر يا مولاي. ستّة أشهر مِن التأخير ثمنٌ صغيرٌ ندفعه لتحقيق النصر». يباعد يديه ذات الأصابع

الطويلة: «في الواقع، الزمن حليفٌ لنا. لا يمكن لأوكتافيا أن تتحمَّل تمشيطَ المجموعة الشمسيّة بحثاً عنّا. ليسَ مع كلِّ هذا الانقسام لمجلس الشيوخ في الديار. يَدُها الممسِكة بزمام الأمور ستجعلُ قبضتها مِن حديد. إنّها ستخدشُ ظهورَ الحُكّام العامّين الآخرين، ولن يمرَّ وقتٌ طويل حتّى يبدأ أولئكَ الذين يتبعونها بالنفور مِن أوامرها. سيعلمون لماذا نُقاتِل ضدَّها؛ وبالتحديد لأنّها ليسَت ممثِّلتنا، بل إنّها بدلاً من ذلك إمبراطورة. هذا سيمنحُنا الوقت، والذي سيمنحُنا القوّة، والذي سيمنحُنا القدرة على المطالبة بسلامٍ مُربِح».

البريتور كافاكس يضرب بقبضته على الطاولة: «تبّاً لهذا!».

إنّه رجُلٌ مِن العمالقة، منحوتٌ مِن الصخر أكثر مِن اللّحم. رقبته سميكة لدرجة أنّني لا أستطيعُ حتّى لفَّ يدي حولها. على عكس مُعظم الذهبيّين، فقد حلق رأسه وأطلق لحيته. إنّها ثخينة ومصبوغة بالأحمر القاني. عندما تخفتُ الأضواء، تتوهّج مثل جمرة في اللّيل. ثلاثة أصابع فقط تبقَّت في يده اليسرى. يقولون إنّ ابنه داكسو قضمها وهو طفل. على الرغم من أنّ داكسو يبتسم دائماً وبصوته اللطيف يُعطي انطباعاً بأنّ شقيقه الأصغر، باكس، هو الذي فعلها. آل تيليمانوس هم البريتوريّون الوحيدون في الغرفة الذين لا يَدينون، بطريقةٍ، أو بأخرى، لبليني. يُعجبني كافاكس.

– «هذا يُغيظُني. كلامُ القردة الماجنة هذا يُغيظُني». يقولها كافاكس باحتقار: «ما كان يجبُ أن نكون في هذا الموقف. دعني أذهب يا مولاي، وسآخذ ألفاً مِن حرّاسي لأتعامل مع الجبناء الذين لم يستجيبوا لاستدعائك. عُذراً يا عزيزي». يهمسُ لثعلبه المفضَّل، سوفوكليس، وهو شيءٌ أحمرُ ذهبيٌّ ذو أذنين حادّتين، يرتجفُ عند سماعه الصوتَ العالي

لسيّده. يأكلُ سوفوكليس حبّاتٍ صغيرة مِن حلوى الهُلام مِن راحة يد كافاكس الضّخمة.

ننتظر حتّى يعود انتباه كافاكس إلى حديثه.

- «كنتَ تقولُ شيئاً يا كافاكس؟». يحثّهُ أوغوستوس بابتسامةٍ بشوشةٍ يحتفظُ بها لمفضّليه.

- «أبي». ينكزُ داكسو الرجُل الأكبر.

ينظر كافاكس إلى الأعلى، مذهولاً: «أوه! وعند تمزيق خصيهم وتعليقها مِن شحمة آذانهم، سيتذكّر الآخرون أنّكَ حاكِم المرّيخ وسيتوسّلون لدعمكَ يا نيرو».

يعودُ لإطعام سوفوكليس حلوى الهلام والرضا يغمره.

- «وسيعلمون أنّنا نحن اللوردات كنّا مِن القِلّة الأوفياء». يضيف داكسو بسرعة، مُلوِّحاً للذهبيّين حول الطاولة، الذين يومئون برؤوسهم مُقدِّرين. يمصُّ داكسو عصاً مِن القرفة. يبتسمُ أكثر مِن باكس، على الرّغم من أنّ ابتسامته بنصف ابتسامة باكس حجماً وضعفها خبثاً. العبوس الوحيد الذي لمحتُه على وجهه كان عندما رأى الشّغبر في الحفل.

تلكَ الضّغينة المحدّدة لن تختفي. ولا ينبغي أن تختفي. الشّغبر سلبَ باكس منهُم. وردّاً على ذلك، طالَبَ آل تيليمانوس برأسه. في المقابل، نفى أوغوستوس الشّغبر مِن المرّيخ. لكن الآن الحرب تأتي بتعقيدات جديدة، وضرورات جديدة. ويبدو أنّ الشّغبَر قد عُفيَ عنه في نظر والده، ولكن ليس في نظر آل تيليمانوس. أراقبهُم بحذر. إنّهم ليسوا أغبياء، على الرّغم مِن القناع الذي يستمتعون بارتدائه. آمل فقط ببقائهِم متجاهلين لتحالفي مع قاتل باكس.

– «يجب أن يجري تذكيرُ الجميع بأنّ الولاء لا يُمكِن التخلّي عنه بسهولة». ينهي داكسو بنبرةٍ وديّةٍ على نحوٍ مدهش: «زيارةٌ مِن والدي وشقيقاتي ستذكّر حاملي الراية الآخرين بواجباتهم تجاهكَ في أوقات الحرب». يميلُ رأسه بلطف، ممّا يتيحُ لنا الإعجاب بنقوش الملائكة الذهبيّة المحفورة على فروة رأسه: «إنّه مِن عادة آل تيليمانوس تركُ انطباع. الأمر الذي قد يعزّز مِن صفوفنا».

– «لورداتي يا لوردات الرعد». يبتسمُ أوغوستوس: «دائماً مُتعطِّشون للعنف». يمرّر إصبعاً على ظهر يده اليسرى الطويلة: «لكنْ لا. هذا التذكير يجب أن ينتظر. لا يمكن إنزال العقوبات إلّا بعد تحقيق النصر. سيبدو الأمر مثيراً للشفقة، مثل التخبّط الحزين لرجُلٍ يغرق، وخاصّة عندما نأخذ بعين الاعتبار أسطوليَ المشتّت، وفيالقي المحاصرة خلفَ دروع حماية مدني».

ينظر إلى بليني ويسأله عن حال بقيّة حلفائنا التجاريّين. أختلس نظرةً خاطفةً نحو موستانغ. تلاحظ ذلك وترفع حاجبها نحوي، متسائلةً متى سنبدأ.

– «لقد استُقبِل جميع سياسيّينا». يقول بليني ببطء. اليوم، بليني يضع طبقةً جادّةً جدّاً مِن أحمر الشفاه الأسود: «كما تعلمون، تشاورنا أنا والسياسيّين خاصّتي بعد هروبنا مِن لونا، وطوّرنا إلى حدٍّ ما تحليلاً نظريّاً متقدّماً للتغيّرات المحتملة للتحالفات—»

– «بوساطة الحواسيب؟». يسأل كافاكس ضاحكاً بصوتٍ عالٍ.

– «بوساطة الحواسيب». يتابع بليني ممتعضاً: «أُجريَتْ عمليّات المحاكاة مِن قِبَل محلّليَّ الخُضر. بالنسبة لأقمار غاليليو—آيو، كاليستو،

غانيميد، وأوروبا—لن يقوم أيٌّ منها بدعمنا دعماً مطلقاً، لا في المحاكاة، ولا في الواقع».

– «أمرٌ غير مفاجئ». يتمتم البريتور ذو المظهر الصقري: «حصلنا على النتائج نفسها مِن أقمار زحل».

يواصل بليني: «بطبيعة الحال، يخشون العواقب المترتّبة على اختيار الجانب الخطأ. حُكّام زحل هم قضيّة خاسرة في الوقت الحالي؛ إذْ إنّهم يرون جنّة ريا في سمائهم كلَّ يوم؛ أمّا في قطاع غاليليو، فوجود لورن أركوس الذهبيّ في أوروبا يشكّل مشكلة. إنّ... ميوله السياسيّة الانعزاليّة أثبتت أنّها مُعدية بالنسبة للحُكّام العامّين لأقمار المشتري، خاصّةً أنّ جيشه الخاص أكبر بمرّتين مِن أي جيش لدى الحُكّام العامّين».

– «انعزاليّة؟ إنّها أشبه أكثر بالتقاعد». يتنهّد أوغوستوس: «ربّما هو مُحِق».

«ستفقدُ عقلكَ يا أبي». تقول موستانغ مِن نهاية الطاولة: «من دون تآمرٍ، ومن دون دسائس، أو مكائد. العائلة فقط، ووَقت لتقضيه معي ومع أدريوس».

ابتسامتهُ بشفتين مزمومتين، لا يمكن قراءتها: «كم تعرفني ابنتي جيّداً!».

– «أكثر ما يقلقني». يقول بليني: «هو أنّ الغاليليّين، بحسب حديثهم، يشكّكون في شرعيّة قضيّتنا».

– «ذلك لأنّنا لا نملكُ قضيّة». أتنهّد، متذكّراً دَوري: «على الأقل ليسَ بالقدر الذي يجعلُ أيَّ شخص آخر يهتمُّ بها».

– «اشرح». يأمر الحاكِم العام.

- «إنّه على وشك الوصول إلى ذلك يا والدي». تقول موستانغ: «دارو يلعبُ على الدراما».

قمتُ بإيماءة استعراضيّة ناظراً في أرجاء الغرفة: «يمكنُ القول بثقة إنّ السّادة الذهبيّين النبلاء في هذه الغرفة يفهمون طبيعة البشر، أليسَ كذلك؟ وحتّى لو لم نفهم، ما الذي يُحفِّزنا؟ أهي قضيّة؟ لا. ليس لأيٍّ منّا قضيّة. أهي الحريّة؟ التحرّر؟ العدالة؟». أقلّبُ عيوني: «بالكاد. فما الذي يَهمُّنا في أنّ الحاكِمة المعظَّمة تتصرّف كإمبراطورة؟ ما الذي يهمُّنا بشأن الميثاق والحريّات التي يمنحُها للذهبيّين؟ لا شيء».

- الأمرُ يتعلّق بالسُّلطة. دائماً يتعلّق بالسُّلطة. نحن نحاربها لأنّنا ارتبطنا بنَجم، وهو الحاكِم العام، لكن هذا النَّجمَ يسقط، يتلاشى...

ينهضُ كافاكس جزئياً مِن مقعده: «لا تُهِن سيّدكَ كما لو—».

- «كما لو ماذا؟ كان أحمق؟ هو ليس كذلك، لذا كفاك تشدُّقاً. آل بيلونا سيأخذون المرّيخ. سيحصلون على العقود والمناصب الحكوميّة. سنُدفَع نحو الهامش، ميّتين، أو بلا أيّ أهميّة». صوتي يتلاعبُ بالجمهور: «السُّلطة هي الشيء الوحيد ذو القيمة في هذا العالم. فكّروا في تاكتوس راث الذهبيّ—حليفٌ مُخلِص لي لمدّة ثلاث سنوات. ولكنْ بمجرّد أن بدأ نجمي في السُّقوط، سرقني وغادر مِن الباب الخلفي، مثل لصٍّ في اللّيل».

- كم عددُ المقاعد الفارغة هنا، والتي كانت ممتلئة قبل لونا؟ الكثير مِن الرجال والنساء الذين كانوا سينزفون مِن أجل أوغوستوس. الكثير مِن الرجال والنساء الذين كانوا سيعطونه أعينهُم عندما كان يجلس على منبره في أجيا؛ أمّا الآن...

أنفضُ الغبار عن يدي.

– نحن نخسر. الهروب يعني الذبول والموت. إذا أردنا النهوض مرّة أخرى، وجذب الغاليليّين إلى قضيّتنا، وتجميع حُكّام زحل تحت راياتنا، فعلينا أن نُظهِر لهم أنّنا لسنا بلا قوّة. نُظهِر لهم أنّنا نَفيضُ بالقوّة. نحن من يَفصِل بين الحياة والموت. نحن سادة المرّيخ فقط، وليس آل بيلونا.

يبدأ بليني في قول شيء، لكنّ أوغوستوس يشير إليه بالصمت.

– ما الذي تقترحه؟

«الأسرُ الغاليليّة تنجذب نحو لونا لسببٍ واحد؛ بغية التجارة معها. فالقمر غانيميد لديه أحواض بناء سُفنِها. والقمر كاليستو ليس سوى مَصنعٍ للرماديّين والسبجيّين لرَفدِ جيوش الجمعيّة. والقمر أوروبا عالمٌ مائيّ للبُنوك والتنقيب العميق تحت البحر ومنازل العطلات؛ أمّا القمر آيو فهو سلّةُ خبز لأيّ عالمٍ على طول المسار المداري للمشتري. إنّهم يعتمدون كثيراً على التجارة مع المنطقة المركزيّة كي يفكّروا بالانضمام إلينا. وحتّى أصغر طفل يعرف ما الذي حدثَ عندما هبط سيِّدُ الرماد على ريا». يومئ القادة البريتوريّون بالموافقة: «لذلك يجب أن نؤثّر فيهم. يجب أن نُرعبهُم حتّى يعرفوا أنّ قوّتنا يمكن أن تمسَّهُم في أيّ وقتٍ، ولا يمكنهُم المجازفة بإبعادنا».

– «كيف؟». يسأل أوغوستوس، وقد أصبحوا جميعهم متورّطين الآن.

أضعُ شفرتي على الطاولة حتّى يعرفوا نوع العمل الذي أقترحه: «نأخذُ سُفنَهم. نأخذُ أطفالهُم. نأخذهُم كحلفاء كما أخذَ الأسبرطيّون زوجاتِهم، بالقوّة، في اللّيل».

يَسودُ الصَّمتُ مِن حولي، ثمّ يأتي الصخب. يتركُ بليني القادة

البريتوريّين ليهاجموا الفكرة. أنفقَ طاقتهُ بالهمس في أذن أوغوستوس. ألقي نظرةً على موستانغ، لكنّها تراقب الآخرين، تقيسهُم.

- «مجرَّدُ تباهٍ وتبجُّح». يُسكتُ الحاكِم العام مَن في الغرفة ويعيدُ توجيه الحديث إليّ: «لم أسمَع خطّة».

- إنّها خطّة واحدة، مِن جزأين.

ألمسُ اللَّوح الرقمي، ليمتدَّ العرضُ المجسَّم الذي قدَّمهُ لي عُملاء الشَّغبر فوقَ الطاولة ويُظهر غانيميد. يضيء القمرُ باللّونين: الأزرق والأخضر، نتيجة محيطاته وغاباته، يبدو رائعاً مقارنة باللّون الأبيض الرخامي والبرتقالي لسطح المشتري الذي يسودُه البخار. أحواض بناء سفن رماديّة تحيطُ بالقمر. أكبّرها بحيث تمتدُّ عبر الطاولة وفوقها. أعرِضُ السُّفنَ المسجَّلة، مع تسليط الضوء على واحدةٍ على وجه الخصوص: «غانيميد لديه مُحطِّم القمر».

الصفير يعلو مِن حول الطاولة: «مُحطِّم القمر؟». يهمسُ أحدهم.

- «هل هذه المعلومات مَوثوقة؟». يسأل أوغوستوس.

أومئ برأسي: «جدّاً». أصابعي تتحرّك منتفضةً، وتدير صورة الأرصفة. في ظلِّ رصيفٍ مداري، تطفو سفينةٌ تشبه باكس سفينتي، لكنّها أحدث وأكبر؛ سوداء كاللّيل، وبطول ثمانية كيلومترات: «الحاكِمة المعظَّمة بنفسها أمرت بها كهديّةٍ لحفيدها».

يكادُ يسيلُ لُعاب كافاكس عند رؤيته ضخامة تلكَ السفينة: «يا لها مِن امرأة مُحبّة!».

- «على افتراض أنّ هذا ليسَ مُلفَّقاً». بليني يفحصُ العرضَ المجسَّم: «كيفَ حصلتَ على هذه المعلومات؟».

- العصافيرُ الصغيرة تهمسُ في أذني أيضاً.

- لا تكُن خجولاً. هذا مهم.

- مصادري تخصُّني، تماماً كما هي مصادرك يا بليني.

- «إذن تريد سرقة مُحطِّم القمر مِن غانيميد؟». يسأل بليني: «هذا يعدُّ إعلان حرب».

أضحك: «لا. أنت تسيء الفهم. أريدُ سَرقة جميع السفن».

# 26

# اليدُ الخفيَّة

بليني ينظر بقلق إلى أوغوستوس: «افعل هذا، ولن تنتهي هذه الحرب حتّى يتحوّل أحد الطرفين إلى رماد».

– «الأمر أصلاً كذلك...». يبدأ كافاكس.

– «هذا مختلف». يصيح بليني: «هذا يوسِّعُ النطاق».

– «والدي مُحِق». يعلن داكسو: «نحن بالفعل في تمرُّدٍ مفتوح».

يضرب بليني بيده: «هذا مختلف. هذا إعلان حرب على الجمعيّة، وليسَ على آل بيلونا، وليس على الحاكِمة المعظَّمة بشخصها. غانيميد لم يؤذنا. هذا سيحطِّم كلَّ شيء».

يجلسُ أوغوستوس بصمت، وعيناه الباردتان تُحدِّقان في سفينة مُحطِّم القمر الظاهرة على العرضِ المجسَّم. من دون أن ينظر إليّ، يسأل: «قلتَ إنّ هناك جزأين لهذه الخطّة، ما الجزء الثاني؟».

أغيِّرُ العرضَ المجسَّم. تحلُّ الأكاديميّة مَحلَّ أحواض بناء السفن. السفن تحيط بسطحها الرمادي الباهت. الكويكِبات تدور في الخلفيّة.

– «تلكَ السُّفنُ قديمة». يقول بريتور أصلع يُدعى ليتشينوس قبل أن أبدأ: «عديمَةُ الفائدة في القتال. هل تتضمّن خُطَّتك سرقتها أيضاً؟».

– «لا، بريتور ليتشينوس. خطّتي هي سرقة الطلّاب». أضيفُ صورةً أخرى. معهد المرّيخ ينضمُّ إلى الأكاديميّة، ثمّ معهدٌ آخر، معهدُ الزهرة، ثمّ معهدا كوكب الأرض، ثمّ المعاهد الغاليليّة ومعهدُ زُحَل، ثمّ المزيدُ حتّى تطفو ما يقارب اثنتي عشرة صورةً في الهواء: «أريد سرقة جميع الطلّاب. ليسَ للقِتال، بل للفدية».

– «تبّاً!». تنفجرُ موستانغ ضاحكة: «هل جُننتَ يا دارو؟».

يعبس أوغوستوس متجهّماً: «فيرجينيا، سيطري على نفسك».

– أنا تحت السيطرة يا أبي. كلبكَ الهجومي ليس كذلك.

– لقد نسيتِ مكانك.

– «وأنتَ نسيتَ كيف بدا كلاوديوس ميّتاً على الأرض، وليتو أيضاً. هل تريدُ ذلك لبقيّتنا؟». تشعرُ بالندم على الكلمات بمجرّد خروجها مِن شفتيها.

– «اصمتي يا فتاة!». ينتفض أوغوستوس بحنقٍ شديد. أصابعه النحيلة تقبض على حافّة الطاولة حتّى بدأت تصدر طقطقة: «لقد فقدتِ اتّزانكِ منذ أن سمحتِ لذلكَ الفتى من بيلونا بالوصول إلى ما بين ساقيك. تدخلين إلى هنا مثل قردٍ ماجنٍ مُتباه. تأكلين تلكَ التفّاحة مثل طفلة. توقّفي عن كونكِ عاهرةً استعراضيّةً، وارتقي إلى مستوى اسمك».

– «مثل ابنكَ المتبقّي؟». تسأل.

يأخذ نفساً طويلاً ومهدّئاً: «ستلتزمين الصمتَ أو تغادرين».

تصِرُّ موستانغ أسنانها معاً، لكنّها تظلُّ صامتةً على نحوٍ غير مُعتاد. في المقابل تنثني شفاه بليني بابتسامة رضا إلى حدٍّ ما.

- «لا تلوموها يا سادتي، إذا كانَت قد سئمَت بالفعل مِن الحرب». يقول بليني، وهو يغرزُ برفق سكّيناً في عدوٍّ جريح: «بعد العديد مِن القمم الليليّة التي قَضَتها في ممارسة الدبلوماسيّة الأفقيّة مع آل بيلونا، لم تعُد قدرتُها على التحمُّل كما كانَت مِن قبل».

يندفع كافاكس مهاجماً بليني. داكسو يسحبه إلى الخلف في الوقت المناسب، لكن موستانغ هي أوّل مَن تتحدّث على الرغم من كل هذه الجلبة.

- يمكنني الدفاع عن شرفي يا صاح، لكنْ في نهاية الأمر مثلُ تلكَ الإهانات متوقّعة مِن بليني، حيثُ كنتُ لأشعر بالمرارة أيضاً لو أنّ زوجتي استلقَت على ظهرها للتأكُّد مِن أنّ العديد مِن مرتزقتكُم الشّباب قد تعلّموا كيفيّة إغماد سيوفهم على نحوٍ صحيح.

يُحدِّق بليني بها غاضباً، وهي تنهض لتواصل: «تركتُ المرّيخ للسعي خلفَ المعرفة في بلاط الحاكِمة المعظَّمة. لم أتخلَّ عن عائلتي، كما اقترحَ الكثيرُ منكُم. وأنا لستُ نادمةً على مغادرتي وتفويتي محادثات مثل هذه؛ لأنّكُم، أيّها السادة، تبدون جيّدين في شيءٍ واحدٍ فقط، وهو الجدال. لكنّكم تتّفقون بسرعة على أن أكون موضوع سخرية. غريب! هل لأنكم ترونني تهديداً لسُلطتكُم؟ أم ببساطة لأنّني امرأة؟». تنظر إلى النساء القلائل المتفرّقات حول الطاولة: «إذا كان هذا هو الحال، فإنّكم تنسون أنفسكُم. لقد أُسِّسَت هذه الجمعيّة مِن قِبَل الرجال والنساء بناءً على الاستحقاق».

السياسي العزيز بليني على حق، لكن كنتُ لأتجنّب هذه الحرب. في

الواقع، حاولتُ فعل ذلك. لماذا تعتقدون أنّني سمحتُ لكاسيوس بيلونا الذهبيّ أن يتودّد إلي؟ لكن الحرب هنا. وسأحمي عائلتي مرّة أخرى مِن جميع التهديدات، سواءً مِن الخارج أم مِن الداخل».

يدعُ أوغوستوس الابتسامة الأصغر والأقل وضوحاً تنسلُّ مِن بين شفتيه، إنّها شبيهة بالأولى. حبّه هو أكثر حبّ مشروط رأيته على الإطلاق. كيف يمكنه بهذه السرعة أن يدعو ابنته بالعاهرة، ثمّ يبتسم بينما تستعيد السُّلطة التي فقدتها في الغرفة؟ فجأةً، تصبح ذات أهميّة.

– «إذن ما رأيك في خطّتي؟». أسأل.

– أعتقد أنّها خطِرة. إنّها تنشرُ الحرب من دون ضمان مكاسبنا. إنّها غير أخلاقيّة وتصنعُ سابقةً خطِرة. لكنْ مِن جهةٍ أخرى، الحرب بطبيعتها غير أخلاقيّة؛ لذلك علينا ببساطة أن نقرّر إلى أيّ مدى نريدُ أن نذهب.

– «أنتِ تعرفين أوكتافيا أفضل منّي». أقول: «إلى أيّ مدى ستذهب؟».

تصمت موستانغ لبرهة: «إن حقّقنا انتصاراً وسعينا للسلام مِن موقف قوّة، أو ضعف، فسوف تقبل الاقتراح...».

– «أترى!». يبتسم بليني.

موستانغ لم تنتهِ بعد: «ستقترح موقعاً محايداً. وفي ذلك اليوم عندما نذهب لعقد سلام، ستفعل كل ما في وسعها لقتلنا جميعاً».

ينظر بليني إلينا جيئةً وذهاباً، مُدركاً كم جرى التلاعب به بسهولة.

– «إذن لا مجال للتراجع؟ إمّا النصر، وإمّا الموت؟». أسأل على نحوٍ قاطع.

– «بالضبط يا دارو». تقول مبتسمة: «إمّا النصر، وإمّا الموت».

- «يبدو أنّكَ قد هُزِمتَ يا بليني. ستتابعُ وِفقَ خطّة دارو». ينهض أوغوستوس: «غداً، سيتولّى البريتور ليتشينوس قيادة هذه السفينة وأسطولها، ويدفع بأسطول الحاكِمة المعظَّمة نحو مطاردة، بينما آخذ مجموعةً ضاربةً صغيرة مِن الفرقيطات والفرقاطات إلى العمالقة الغازية، وسأغيرُ بها على أحواض بناء السفن في غانيميد».

- «سأذهبُ معكَ يا مولاي». يصرخ كافاكس. يقفز ثعلبه مِن حضنه بسبب الضجيج ويرجف تحت الطاولة.

- كلّا.

تتلاشى ملامحُ كافاكس: «كلّا؟ لكنْ، نيرو... الدِّفاعات الموجودة هناك—المحطّات القتالية، المدمِّرات، سُفن الشّعلة—ستمزّق أي قوّة مِن الفرقيطات قد تجلبُها». تشير يداه الكبيرتان بتوسُّلٍ شديد: «دعنا نقوم بذلكَ مِن أجلك».

- أنت تنسى مَن أنا يا صديقي.

- أعتذر، لم أقصد...

يلوح أوغوستوس بيده مُتجاهلاً الاعتذار ويديرُ ظهره لموستانغ: «يا ابنتي، ستأخذين الوحدات التي تحتاجين إليها مِن الأسطول لتنفيذ الجزء الثاني مِن خطّة دارو».

إنّ مشاهدة بليني الآن مثل مشاهدة طفل يحاولُ الإمساكَ بقبضةٍ مِن الرمل. إنّه لا يفهم المسار الذي اتّخذته الأمور، لكنّه ليس غبيّاً بما يكفي ليقوم بحركته الآن. سيتربَّص في العشب كالأفعى التي هو عليها.

يلتفتُ الحاكِم العام إليّ: «دارو، ما الذي قُلتَه لي قبل أن تسفكَ دم كاسيوس؟».

- قلت بأنّه يجب أن تكون ملك المرّيخ.

- «يا أصدقائي». يضع أوغوستوس يديه النحيفتين على الطاولة، وأصابعه متصلّبة: «أظهر دارو قِوى لا يمتلكُها أيٌّ منكُم. إنّه يتنبّأ بما أريد. أريدُ أن أكون ملكاً. حقّقوا لي ذلك. انصراف».

تصبحُ الغرفة فارغة. أنتظرُ مع أوغوستوس. إنّه يريدُ كلمةً خاصّة.

تندفعُ موستانغ مقتربةً منّي، وهي تمرُّ غامزةً بمرح.

- «خطابٌ جميل». أتمتم.

- خطّة رائعة.

تضغط على يديّ، ثمّ تذهب.

- «عدتما للتحالف مرّة أخرى». يلحظ أوغوستوس. يشير لي كي أُغلِق الباب. أجلسُ بالقرب منه. تزداد الخطوط القاسية على وجهه عُمقاً بينما يُحدِّق في عيوني. الخطوط غير مرئيّة مِن بعيد، لكن مِن هذه المسافة القريبة، تبدو أنّها هي فقط التي تصنعُ ملامحَ وجهه. الفقدان يمنحُ المرء خطوطاً مثل هذه، لتذكّرني بأنّه الرجُل الذي عليكَ ألّا تُثيرَ غضبه، والذي لا تريدُ أن تكون مديناً له.

- «دعنا نوفِّر على أنفسنا الاستياء المحقّ قبل أن يجدَ مكاناً على لسانِك». يضمُّ رؤوس أصابعه إلى بعضها، مُتفحِّصاً البشرة المشذَّبة: «السؤال بسيط، وستجيبُ عنه: هل أنت ديمقراطي؟».

لم أكن أتوقَّعُ هذا. أحاول ألّا أنظرَ مِن حولي بتوتّر.

- لا يا مولاي، أنا لستُ ديمقراطيّاً.

- لستَ إصلاحيّاً؟ لستَ شخصاً يريدُ تعديلَ ميثاقنا لخلقِ مجتمعٍ أكثر عدلاً، أكثر كرامة؟

- «البشر باتوا منظّمين على نحوٍ صحيحٍ الآن». أقول متوقّفاً: «عدا بعض الاستثناءات الملحوظة».

- بليني؟

- بليني.

- كلٌّ منكما لديه مواهبه. وسيكون مِن الجيّد إن لم تشكّك بقراري بإبقائه قريباً.

- أجل يا مولاي، لكنّني ديمقراطي بقدر كونكَ مِن آل لونا.

لم يبتسم كما كنتُ أودّ. بدلاً مِن ذلك، يضغطُ على زرٍّ ليُشغِّل عبر مكبّرات الصوت الخطاب الذي استخدمته للاستيلاء على باكس. مُكعَّب عَرضٍ مُجسَّم يُظهِر وجوهاً بألوانٍ مختلفة.

- «راقب تعابير وجوههم». يراقب تعابيري بينما يتنقّل خلال سلسلةٍ مِن مقاطع الفيديو لأجزاءٍ مختلفة مِن السفينة بينما يستمعُ الطاقم إلى الخطاب الذي ألقيته قبل أن ينتفضوا ضدّ قادتهم الذهبيّين: «هل رأيت ذلك؟ ذلك هناك، الشرارة، هل رأيتها؟».

- رأيتُها.

- «هذا هو الأمل». الرجُل الذي قتلَ زوجتي ينتظر مِن وجهي أن يفضحني. حظّاً سعيداً مع ذلك: «الأمل».

- «هل تقول إنّني ارتكبتُ خطأً؟». أسأل.

يسترجع كلمات قديمة: «لا يستوي مع كرهي لبوّابات هاديس(*) إلّا رجُل يخفي شيئاً في قلبه، ويتحدّثُ بشيءٍ آخر».

---

(*) في الأساطير الرومانية هي بوابات إلى العالم السفلي. (المترجم).

- لطالما كان قلبي مَكشوفاً.

- «هذا قولك». شفتاه تتباعدان قليلاً، لتخرج الكلمات أشبه بالهسهسة: «لكن مع نشرِ الإرهابيّين للأكاذيب عبر الشبكة، ومع تدمير التفجيرات لمدننا، ومع تذمُّر بني الألوان الدُنيا بسخط، ومع بدء الحرب على الرّغم مِن وجود نملٍ أبيضَ في أساساتنا، تقولُ أنتَ هذا؟».

- إنَّ أيَّ فوضى هي—.

- «أغلق فمك! هل تعرف ماذا يُمكِن أن يحدث لو اعتقد الحُكّام الآخرون بأنّنا إصلاحيّون؟ إن نظرَت بقيّة العائلات إلى عائلتي كمَعقِلٍ للمساواة والديمقراطيّة؟». يشير إلى زجاجة: «حُلفاؤنا المحتملون». يدفع الزجاجة عن الطاولة، ممّا يجعلها تتحطّم. يشيرُ إلى أخرى: «حيواتُنا». تسقط هي أيضاً وتتحطّم: «يكفي أنّ ابنتي كانَت قد كسبَت تعاطف الكُتلة الإصلاحيّة في لونا. لا يمكنُكَ أن تظهرَ بمَظهرِ السياسي. ابقَ مُحارباً. ابقَ بسيطاً. هل تفهم؟».

ماذا لو انضمّ بنو الألوان الدُنيا إلينا؟ أريدُ أن أسأل، لكنّه سيجعلُ سبجيّيه يقتلونني حيث أقف.

- أفهم.

- «جيّد». ينظر أوغسطس إلى يديه، وهو يلعبُ بالخاتم هناك. يبدأ التَّردُّد بالتسلُّلِ إلى وجهه: «هل يمكنني الوثوق بك؟».

- بأي طريقة؟

تنفجر ضحكة ساخرة مِن فمه: «معظمهُم سيقولون نعم مِن دون تفكير».

- مُعظَم الرجال كاذبون.

- «هل يمكنني الوثوق بك بسُلطة مُستقلَّة عن سُلطتي؟». يحكُّ ذقنه بفتور: «هذا هو الوقت الذي يغادرُ فيه الكثيرون لورداتهم. إنّه عندما يملأ الجوع عيونهُم. تعلَّم الرومان هذا مراراً وتكراراً؛ لهذا السبب لم يسمحوا للجنرالات بعبور الروبيكون مع جيوشهم من دون إذن مِن مجلس الشيوخ. الرجال الذين لديهم جيوش يبدؤون بسرعة إدراك مدى قوّتهم، وهُم دائماً يعرفون أنّ قوّتهم الخاصّة ليست إلى الأبد. يجبُ استخدامُها بسرعة، قبل أن يتركهُم جيشهُم. لكنّ القرارات المتسرِّعة بوسعها تدميرُ إمبراطوريّات. ابني -على سبيل المثال- يجبُ ألّا يُسمَح له بمثل هذه السُّلطة».

- لديه أعمالُه.

- تلكَ سُلطةٌ بطيئةٌ، قام بها بذكاءٍ مِن جانبه، لكنّها لا تليقُ باسمي. السُّلطة البطيئة يُمكِن أن تَطحَن أيّ عدوٍّ راكد، لكنّ السُّلطة السريعة، التي يُمكن أن تسيرَ حيثما تذهب، تفعلُ ما تريد بفعاليّة مِثل مِطرقةٍ تضربُ مسماراً، هذه هي السُّلطة التي تقطعُ الرؤوس وتسرقُ التيجان. هل يمكنني الوثوق بكَ وهي مَعك؟

- يجبُ أن تثقَ بي. أنا الرجُلُ الوحيدُ الذي يمكنهُ الذهابُ إلى لورن.

يلمعُ تعجُّبٌ في عينيه؛ إنّهُ غيرُ مُعتادٍ على أن تُخمَّنَ خُططه. يَدفِن تعجُّبَه بسرعة، غير راغبٍ في مَنحِ الفَضلِ لصاحبه: «كنتَ تعرفُ أصلاً».

- تريدني أن أقتربَ مِن لورن، وأطلبَ مُساعدَته، لأنّه علَّمَني استخدام الشفرة.

- وأيضاً لأنهُ يُحبُّكَ.

رمشت بصمت: «لستُ متأكّداً أنّ هذه هي الكلمة المناسبة».

- كان لديه أربعة أبناء. ثلاثة ماتوا أمام عينيه. الابن الأخير والد

ليسندر، مات في حادث، كما تعرف. أعتقدُ أنّكَ تُذكِّرهُ بهم، على الرّغم مِن أنّكَ أكثرُ قدرةً، وأقلّ أخلاقيّة، وهو ما يصبُّ في مصلحتكَ. لكنْ بقدر ما يُحبُّك، فإنّ لورن يكرهُني.

– يكرهُ أوكتافيا أكثر يا مولاي.

– ومع ذلك، لن يكونَ مِن السهل إقناعهُ بالانضمامِ إلينا.

– إذن، لن أُعطيه خياراً.

# 27

# حلوى الهُلام

آل تليمانوس ينتظرونني في القاعة. كافاكس يأخذني في عناقٍ يَكسِر ظهري. داكسو يهزُّ برأسه. ينتابني شعورٌ مِن الدهشة وأنا بينهما. هذه هي المرّة الأولى التي أتحدَّثُ فيها مع أيّ منهما من دون أن يكون هنالك عنفٌ على وشك الحدوث. بصراحة، كنتُ أتجنّبهُم لخجلي ممّا سمحتُ بحدوثه لباكس.

- «ولدي لم يُهزم إلّا على يديكَ فقط». يقول كافاكس: «باكس الصغير. إذا كان عليه أن يركع، فلا عار في أن يكون ذلك قد حدثَ بدافع الصداقة. تمنّيتُ فقط لو أنّه استطاع السيطرة على الأوليمبوس معك. كان ذلك ليكون مشهداً رائعاً».

- كنتُ أحبّ أن أراه وهو يأخذ درع المشرف جوبيتر.

يبتسم داكسو ابتسامةً عريضة: «أنا نفسي كنتُ مِن عصبة جوبيتر. كنتُ العريف إلى أن هزمني كارنوس بيلونا الذهبيّ».

- إذن أعتقد أنّ لدينا عدوّاً مشتركاً.

- «إضافةً إلى الوغد اللقيط الصغير الماكر الذي قتلَ أخي الصغير؟».

يسأل داكسو بهدوء: «لدينا العديد مِن الأعداء المشتركين يا أندروميدوس».

يرفع كافاكس ثعلبه إلى حضنه، فيلعقُ عنقه ويُحدِّق بي بشراسةٍ قبل أن يُقحِم نفسه في لحيته الحمراء الكثيفة. لديه صدرٌ أبيض، وأرجُلٌ سوداء، وفراءٌ بلون الصدأ الداكن يغطّي بقيّة جسده. إنّه أثخن وأصلب مِن الثعلب العادي، ويزن قرابة خمسة وثلاثين كيلوجراماً، وبالفعل حجمه أكبر وأقرب إلى الذئب.

- «الثعالب مخلوقاتٌ جميلة». يقول كافاكس، وهو يداعب الحيوان.

يومئ داكسو: «إنّها ماكرة، وقارتة، ومقاومة للصيد الجائر، وأحاديّة الزوج، ومميزة للغاية، وقادرة على توسيع نطاق صيدها حتّى في أراضي الذئاب». يرفعُ نظره إليَّ مُتجهّماً: «لكن بسبب غرابة الطبيعة المتبّبة، فإنّ الثعالب ضعيفة الأداء أمام الشّغابر. طلبنا مِن أوغوستوس نَفي أدريوس. لكنّه نُفي لمدّةٍ مِن الزمن، ثمّ عاد الآن إلى الأسطول».

- «إنّها جريمة». أقول.

يهزّان رأسيهما.

يضع داكسو يده على كتفي: «الفتيات—أقصد أخواتي ووالدتي—أردن مِنكَ أن تعرف أنّنا لا نُحمِّلكَ مسؤوليّة مقتل باكس. أحببنا ذلك الطفل الصغير، ونعلم أنّكَ كنتَ تقصدُ دائماً تكريمه. نعلم أنّكَ سمّيتَ سفينتكَ باسمه. ولن ننسى ذلك. مَن صادقنا مرّة كان صديقنا إلى الأبد؛ هذا هو أسلوب عائلتنا».

يهزُّ كافاكس رأسه مع كل كلمة يقولها ابنه المتبقّي. يلقي بحفنةٍ مِن حلوى الهُلام إلى ثعلبه.

- «إذن، إن احتجت إلينا». يقترحُ داكسو، وهو يشير إلى غرفة الحرب: «ما عليكَ سوى الطلب، وستدعمُ عائلة تيليمانوس قضيّتك».

- «هل تقصد ذلك فعلاً؟». أسأل.

- «كان ذلك ليُسعِد باكس». يجيبُ كافاكس الأكبر بصوتٍ عميق.

أمسكُ بيده وأجرِّبُ حظّي: «سامِحاني على سلوكي، لكنّني بحاجةٍ إليكما الآن».

ترتفعُ الحواجبُ العريضة بينما يتبادل العملاقان نظرات المفاجأة: «تفحَّصهُ يا سوفوكليس، تفحَّصهُ!». يقول كافاكس بحماس. ينزلق الثعلب الكبير على قدميه بحذر ليتفحّصني، يشمّ ركبتيّ، ويُحدِّق بحذائي ويدَي. ينسلُّ في بحثه مُتمايلاً بين ساقيّ، ثمّ ينقض عليّ، واضعاً أرجله الأماميّة على وركي، ويغرز أنفه في جيبي، ثمّ يظهرُ سوفوكليس مع قطعتين مِن حلوى الهلام، وهو يمضغهُما برضا.

- «سحر!». يهتف كافاكس، وهو يضربني على كتفي: «لقد اكتشف سوفوكليس علامة مبشّرة بالموافقة، عن طريق السحر. يا له من فألٍ حسن! داكسو، يا بنيّ، استدعِ أخواتِكَ ووالدتكَ. الحصّاد ينادي. عائلة تيليمانوس يجب أن تلبّي النداء».

- الفتيات في زيارة إلى نبتون يا أبتِ. سيغِبْنَ لبضعة أشهر.

- حسناً، إذن يجب علينا تلبية النداء.

- لا يمكنني أن أتّفق معك أكثر يا أبتِ.

- «ستكون لديَّ التعليمات خلال ساعة». أقول.

- «تَرقُّبٌ كبير!». يبتعد كافاكس بخطوات ثقيلة: «ننتظرها بشغفٍ

كبير». يصيحُ موزعاً المجاملات على البرتقاليّين المارّين، مُرعباً إيّاهم بابتسامته العريضة الدالّة على الموافقة. أنا وداكسو نراقب.

- «هل يؤمن فعلاً بالسحر؟». أسأل.

- «يقول بأنّ الأقزام تَسرِق شمع أذنه ليلاً. تعتقدُ أمّي أنّه تعرَّض للضرب على رأسه مرّات كثيرة». يتراجع داكسو إلى الخلف، ويتبع والده، لكنّه لا يستطيعُ إخفاء ابتسامته الذكيّة، وهو يدفعُ فجأةً قطعةً مِن حلوى الهُلام إلى فمه، لأدركَ مِن أين جاءت تلكَ التي في جيبي: «يمكنني القول إنّه فقط يعيشُ في عالمٍ أكثر تسليةً مِن الذي نعيشهُ نحن. اطلبنا قريباً أيّها الحصّاد. والدي مُتحمِّس».

بعد اجتماعٍ بوساطة العَرضِ المجسَّم مع الشَّغبر لإطلاعه على آخر مُستجدّات خُطَّتي وتعديلها بناءً على بعض توصياته، أطلبُ مِن أوريون أن تحدِّدَ المسار نحو القمر أوروبا. سيستغرق ذلك أسبوعين. ينضمُّ روكي إليّ على مِنصَّة القيادة، يراقبُ الطاقمَ الهزيل مِن الزُرق. إنّه لا يتحدّث، ومع ذلك، إنّها المرّة الأولى التي يبحثُ فيها عنّي منذ مغادرتنا لونا. إنّهُ عبءٌ مُلقى على عاتقي.

- «أنا آسف—». أبدأ.

- «لا أريد التحدّث عن كوين». يقول بهدوء: «أعلم أنّكَ أردتَ هذه الحرب. خطّطتَ لها بدلاً مِن أن تثقَ بي لأشتري عقدكَ وأحميك. ما لا أفهمهُ هو لماذا خذّرتني».

- أردتُ أن أحميك؛ لأنّني كنت أعلم أنّني سأحتاجُ إليكَ بعد الحفل، ولم أستطع المخاطرة بسلامتك.

- «وماذا عن احتياجاتي؟». يسأل: «ليس لديكَ الحقُّ في اتّخاذ قرارات بالنيابة عنّي لأنّكَ خائفٌ مِن أن تتعطّل خُططك. الأصدقاء لا يفعلون ذلك».

- «أنتَ مُحِق. كان ذلك خطأ منّي». أومئ برفق، وأنا أعني ذلك.

- أكان خطأ أن تطعنني بإبرة في رقبتي؟

- أكثر مِن خطأ، لكنْ عليكَ أن تعلم أنّ النيّة كانَت طيّبة، حتّى إن كانَت الفكرة والتنفيذ غبيّين مثلما حدث. إن كان عليَّ أن أجثو على ركبتي...

- «يا لها مِن صورة!». أعلم أنّهُ يمزح، لكنّ وجهه لا يضحك، أو يبتسم، بل يستدير ويمشي مبتعداً.

# 28

# أبناء العاصفة

- «لقد أتيتني على رأس عاصفة». يقول صديقي، ولحيته الرماديّة تتطاير مع الرياح، وهو ينظر إلى الأمواج بعيداً في الأسفل: «هل تعلم أنّ هنالك صِبيةً في هذا العالم المائي يأخذون الزوارق الصغيرة إلى عواصف أسوأ مِن هذه؟ فتيان مِن حثالة الرماديّين، والحُمر، وحتّى البُنيّين. شجاعتهُم هي مِن نوع العته والجنون». يشير مِن الشرفة بإصبعه الثقيل إلى المياه السوداء الهائجة، حيث ترتفع الأمواج حتّى عشرة أمتار في الهواء: «يسمّونهم أبناء العاصفة».

الجاذبيّة هنا مثيرة للجنون. كلُّ شيء يطفو. عند قوّة جاذبيّة تبلغ 0.136 مِن جاذبيّة الأرض، كلُّ خطوة أقوم بها يجب أن تكون محسوبةً ومُتحكَّماً بها، وإلّا سأرتفع خمسة عشر قدماً في الهواء وسأضطرّ إلى الانتظار حتّى أهبط ببطءٍ إلى الأسفل. سيكون القتال هنا مثل الباليه تحت الماء. أنتعلُ حذاءً ثقالياً فقط كي أتحرّك براحة.

الرجُل العجوز يراقب العالمَ المائي يتحرّك حول جزيرته. إنّه كما كان يطلب منّي دائماً أن أكون—حجرٌ وسط الأمواج؛ مبلّل، لكنّه غير متأثّر

بكل تلكَ الدوامات التي مِن حوله. رذاذ الماء المالح يتساقط مِن لحيته. عيونه الذهبيّة البرّاقة تلمع في وجه الرياح القاسية للعاصفة.

– عندما تكون في الملح، تشعر أنّ كل عاصفة هي نهاية العالم، وكلّ موجة هي أعظم ما شَهِدت. هؤلاء الفتيان يركبون العواصف في نشوةٍ لمجدهم الشخصي. ولكنْ مِن حينٍ لآخر تظهر عاصفةٌ حقيقيّة، تحطِّم صواريهم وتنتزع الشعر مِن رؤوسهم. لا يصمدون طويلاً قبل أن يبتلعهُم البحر بالكامل. ولكنّ أمّهاتهم كنَّ قد بكين على موتهِم منذ زمنٍ بعيد، كما بكيتُ على موتكَ يوم التقينا لأوّل مرّة.

ينظر إليّ بعمق، فمه مزموم خلف لحيته الكثيفة.

– لم أخبرك بذلك قطّ، لكنّني لم أنشأ في قصرٍ، أو مدينةٍ مثل كثيرٍ مِن الفريدين ذوي الندبة الذين تعرفهُم. كان والدي يعتقدُ أنّ هناك شرَّين في العالم: التكنولوجيا والثقافة. كان رجُلاً قويّاً، قاتلاً، مثل الآخرين، لكنّ قوَّتهُ لم تكن في ما كان قادراً على فعلِه، بل في ما لم يكُن يفعلُه، في قدرته على ضبط نفسه، في الملذّات التي حرَّمها على نفسه وعلى أبنائه. عاش حتّى مئة وثلاثة وستّين عاماً من دون الاستعانة بتجديد الخلايا. بطريقةٍ ما، نجا مِن ثمانية أمطار حديديّة. ومع ذلك لم يكن يُقدِّر الحياة، لكثرة سلبِه لها. لم يكن رجُلاً مُهيّأً ليهنأ بالسعادة.

أراقب فارس الغضب السابق، لورن أركوس الذهبيّ، وهو ينحني فوق شرفة قلعته. إنّها حصنٌ مِن الحجر الجيري يقع وسط بحرٍ عمقه تسعون كيلومتراً. الخطوط الحديثة تميّز المكان. إنّه ليس مكاناً مِن العصور الوسطى، بل مزيجٌ مِن الماضي والحاضر—الزجاج والفولاذ يصنعان زوايا حادّة مع الجزيرة الصخرية—تماماً مثل الرجُل الذي أحتَرمهُ أكثر مِن جميع الذهبيّين من جيله.

هذه القلعة مثله، مكانٌ قاسٍ عندما تأتي العواصف، ولكنْ عندما تتلاشى، ستغمر الشمسُ هذا المكان، مُشرقةً مِن خلال جدرانها الزجاجيّة، وتلمعُ على دعاماتها الفولاذيّة. الأطفال سيركضون في أنحاء كيلومتراتها العشرة، عبر حدائقها، على طول جدرانها، وصولاً إلى الميناء. الرياح ستحرّك شعرهم، وكل ما سيسمعه لورن مِن مكتبته هو صراخ النوارس، وتحطّم الأمواج، وضحك أحفاده وأمّهاتِهم، الذين يحرسهم بدلاً مِن أبنائه الموتى. الوحيد الغائب هو ليساندير الصغير.

لو كان كلُّ الذهبيّين مثله، لكان الحُمر لا يزالون يكدحون تحت الأرض، لكنّه كان سيجعلهُم يعرفون ما الغاية مِنهُم. هذا لا يجعلهُ طيّباً، لكنّه يجعله صادقاً.

إنّه قويُّ البنية، عريض المنكبين، وأقصر منّي. يتركُ كأس الويسكي الفارغ يذهب ويسمحُ للريح أن تزيحه جانباً. يسقط فيبتلعه البحر بأكمله. «يقولون إنّه بإمكانكَ سماع أبناء العاصفة الموتى يصرخون في الريح». يتمتم: «أظنّ أنّه بكاء أمّهاتهم».

– «عواصف البلاط لديها طريقة في سحب الناس وإعادتهم إلى الداخل». أقول.

يضحك ضحكةً ساخرةً، تبدو وكأنّها تسخر مِن فكرة أنّني قد أعرف شيئاً عن عواصف البلاط، أو عن الرياح التي تهبّ.

جئت إليه سرّاً، طرت بسفينةٍ واحدة، مُدمِّرتي الخاصّة ذات الخمسة كيلومترات، باكس. أخبرتُ سيّدي أنّه لن يساعدنا، لكنّني تمسَّكتُ بالأمل في أنّه سيرغب في مساعدتي. لكن الآن بعد أن رأيتُ لورن أركوس الذهبيّ مرّة أخرى بجسده مشدود البنية، أتذكّر طبيعة الرجُل وأقلق. إنّه يعرف أنّ

قادتي ومساعِديَّ يستمعون عبر وحدة الاتّصال في أذني. أبدي له الاحترام وأُظهِر له ذلك حتّى لا يفترض أنّ محادثتنا خاصّة.

– «بعد عيشي لأكثر مِن قرن، جسدي لم يخُنّي بعد». يمكن للمرء أن يظنّه في منتصف الستينيّات مِن النظرة الأولى. ندوبه فقط هي التي تظهر عمره الحقيقي. الندبة التي على رقبته، مثل ابتسامة، حصل عليها قبل أربعة عقود على يد مَوسومٍ في أثناء تمرُّد ملوك القمر، عندما فكّر حُكّام أقمار المشتري بإنشاء ممالكهم الخاصّة بعد أن خلعَت أوكتافيا والدها عن عرشه كحاكِمٍ مُعظَّم. وتلك الندبة التي أخذَت جزءاً مِن أنفه جاءت مِن سيّد الرماد، عندما تبارزا أيّام الشباب: «هل سمعتَ بمقولة: (واجبُ الابن هو مجدُ الأب)؟».

– قلتُها بنفسي.

يهمهم: «لقد عشتها. فقدت الكثير مِن أجل مجدي الخاص. أرسلتُ سفينتي إلى العاصفة عن قصد، في كلّ مرة، حتّى مع النساء والأطفال». يترك الأمواج تتحدّث للحظة. تتلاطم على الصخور، ثمّ تنسحب إلى الوراء، مُلتهمةً كل ما في طريقها لتسحبهُ إلى البحر الذي يسمّونه ديسكورديا.

– «ليسَ مِن الصواب أن تعيش طويلاً، أعتقد. الليلة الماضية ولدَت حفيدة حفيدتي. ما زلتُ أشمُّ رائحة الدم على أصابعي». يمدُّها—مثل جذور الأشجار، ملتوية ومُتصلِّبة مِن حمل الأسلحة. ترتعشُ قليلاً: «هذه الأصابع أخرجتُها مِن الظّلمة إلى النّور، مِن الدّفء إلى البرد، وقطعت الحبل بنفسها. سيكون عالماً جميلاً لو كان هذا آخر لحم تقطعه».

يرخي يديه ويضعهما على الحجر البارد. أتساءلُ ما الذي كانت

موستانغ ستقولُه لهذا الرجُل. رؤيتهما وجهاً لوجه ستكون مثل مشاهدة النار وهي تحاول أن تشتعل على الحجر. لقد رفضَت خطّتي علناً، لكنْ مجدّداً كان ذلك كله متعمّداً مِن طرفنا. خططٌ ضمن خططٍ ضمن خطط.

– «فلنفكّر بما تشعر به الأيدي». يتمتم لورن: «هاتان شَعرَتا بدماء حياة أبنائي في أثناء ضخّ قلوبهِم لها خارج أجسادهِم. شعرَتا ببرودة مقبض الشفرة في أثناء سرقتها لأحلام الشباب. اكتسَتا بحبّ فتاة وامرأة، ثمّ شعرَتا بنبضاتهما وهي تخبو إلى أن تصمت؛ كلُّ ذلك مِن أجل مَجدي. كلُّ ذلك لأنّني اخترتُ ركوب البحر. كلُّ ذلك لأنّني لا أموتُ بسهولة مثل الآخرين». يعبس: «أعتقدُ بأنّ الأيدي لم يرد لها أن تشعر بكلِّ هذا».

– «لقد شعَرت يداي بما هو أكثر ممّا أرغبُ به». أقول. أشعرُ بالفرقعة تعبرُ مِن خلالهما مثلما شعرتُ عند شَنقِ إيو. نسيجُ شَعرِها. أذكرُ دفء دم باكس. برودة وجه ليا الشاحب في الصباح البارد بعد أن ذبحتها أنطونيا. البقعُ الحُبَيبيّة الحمراء لبراعم زهرة الهايمانتوس. وِركُ موستانغ العاري بينما كنّا مُستلقين بجوار النار.

– إنّكَ لا تزالُ شابّاً. عندما تصبح ذا شعرٍ أبيض، ستشعر بما هو أكثر.

– «بعض الرّجال لا يشيخون». لا يفعلُ ذلك أي غطّاس جحيم.

– «لا. بعضهم لا». ينكز شارة أسد أوغوستوس التي على بزّتي الداكنة: «والأسود لا تعيش طويلاً مثل مخلوقات الغِرفين. نستطيع أن نطير بعيداً عن الأشياء، كما ترى». يلوح بخاتم عائلته ويرفرف بذراعيه بتفاهة، ممّا يرسم ابتسامةً على وجهي. يرتديه مع خاتم عُصبة مارس: «كنتَ حصاناً مجنّحاً ذات مرّة، أليس كذلك؟».

– «كان رمزَ... إنّه رمز عائلة أندروميدوس». عائلتي الذهبيّة المزيّفة.

لكنّ الرمز يذكّرني بإيو. لقد أشارت لي نحو مجرّة أندروميدا قبل أن تموت. يعني لي الكثير والقليل في آنٍ واحد.

– «هناك شرفٌ في البقاء على ما كنتَ عليه». يقول.

– في بعض الأحيان علينا أن نتغيّر. لم نوُلد جميعنا أغنياء مثلك.

– «دعنا نذهب للبحث عن إيكاروس في الغابة». كان يذكُره كثيراً على المرّيخ، لكنّني لم أرَ قطّ حيوان لورن الأليف المفضَّل: «كارولينا تآمرت مع فينسنت لتصنعَ لهُ لعبةً جديدة. أعتقد أنّكَ ستقدِّر ذلك».

– أين أطفالك؟ أودّ رؤيتهم مجدّداً.

– في الجناح الشرقي إلى أن تغادر.

– هل أنا خطرٌ إلى هذه الدرجة؟

لا يجيب.

أتبع صديقي مغادراً الشرفة في اللّحظة التي تقذف فيها إحدى سحب أوروبا برقاً أزرق عبر السماء المظلمة. محيطاتها تعلو وتنخفض بينما أمواج ضخمة مِن المياه تسيل وتنزلق على طول الجدران البيضاء، كما لو أنّ عالم المحيطات يتآمر لابتلاع الجزيرة المصنوعة بوساطة الإنسان. على الرّغم مِن كل هذا، تبقى القلعة والعاصفة العنيفة صغيرتين جدّاً مقارنةً بما أراه مِن التهام المشتري لسماء اللّيل خلف السحب—عملاقٌ غازيٌّ ذو سطحٍ خشنٍ ينظر نحونا إلى الأسفل مثل رأس إلهٍ كبيرٍ مِن الرّخام.

بينما نسير عبر الفيلّا الحجريّة، يرحّب لورن بسعادةٍ بكل خادمٍ نمرّ به. إنّه يرى أناساً، لا ألواناً. معظمهُم معه منذ سنوات. كان ينبغي لي أن أدرس معه، لكن عندها كان لينتهي بي المطاف هنا، كرجُلٍ أفضل، لكنْ لا يستطيع تغيير أيّ شيءٍ على بعد عدّة شهور مِن المنطقة المركزيّة.

ألعاب الأطفال تملأ الممرّات. عائلته هنا—عشرات مِن الأحبّة الذين جمعهُم معاً بعد مغادرته الحياة العامّة. معظمهُم يعيشون منتشرين في الأرخبيلات الجنوبيّة في المياه الأكثر دفئاً بالقرب مِن خط الاستواء. أجبرتهُم الأعاصير على النزوح شمالاً هذا الشهر للّجوء مع الجدِّ لورن. يبدو أنّ العاصفة قد تبعتهم.

يدفعُ باباً زجاجيّاً كبيراً، ويقودني إلى مركز قلعته. هنا، يحتفظ بغابةٍ، على مساحة عدّة أفدنة، ومفتوحة للهواء. تمتدّ الجدران حول الغابة، مشكّلةً مساحةً مغلقةً تحميها من تأثير الأمواج العنيفة. ترفرف رايات لورن عالياً في الهواء—غِرفين أرجوانيّ يزأر في حقلٍ مِن الثلج الأبيض. تتساقط الأمطار على الأشجار، مطلقةً صوت هسيسٍ لدى ملامستها أوراقها الإبريّة إلى أن فعّلَ الفقاعة النبضيّة، ثمّ ينشُّ المطر على سطحها ويعود إلى الأعلى على شكل سُحبٍ كثيفةٍ مِن البخار. يمشي أمامي، وأنا أتلكّأ، آخذاً مسامير سوداء صغيرة لا تتجاوز طول أظافري مِن جرابٍ مخفيٍّ في كُمّي. أنثرها في الطحالب خارج الباب.

– «جئتَ إليَّ في سفينةٍ حربيّةٍ مسروقةٍ طالباً سُفني ورجالي. لماذا؟». يسأل لورن، وهو ينظر إليَّ بفضول. أُسرِع في خطواتي، وألقي ببعض المسامير الإضافيّة عندما يلتفت مرّة أخرى. أنتظرُ أن يذكُر ليساندير.

– لأنّ نصفَ المرّيخ لا يزال تحتَ سيطرة قوى موالية لآل بيلونا والحاكِمة المعظَّمة. لتحرير المرّيخ منهُم، نحتاج إلى سُفنكَ ورجالك. بمجرّد أن نحصل عليهم، سيأتي لوردات القمر والحُكّام العامّون للمنطقة الهامشيّة لمساعدتنا ضدّ المنطقة المركزيّة.

– إذن تحتاج إليَّ لأساعدكَ في خيانتك؟

– «هل تُعدّ خيانةً مِن قبل الكلب أن يعضَّ يدَ سيِّده عندما يحاولُ السَّيدُ قَتلَه؟». أسأل.

– «تشبيهٌ فظيع». يتوقّف، ينظر مِن حوله نحو الغابة باحثاً: «آه». نتابع التحرّك مرّة أخرى.

– كل ما في الأمر هو أنّي أحتاج إلى مساعدتك.

يبصق على الأرض المغطّاة بالطحالب ويشير لي كي أتبعه إلى أعلى سفح التلّة. يسحق حذائي جذعاً مشبعاً بالماء: «لمَ عليَّ أن أكترث لك؟».

– لأنّكَ درّبتني.

– لقد درّبتُ أيضاً أجا غريموس الذهبيّة.

– لسببٍ ما، أعتقدُ أنّكَ تحبّني أكثر منها.

– ولماذا أفعل ذلك؟

– لديَّ حِسُّ الفكاهة.

يضحك: «يمكن لأجا أن تكون مُضحكة».

– بالطبع أنتَ تمزح.

– «عندما يلتقي المرء برجُل، فإنّه يتعرَّفُ عليه؛ أمّا عندما يلتقي بامرأة، فهي مَن تعرفُه». يضحك في نفسه بخصوص بعض الذكريات: «قد يكون مِن الأسهل التفكيرُ فيها كشكلٍ مِن أشكال الرُعبِ اللّيلي، لكنّها مِن لحمٍ ودم. لديها أصدقاء. لديها عائلة. وتعتقدُ أنّكَ تهديدٌ لهم».

– ومع أنّها هي مَن قتلت صديقتي.

– «نعم. سمعتُ بذلك. لقد أخذتَ الطفل. حيلة ذكيّة». يُحدِّق في الشفرة الملتفَّة حول ذراعي: «هل يحملُ الجميع الآن شفراتهِم مثل الحمقى؟».

مكتبة
t.me/soramnqraa

- إنّها الموضة.

- «يجب أن تكون مَلفوفة عند الورك، وإلّا ستقطعُ ذراعكَ بالخطأ هكذا». يتنهّد: «جيلُكَ... مُتغطرسٌ جدّاً. يغيّر الأمور بدون سبب. أتساءل، أيّها الفتى المتغطرس: هل ظننتَ أنّ قدومكَ إلى هنا بسفينتكَ المسروقة سيجعلني أنا، الرجُل العتيق، أتبعكَ إلى المعركة؟ وأنّني سأعرِّضُ للخطر كلّ خدمي، وعائلتي، وكل ما أحبّ، مِن أجلك؟ مِن أجل شخصٍ رفضني عندما طلبتُ منه الانضمام إلى عائلتي؟».

أتجاهل مرارته: «لقد تركتَ الجمعيّة لسببٍ يا لورن. هل يمكنك أن تتذكّر لماذا؟».

- لتجنّب الحمقى الصاخبين.

- أظنُّ أنّكَ تركتها لأنّكَ كنتَ تعتقدُ أنّ الجمعيّة مريضة؛ لأنّها لم تكن تستحقُّ التضحية.

- توقّف عن النباح عليَّ أيّها الجرو!

- إذن أنا مُحِقّ.

«كلّا، لستَ مُحِقّاً». يستديرُ غاضباً: «تركتُ الجمعيّة، ليس لأنّها مريضة، ولكنْ لأنّها ميّتة. أُنشئتِ الجمعيّة لترسيخ النظام، وأُوجِد البشر مع فكرة أنّ عليهم التضحية كي تستمرّ البشريّة. فمنحوا ألواناً، وحياةً محدودةً ومُنظَّمةً كي نتمكّن مِن تدمير الدورة الأزليّة لعرقنا—مِن الازدهار إلى الطَّمع، ثمّ الحرب. كان الهدفُ مِن الذهبيّين رعاية الألوان الأخرى وليس افتراسها. الآن نحن محاصرون مرّة أخرى في تلكَ الدورة، وهو الشيء الذي كنّا نحاول جاهدين تجنّبه. إذن الجمعيّة؟ المحصِّلة الجميلة

لكل المساعي البشريّة؟ ماتت وتعفّنت منذ مئات السنين، والذين يتقاتلون عليها ليسوا سوى نسور ونَغَف(*)».

- «إذن لم تكن وفاة بروتوس هي السبب». أتحدّث عن ابنه الأصغر الذي كان متزوّجاً مَن الابنة المتوفّاة لأوكتافيا لونا الذهبيّة.

- كان الأمر حادثاً.

- «حادثاً ملائماً». أقول: «هنالكَ شائعات بأنّ ابنة أوكتافيا كانَت تُنظِّم انقلاباً ضدَّ والدَتِها».

- «أنا لا أتداول الشائعات». يقول متجهّماً.

- إذا ساعدتني، يمكنني أن أعيدَ لكَ حفيدك.

- لقد نشأ ليساندير منذ زمنٍ طويلٍ مع سُمٍّ في أذنه حتّى أصبح الآن في دمه. إنّه ليس مِن نسلي.

- أنتَ لستَ بهذه القسوة. لورن، لقد قابلتُ الفتى. إنّه يشبهكَ أكثر منها. إنّه ليسَ شرّيراً. حارِب مِن أجله.

ينظر لورن بهدوء إلى المطر المتساقط على الواقي النبضي.

- «أنت تحارب طاغيةً ليحلَّ مَحلَّهُ طاغيةٌ آخر». يقولها بضجر: «هذه اللّعبة نفسها التي سبقَ أن رأيتها مئات المرّات. هل تعرفُ حتّى من تخدم؟».

- لديَّ شعورٌ بأنّكَ على وشكِ أن تخبرني.

- «لن أتوقّف عن كوني معلّمكَ فقط لأنّكَ توقّفتَ عن الاستماع. اجلس. لا أريد إزعاج إيكاروس بهذه القصّة المتبّبة». يجلس على حجرٍ

---

(*) نوع من اليرقات التي تتغذى على الجثث. (المترجم).

كبيرٍ ويشير لي بالجلوس مقابله. أجلس. ينحني إلى الأمام ويأخذ باللّعب بخاتم عصبة مارس السميك على إصبعه.

- «آل أوغوستوس كانوا دائماً أقوياء، أنا متأكّد من أنّكَ تعرفُ ذلك. حتّى عندما كان المرّيخ ليسَ أكثر مِن مجرّد منجمٍ للهليوم-3. بالرشوة، أو بالقتل، شقّوا طريقهم للحصول على معظم العقود الحكوميّة. ومع تضخّم جيوبهم، ازداد نفوذهم. أصبحوا، مع العديد مِن العائلات الأخرى—بما في ذلك عائلة بيلونا وعائلتي—أسياداً للمرّيخ. ولكن كانت هنالك عائلة واحدة أقوى منهُم، وهي عائلة سيلوس. لقد سيطرَت على منصب الحاكِم العام وكانت المفضّلة مِن قبل مجلس الشيوخ والحاكِم المعظّم حينها.

عندما كان سيِّدكَ، الذي كان يسمّى حينها نيرو بكل بساطة، في السابعة من عمره، وجدَ والده نفسه في نزاعٍ مع يوليوس بيلونا الذهبيّ، جَدِّ كاسيوس. حاول والد نيرو أن يجعل الخدم البنيّين الذين كانوا يخدمون آل بيلونا يسمّمون العائلة بأكملها في أثناء العشاء، لكنّ الخطّة أخفقت، واندلعت حربٌ بين العائلات.

استدعى والدُ نيرو حاملي رايته وقادهم ضدّ آل بيلونا والحاكِم العام سيلوس، الذي أعلن انضمام قوّاته إلى يوليوس بيلونا الذهبيّ. لم يتدخّل الحاكِم المعظَّم حينها، بدلاً مِن ذلك سمح للعائلتين بالذهاب إلى الحرب. في نهاية الأمر، وَجدَ والد نيرو نفسهُ مُحاصراً في أجيا عندها دُمِّر أسطوله وأُسِر بالقرب مِن فوبوس.

حَكمَ سيلوس بالإعدام على آل أوغوستوس، وعفا فقط عن نيرو الشاب. سُمِح له بالعيش حتّى لا تختفي مِن التاريخ عائلة قديمة شاركت في الغزو. يُقال بأنّ الحاكِم العام سيلوس قد أعطى حتى نيرو الشاب

عِنَباً ليطفئ ظمأه لأنّه لم يكن هنالكَ ماء عندما كانت المدينة تحترق مِن حولهم، بعد ذلك، ربّاه في بلاطه.

بعد عشرين عاماً، نيرو، الذي كان يُعدّ دائماً رجُلاً شريفاً ونزيهاً، على عكس والده الشرّير، طلبَ يد إيونا ذهبيّة بيلونا للزواج. كانت أصغر بنات يوليوس العجوز وأحبّهنّ إلى قلبه».

ينظر إلى قطرات الماء المتساقطة مِن إبر الأشجار دائمة الخضرة المتدلّية: «لقد عَرفتُها جيّداً. أبنائي كانوا يلعبون معها. وعَرفتُ نيرو أيضاً. أحببته، حتّى وإن كان بارداً قليلاً كطفل.

مع آمالٍ بتضميد جراح الأجيال السابقة وجعل المرّيخ قويّاً وموحّداً، وافق الحاكِم العام سيلوس. تزوّجَت فتاةٌ مِن آل بيلونا بفتى مِن آل أوغوستوس.

كان حفلَ زفافٍ جميلاً. حضرتُ ممثّلاً عن الحاكِم المعظَّم بصفتي فارسَ الغضب. وقضيتُ وقتاً رائعاً. لم أرَ إيونا قطّ بهذه السعادة مثلما كانت في أحضان ذلك الشاب الحازم. ولكن في تلكَ اللّيلة، عندما عادَت عائلة بيلونا إلى عزبتِها مع بقيّة أفراد العائلة، وَصلهُم طرد، في داخله وجدَ يوليوس العجوز رأسَ ابنته مع عنبٍ محشوٍّ في فم إيونا، وإلى جانبه خاتمَيّ زفاف.

استدعى بناته وأبناءه، بما في ذلك والد كاسيوس، وطار إلى القلعة ليطلبَ العدالة مِن الحاكِم العام سيلوس، كما فعل قبلَ عشرين عاماً عندما انتفضت عائلة أوغوستوس لأوّل مرّة.

لكن بدلًا مِن صديقه القديم، وجدَ الشابَ نيرو وقد اعتلى عرشَ الحاكِم العام، مدعوماً بالحرس البريتوري وفارسَين أولمبيّين. كنتُ

واحداً منهُم، بعد أن قيل لي مِن قبل حاكمي المعظَّم إنّ سيلوس كان يُشكِّل تهديداً على الجمعيّة. فعلتُ ما أمِرتُ به. أُبيدَ آل سيلوس بأكملهِم وشُطبوا مِن السجلّات.

اكتشفتُ لاحقاً أنّ نيرو دبَّر اتّفاقاً مع ابنة الحاكِم المعظَّم حينها، والتي تعرفها الآن باسم أوكتافيا لونا الذهبيّة. كانت شابّةً حينها، أقنعَت والدها بأن يمنحَ نيرو عرشَ المرّيخ ويسمح له بالانتقام؛ وفي المقابل، حصلَت هي على دعم نيرو عندما قادَت الفصيل الذي أطاحَ بوالدها وقتَلهُ بعد خمس سنوات. هذا هو الرجُل الذي بدأتَ حرباً مِن أجله».

- «لم أكن أعرفُ هذا». أقول بهدوء.

- التاريخ يكتبهُ المنتصرون.

ينظر لورن إليّ، وتجاعيد وجهه يبدو أنّها ازدادت عمقاً: «لا أريد أن أخوض حرباً يا دارو. في زماني، رأيت قمراً يحترق لأنّ رجُلاً واحداً لم ينحنِ. قدتُ مليون محاربٍ أُطلقوا مِن سفن حربيّة لغزو كوكب. لا يمكنكَ أن تُدركَ مدى رُعبِ ذلك. أنتَ تفكّر فقط في مدى جماله، لكنّهم رجال، إنهنّ نساء، لديهم عائلات، ويموتون بالآلاف، وستكون عاجزاً عن حماية حتّى أفضل أصدقائك.

- «آه!». يشير إلى أعلى التلّة: «ها هو إيكاروس».

تتساقطُ قطرات المطر مِن الصنوبر بينما نندفع مِن خلال الأغصان السفليّة للشجرة لنجد إيكاروس، غِرفين لورن وحيوانه الأليف، نائماً في فراشٍ مِن الطحالب على شنخة(*) مرتفعة داخل الغابة الصغيرة. مخالب

(*) كتلة مرتفعة من الأرض تنحدر على نحوٍ مفاجئ من جانب واحد فقط. (المترجم).

إيكاروس مثنيّة نحو جسده، وأجنحته تتقوّس حوله وهو نائم—تتلوّن بألوان قوس قزح، وتتلألأ مع قطرات الماء. رأسه الكبير الذي يشبه النسر، أكبر منّي تقريباً، وإحدى عينيه تعادل نصف حجم جمجمتي. لقد صنعه النحّاتون بإتقان.

– «يبدو هادئًا وهو نائم». يقول لورن.

– «إنّه أكبر مِن أيّ واحدٍ رأيته». أقول، غير قادرٍ على إخفاء الرهبة في صوتي.

– إذن لم تزر قطب المرّيخ، أو كوكب الأرض بعد.

– لا. مِن أين اشتريته؟

– «صنعه نحّاتون مِن المرّيخ لعائلتي. ذلك الأنيق الأخرق المتبّب المتعالي في زنجبار. إيكاروس مِن جنس الوحوش نفسه، الموجودة في الأوكار العالية للقطب الشمالي للمرّيخ، والتي يستخدمونها لترهيب السبجيّين وجعلهِم يعتقدون أنّ السِّحرَ حقيقي». يمرّرُ يدهُ بلطفٍ على العملاق النائم: «هل ما زلتَ مُغرماً بابنة الحاكم العام؟». ينظر إليَّ بتفاؤل: «هل هو سبب قيامكَ بكل هذا؟ سمعتُ عن قصّتها مع فتى بيلونا».

– الأمر لا يتعلّق بما حدث بينها وبين كاسيوس.

– «كلّا؟». يتنهّد: «كنتُ سأفهمُ على الأقل لو كان كذلك. كنتَ مُهملاً في مسألة النِزال تلك، عليك أن تكون أكثر فطنة. ضربة إرينيكوس فوللي كانت لتقضي عليه في ثلاث حركات».

– لم أكن مُهملًا. كنتُ أقدّم عرضاً.

– مُهمِل. البنفسجيّون هم مَن يقدّمون العروض. هل درّبتكَ لتكون رجُل استعراض؟

أتقدّم إلى الأمام متجاوزاً إيّاه لأربِّت على إيكاروس: «إذن أنتَ تهتمُ بي».

لم يجبني لوهلة، وحينها أدركَ أنّ اللّحظة التي خشيتها طوال الوقت على وشك الحدوث. - «في حياة أخرى، كنتَ لتكون أحد أبنائي يا دارو. كنتُ لأجدكَ مبكّراً، قبل أن يحدث لك ما حدث ويملأكَ بهذا الغضب. ما كنتُ لأربّيكَ كي تكون رجُلاً عظيماً. فلا يوجد سلامٌ للرّجال العظماء. كنت سأجعلكَ رجُلاً محترماً. كنتُ سأمنحكَ القوّة الهادئة لتكبر مع المرأة التي تحبُّها. الآن، كل ما أستطيعُ منحه لك هو فرصة. إيكاروس». يصيح.

يتحرّك الغرفين إلى جانبه، وعينه العنبريّة تظهر انعكاسي فيها. الأرض تهتزّ بينما يتحرّك المخلوق، ويقتلع شجرةً بسهولةٍ كما لو أنّني اقتلعت شعرة.

أتراجع خطوةً إلى الخلف بعيداً عن الوحش، غير متأكّدٍ مِن نوايا لورن.

- «ما الذي يجري؟». أسأل لورن.

- «انظر إلى سفينتك». يشير إلى الأعلى في اللّيل. مِن خلال فجوةٍ في الغيوم، يمكننا رؤية سفينتي الطويلة تتألّق في المدار. لم تعد وحدها. عشر سُفن شعلة تأتي نحوها الآن، متسلّلة حول خطّ استواء أوروبا لتستولي على باكس.

- فرقة إعدام مِن الحرس البريتوري تنتظرك داخل منزلي يا دارو. تقودهم أجا غريموس الذهبيّة. سيأخذونك، ويقيّدونك، ويحضرونك أمام الحاكِمة المعظَّمة.

- «هل خنتني؟». أسأل.

- كلّا. لقد وصلوا قبل أيّام. هدّدوني. ماذا كان بإمكاني أن أفعل؟

كيلان بيلونا الذهبيّ يقودُ أسطولهم. سيدمّر سفينتك، أو يأسرها. لا أستطيع إيقاف ذلك، لكنّني لا أريدكَ أن تموت؛ لذا سيأخذكَ إيكاروس إلى جزيرةٍ حيث أخفيتُ سفينةً لك. استخدمها للهروب.

– هل سيؤذون عائلتكَ إن هربت؟

– «قد يحاولون». يتذمّر غاضباً: «هذه هي نتيجة قرارك وقراري».

ينهض، وظهره نحو البحر.

– أريد أن أرحل بسلام؛ لذا مِن فضلك، غادر ولا تعُد أبداً يا دارو.

يشير إلى إيكاروس، وألمحُ سرجاً رقيقاً على ظهر الوحش—اللّعبة الجديدة التي تحدَّث عنها، لكنّني لا أحتاجُ إلى الهرب. أهزُّ رأسي لما هو على وشك الحدوث.

– أنا آسف يا صديقي، لكنْ لا يمكنني السماحُ بذلك.

– «السماح؟». يسأل، وهو يلتفت.

– «ستنضمُّ إلينا في هذه الحرب». أفكُّ شفرتي: «سواء أعجبكَ ذلك أم لا». أتحدّث عبر جهاز اتّصالي، آمراً العَوّائين بالاستعداد للنهوض، والعمالقة بجلب السفن.

يتلاشى الدم مِن وجهه، وينظر إلى الحيوان المنقوش على غِلالتي(*). «أسد في النهاية».

(*) قميص بأكمام قصيرة وطول حتى الركبة كان يرتديه الجنود الرومان. (المترجم).

# 29

# غضبُ الرجُل العجوز

أعددتُ الفخَّ قبل مغادرتي للأسطول. جميع الأسرار تجدُ طريقها إلى أذنَيّ بليني، ولن يتمنّى شيئاً أكثر مِن موتي في الوقت المناسب، خاصّةً بعد استفزازي له في اجتماع الحاكِم العام؛ لذا قام بعمله. تآمرَ، وخطّطَ، ووجدَ لنفسه حليفاً ضدّ الشرّير الكبير دارو أندروميدوس الذهبيّ والمتمثّل بالحاكِمة المعظَّمة نفسها، وهي حقيقة سأكون سعيداً بمشاركتها مع أوغوستوس في أقرب وقتٍ ممكن.

سُفن الحاكِمة المعظَّمة أخفت نفسها بين أنقاض محطّةٍ فضائيّةٍ مهجورةٍ كانت فيما مضى تُستخدم كقاعدةٍ لعمليّات الاستصلاح. كيلان بيلونا الذهبيّ كان ذكيّاً، لكن يمكن التنبّؤ بأفعاله. قوّتي الثانويّة الأكبر— وهي مجموعة مُلحقة مِن سُفن آل تيليمانوس—التي أخفيتها خلف قمر آخر أصغر كتلةً، ستهجم مِن مكمنها على قوّة آل بيلونا في غضون ستّين ثانية، متسلّلة حول الجانب الآخر للقمر باستخدام جاذبيّته لاكتساب السرعة. مع روكي في القيادة، سأضيف عشراً مِن سفن آل بيلونا إلى أسطولي الحربي الخاص بحلول نهاية اليوم.

- «كنتَ تعرف». يتّهمني لورن بهدوء، يده الغليظة تمسك ببزّتي عند الرقبة وتهزّني: «كنتَ تعرف». وهو يعلم ما يعنيه هذا بالنسبة له. إنّه ببساطة ليس انتصاري فقط، بل هي هزيمته أيضاً. بطريقةٍ، أو بأخرى، عليه أن يتحالف. وقد جعلت الأمر سهلاً له لاختيار جانب.

- (إن كنت ثعلباً، تظاهر بأنّك أرنب). أليس هذا ما علّمتني إيّاه؟ على كل حال سيبدو وكأنّك كنتَ تعلمُ أنّني أعددتُ فخّاً لها، وبأنّكَ نقلتَ لي خبر فخّها». ألمسُ كتفه بينما يتركني: «أنا آسف يا صديقي حقّاً، لكنّكَ جزءٌ مِن هذه الحرب».

يتحرّك فكّه، لكنّه لا يقول أي شيء.

- «سترسل الحاكِمة المعظَّمة حرسها البريتوري مرّة أخرى إلى أوروبا بمجرّد مغادرتي». أقول: «ولكن هذه المرّة سيأتون مِن أجلك أنت وعائلتك. سفنهم السوداء والأرجوانيّة ستقصفكَ مِن المدار حتّى تصبح جُزركَ ومدُنكَ على الأرخبيلات، واليابسة، والجبال المرتفعة في الجنوب مصنوعةً مِن الزجاج، وتَبتلعُها البحار. ستبكي المياه فوق أبراجك المحطّمة، ومِن بيتك لن تتبقّى سوى السراديب العميقة، إلّا إذا فزنا».

يسعى بعينيه في أعماقي بحثاً عن شيءٍ يمنحه الوقت، ولكنّه بدلاً مِن ذلك يرى فقط ما جعله يأخذني تحت جناحه منذ البداية—ذاته. معظم الرجال سيعطون أي شيء لرؤية ذلك، لكن هنا والآن، إنّه يتمنّى رؤية أي شيء آخر.

- وضعتُ عائلتي في خطر لمساعدتكَ على الهروب. استقبلتكَ وعلّمتكَ، لتخونني مثل الآخرين، مثل أجا.

- هل تبحث عن الشفقة؟ لقد تركتني آتي إلى هنا يا لورن. كنتَ

سترسلُ أصدقائي في الأعلى إلى التعذيب والموت حتّى مع منحكَ لي طريقاً للهروب، لكنّ أصدقائي لن يكونوا أسرى.

أشيرُ إلى الأعلى نحو الشقوق المتوهّجة في السماء الليليّة بينما تنطلقُ قوّتي الثانويّة على نحوٍ صاروخيٍّ حول أوروبا.

- «اكرهني، ولكنْ قاتل إلى جانبي». أقول لأركوس: «فقط عندها ستنجو عائلتُك». أمدّ يدي إلى معلّمي السابق، فيسحب شفرته.

- ينبغي أن أقتلَك.

- «هل يمكنني أن آتي وأقتل هذا العجوز غريب الأطوار؟». سيفرو يسأل عبر جهاز الاتّصال.

- «اِنتظر». أجيبه.

- «لقد نسيت». يخرج لورن لوحه الرقمي من جيبه: «يمكنني جعل أسطولي يدمّر أسطولكَ يا فتى».

- ليسَ قبل أن يتمكّن أسطولي مِن أخذ أسطول الحاكِمة المعظَّمة.

- لكنّها ستعرف حينها موقف آل أركوس. ستعرف بأنّكَ خدعتني، وأنّ عائلتي ليسَت جزءاً مِن هذا.

- «إذن افعلها». أقول للورن: «أطلق سفنكَ إن كنتَ تظنّ بأنّ قضيّتي ليسَت مُحِقّة. أسقطني إن كنتَ تظنّ بأنّني وحش». أتقدّم نحوه، قريباً منه: «لكنّكَ تعرفُ القلبَ الذي ينبض بداخلي. اخترني، أو اختر ذلك الظلام». أشير إلى أسفل تلّة حديقة الغابة مِن حيث دخلنا إلى هذا المكان. عبر الباب الزجاجي نفسه الذي استخدمناه، يدخلُ اثنا عشرَ مِن الحرس البريتوري السبجي؛ رجال ونساء ضخام يرتدون دروعاً سوداء وأرجوانيّة،

وخوذاً على شكل جماجم. بين هؤلاء يوجد مَوسومٌ واحدٌ فقط—أنحف مِن الآخرين، مثل أفعى شتاء تقف على ذيلها. درعه أبيض ومغطّى ببقعٍ بلونٍ يشبه الدم.

إنّهم على بعد أقلّ مِن خمسين متراً. ويرافقهم، أقصر مِن البقيّة، ولكنْ أكثرهم هيبة، الفارس المتلوِّن بعتادها الذهبيّ. شفرتها تتلألأ بألوان السديم، ودرعها يتلوّى كالأمواج التي تضرب الجدران البيضاء لجزيرة لورن. تُحدِّق أجا في الأعلى في السماء الليليّة، حيث ترى كَميني يَتكشَّف، فتجعل خوذتها تنزلق متراجعةً إلى داخل درعها.

– «ومِن ثمّ يصبحُ الخونة اثنين». تصيح: «عائلة أركوس احتضنت الخيانة أيضاً. لورن، أتقف مع الأُسود؟».

– «عائلة أركوس تقفُ بعيداً». يرد لورن.

– «بعيداً؟». تعبس قاتلة كوين متجهّمة، وتميل رأسها بحيث يصبح بإمكاني رؤية ندوب النزال على جانب عنقها الأيمن. عيناها الشبيهتان بعينيّ قطّة تمسحان الغابة بحثاً عن علامات فخّ: «لا يوجد شيءٌ مِن هذا القبيل».

– «لقد خُدعتُ كما خُدعتِ أنتِ يا أجا!». يصيح لورن: «دارو عَلِم أنّكِ هنا. لا أعرفُ كيف، لكنّني لستُ عدوّك. كل ما أريده هو أن أُتركَ وحدي».

– «لم يكن هذا قطّ خياراً». تصيح أجا: «تعرفُ هذا أكثر مِن أيّ شخص آخر. إمّا أن تكون معنا، وإمّا ضدّنا يا لورن».

– أجا. لا. لا أريد أن أكون طرفاً في هذا، على الإطلاق!

– «الأقوياء يكونون طرفًا على الدوام». أتمتم.

- «لن أسمح بأن يُجبرني أحد». يمزّقني بنظراته الحانقة: «لستُ في نزاع مع أيٍّ منكما. أنا رجُل سلام الآن».

- «إذن لماذا نصلكَ خارج غمده؟». تبتسم أجا: «قم بفعل ما تعرفه. تعال إلى الأسفل وتحدّث يا معلّم. يجب ألّا نصرخ! أليس هذا ما كنتَ تقوله عندما كنتُ أرفع صوتي بغضب؟». تَلمحُ الغِرفين الذي يزمجر الآن بجانبنا. إنّه أكبر مِن أربعة خيول. أتساءل عمّا قد تفعلهُ مخالبهُ ضدّ دروعهم.

- «قُضيَ على سُفنها». أهمس إلى لورن: «ماذا ستجعلها أوكتافيا تفعل؟».

- قتْلنا. نكاية.

أخفض صوتي: «إذن ليسَ لديكَ خيار».

- يبدو كذلك.

تراقبني أجا، وأنا أركع على الأرض وأجمع التراب في يدي. لقد دَرسَتني. تعرف ما الذي يجب أن يعنيه هذا. ولا بدّ من أنّها تساءلت عن الخطّة التي لديّ. لماذا أتيتُ وحدي. إن كنتُ حقّاً قد أعددتُ كميناً في السماء، أليسَ مِن الممكن أن أُعدَّ واحداً في الأسفل؟ أنا على وشك أن أصرخَ بشيء ما لها عندما تظهر شخصيّة أخرى مِن البوّابة لتنضمّ إلى أجا. إنّه ممشوق القوام، بشرته أغمق مِن بشرتي، ترتسمُ ابتسامة مصطنعة على وجهه الأرستقراطي المملّ؛ تاكتوس. يرتدي درع الحرس البريتوري. يتقدّم إلى الأمام بخطواتٍ حذرة، ظِلٌّ أرجوانيّ وأسود، ينظرُ إلى السماء بقلقٍ قبل أن يبتسم مبتهجاً بابتسامةٍ مائلة.

- «بالحديث عن الخونة». أصرخ: «مرحباً يا تاكتوس. درعٌ جميل».

- «الحصّاد، يا صاحبي!». يصرخ تاكتوس ويقوم بحركةٍ بذيئة: «أين سيفرو؟». ينحني ليقول شيئاً لأجا، فتستقيم وتنظر مجدّداً حول الأشجار. رجالها يتجمّعون في تشكيلِ دفاعي. يحذّرهم تاكتوس مِن خُدَعي. يعرفون أنّ هناك شيئاً مريباً. تنشطُ تروسهُم الأيغيسيّة، لتومض فوق أذرعهم.

يغمض لورن عينيه، ويرفع يده اليسرى في الهواء، مستشعراً هيجان رياح العاصفة: «اترك أجا لي. ستحظى بفرصة أفضل ضدّ المَوسوم».

- لا. إنّهم لي جميعاً. سيفرو، انهض.

يظهر العوّاؤون مِن البحر خلف القلعة. يتساقط الماء منهم وهم يطيرون بصمتٍ فوق الجدران التي يبلغ ارتفاعها مئة متر، والدروع تلمع مثل الغطاء القشري للخنفساء السوداء. أسدٌ ذهبيٌّ رُسِمَ على كل درع صدر. يتلألأ الذهب مع وميض البرق. يهبطون بصمتٍ حولنا.

- «أبناء العاصفة خاصّتي». أقول للورن. لقد جاء عشرون مجنّداً جديداً مِن عائلات العوّائين ومِن صفوف آل تيليمانوس. سيفرو هو مَن أجرى تجارب الانضمام. سمعت أنّ التجارب اللعينة كانت ممتعةً بعض الشيء؛ حيث تضمّنت الأفاعي، والكحول، والفطر. هذا كل ما سمحوا لي بمعرفته.

- «أيّها الغوبلن، لماذا تختبئ دائماً؟». ينادي تاكتوس. في صوته نبرةٌ ساخرةٌ، لكنّه ينظر بقلقٍ إلى السماء مرّة أخرى: «على الأقل إنّه أفضل مِن بطن الحصان هذه المرّة».

يُخرج سيفرو سكّينه، تلك التي كان يستخدمها منذ سنوات مع صديقته القيثارة لقطع فروات الرؤوس. إنّها منحنية. ينقر بها على فرجه، ويشير إلى تاكتوس. عيونه تنتقل إلى أجا.

- «قتلتِ أحد العوّائين يا أجا». يقول: «كانت خطوةً خاطئة».

كما توقّعت، طمأن ظهور العوّائين كلّاً مِن أجا وتاكتوس. هذا يبدو منطقيّاً بالنسبة لهما: كان لديّ جنودٌ مخَفيّون. الآن لم أعد أُخفيهِم. قتال في معركة حتّى الموت. شرف. كبرياء. قوّة ضدّ أخرى. يبدأ الحرس البريتوري السبجي بإنشاد أغنيتهم الحلقيّة(*) الرهيبة. كل ما يريده هؤلاء الرجال هو نهاية مجيدة، بالانضمام إلى أقاربهِم في قاعات فالهالا الضاحكة، ونصالهُم في أيديهِم. يتقدّمون بأمرٍ مِن أجا. أخطر الرجال والنساء في المجموعة الشمسيّة، ويوجد بينهم مَوسوم.

أقتدي بإيفي، وأحذو حذوها.

أتأكّد مِن خلوّ المساحة حول أجا، وأفجّر الألغام الأرضيّة المسماريّة التي نثرتها على الأرض بينما كنتُ أنا ولورن نتجوّل في هذه الغابة. فقط تاكتوس سريع بما يكفي. يمسك بأجا مِن الخلف ويجذبها إلى الوراء بقوّة—بقوّة كبيرة في الجاذبيّة المنخفضة، ممّا يجعلهما يسقطان عبر الباب في اللحظة التي يمزّق فيها الانفجار الأوّل الهواء المالح.

الانفجارات تأتي على عدّة مستويات: أوّلاً: يأتي انفجارٌ قويّ يُعطِّل الواقيات النبضيّة ويقذف بالحرس البريتوري في الهواء، ثمّ تأتي الفجوة الثقاليّة، التي تسحبهُم لتعيدهُم باتّجاه مصدر الانفجار مثل مكنسةٍ كهربائيّةٍ تجمع الذباب؛ ثمّ يأتي الثالث—حركي بحت—لتدمير الدروع، والعظام، واللّحم، ممّا يقذف المحاربين في الهواء، مبعثراً أشلاءهم في الجاذبيّة الضعيفة مثلما تنثر الأنفاس بذور الهندباء. تتساقط الأطراف بنعومة. تتناثر

---

(*) هو نوع من الغناء، أو النداءات الصوتية التي يستطيع من خلالها المؤدي أو المغني أن ينتج أكثر من نوتة موسيقية. (المترجم).

الدماء وتكسو بقعها الأرض. الانفجار يكسر السقف الفقاعي في الأعلى، ويعود المطر لينزل على الحديقة، ويطفئ النيران، ويمتزج بالدماء التي تتسرّب إلى العشرات مِن حفر القنابل. فقط ثلاثة مِن الحرس البريتوري يتمكّنون مِن النجاة. حالتهُم سيّئة.

- «لا تدعها تهرب». صوت روكي يحرق أذنيّ. إنّه يشاهد التدفّق المجسَّم مِن السفن في الأعلى.

عوّائيَّ لم يتحرّكوا بعد.

لورن يستشيط غضباً منّي، يقول شيئًا عن الشرف.

- «ماذا؟». أقولها ساخراً: «أتعتقد أنّني أقاتل بنزاهة؟».

- «دارو...». يهمس سيفرو في أثناء انتظاري: «دارو...».

- انتظر.

- «إنها تهرب!». صوت روكي يخيفني. إنّه ينضح بالحقد الذي لم أكن أعلم أنّه يملكه: «دارو!».

أصيح عليه متذمّراً كي يركّز على جزئه مِن المعركة.

- «دارو...». يتوسّل سيفرو: «لقد مضى وقتٌ كافٍ».

لورن يراقب، ربّما بدأ يفهم.

أطقطق أصابعي: «اصطد».

يندفع العوّاؤون إلى الأمام مثل الذئاب المحرّرة لإنهاء ما بدأته القنبلة. يقضون على مَن بقي مِن الحرس البريتوري. سيفرو يصرخ باسم تاكتوس وسط العواء بينما يندفعون إلى القلعة بحثاً عنه وعن أجا.

- «دارو، ما الذي تفعله؟». يسألني روكي عبر جهاز الاتّصال. أترك

صورته المجسَّمة تظهر في زاوية جهاز العرض المدمَج بخوذتي. عضلات فكّه ترتعش: «إذا هربَت قاتلة كوين...».

- «توقف عن هذا». أقول لروكي بينما أرى تقاريرَ عن سفينة شعلة لدينا وقد تلقت أضراراً كبيرة. إنّه مشتّت: «الرجال يموتون هناك. ركّز على عملك». أغلق الاتّصال.

صورة القيثارة تظهر على شاشتي: «فرس البحر سقط».

- جيد. وتاكتوس؟

- لا أثر له.

- «عُلِم». أُغلِق الاتّصال.

- «أجا اندفعَت فزعةً إلى البحر. لكن لا أثر لتاكتوس». يقول لي سيفرو بعد دقائق قليلة بينما يقوم العَوّاؤون بالتمشيط داخل القلعة، غرفة تلو الأخرى: «إنّه مختبئ. إلّا في حال قيامه بانتقالٍ آني». إنّه يزدري هذا النوع مِن الخيال العلمي: «اِسأل العجوز غريب الأطوار أين هم».

مخاوف سوداويّة تتسلّل إلى عقلي. ألتفت إلى لورن: «ماذا كانت ستجعلهم لونا يفعلون إن لم يتمكّنوا من قتلنا أنا وأنت؟ إذا عدّتْ أنّ شخصاً ما من الممكن التضحية به، ماذا كانت ستأمرهم أن يفعلوا؟».

يقف هناك للحظة تحت المطر، ثمّ يصبح وجهه شاحباً: «الأطفال...». يدفعني أركوس وهو يتجاوزني مارّاً عبر أشلاء القنبلة نحو الباب الزجاجي المكسور: «سوف يقتلون أحفادي!». يصيح.

- «أين الأطفال؟». أسألُ سيفرو.

- أيُّ أطفال؟ لم نجد أيّاً منهُم.

ألعن وأشتم، وأنا ألحق بأركوس.

- «أخفيتُهم». يقول لي، وهو يصيح إلى الوراء بينما يركض عبر ممرّات القلعة. إنّه سريع بالنسبة لرجُلٍ عجوز، لكنّ الجاذبيّة تبطئنا حتّى بدأنا باستعمال أيدينا على الجدران والسقف، مستخدمين الأحذية الثقاليّة لتجاوز الممرّات الطويلة. نندفع بقوّة محلّقين مِن زاويةٍ إلى أخرى، لكن عندما يلمس رأس غِرفينٍ حجريّ، ويهبطُ جدارٌ فولاذيٌّ كاشفاً عن ممرٍّ سريّ، أشمّ رائحة الدم. توجد جثّتان ممدّدتان على الجانب الآخر مِن الممرّ. إحداهما لرماديٍّ، والأخرى لسبجيّ. أتجاوز أركوس وأندفع إلى الأمام، وأنا أسحب نفسي إلى الأسفل عبر سلسلةٍ مِن السلالم بوساطة مقابض في السقف إلى أن أجد نفسي أمام بابين. أفتح أحدهما. مجرّد مخزن. أفتح الآخر وأجعل شفرتي تنسل إلى يدي.

- «تاكتوس». أقول ببطء.

ظهره باتّجاهي. ثلاث جثث لسبجيّين ممدّدة مِن حوله، دماؤهم تشكّل بركةً حول حذائه. شفرته تتلوّى في يده وتتصلّب، بينما يقف ورأسه منحنٍ في غرفةٍ ممتلئةٍ بالأطفال والنساء. الدم يتسلّل على الشفرة المتقلّبة.

عندما جئت، أخفى أركوس الأطفال عنّي هنا—بعضهم ذهبيّون، وبعضهم فضيّون، وبعضهم زهريّون وبنيّون. يمكن لتاكتوس أن يقتل نصفهم بضربةٍ متثاقلةٍ مِن شفرته قبل أن نصل إليهم.

- «تاكتوس، تذكّر إخوتك». أقول له، وأنا أنظر إلى الأطفال.

- «إخوتي أوغاد». يضحكُ بخشونة، صوته بدا غريباً: «قالوا لي بأنّه عليَّ أن أخرُجَ مِن ظلّك. أمّي تدعوني بالخادم الجبّار. هل كنت تعلم ذلك؟».

الأطفال يجهشون بالبكاء في الزاوية. واحدة منهم تدفن وجهها في حجر أمّها. النساء غير مسلّحات. إنهنّ لسن بمحاربات مثل فيكترا وموستانغ. مربّية بنيّة تغطّي عيون طفلٍ ذهبيّ. أسمع صوت أركوس خلفي في النفق.

– «أوامر لونا خاطئة». أقول لتاكتوس.

– «سألتني إن كان بإمكاني ملءُ مكانكَ يا حصّاد». يقول تاكتوس بهدوء: «قالَت إنّها لا تعتقد أنّ بوسعي ذلك. قالَت بأنّي أمضيتُ وقتاً طويلاً وأنا في ظلّك إلى أن بات مِن الصعب عليها معرفة إن كنتُ سأكون يوماً ما أكثر مِن مجرّد صدى لك. قلت لها إنّني أستطيع فعل أي شيء تفعله».

– تاكتوس، إنّها شرّيرة.

– «أهي كذلك؟». يبصق دماً على الأرض، ولا يزال لا يواجهني: «يقولون الشيء نفسه عنك. يتساءلون مَن تعتقدُ نفسكَ لتفعل ما تفعله. لتتحدّى الرجال والنساء الذين تتحدّاهُم. يتساءلون بأيّ حق تقومُ بذلك».

– كلّنا نملكُ الحق بالتحدّي؛ هذا هو المغزى.

– «المغزى. هل كان هنالك مغزى؟». يسأل: «لم يخبرني أحد قطّ. كنتَ تتعاملُ معي على أنّي أمرٌ مُسلَّمٌ به. لم تخبرني بأيّ شيء». كما أفعلُ الآن مع روكي: «كنتَ دائماً تتهامسُ مع الآخرين. تتجاهلني كما لو أنّني أحمق. أنتَ مثلها تماماً...».

– أمّك؟

لا يقول أي شيء. يقترب أركوس ويصبح بجانبي. أمدُّ يدي لإيقافه.

– «هل كنتَ ستقتلهُم، لو طلبَ منكَ أوغوستوس ذلك؟». يسألني تاكتوس، ملتفتاً قليلاً نحوي.

- «لا». أقول: «أفضّل أن أموت».

- لم أكن أعتقد ذلك. كانت على حق. أنا الخادم الجبّار.

أمدُّ يدي إليه: «لا أعرف ماذا عليَّ أن أفعل الآن يا تاكتوس».

- «هذه أوّل مرة». يضحك بمرارة، صوته يتلعثم قليلاً.

- «أبداً. لم أكن أعرف ماذا عليَّ أن أفعل عندما جلدتك». أقول: «في المعهد. لم أرد أن أخسرك مِن جيشي بسبب مهاراتك، لكنّني لم أستطع عدم معاقبتك».

- «مهارات. مهارات. مهارات. إذنْ هذا هو الفرق بيننا». صوت تاكتوس يصبح أكثر ثخناً: «لأنّه لو كان جيشي، لكنتُ قَتلتُكَ بسبب غطرستك». يلتفتُ أكثر، فأرى آثار الدمار الذي أحدثته القنبلة في وجهه.

- أتعلم ما الذي سيحدث إن قتلتَ أيّاً منهم؟

يومئ برأسه نحوي، ثمّ نحو فارس الغضب، وكأنّه يقول إنّه سيكون إمّا أنا، وإمّا الآخر، مَن سيقضي عليه: «لست نادماً على أخذ ليساندير، كما تعلم».

- لا أعتقد بأنّك شعرت بالندم على أشياء كثيرة في حياتك.

- «لستُ نادماً». يضحك، ويغمس إصبعه في الدم الذي يحيط به: «لكنّني أعتقد أنّه ما كان يجب عليَّ أن أفعل ذلك. كنت أختبركَ في المعهد. لكن... أردتُ أن أرى ما الذي ستفعله. إن كنتَ تستحق أن نتبعك».

- وهل كنت كذلك؟

- أنت تعرف الإجابة.

- هل ما زلت كذلك؟

يومئ برأسه: «دائماً». يقولها بأسلوب مثير للشفقة لدرجة أنّي شعرت بقلبي وكأنّه ينسحب إلى حلقي. إنّه خائنٌ، كاذبٌ، مخادعٌ، ومع ذلك أرى فيه صديقاً. أريد أن أصلحه وأجعله كاملاً. ما الذي أفعله؟ يجب أن أقضي عليه. لكنّني فعلت ذلك مِن قبل مع تيتوس. تلك الدائرة تأكلنا. الموت يجلب الموت والمزيد مِن الموت، والكثير الكثير.

– «ماذا لو أبقيتُ على حياتك؟». أسأل فجأة، لأجذب إليَّ نظراتٍ مشوّشة ومضطربة من تاكتوس. بالطبع، إنّه لا يفهم المغفرة: «ماذا لو سمحتُ لكَ بالعودة؟».

– ماذا؟

– ماذا لو سامحتُك؟

– «أنت تكذب». يلتفت أكثر، فأرى مدى الضرر الكامل الذي ألحَقتهُ القنبلة بوجهه. أنفه معوجٌّ، مكسور. الباقي يبدو كحبّة كرز نُزِع جلدها: «يا صديقي...».

– «أنا لا أكذب». لم أضع ثقتي في تاكتوس مِن قبل، فخسرته. الآن سأفعل. سأخاطر كما أطلبُ منه أن يخاطر. أتقدّم خطوةً إلى الأمام: «أعلم أنّ هنالك خيراً فيك. رأيتُ وجهكَ عندما قُتل أولئك الأطفال في الحفل. أنتَ لستَ وحشاً. عُد إليّ. ستكون أحد مساعِديَّ مرّة أخرى يا تاكتوس. سأعطيكَ فيلقاً لقيادته عندما نستولي على المرّيخ. ستحمل إحدى راياتي. ولكن لا يمكنك ارتداء هذا الدرع القبيح».

– «إنه غير مريح». يقول، وهو يلهث بابتسامةٍ طفيفة: «لكن سيفرو، روكي، فيكترا...».

– «يشتاقون إليك». أكذب: «ألقِ بشفرتك وعُد إلى جيشي. أعدكَ

بأنّك ستكون بأمان». الشفرة تنخفض في يده. أحد الأطفال يبتسم لشقيقه الأصغر، بابتسامة ملؤها الأمل: «فقط اترُك الأطفال، وكل شيء سيُغتفر».

أعني ذلك. مِن أعماق قلبي، أعني ذلك.

- «كلّنا نرتكبُ أخطاء». يقول.

- «كلّنا نرتكب أخطاء. فقط عُد. لن أؤذيك». ألقي بشفرتي: «لكن أركوس لا يفعل». أحدّق بأركوس إلى أن يومئ برأسه المخضرم موافقاً.

- «أريد أن أعود إلى البيت». يتمتم تاكتوس بهدوء، والألم في صوته: «أريد أن أعود إلى البيت».

- إذن عُد إلى البيت.

شفرة تاكتوس ترتطم بالأرض ويسقط على ركبتيه أمامي. إنّه ينفث أنفاسه مِن الألم. مشاعر الارتياح تغمر الغرفة. يبدأ الأطفال بالبكاء مرّة أخرى نتيجة التغيّر المرهق مِن الموت إلى الحياة. المربّيات يحتضنّ مَن هُم في أمانتهنّ، والدموع تنساب على وجوههنّ. أتقدّم نحو تاكتوس وأشير إليه بأن يقف ليصافحني. يحتضنني بقوّة جامحة، ويبدأ بالبكاء على صدري. جسده يرتجف، وملامح وجهه الدمويّة تلطّخ درعي.

- «أنا آسف». يقولها عشرات المرّات. إنّه يبكي بشدّة على كتفي، متمسّكاً بي بإحكام. وجهه مُدمَّر للغاية. وأنا أحتضنه. أشعر بالإرهاق. حزنه أشبه بثقلٍ يكاد يدفعني إلى البكاء. ومع ذلك، تنتابني حيويّة نتيجة شعورٍ غريبٍ لعودته، لوقوفه معي، لتمسّكه بي. إنّه لأمرٌ يدعو إلى التواضع أن تعرف أنّ شخصاً ما لا يستطيع العيش بدونك، وأنّه على الرّغم من خيانته لك، لا يتمنّى شيئاً سوى الغفران. وبينما تشتدّ قبضته على ظهري، أحيط درعه بذراعي، وأحاول ألا أبكي. حتّى القاسي يشعر بالألم. وحتّى

القاسي يمكنه أن يتغيّر. أتمنّى أن يغيّره هذا. بإمكانه فعل الكثير، لو أنّه يتعلّم فقط.

في كثيرٍ مِن النواحي، إنّه تجسيدٌ لعِرقِه. وإذا كان بإمكان تاكتوس أن يتغيّر، فإنّ الذهبيّين بإمكانهم أن يتغيّروا. يجب أن يُحطَّموا، لكنْ يجب أن تُعطى لهم فرصة بعد ذلك. أعتقد أنّ هذا ما كانت تريده إيو في نهاية الأمر.

عندما انتهت أخيراً نوبة بكائه وابتعدنا عن بعضنا، يقف إلى جانبي، مُخلصاً مثل جرو صغير، ينظر إليّ بحذرٍ بحثاً عن إشاراتٍ للمودّة. يداه ترتجفان مِن ألم جروحه، لكنّه يراقب بصمت معي ومع أركوس بينما يصعد الأطفال، مِن الألوان العليا والدنيا على حدٍّ سواء، خارج الملجأ المخفيّ مع مربّياتهم. تأتي الحصوة إلى الأسفل لتخبرنا بسعادة أنّ روكي ينهي المعركة الفضائيّة. لدى رؤيتها لجروح تاكتوس، يشحبُ وجهها. أطلبُ منها أن تُحضِر أحد الصفر.

لم يطل الأمر لأبقى أنا ولورن وتاكتوس وحدنا في القبو.

ينظر إلينا لورن: «الآن بعد أن رحل الأطفال، حان وقت العواقب». تتحرّك يداه بسرعة تفوق جناحَي الطائر الطنّان. يظهرُ خنجرٌ أيونيّ، يميل فجأةً مُنقضاً أربع مرّات نحو إبط تاكتوس، حيث النقطة الأضعف في الدرع. أهرع لإيقاف لورن، لكن كان الأمر قد انتهى بالفعل. يلوي الخنجر وكأنّه يعصر منشفة، قاطعاً الشريان، رجُلٌ مسنٌّ يقتل شاباً. وجه تاكتوس المدمّر يتلوّى مِن الألم؛ ويشهق، وكأنّه علم أنّ العدالة ستجده أخيراً في النهاية.

يغادر لورن. وأنا أحتضن صديقي، وهو يحتضر، عيونه تخبو نحو مكانٍ بعيد، حيث ربّما يجد السلامَ الذي كان روكي يتمنّاه له دائماً.

# 30

# العاصفة المتشكّلة

«كم باقٍ من الوقت حتّى نصل إلى نقطة الالتقاء؟». أسألُ أوريون في منصّة القيادة. باستثناء الحاشية التي معنا، نحن وحدنا أمام نوافذ الرؤية في باكس، نراقب سفني، وهي تعبر الفضاء. الإضافات الجديدة لأسطولنا الحربي الناشئ مطليّة باللّون الأبيض، وتحمل شعار لورن الغِرفين الأرجواني ذي الوجه الغاضب. تحلّق معها السفن الحربيّة: السوداء، والزرقاء، والفضيّة، التي استولينا عليها مِن كيلان بيلونا الذهبيّ فوق أوروبا. برتقاليّون وحُمْرٌ ينتشرون على أسطح الوحوش المعدنيّة، يرمّمون الفجوات التي أحدثتها سفينة اقتحام علقيّة، ويجهّزونها لحصار المرّيخ.

– ثلاثة أيام تفصلنا عن محطّة هيلداس. السفن الأخرى ستسبقنا يا دومينوس.

يقترب كافاكس وداكسو مِن خلفي. ألتفت إليهم وأشير عبر النوافذ التي أُصلِحتْ إلى السفن العشر التي تخصّ كيلان بيلونا الذهبيّ.

– «شكراً لكما على الهدايا». أقول.

- «إنّها خطّتك، وهذه غنائمك». يعلن كافاكس.

- «مع أخذ نسبةٍ لنا، بطبيعة الحال». يضيف داكسو، بكل سلاسةٍ كالعادة، رافعاً حاجبيه الذهبيّين الملتويين: «خمسون بالمئة رسوم وساطة». أنظر إليه بابتسامة ساخرة: «حسناً، ثلاثون بالمئة، لأنّ باكس كان يحبّك».

- «عشرة بالمئة!». يصرخ كافاكس.

أميل برأسي: «أنت مفاوضٌ سيّئٌ يا بريتور».

يهزّ كتفيه بلطف، ويشير بفرحٍ إلى حلوى الهلام على الأرض. يلقي بسوفوكليس ليشجّعه على دحرها كلّها.

- «عشرون». يرفع داكسو يديه، حركاته دائماً تبدو وكأنّها تخصّ رجُلاً أكثر نحافةً، وأكثر فصاحة: «هذا عادل، أليس كذلك؟ فقدنا مئة وستّين مِن رماديّي العائلة، وثلاثة عشر مِن السبجيّين».

- إذن ثلاثون بالمئة لتعويضكم. لأجل الأصدقاء.

- «ثلاث سفن، يا لها مِن مساومة!». يعلن كافاكس: «يا لها مِن مساومة! أحياناً يحتاج المرء إلى مساومةٍ جيّدة». يُربِّت على ظهري، ممّا يجعل مفاصلي تصدر فرقعةً مَرَّة أخرى: «لو أنّنا فقط قبضنا على أجا، لكانت تلك غنيمة نتقاسمها بحق».

- «لقد هربَت إلى البحر، مع الأسف». أشير إلى راغنار الذي يقف عند حافة مِنصَّة القيادة: «سمعتُ أنّه أبلَى حسناً». شاحباً وطويلاً، يستمرّ بالتحديق بي مِن خلف لحيته ووشومه الرونيّة، يبدو بلا مشاعر تماماً بقدْر ما يمتلئ كافاكس وداكسو بها.

- «قائد مجموعة إنزاله قُتل، وكذلك مساعدوه. كثير مِن الرؤوس

تحطّمت. لقد اصطدموا ببعض أصدقاء كيلان». يقول كافاكس بصرامة، وهو يفتّش في جيوبه بحثاً عن حلوى الهلام التي يطلبها ثعلبه عديم الصبر الذي كان يخدش ساقه: «ليسَ لديَّ المزيد يا أميري الصغير». ينظر إليّ بابتسامة أمل: «هل لديكَ أي حلوى هلام؟».

– كلّا. آسف.

– «راغنار هناك تولّى القيادة. أبلَى حسناً». يقول داكسو.

– «تولّى القيادة؟». أسأل.

يشرح كافاكس: «كانت هناك فرقة قتل مِن الفريدين ذوي النّدبة. نصف دزّينةٍ مِن راقصي النّصال مِن آل بيلونا، شباب نبلاء، مزّقوا كل ذهبيّينا، ومعظم سبجيّينا. المَوسوم هناك جمع الناجين مِن الرماديّين وبعض السبجيّين وتمكّن مِن السيطرة على السفينة».

– هل نجا أيٌّ من راقصي النصال هؤلاء؟

– كلا.

ينظر راغنار إلى الأرض مجدّداً، كما لو كان يتوقّع توبيخاً.

– «عملٌ جيّدٌ يا صاح». أقول بدلاً مِن ذلك.

كل من كافاكس وداكسو تضيق عيونهما بتعجّب مِن هذه الألفة.

الأمر يستحقّ ذلك، لدى رؤية راغنار يفاجئني بابتسامة. ابتسامة عريضة بأسنان صفراء.

– «هل تعتقد أنّ بإمكانه القيام بأكثر مِن ذلك؟». أسأل.

يتردّد داكسو: «ماذا تعني؟».

– هل يمكنه القيادة من دون وجود ذهبيٍّ إلى جانبه؟

داكسو وكافاكس يتشاركان نظرة قلقة: «ما الفائدة مِن ذلك؟». يسأل داكسو.

- يمكنني إرساله إلى أماكن لا يمكنني إرسال الذهبيّين إليها.

- «لا يوجد مكانٌ كهذا». يشبك كافاكس ذراعيه. لقد ذهبتُ بعيداً.

أبتسم لاسترضائهم: «بالطبع، مجرّد نظريّة. العقل يسرح مِن حينٍ لآخر». أربّت على كتف كافاكس، ومِن ثمّ يغادران معاً إلى سفينتهما.

- «لقد تجاوزتَ الحدَّ». تقول أوريون.

- أستميحكِ عذراً؟

- لديكَ أذنان.

أنظر إلى الأسفل، باحثاً في الوشوم الزرقاء الباهتة على بشرتها الداكنة، كما لو أنّ الرياضيّات هناك تحمل مفتاح فهم عقلها: «أنتِ مراقبة بارعة بالنسبة للزُرق».

- لأنّي أعرف كيف يعمل العالم خارج تزامني الرقمي؟ يأتي ذلك مِن العمل في الأرصفة، يا دومينوس. عندما تكون في الأسفل، عليكَ أن تلحظ كل شيء.

- «أي أرصفة؟». أسأل.

- فوبوس. كان والدي عامل شحنٍ وتفريغ، وُلد خارج الطوائف. مات عندما كنت صغيرة. الفتاة الصغيرة عليها أن تكون حذرةً إذا أرادت أن تكبُر في أرصفة مدينة القفير. إنّه السبيل الوحيد للتغلّب على الوحوش.

- «ليس هذا هو السبيل الوحيد». أقول.

- «حقّاً؟». تسأل متفاجئة.

– يمكنكِ دائماً أن تصبحي وحشاً أيضاً.

تستدير أوريون مِن نافذة الرؤية لتنظر إليّ. ذكاءٌ حادٌّ يشتعل خلف عيونها الجليديّة: «وهناك يكمن جمال الفضاء. مليار مسار للاختيار».

أُعفى مِن الردّ عندما ينادي مسؤول اتّصال مِن موقعه.

– دومينوس، لدينا مركبة هجوميّة تقتربُ منّا. إنّها فيرجينيا أوغوستوس الذهبيّة.

# 31

# انقلاب

- «لقد قُبِضَ على والدي». تقول لي، وهي تهبط مندفعةً مِن رصيف سفينتها المشتعلة. يحيط بها عدّة حرّاس شخصيّين مِن السبجيّين مرتدين دروعاً عليها آثار المعارك. يخرج مِن المركبة خلفهم عشرات مِن الجنود الرماديّين. تتقدّمهم صن-هوا القادمة مِن لونا. إنّهم جميعاً مرتزقة مِن الجوّاسين، بمنظرٍ بسيطٍ وخطِر. صيّادو الشَّغبر. ينظر إليهم سيفرو بحذر.

حولنا، مئاتٌ مِن مقاتلات الجناح القاطع، والعشرات مِن النواقل اللّقلق المتوقّفة في العنبر—مكان واسع بما يكفي ليبتلع ميدان ليكوس ومُجمَّعاتها. البرتقاليّون يصدرون جلبةً حول المركبات، يستعدّون لإجراء فحوصات الصيانة قبل الغزو المرتقب للمرّيخ.

أستقبل موستانغ مع جماعتي—لورن، سيفرو، العَوّاؤون، فيكترا، وراغنار. روكي لم يستجب لاستدعائي. أريد أن أتقدّم لاحتضان موستانغ، لكنّها في حالة غضب. اللّعاب يتطاير مِن فمها. هالات سوداء تحيط بعيونها الغاضبة. التَّعب يبدو واضحاً على وجهها.

- بليني قام بانقلاب. لقد اعتقل أخي. عمّتي قُتلت، وأطفالها ذُبحوا مع

ستّة مِن قادتنا البريتوريّين. أكثر مِن عشرين مِن حاملي راية والدي أقسموا مجدّداً معلنين ولاءاتهم الجديدة. لقد فقدنا السيطرة على الأسطول.

أسأل موستانغ إن هي مصابة.

- «مصابة؟». تسخر مِن الكلمة: «كما لو أنّ ذلك مهم. لقد قتلوا رجالي. تسلّلنا إلى القرب مِن الأكاديميّة، وحالما أطلقتُ سفينة اقتحامي العلقيّة نحو المحطّة الفضائيّة والسفن التدريبيّة، خرج أسطول بلونا مِن خلف كويكب ودمَّر كل سفينةٍ مِن سفن اقتحامي العلقيّة. عشرة آلاف رجُل ماتوا. لم يكونوا مضطرّين لفعل ذلك. كان لديهم ما يكفي مِن الأسلحة بحيث لن يكون بوسعنا سوى الاستسلام. لقد كان فعلاً بلا رحمة».

- «يبدو شبيهاً بأفعال كارنوس». أخمّن.

تهزّ رأسها: «وبليني أيضاً. إنّهم لم يقودوا آل بيلونا إلى مطاردةٍ عبثيّةٍ مضلّلة، بل قادوهم مباشرةً إلى عمليّتي».

- «لماذا لم يقم بليني بقتلكِ فقط؟». يسأل سيفرو.

- «رجُل مثل بليني يتوق إلى الشرعيّة». يقول لورن مِن جانبي، وهو يومئ برأسه تحيّة لموستانغ. في حال رأت أنّ وجوده أمرٌ غريب، إلّا أنّها لا تُظهر ذلك: «إنّها طبيعته. لقد جاء إليكِ مسبقاً، أليس كذلك؟».

تتبادل موستانغ نظرةً مشمئزّةً مع معلّمي.

«القرد الماجن وضعني تحت الحراسة في جناحي بينما أخذ أسطولي المحتجز إلى هيلداس. في أثناء الرحلة، جاء إليّ وأراني لقطات مُجسَّمة لمحاولة والدي المخفقة بالإغارة على غانيميد». ترتجف مِن الغضب: «وقال إنّه على الرّغم من أنّ عائلتي قد سقطت وآلت إلى الدمار، إلّا أنّه لن يسمح بانتهاء سلالتي. توصَّل هو والحاكِمة المعظَّمة إلى ترتيب؛ إذا استطاع

أن يوفّر لها السلام، فإنّها ستمنحه منزلةً، وشرعيّةً، وجائزةً مِن اختياره، لذا أخذ يغازلني بنظراته بينما كانت سفن والدي تحترق على العَرضِ المجسَّم وقال إنّه سيُطلِّق زوجته وسيسمح لي بنيل شرف الزّواج به».

أمتنع عن قول أي شيء. العوّاؤون يهمهمون معبّرين عن عدم الرضا.

- «وماذا كان ردّكِ؟». تسأل فيكترا.

تتجاهلها موستانغ: «قال إنّه لطالما راقبني وكنتُ تحتَ أبصاره». تمدُّ يدها إلى جيبها، وتخرج شيئاً وتسقطه على الأرض: «لذا أخذت إحدى عينيه».

يقهقه سيفرو بصوتٍ عالٍ مع القيثارة. يصدر لورن صوتاً يعبِّر عن استنكاره، كما لو كان له الحق في إصدار الأحكام حول الوحشيّة والقسوة.

- «مِن الجيّد رؤيتكَ مجدّداً يا فارس الغضب». تقول موستانغ: «أنا آسفة لأنّي ورّطتكَ في هذا، لكنّنا بحاجةٍ إليكَ الآن أكثر مِن أيّ وقتٍ مضى».

- أبدأ في فهم ذلك.

- «أين أخوكِ؟». أسأل موستانغ، وأنا أنظر مِن العين.

- «لقد أُسِر. هناك المزيد ممّا يجب قوله». تنظر إلى البرتقاليّين والرماديّين في الحظيرة: «وراء الأبواب المغلقة».

- «طبعاً. سنكمل في غرفة الحرب—». أبدأ.

- «في الوقت المناسب يا دارو». تنتشر ملامح القلق الأبويّ على وجه لورن، وهو ينظر إلى موستانغ: «سيّدتي، لقد مررتِ بتجربةٍ قاسية. ربّما يجب أن تستريحي ونستطيع—».

أتراجع أنا والعوّاؤون مبتعدين عن لورن.

- «أستريح؟». يرتفع صوت موستانغ: «لماذا عليّ أن أستريح؟».

- «إنّه خطئي». يقول لورن بأدب.

- «ثيودورا». أنادي. تتسلّل متقدّمة إلى الأمام: «قهوة، منشّطات، وطعام في غرفة الحرب. تكفي لعشرة أشخاص». أتذكّر الاثنين من آل تيليمانوس: «اجعليها عشرين».

تضحك ثيودورا من دون قصد: «أجل يا دومينوس». تتنحّى ثيودورا جانباً لتستدعي طاقمها.

تهزّ موستانغ رأسها، وهي تنظر باتّجاه سفينتها: «هل ستتركها تجلس هناك؟».

- «يا رئيس!». أنادي البرتقالي المسؤول عن سطح الحظيرة. تغطّي بقع الشحم لحيته. يتقدّم ببطء، ماسحاً يديه القويّتين ببدلته البرتقاليّة: «أخرِج تلك السفينة عبر بوّابة الضّغط».

- «يمكن إنقاذها». يقول البرتقالي.

أنظر إلى موستانغ: «هل هربتِ، أم تركوك تهربين؟».

- لا أعلم. أخي هو من أنقذني. سفينته الخاصّة قُبِض عليها في أثناء مساعدة سفينتي على الهروب.

الشَّغبر ممتلئٌ بالمفاجآت.

- «ماذا لو كانت هناك قنبلة فيها؟». يسأل سيفرو، وهو ينظر إلى السفينة بعدم ارتياح.

- «لن تكون هنالك قنبلة». أقول.

- بليني ما زال يريدني، ويريد دارو مِن أجل الحاكِمة المعظَّمة. لكنْ

أكثر مِن ذلك، يريد أسطولكَ يا دارو. عندما لم يظهر الأسطول في هيلداس، لا بدّ من أنّه أدركَ بأنّك حُذِّرت، أو أنّك تنتظر رمز تأكيد لا يعرفه.

- واكتشفَ بأنّ أفضل طريقةٍ لمعرفة أين أكون أنا، هي عن طريقك.

- «لذا فتتبُّعي هي الطريقة التي سيعثر بها على هذا الأسطول». تقول موستانغ.

ينقّل لورن نظراته بيننا: «متى ناقشتما أنتما الاثنان هذا؟».

- «الآن فقط». تقول موستانغ، متعجّبة مِن سؤاله.

يربّت سيفرو على كتف لورن: «لا تقلق. لستَ خرفاً. إنّهما فقط غريبا أطوار».

يحدّق لورن في يد سيفرو المتّسخة. القفّاز الذي بلا أصابع مغطّى بالبطاطا المهروسة والمَرَق البنّي. تتلاشى ابتسامة سيفرو العريضة، ويسحب يده مُحرجاً.

ألتفتُ إلى البرتقالي: «أخرِجها عبر بوّابة الضّغط. بسرعة». يبدو متردّداً. يظلّ يمشي على رؤوس أصابعه: «إلّا إذا كان لديك فكرة أفضل».

يحكُّ رأسه، يبدو قلقاً مع كل هذه الوجوه الذهبيّة التي تحدّق به. العمّال المتمرّسون يراقبون التبادل بحذر.

- «تكلّم». ينبح سيفرو.

- بكل تأكيد. يمكنني إخراجها عبر بوّابة الضّغط يا دومينوس، أو.. أقصد، يمكنني العثور على الماسحات وأيّ مواد مشعّة إن كانوا قد اختاروا الذهاب في هذا المسار. لدينا بعض التفاصيل والأفكار النيّرة هنا. يمكننا إيجادها، وبوسعي وضعها في سفينة استطلاع بعيدة المدى، بلا مشكلات.

قد يكون مِن الجيّد أن نرسل كلاب بليني لتنبح في الاتّجاه الخطأ، أليس كذلك؟

- «ما اسمك وعالمك؟». أسأل.

- «دومينوس... آه». يرمش بشدة: «اسمي سيثر. لونا. ثلاث بنات. زوجتي تعمل في مركز تطوير المركبات، لذلك لدينا—».

أقاطعه: «افعَل ذلك على نحوٍ صحيح وسنحضرهم إلى المرّيخ ونجعلهم ضمن طاقم القلعة يا سيثر. لديكَ عشر دقائق».

- «حاضر سيّدي». يستدير إلى رجاله بحماس.

أقود موستانغ وجماعتي إلى المصاعد.

- «بليني قال إنّه قتلَك». تهمسُ لي، ونحن نسير.

- «أجا وأسطول بيلونا كانوا ينتظروننا، كما كنّا نظن». أبتسم ابتسامةً عريضةً جانبيّةً لها، ثمّ أسحب لوحي الرقمي: «أوريون، تَولّي قيادة الأسطول. أريد أن نبتعد عن هذا القطاع قبل أن نحصل على مزيدٍ مِن الرفقة. سيفرو، استدعِ آل تيليمانوس. أريدهم في... سيفرو؟». أنظر مِن حولي باحثاً عنه. إنّه يتسكّع حول عين بليني في الخلف على بعد نحو عشرين متراً. نلتفتُ لننظر إليه، فيحرّك قدميه بارتباك.

- «هل يمكنني...». يشير نحوها.

- «ماذا؟». تسأل موستانغ.

- هل يمكنني الحصولُ عليها؟

تنظر موستانغ إليه بشزر: «إنّها لك».

يلتقط العين ويقحمها في جيبه بابتسامةٍ واسعةٍ مرحة، ثمّ يركض ليلحق بنا: «آمل أن أُكمِل المجموعة».

# 32

# مُتْ شابّاً

أصرّت موستانغ على رؤية تاكتوس قبل الاجتماع. ثيودورا تقودنا. نجد روكي جالساً بجانب جثّته في الحجرة الطبيّة للسفينة. الطريقة التي يجلس بها، ويداه متشابكتان، قد تظنّ أنّه لا تزال هناك فرصة لدى تاكتوس للبقاء على قيد الحياة. ربّما في عالمٍ آخر حيث لا يوجد رجالٌ مثل لورن.

- «إنّه هنا منذ معركة أوروبا». تقول ثيودورا بهدوء.

- «لم تخبريني أنّه هنا في الأسفل». أقول.

- لقد طَلَبَ منّي ألّا أفعل.

- أنتِ خادمتي يا ثيودورا.

- وهو صديقكَ يا دومينوس.

تدفعني موستانغ بلطف: «توقّف عن التصرّف بتعجرف، ألا ترى أنّها مرهقة مثله؟».

أنظر إلى ثيودورا. موستانغ محقّة: «ينبغي أن تنامي قليلاً يا ثيودورا».

- «أعتقد بأنّها فكرة رائعة يا دومينوس. مِن الرائع دائماً رؤيتك يا

دومينا». تقول ثيودورا لموستانغ قبل أن تلقي عليَّ نظرةً متجهّمة: «سيّدي كان مزاجيّاً إلى حدٍّ ما في غيابك».

تشاهد موستانغ ثيودورا، وهي تنزلق خارجاً: «كنتَ محظوظاً بوجودها». تلمسُ كتف روكي بلطف. عيونه تفتح ببطء.

- فيرجينيا.

تقرَّبا كثيراً خلال السنة التي قضيناها جميعنا معاً في القلعة. لم يتمكّن أيٌّ منهما مِن إقناعي بالانضمام إليهما في حضور الأوبرا. ليس لأنّي لم أكن مهتمّاً بالموسيقا، بل لأنّ لورن كان يطالب بتخصيص وقتٍ له.

تضغطُ على يده: «كيف حالُك؟».

- «أفضل مِن تاكتوس». يلقي نظرةً نحوي. أراهن بأنّه كان سيقول المزيد لو لم أكن هنا. يرى حالة موستانغ المرتبكة، وجبينها المتجعّد بقلق: «ماذا حدث؟».

عندما نخبره، يمرّر يده برفق في شعره المتموِّج: «حسناً، هذا سيّئ. لم أظنّ قطّ أنّ بليني سيكون جريئاً إلى هذا الحدّ».

- «سنلتقي خلال عشر دقائق لمناقشة الخطط». أقول.

يتجاهلني روكي: «أنا آسف بشأن والدكِ وأخيكِ يا فيرجينيا».

- «ما زالا على قيد الحياة، أتمنّى ذلك». تنظر إلى تاكتوس ويهدأ وجهها: «آسفة بشأن تاكتوس».

- «لقد رحل بالطريقة نفسها التي عاش بها». يقول روكي: «كنت أتمنّى فقط لو عاش لمدّة أطول».

- «هل تعتقد أنّه كان سيتغيّر؟». تسأل موستانغ.

- «كان دائماً صديقنا». يقول روكي: «كانت مسؤوليّتنا مساعدته في المحاولة، حتّى لو كان الأمر أشبه بعناقك لشُعلة». ينظر إليّ للحظة.

- «أنتَ تعلم أنّني لم أكن أريد له أن يموت». أقول: «كنتُ أريد أن يعود معنا».

- «تماماً كما أردتَ القبضَ على أجا؟». يقول روكي ساخراً من تعبيري.

- أخبرتكَ لماذا فعلتُ ذلك.

- طبعًا. لقد قتلت صديقتنا؛ قتلت كوين، لكنّنا تركناها تذهب مِن أجل الخطّة الكبرى. كل شيء له ثمن ما يا دارو. ربّما ستتعب قريباً مِن جعل أصدقائكَ يدفعون الثمن.

- «هذا ليس عدلاً». تقول موستانغ بسرعة: «أنتَ تعلم أنّ هذا غير صحيح».

- «ما أعلمه هو أنّ مخزوننا مِن الأصدقاء بدء ينفد». يردّ روكي: «ليس كلّنا بصلابة الحصّاد. ليس كلّنا يريد أن يكون محارباً».

بالطبع يعتقد روكي أنّ هذه الحياة هي مِن اختياري. كانت طفولته ممتلئة بالراحة والقراءة، قضاها متنقّلاً جيئةً وذهاباً بين أملاك عائلته في طيبة الجديدة ومرتفعات المرّيخ. لم يؤمِن والداه بالتعليم عن طريق الرَّفعِ المعزَّز، لذا وظّفوا بنفسجيّين وبيْضاً لتعليمه بطريقةٍ تربويّة—بالمشي والحديث في المراعي الهادئة بجانب البحيرات الساكنة.

- «لم يبع تاكتوس الكمان». يقول روكي بعد لحظة.

- ذلك الذي أعطاه إيّاه دارو؟

- نعم. الستراديفاري. لقد باعه، ثمّ شعر بالذنب لدرجة أنّه لم ينه

عمليّة البيع مع دار المزادات. جعلهُم يلغون الطلب. كان يتدرّب في الخفاء، محاولاً استعادة مهارته. قال إنّه أراد مفاجأتك بسوناتا يا دارو.

يشتدُّ الشعور بالثقل في داخلي. لطالما كان تاكتوس صديقي. لقد ضلَّ الطريق فقط في محاولة أن يكون الرجُل الذي أرادت عائلته أن يكونه، بينما أحبّه أصدقاؤه طوال الوقت على ما هو عليه. تضع موستانغ يدها على أسفل ظهري، مدركةً ما أفكّر به. ينحني روكي إلى الأسفل الآن ليُقبِّل تاكتوس على خدّه ويمنحه البركة.

– مِن الأفضل الذهاب إلى العالم الآخر في أوج المجد وقمّة الشّغف على أن يذبل ويتلاشى مع تقدّم العمر. عشْ بسرعة، مُتْ شاباً، يا صديقي المتمرّد.

يغادر روكي، ويتركنا أنا وموستانغ وحدنا مع تاكتوس.

– «عليكَ إصلاح ذلك». تقول موستانغ قاصدة روكي: «أصلِحه قبل أن تخسره».

– «أعلم». أقول: «بمجرّد أن أُصلِح مئة شيء آخر».

نجلس في غرفة الحرب في مجلسٍ ممتلئٍ حول طاولةٍ خشبيّةٍ كبيرة. أكواب القهوة وأطباق الطعام تملأ الطاولة. تجلس موستانغ إلى جانبي، تضع قدميها على الطاولة كعادتها، وهي تشرح ما الذي سار على نحوٍ خاطئ في مهمّة والدها. يميل كافاكس إلى الأمام على نحوٍ مضطرب، وهو في مقعده، خائفاً مِن فكرة تعرُّض أوغوستوس للهزيمة. يعصر يديه بقلق، متوتّراً لدرجة أنّ داكسو يأخذ سوفوكليس مِن حضنه ويسلِّمه إلى فيكترا المرتبكة. يملأ صوت موستانغ الغرفة، ويضيء العرض المجسَّم

الذي أعطاها إيّاه بليني، وتدبُّ فيه الحياة فوق الطاولة. لواء مِن الفرقيطات ينطلق بصمتٍ عبر الفضاء نحو أحواض بناء السفن الشهيرة في غانيميد التي تحيط بالقمر الصناعي المبقَّع بالأخضر والأزرق ودوّاماتٍ مِن الأبيض.

- «أرسلَ فرقة مِن الجَوّاسة الرماديّين وجعلهُم يختبؤون في جوف ناقلتين. عطّلوا ثلاثة مِن المفاعلات النوويّة الخاصّة بالمِنصَّة الدفاعيّة، ثمّ جاء والدي بقوّة بمقاتلاته ذاتِ الجناح القاطع وفرقيطاته، وبأسلوبه المعروف—محركات مُشتعلة وقذائف تتساقط قبل أن يعاودَ الالتفاف مجدّداً».

لقد كان كنزاً دفيناً-نحو سبع عشرة مُدمِّرة، وأربع مدرّعات في حوض بناء السفن، معظمها على وشك الانتهاء. معتقداً أنّ السفن مجهّزة بطواقم بأعداد مُخفَّضة، اقتحمها جميعها في وقتٍ واحد. حتّى إنّه قاد بنفسه سفينة الاقتحام العلقيّة التي اقتحمت مُحطِّم القمر مع اثنين مِن مَوسوميه. لكنّ السفن لم تكن مأهولةً بالطواقم المخفَّضة. في الواقع، لم تكن هناك طواقم على الإطلاق. بدلاً مِن ذلك، كانت ممتلئةً بالحرس البريتوري، وفرق الجَوّاسة الرماديّين، والفرسان الأولمبيّين».

- «وهل... \استسلم؟». يسأل كافاكس بذعر.

تضحك موستانغ: «والدي؟ كاد أن يشقَّ طريقه للخروج. قتلَ فارس اللَّهب، ثمّ اصطدم ببعض أصدقائنا القدامى».

يُظهِر العرض المجسّم أوغوستوس وهو يخترق صفوف اثني عشر رمادياً مثل رجُلٍ يسير بين العشب الطويل الجاف. شفرته تطنّ وتئزّ، ليتطاير الشّرر منها على الجدران وتخترق الرجال والدروع إلى أن قابلَ

رجُلاً آخر يرتدي درعاً بلون اللَّهب؛ فارس اللَّهب. هناك وابل مِن الطعنات المحكمة، ثمّ ضبابٌ أحمر. رأسٌ يسقط على الأرض. بعد ذلك، يظهر رجُلان: أحدهما يرتدي خوذة مُتوَّجة بالشمس، والآخر فيتشنير بخوذته ذات رأس الذئب. معاً يقتلان المَوسومين ويوقعان أوغوستوس على الأرض، وهو ينزف.

يلتفتُ لورن نحوي: «سيّدتي... موستانغ، مَن كان الرجُل في الدرع المتوَّج بالشمس؟».

تلتزم الصمت.

– «هذا درع فارس الصباح». أجيب: «كاسيوس. لا بدّ من أنّهم أصلحوا ذراعه، أو أعطوه واحدةً جديدة».

تتابع موستانغ: «سفن جولي كانت أيضاً هناك». تنظر إلى فيكترا: «هم مَن أجهزوا على قوّات والدي».

يُحدِّق سيفرو في فيكترا، مُسترِدّاً سوفوكليس منها، وكأنّها ليسَت مَوضِع ثقة حتّى فيما يتعلّق بالثعلب: «هل تشعرين بالحرج؟ يجب أن تشعري».

– «لقد ناقشنا هذا مِن قبل». تقول فيكترا، بنبرةٍ يشوبها مَللٌ مِن الاتّهامات: «أمّي هُدِّدَت مِن قِبَل الحاكِمة المعظَّمة. إنّها ليسَت سياسيّة. إنّها تهتمُّ بالمال، ولا شيء غيره».

– «إذن فهي لا تهتمُ بالولاء؟». تسأل موستانغ: «هذا مُثير للاهتمام».

– «تفه! عاهرة أغريبينا الشريرة». يتمتم كافاكس متذمّراً: «لطالما كانت كذلك».

– «حذارِ يا كبير». تُحذِّر فيكترا: «إنّها لا تزال أمّي».

يَشبكُ كافاكس ذراعيه الضّخمتين: «اعتذري؛ لأنّها أمّك».

- «وكيف نعرف أنّكِ لستِ متواطئةً معهُم يا فيكترا؟». يسأل داكسو بهدوء: «ربما تتجسّسين؟ ربّما تنتظرين. كيف تثق بولائها يا دارو؟ يمكنها بسهولة إرسال كلمة...».

تنظر موستانغ إليّ: «كنت أتساءل عن ذلك أيضاً».

- «لماذا أثق بكَ يا داكسو، أو بكَ يا كافاكس؟». أسأل: «يمكن لأيٍّ منكما أن يكون في وضعٍ جيّد، ويحصل على عفوٍ، ويحصل على مزيدٍ مِن الأراضي والأموال إن جلب رأسي إلى الحاكِمة المعظَّمة».

- «وقلبكَ إلى والدة كاسيوس». يُذكِّرني سيفرو.

- شكراً سيفرو.

- «أنا هنا للمساعدة!». يأخذ فخذ دجاجة مِن المائدة التي على الطاولة ويُطعمُها لسوفوكليس. متأمّلاً يأخذ قضمةً هو الآخر، ويهمسُ بشيءٍ ما للثعلب.

- «أثق بفيكترا للسبب نفسه الذي يجعلني أثق في أيّ منكم— الصداقة». أقول، محاولاً إبعاد نظري عن سيفرو.

- «الصداقة. هع». موستانغ تضع كوب قهوتها على الطاولة مُصدرةً صوتاً عالياً: «سأكون صريحة. لا أثق بأيّ مِن آل جولي إلّا بمقدار ما يمكنني إبعادهم به عنّي».

- هذا لأنّكِ تخشينني، أيّتها الفتاة الصّغيرة.

تستقيمُ موستانغ في جلستها: (صغيرة؟).

- أنا أتقدّم عليكِ بعقدٍ مِن الزمن يا عزيزتي. في يوم مِن الأيّام، ستنظرين

إلى نفسك وتضحكين. هل كنتُ حقّاً بهذه الحماقة وبهذه السذاجة؟ إضافة إلى ذلك، أنتِ لستِ ذات طول فارع؛ لذا سأدعوكِ بالصّغيرة.

- «لا أتشاجر بأسلوب النساء هذا». تقول موستانغ ببرود: «لا أثق بكِ لأنّني لا أعرفك. كلّ ما أعرفه هو أنّ سُمعة والدتكِ ليسَت مُنزّهة عن ألاعيب السياسة. إنّها تُدبّر المكائد وترشو. كان والدي يعرف ذلك، وأنا أعرف ذلك، وأنتِ تعرفين ذلك».

- «أجل، إلى حدٍّ ما والدتي تُدبّر المكائد، وأنا كذلك، وأنتِ كذلك، ولكنْ إن كان هنالكَ شيء واحدٌ لا أقوم به فهو الكذب. لم أكذب قطّ، ولن أفعل. على عكس بعض الأشخاص». تقوّس الحاجبين يوضّح تماماً ماذا تعني.

- «التفّاحة لا تسقط بعيداً عن الشجرة يا دارو». يُحذِّر داكسو: «ضع مشاعركَ جانباً فيما يخصّ هذا الأمر. لقد نَشَأت على يَدِ امرأةٍ خطرة. لا حاجة لإساءة مُعاملَتها، لكنْ لا يمكننا أن نجعلها في هذا المجلس. أنصحكَ بوضعها في جناحها حتّى ينتهي هذا الأمر».

- «نعم». يضرب كافاكس الطاولة ببراجمه العقديّة: «أتّفِق مع ذلك. شجرة فاسدة».

- «لا أصدِّق أنّكَ جررتني إلى هذه الفوضى يا دارو». يقول لورن مُتذمّراً. يبدو غير مُتأقلم هنا. مُسنٌّ جدّاً وأشيب ليكون جزءاً مِن هذه المشاحنات: «لا يمكنكَ حتّى الوثوق بمجلسك».

- «مزاجكَ سيّئ، ربّما بسبب انخفاض السكّر في الدم؟». يرمي له سيفرو بقطعة الفخذ الممضوغ نِصفها. يدعها لورن تسقطُ على الطاولة غيرَ مُكترِث بالمشهد.

- «نودُّ أن نستمعَ إلى حكمتكَ يا أركوس». يقولُ كافاكس باحترام.

- «أنصحكَ بالاستماع إلى مستشاريك يا دارو». يفرقع لورن براجمه العقديّة: «لديّ ندوبٌ أقدمُ منهم، لكنّهم ليسوا سُذّجاً تماماً. الأفضل أن تكون حذراً مِن أن تندم. احتجز فيكترا في جناحها».

- «أنتَ حتّى لا تعرفني يا أركوس!». تحتجُّ فيكترا، التي أُجبِرت أخيراً على النهوض مِن كرسيّها. ترى المحاربة في داخلها الآن، تلتهبُ تحت هدوئها المصطنع: «هذه إهانةٌ لي. كنتُ أحاربُ إلى جانب دارو عندما كنتَ أنتَ مختبئاً في قلعتكَ العائمة، مُتظاهراً أنّه عام 1200 م».

- «الوقتُ لا يثبتُ ولاء المرء». يسخر لورن ويمرّر إصبعه على ندبة في ساعده: «الندوب هي الدليل».

- حصلتَ على تلكَ الندوب وأنتَ تقاتل مِن أجل الحاكِمة المعظَّمة. لقد كنتَ سيفها. كم مِن الدماء سَفكتَ لأجلها؟ كم عدد الرجال الذين شاهدتهُم يحترقون إلى جانب سيِّد الرماد؟

- لا تتحدّثي عن ريا أمامي، أيّتها الفتاة.

أسنانُ فيكترا تلمع بابتسامةٍ غليظة: «إذنْ فارسُ الغضب موجود هنالك خلف التجاعيد والملابس الرثّة التي أكلَها العث».

يتفحّصها لورن، وقد لمحَ سخط الشباب فيها، ثمّ ينظرُ إليّ، وكأنّه يتساءل عن نوع الرجُل الذي يجلب ذهبيّين مثل تاكتوس وفيكترا إلى جانبه. هل حقّاً يعرفني؟ تسألني عيونه. كلّا، إنّه يدركُ ذلك. بالطبع لا.

- الشرف في البداية. الشرف في النهاية. هذه كلمات عائلتي. أمّا أنتِ... أيّتها الآنسة الشابّة، حسناً، اسم جولي لا يثير بالمرء شعوراً يوحي بوجود غرض نبيل، أليس كذلك؟ أنتُم مُجرَّد تُجّار.

– اسمي لا علاقة له بمن أكون.

– «الأفاعي تنجبُ الأفاعي». يجيب لورن، مِن دون حتّى أن ينظرَ إليها الآن: «كانَت أمُّكِ أفعى وأنجبتكِ؛ ولهذا فأنتِ أفعى. وما الذي تفعله الأفاعي يا عزيزتي؟ إنّها تزحف. تنتظر بدم بارد، بلا عاطفة في العُشب، ثمّ تلدغ».

– «يمكننا طلبُ فدية مقابلها». يقول سيفرو: «نُهدِّد بقتلِها إن لم تنضمّ أغريبينا إلينا، أو إن توقّفت على الأقل عن تخريب خططنا».

– «أنتَ وغدٌ صغيرٌ مشؤوم، أليسَ كذلك؟». تسأل فيكترا.

– أنا ذهبيٌّ يا عاهرة! ماذا تتوقّعين؟ حليبٌ دافئٌ وبسكويت فقط لأنّني صغير الحجم؟

يصدر روكي كُحّة، ويجذب الأنظار.

– «يبدو أنّنا غيرُ مُنصفين، حتّى إنّنا منافقون». يقول ملاحظاً: «جميعكُم هنا تعرفون أنّ عائلتي ممتلئة بالسياسيّين. ربّما يظنّ بعضكُم أنّني أتيتُ مِن دمٍ نبيلٍ، وبذورٍ نبيلة. لكنْ نحن آل فابي، سلالة غيرُ نزيهة. والدتي سيناتورة تملأ جيوبها بأموال مِن تمويلات زراعيّة وإعانات طبيّة لبني الألوان الدُنيا كي تتمكّن مِن العيشِ في منازل أكثر مِن التي عاشَت فيها والدتها. جدّي مِن طرف أبي سمَّم ابن أخيه بسبب نجمةٍ بنفسجيّةٍ صاعدةٍ برُبعِ عمره، والتي انتهى بها الأمر بطعنه وإفقاد نفسها البصر عندما اكتشفت أنّهُ قتلَ ابن أخيه، عشيقها. لكن هذا لا شيء مقارنة بعمّي الأكبر الذي أطعمَ الخدمَ لأسماكِ الجَلكي لأنّه قرأ بأنّ الإمبراطور تيبيريوس كان مُهتمّاً بهذا الشغف الغريب. ومع ذلك، ها أنا هنا، نِتاجُ كل ذلك الفساد، ولا أعتقدُ أنّ أحداً هنا يَشكُّ في ولائي».

- إذن لماذا نشكُّ في ولاء فيكترا؟ لقد بَقيَت مُخلصةً لدارو منذ الأكاديميّة. لم يكن أحدكُم هناك. لا أحد منكُم يعرفُ شيئاً عن ذلك، لذلك أصِرُّ أن تُغلِقوا أفواهكُم. حتّى عندما طَلبَت منها والدتها أن تتخلّى عن دارو وأوغوستوس، رفضت وبقيت. حتّى عندما جاء الحرس البريتوري لقَتلِنا في لونا بقيت. والآن هي هنا، ونحن لا نملكُ سوى تحالفٍ غير متجانس مِن الخارجين عن القانون، وأنتُم تشكّكون بها. تشعرونني بالاشمئزاز. إنّني أشعرُ بالحزن لوجودي بينكُم أيّها المتناكفون. لذلك، إذا شكَّكَ رجُلٌ آخر، أو امرأة أخرى في ولائها، سأفقدُ إيماني في هذه الرفقة وسأغادر.

ابتسامة فيكترا نحوه تشبه شروق الشمس؛ بطيئة، ثم تُبهِر الأبصار. وتختفي أبطأ مما كنتُ أتوقّع. الدفء فيها يفاجئ روكي أيضاً، وخدوده الشاحبة تحمرُّ سريعاً.

- «أنا لستُ والدتي». تُعلن فيكترا: «ولا شقيقتي. سُفني مُلكي، ورجالي لي». عيونها الواسعة هادئة، تكادُ تبدو ناعسة، لكنّها تلمع حين تميل إلى الأمام: «ثقوا بي، وستكافؤون على ذلك. لكن كلُّ ما يهُم هو ما يعتقده دارو».

كلُّ العيون تتّجه إليّ وإلى صمتي. في الحقيقة، لم أكن أفكّر في فيكترا، بل في تاكتوس وأتساءل عن مدى السهولة التي شعر فيها بأنّني أبقيتهُ بعيدا عنّي. عندما أظهرتُ له المودّة في البداية ورفضَ الكمان حينها، شعرتُ بالحرج والأذية؛ لذا انسحبت. كان مِن الأفضل لو كنتُ صادقاً في شعوري وبقيتُ مُلتزماً باتّجاهي. كان يمكن لجدرانه أن تنهار. لم يكن ليغادر أبداً. كان يمكن أن يكون هنا. لن أكرّر الخطأ نفسهُ مرّة أخرى، أقلّها مع فيكترا. لقد مددتُ يدي إليها في الرِّواق، وسأفعلُ ذلك أمام هذه المجموعة.

- «المصادفة جعلتنا ذهبيّين». أقول: «كان يُمكِن أن نولد مِن أيّ لونٍ آخر. المصادفة وضعتنا في عائلاتنا. لكنّنا نختار أصدقاءنا. فيكترا اختارتني، وأنا اخترتها، مثلما اخترتكُم جميعاً. وإذا لم نتمكّن مِن الوثوق بأصدقائنا». أنظر إلى روكي بحزن، باحثاً عن الغفران في عينيه: «فما فائدة التَّنفُسِ حينها؟».

أنظر إلى فيكترا مرّة أخرى. عيناها تقولان ألف شيء، وتعود إلى ذهني كلمات الشَّغبر وهو مُستلقٍ في فراشه من جرّاء حروق القنبلة. فيكترا تُحبُّني. هل يمكن أن يكون الأمر بهذه البساطة؟ تفعلُ كلَّ هذا ليسَ بسبب أساليب آل جولي في تحقيق المكاسِب والربح، بل مِن أجل هذا الشعور الإنساني البسيط. أتساءل، هل يمكن أن أحبّها يوماً؟ لا، لا، في عالم آخر، موستانغ لن تكون أبداً مُحاربة، لن تكون قاسية؛ أمّا فيكترا ففي أيّ عالم، ستكون دائماً كذلك. دائماً مُحاربة، مثل إيو تماماً. دائماً بَريَّة وممتلئة بالنار بحيث لا تجدُ السلامَ في أيّ شيء آخر.

تلحظُ موستانغ أنّ شيئاً ما يجري بيني وبين فيكترا.

- «إذن الأمر مَحسوم». تقول موستانغ: «نعود إلى المسألة الأساسيّة. بليني ينتظرُ الآن مع الأسطول الرئيسي. فقد جمع هنالك كلَّ حملة راية والدي لصياغة وثيقة استسلام رسميّة للحاكِمة المعظَّمة وإعادة هيكلة المرّيخ. الاتّفاق، على حدّ فهمي، سيجعلهُ رأس عائلةٍ خاصّة به. عائلتهُ إضافةً إلى عائلتَي جولي وبيلونا، سيكونون القوى الرئيسيّة على المرّيخ. بمجرّد الاتّفاق على السلام، سيوثّق ذلك بإعدام والدي في ساحة قَلعتِنا في أجيا». تنظرُ موستانغ في أنحاء الطاولة، تاركة ثِقلاً لكلماتِها: «إن لم نُنقِذ والدي، فإنّ هذه الحرب ستنتهي. لن يأتي لوردات القمر لمساعدتنا. في

الواقع، سيرسلون سُفناً ضِدَّنا. قوّات فيسباسيان مِن نبتون ستعود أدراجها. سنكون وَحدَنا ضِدَّ الجمعيّة بأسرِها، وسنموت».

- «جيّد. هذا يجعلُ الأمورُ بسيطة». أقول: «سنستعيدُ أسطولنا، ثمّ نستعيدُ المرّيخ. هل مِن أفكار؟».

# 33

# الرقصة

أنامُ مع حُلمٍ عن الماضي. يدي ملفوفة بخصلات شعرها. حولنا، الوادي يمتدُّ هادئاً في سُباتِه. حتّى الأطفال لم ينشطوا بعد. الطيور تستريحُ على الأغصان المعقودة في غابة الصنوبر القريبة، ولا أسمعُ شيئاً سوى أنفاسها وفرقعة النار القديمة. السريرُ تملؤه رائحتها. ليس عطراً، أو عبقَ زهور، بل رائحة الشذى الطبيعي لجلدها فقط، والزيوت في شعرها الذي حول يدي، وأنفاسها الحارّة، وهي تدفئ وجنتي. شعرها كان مِن كوكبنا. جامحاً مثل شعري، قذراً مثل شعري، وأحمرَ مثل شعري. عصفور في الخارج يشدو بصوتٍ عالٍ. باستمرار. أعلى، فأعلى.

أستيقظ على صوت شخصٍ عند بابي.

أركل الأغطية المبلّلة بالعَرَق جانباً، وأجلس على حافّة الفراش: «اِعرِض». يظهر عَرضٌ مُجسَّمٌ لموستانغ في الردهة. أنهضُ لا شعورياً لأفتح لها، لكن عندما أصلُ إلى الباب أتوقّف. لدينا خُطّتنا. لا يوجد شيء يستدعي المناقشة في هذه الساعة. لا شيء مِن الممكِن أن يعودَ بأيّ نفع.

أُراقِبها عبر العرضِ المجسَّم. تتمايل مِن قدمٍ لأخرى، هناك شيء

في يديها. إن فتحتُ لها... سيكلّفُ ذلك كلينا كثيراً في نهاية الأمر. لقد آذيتُ روكي أصلاً، وقتلتُ كوين، وتاكتوس، وباكس. جعلُها قريبة منّي الآن سيكون أنانيّاً. في أفضل الأحوال، ستنجو مِن هذه الحرب، وتعرف حقيقتي. أتراجعُ مُبتعداً عن الباب.

- دارو، كُفَّ عن التصرّف كالأحمق ودعني أدخل.

يدي تختارُ بدلاً منّي.

شعرُها مُبلّل ومُتحرّر، وبدلاً مِن بدلتها المعتادة، ترتدي كيمونو أسود. كم تبدو هشة مقارنة براغنار، الذي يقفُ مُترصّداً في الردهة!

- «ألم أقل لكَ؟». تقول لراغنار، ثمّ تقول لي: «عرفتُ أنّكَ ستكون مُستيقظاً. راغنار كان عنيداً. قال بأنّكَ تحتاج إلى النوم. ولم يأخذ الطعام الذي أحضرته له».

- «هل تحتاجين إلى شيء؟». أسألها، ببرودٍ أكثر ممّا أردت.

تحرّك قدميها بتوتّرٍ مُفتَعل: «أنا... أخافُ مِن الظلام». ثمّ تدفعني وتدخلُ متجاوزة إيّاي. راغنار يراقبُ ذلك، بعيونٍ لا تبدي أيَّ تعبير.

- قلتُ لكَ أن تذهب إلى الفراش يا راغنار.

لا يتحرّك.

- راغنار، إن لم أكُن بأمان هنا، فلن أكون بأمان في أيِّ مكان. اذهب للنوم.

- **أنام بعينين مفتوحتين، يا دومينوس.**

- حقّاً؟

- **نعم.**

- «حسناً، افعل ذلك في سريرك، أيّها المَوسوم. هذا أمر». أقولها كارهاً كلمات السيِّد هذه فور خروجها مِن فمي.

على مضضٍ، يومئ برأسه وينسحب بصمتٍ عبر الممرّ. أراقبه، وهو يغادر بينما يُغلَق الباب مُصدراً هسيساً. أستدير لأجد موستانغ تتفحّص جناحي. إنّ فيه خشباً وحجراً أكثر مِن المعدن، الجدران منقوشة ومزخرفة بمشاهد مِن الغابة. مِن الغريب الجهد الذي يبذله هؤلاء ليشعروا أنّهم جزءٌ مِن التاريخ، بدلاً مِن أن يكونوا جزءاً مِن المستقبل.

- لا بدّ من أنّ سيفرو مُستاءٌ لأنّه لم يعد الوحيد الذي يتسلّل خلفك.

- لقد كبر سيفرو قليلاً منذ آخر مرّة رأيته فيها، حتّى إنّه ينام في أسِرَّةِ الآن.

تضحكُ على ذلك: «حسناً، راغنار كان مُصرّاً أن أذهبَ بعيداً، لدرجة أنّي اعتقدتُ بأنّه قد يكون لديكَ رفقة ما».

- أنتِ تعرفين أنّني لا أستخدمُ الزهريّين.

- «إنّهُ كبير». تقول واصفةً الجناح: «ستّ غرف بأكملها لك فقط يا صغير. ألا تريد أن تعرض عليَّ شيئاً للشرب؟».

- هل ترغبين—.

- «لا، شكراً لك». تطلب مِن وِحدَة التَّحكُم بالغرفة بأن تُشغِّل موسيقا لموزارت. «لكنْ لا أعتقد أنّك تحبّ الموسيقا، أليسَ كذلك؟».

- ليسَ هذا النوع. إنّه... ثقيلٌ ومُمِل.

- ثقيلٌ ومُمِل؟ موزارت كان مُتمرِّداً، خارجاً عن القانون بعبقريّته العظيمة المتفرّدة! مُحطِّماً لكلِّ ما كان مُملاً وثقيلاً.

أهزُّ كتفي: «ربّما، لكنّ الناسَ المملّين والثقيلين سيطروا عليه في النهاية».

– «أنتَ مِثلُ فلّاحٍ جاهلٍ أحياناً. ظننتُ بأنّ ثيودورا قد تمكّنَت مِن تلقينكَ بعضَ الثقافة. إذن ماذا تُحبّ؟». تمرّر يديها على نقشٍ لحيوان إلكة يقودُ قطيعه: «ليس تلكَ الفوضى الإلكترونيّة التي يهزُّ العَوّاؤون رؤوسهم عليها، آملُ ذلك. يبدو منطقيّاً أنَّ الخُضر ابتكروا هذا... الأمرُ يشبه الاستماع إلى روبوت يعاني مِن نوبة».

– «لديكِ خبرة كبيرة مع الروبوتات؟». أسألها بينما تتحرّكُ حول درع النَّصرِ في غرفة بجوار قاعة الدخول. الحاكِمة المعظَّمة منحته لسيِّد الرماد عندما أحرقَ ريا. أصابع موستانغ تتراقص على المَعدن المتجمّد الملوَّن.

– «كان للبرتقاليّين والخُضر الذين لدى والدي بعض الروبوتات في مختبراتهم الهندسيّة. أشياء عتيقة، صدئة، أعاد والدي تأهيلها ووضعها في المتاحف». تضحكُ في سِرِّها: «اعتادَ على أخذي إلى هناك عندما كنتُ أرتدي الفساتين، وكانَت والدتي ما تزالُ حيّة. كان يكره بشدّة تلكَ الأشياء. أتذكّر أمّي، كانت تضحكُ على ارتيابه، خاصّةً عندما حاولَ أدريوس إعادة تشغيل أحد النماذج القتاليّة مِن أوراسيا. كان والدي مقتنعاً بأنّ الروبوتات كانت ستطيحُ بالبشر وكانت لتكونَ الآن حاكِمة للمجموعة الشمسيّة لو لم تُدمَّر إمبراطوريّات الأرض».

أضحك بصوتٍ مَكتوم.

– «ماذا؟». تسألني.

– «أنا فقط...». أكتمُ ضحكتي: «أحاول تخيُّل الحاكِم العام العظيم أوغوستوس وهو مَذعور مِن الروبوتات». تنتابني نوبة ضحك أعلى: «هل يعتقد بأنّهُم كانوا ليريدون المزيد مِن الزيت؟ المزيد مِن العُطَل؟».

تنظر إليّ موستانغ، مستمتعة: «هل أنتَ بخير؟».

- «أنا بخير». تتلاشى ضحكتي، وأمسِك معدتي: «أنا بخير». لا أستطيعُ التوقّف عن الابتسام بابتسامة عريضة: «هل يخاف مِن الكائنات الفضائيّة أيضاً؟».

- «لم أسأله قط». تنقر على الدرع: «لكنّهُم هناك في الخارج، كما تعلم».

أنظر إليها مُحدِّقاً: «هذا غيرُ مَوجودٍ في الأرشيف».

- أوه، لا، لا. أعني أنّنا لم نجد أيَّ شيء. ولكن معادلة دريك- رودنبيري تقترح بأنّ الاحتماليّة الرياضيّة لذلك هي $N = R^* \times fp \times ne \times fl \times fi \times fc \times L$. حيث $R^*$ هو المعدّل الوسطي لتشكّل النجوم في مجرّتنا، وfp هي نسبة النجوم منها التي تحتوي على كواكب... أنتَ حتّى لم تعد تسمعني.

- «ماذا ستكون فكرتهُم عنّا برأيكِ يا ترى؟». أسأل: «أعني، عن البشر؟».

- «أعتقد أنّهُم سيعدّوننا جميلين وغرباء، وعلى نحوٍ غامض قساةً تجاه بعضنا». تشير إلى قاعة أخرى: «أهذه هي غرفة التدريب؟». تخلع حذاءها وتسير مبتعدةً عبر قاعةٍ رخاميّة، وتلقي نظرةً إليّ مِن فوق كتفها. أتبعها. تضيء الأنوار برفق مع مرورنا. تتقدّم أسرع مِن رغبتي باللّحاق بها. أجدها بعد لحظاتٍ في مركز غرفة تدريبٍ دائريّة. الحصيرة البيضاء ناعمة تحت قدمي. النقوش تملأ الجدران الخشبيّة: «عائلة غريموس مِن العوائل القديمة». تقول، مشيرةً إلى إفريز لرجُلٍ في درع: «يمكنكَ رؤية الجدِّ الأوّل لسيِّد الرماد هناك. سينيكا غريموس الذهبيّ، أوّل ذهبيٍّ يلامس الأرض

خلال المطر الحديدي الذي استولى على الساحل الشرقي لأمريكا بعد أن اخترق أحدُ أجداد كاسيوس -لا أذكر اسمه- الأسطولَ الأطلسي، ومِن ثمّ هنالك فيتاليا غريموس الذهبيّة، الساحرة العظيمة، إنّها هناك». تلتفت نحوي: «هل تعرف حتّى تاريخ الأشياء التي تحاول تحطيمها؟».

- لقد كان سيبيو بيلونا الذهبيّ هو مَن هزم الأسطول الأطلسي.

- «أكان هو؟». تسألني.

- «لقد درستُ التاريخ». أقول: «بقدر ما درسته أنتِ».

- «لكن يبدو أنّك تقفُ بعيداً عنه، أليس كذلك؟». تتحرّك حولي: «لطالما كنتَ كذلك. كأنّكَ متفرّجٌ ينظر مِن الخارج. لقد كانت نشأتكَ بعيداً عن كلِّ هذا في منجم الكويكِب الخاص بوالديك هي السبب، أليسَ كذلك؟ لهذا تستطيع أن تسأل سؤالاً مثل: (ماذا سيظنّ بنا الفضائيّون؟)».

- أنتِ أيضاً متفرّجة مثلي. لقد قرأتُ أطروحاتِك.

- «حقاً؟». تبدو مندهشة.

- «صدِّقي، أو لا تُصدِّقي، أستطيع القراءة أيضاً». أهزُّ رأسي: «يبدو أنّ الجميع ينسون أنّني أخطأت في سؤالٍ واحدٍ فقط في اختبار الذكاء العام في المعهد».

- «أوه. لقد أخطأت في سؤال؟». يتجعّد أنفها، وهي تلتقط شفرة تدريب مِن المقعد: «أعتقد أنّ هذا هو السبب في أنّكَ لم تكُن في عُصبة مينيرفا».

- بالمناسبة، كيف تدبَّر باكس أمر اختياره مِن قبل عُصبة مينيرفا؟ لطالما تساءلت... لم يكن بالضبط عالماً.

– «كيف انتهى المطاف بروكي في المرّيخ؟». تردُّ مع هزّة كتف: «كلٌّ منّا لديه أعماقٌ خفيّة. صحيح أنّ باكس لم يكن بذكاء داكسو، لكنّ الحكمة تكمنُ في القلب، لا في العقل. باكس علّمني ذلك». تبتسم بابتعاد: «النعمة الوحيدة التي منحني إيّاها والدي بعد وفاة أمّي كانت السَّماح لي بزيارة قصر تيليمانوس. أبقانا أنا وأدريوس بعيدين عن بعضنا لتقليل احتماليّة اغتيال ورثته. كنتُ محظوظة لوجودي قُربَهم. ولكنْ لو لم أكن هناك، ربّما لم يكن باكس ليكون بهذا الوفاء. ربّما ما كان ليطلُب بأن يكون في عُصبة مينيرفا. لكان حيّاً الآن. آسفة...». تهزُّ رأسها لتَطرُد الحزن، وتنظر إليّ بابتسامة ضيّقة: «ما رأيكَ في أطروحتي؟».

– أي واحدة؟

– فاجئني.

– (حشرات التخصّص). فرقعة. شفرة تمرين تضرب ذراعي وتلسع جلدي. أصرخ مِن المفاجأة: «ما هذا بحق الجحيم؟».

تقف موستانغ هناك بمظهرٍ بريء، وهي تحرّك نصل التمرين ذهاباً وإياباً: «كنتُ أتأكّد مِن أنّك منتبه».

– منتبه؟ كنتُ أجيبُ عن سؤالك!

تهزُّ كتفيها: «حسناً. ربّما أردتُ فقط ضربك». ثمّ تجلدني مجدّداً.

أتفادى: «لماذا؟».

– «لا لسببٍ معيّن». تضرب، فأتفادى: «لكنّهم يقولون إنّه حتّى الأحمق يتعلّم شيئاً بمجرّد تعرّضه لضربةٍ بها».

– «لا تقتبسي». تجلد، فألتفّ جانباً: «هوميروس... لي».

– «لماذا هذا البحث هو المفضّل لديك؟». تسأل ببرودٍ وتضربني مرّة أخرى. شفرة التمرين ليس لها حافّة، لكنّها صلبة مثل عصا خشبيّة. أقفز ملتفّاً نحو الجانب مبتعداً عن طريقها كبهلوان مِن ليكوس.

– «لأنّ...». أتفادى ضربة أخرى.

– «عندما تكون على كعبيك، فأنتَ كاذب؛ أمّا عندما تكون على أصابع قدميك، تخرجُ الحقيقة منك». تضرب مرّة أخرى: «الآن تَفوَّه بما لديك». تضربني على رضفتي. أتدحرج مبتعداً، محاولاً الوصول إلى شفرات التمرين الأخرى، لكنّها تمنعني بوابل مِن الضربات: «تكلّم!».

– «أعجبني ذلك». أقفز إلى الوراء: «لأنّكِ قلتِ: (التخصّص يجعلنا محدودين، حشرات بسيطة؛ وهي حقيقة... الذهبيّون... ليسوا حصينين في وجهها)».

تتوقّف عن مهاجمتي وتنظر إليّ بنظرة اتّهام، وأدرك أنّني وقعتُ في الفخّ.

– إذا كنتَ تتّفقُ مع ذلك، فلماذا تصرُّ على أن تكون مُجرَّد محارب؟

– هذا ما أنا عليه.

– «ما أنتَ عليه؟». تضحك: «أنتَ الذي تثقُ بفيكترا، بآل جولي. أنتَ الذي وثقت بتاكتوس. أنتَ الذي تركتَ برتقاليّة تقدّم توصيات استراتيجيّة. أنتَ الذي منحتَ قيادة سفينتك لعاملة شحن وتفريغ وتحتفظُ بحاشية مِن البرونزيّين؟». تُلوِّح إصبعها نحوي: «لا تكن مُنافقًا الآن، يا دارو أندروميدوس الذهبيّ. إذا كنتَ ستخبر الجميع أنّ بإمكانهِم اختيار مصيرهم، فعليكَ أن تفعل الشيء المتبّب نفسه».

إنّها ذكيّة جدّاً بحيث لا يمكن الكذب عليها؛ لهذا أشعر بعدم الارتياح بالقرب منها عندما تسألني أسئلة، عندما تختبر الأمور التي لا أستطيع شرحها. لا يوجد دافع واضح لكثير مِن أفعالي إن كنت فعلاً مِن آل أندروميدوس الذي نشأ على كويكِب في مستوطنة تنقيب لوالدين ذهبيّين. تاريخي فارغ بالنسبة لها. دوافعي مُحيِّرة... لو كنتُ ولدتُ ذهبيّاً. لا بدّ من أنّ كلّ هذا يبدو كطموح، كتعطّشٍ لسفكِ الدماء. وبدون إيو، لكان كذلك.

– «هذه النظرة». تقول موستانغ، وهي تبتعد عنّي خطوةً إلى الخلف: «إلى أين تذهب عندما تنظرُ إليَّ هكذا؟». ينزلق اللّون مِن وجهها، وينسحب إلى داخلها بينما تفترُ ابتسامتها: «هل هي فيكترا؟».

– «فيكترا؟». أكاد أضحك: «لا».

– إذن تلك؛ الفتاة التي فَقدتها.

لا أقول شيئاً.

لم تتدخل في ذلكَ قطّ. لم تسأل قطّ عن إيو، لا عندما قضينا وقتاً معاً بعد المعهد حين كُنت فارساً رمّاحاً صاعداً، ولا عندما ركبنا الخيول في قصر عائلتها، أو تجوّلنا في الحدائق، أو غصنا في الشعاب المرجانيّة. ظننتُ أنّها ربّما نسيت أنّني همست باسم فتاةٍ أخرى، وأنا مُستَلقٍ معها على ثلوج المعهد. كم كنتُ غبيّاً! كيف يمكنها أن تنسى؟ كيف لا يمكن أن يبقى ذلك داخلها، ويجبرها على التساؤل، وهي تضعُ رأسها على صدري، وتستمعُ إلى دقّات قلبي، إن لم يكن ينتمي إلى فتاة أخرى، فتاة ميّتة؟

– «الصَّمت ليس هو الإجابة الآن يا دارو». بعد لحظة، تتركني وحدي في الغرفة. تتلاشى أصوات خطواتها. يختفي صوت موزارت.

ألحقُ بها، أصِلُ إليها قبل أن تجد الباب المؤدّي إلى الممر. أمسكُ بمعصمها. تزيحني بعيداً.

- توقف!

أتراجع مندهشاً.

- «لماذا تفعلُ هذا؟». تسأل: «لماذا تسحبُني إليكَ إذا كنتَ ستدفعُني بعيداً؟». قبضتاها تضيقان كما لو كانت تريدُ ضربي: «هذا ليسَ عدلاً. هل تفهم ذلك؟ أنا لستُ مثلك... لا أستطيعُ فقط... لا أستطيعُ فقط أن أطفئ مشاعري كما تفعل».

- أنا لا أطفئ مشاعري.

- «أنت تطفئني. بعد تلك الخطبة عن فيكترا... عن أهميّة الأصدقاء...». تفرقع بأصابعها أمام وجهي: «لا يزالُ بوسعكَ إبعادي عنكَ هكذا. تارة تهتمّ وأخرى لا تهتم. ربّما لهذا السبب هو مُعجبٌ بكَ كثيراً».

- هو؟

مكتبة
t.me/soramnqraa

- والدي.

- إنّه ليسَ مُعجباً بي.

- كيف لا؟ أنتَ هو.

أتراجعُ مُبتعداً عنها وأجلسُ على حافّة السرير: «أنا لستُ مِثلَ والدك».

- «أعرف». تقول، مُطلقةً بعضاً مِن غضبها: «هذا ليسَ مُنصفاً بحقّك. لكنّكَ ستصبحُ مثله إذا تابعت هذا الطريق وحدكَ». تضعُ يدها على لوحةِ تحكُّم الباب: «لذا اِطلُب منّي أن أبقى».

كيف يمكنني السماح لها؟ إذا أعطتني قَلبَها، فسأكسِرُه. كذبتي كبيرة جدّاً ليُبنى حُبٌّ عليها. عندما ستكتشفُ ما أنا عليه ستنبذُني. وحتّى لو تمكَّنَت مِن النجاة مِن ذلك، أنا لن أستطيع. أنظرُ إلى يديّ وكأنّ الجواب هناك.

– دارو، اطلُب منّي أن أبقى.

عندما رفعت ناظري، كانت قد رحلت.

# 34

# أخوَة الدم

استولى مستطلعو لورن على سفينة الإمدادات في أثناء نقلها الغذاء إلى أسطول بليني المتمركز حول محطّة هيلداس، وهي نقطة تجمّع نجميّة الشكل لأغراض التجارة والاتّصالات، موجودة على أطراف حزام الكويكبات بين مدارَي المرّيخ والمشتري. لخمس عشرة ساعة، أختبئ مع روكي، وفيكترا، وسيفرو، والعوّائين، وآل تيليمانوس، ولورن، وموستانغ، وراغنار، بين صناديق وسحّارات مِن وجبات البروتوفايبر المفرَّغة مِن الهواء ومحكمة الإغلاق. سحق راغنار أوّل صندوق جلس عليه، ممّا أدّى إلى تبعثر الوجبات في كل مكان قبل أن يغادر عنبر التخزين الرطب إلى وحدة التجميد تحت الصفريّة.

سيفرو يفتح نصف دزّينةٍ مِن الوجبات ويقضم منها خلال الرحلة، ويشاركها مع آل تيليمانوس وعوّائيه، بينما يجلس روكي متبادلاً أطراف الحديث مع فيكترا في الزاوية. تستند موستانغ إلى داكسو، مشاركةً قصصاً مع كافاكس عن باكس. تتجنّب نظراتي.

حاولتُ الاعتذار قبل أن نصعد على متن السفينة، لكنّها قاطعتني

بسرعة: «لا يوجد ما تعتذر منه. نحن بالغون. دعنا لا نتشاجر ونحرد كالأطفال. هناك أمور يجب القيام بها».

تزداد الكلمات برودة كلّما استرجعتها في ذهني مراراً وتكراراً.

ينكزني لورن بحذائه: «حاول أن تكون أقلَّ وضوحاً أيّها الفتى. أنتَ تُحدِّق».

- الأمر معقّد.

- الحبّ والحرب وجهان لعملةٍ واحدة، لكنّني قد كبرت على كليهما.

- ربّما تُنعش الحرب عظامك العتيقة.

- «حسناً، جرّبت الحبّ الشهر الماضي». يقترب منّي: «لم يعد يعمل كالمعتاد».

- «أنت صريحٌ جدّاً يا لورن». لا أستطيع منع نفسي مِن الضحك.

يُصدر همهمةً ويُعدِّل مِن جلسته على الصناديق، ويئنّ على نحوٍ مسموع عندما يفرقع شيء ما في ظهره: «إذن، هذا هو سبب كل ذلك. لمساعدة الرجُل العجوز المسكين لورن على الحصول على جرعته مِن الحرب». لم يتلاشَ غضبه بعد، ولا أتوقّع أن يحدث ذلك: «دعني أردُّ لك الجميل. المفتاح اليوم سيكون حُسنَ التصرّف. القادة البريتوريّون والليغاتيّون وحاملو الراية الذين تحاول التودّد إليهم ليسوا حمقى، ولا يتحمّلون الحمقى. لقد قدَّم لهم بليني حججاً منطقيّة، وربط مصالحهُم بمصالحه. عليكَ أن تواجههُ بالمثل».

- «بليني طُفيليّ». أقول: «كاذبٌ بقدر ما أنتَ رجُلٌ صادق».

- «وهذا يجعلهُ خطراً. الكاذبون يقدِّمون أفضلَ الوعود». يلعب لورن

بخاتمه ذي الغِرفين، وبلا شكّ إنّه يفكّر في الوحش وأحفاده الموجودين على سفنه في الأسطول. لقد جلبَ جميع أفراد عائلته مِن أوروبا، ثلاثة ملايين رجُل وامرأة مِن جميع الألوان. «لم أستطع تركهُم». قال لي حينما لحظت حجم أسطوله في أثناء مغادرتنا لذلك القمر المائي: «أوكتافيا كانت ستأتي وتحرق موطننا، ونحن بعيدون». لذلك، تركوا مدنهم العائمة وتوجّهوا نحو النجوم. سيفترق المدنيّون عن أسطولي قريباً، مختبئين في الفضاء الأسود اللا-متناهي بين الكواكب. ستقودهم ثلاث مِن كنائنه الباقيات على قيد الحياة.

– «وبليني لديه سُلطة الحاكِمة المعظَّمة مِن خلفه». يتابع لورن: «سيكون مِن الصعب ثنيهم عن ذلك. بالحديث عن الحاكِمة المعظَّمة... لحظتُ أنّكَ تملكُ شيئاً يخصّها».

– السفينة باكس؟

– لا. شيء أصغر، ولكنْ ليس بكثير؛ المَوسوم الذي كان هنا.

– راغنار؟

– «إذا كان هذا اسم ذلك». يقول لورن.

– «إنّه اسمه». أقول: «كان مِن المفترض أن يكون هديّة لآل جولي مقابل خيانتهم لآل أوغوستوس».

– رأيته في حلبة القلعة ذات مرّة—مخيفٌ مثل بعض المخلوقات التي تختبئ في بحار أوروبا.

– قد يكون مِن السبجيّين، لكنّه لا يزال إنساناً.

– ربّما بيولوجياً، لكنّه رُبِّيَ لغرضٍ واحد. لا تنسَ ذلك.

– أنت تعاملُ خدمكَ بلطف؛ لذا أتوقّعُ منكَ أن تعاملَ خدمي بالطريقة نفسها.

– أنا أُعاملُ الناس بلطف. الزهريّون، البنيّون، والحُمر هم أناس؛ أمّا راغنارك هذا فهو سلاح.

– هو مَن اختارني. الأدوات لا تختار.

– «كما تشاء، لكن عليكَ أن تعرف العواقب». يهزُّ لورن كتفيه ويتمتم بشيءٍ ما هامساً.

– قل ما تشاء.

– ستتسبّبُ بالهلاك لنفسك لاعتقادكَ بأنّ استثناءات القاعدة تصنعُ قواعد جديدة. بأن رجُلاً شرّيراً يمكن أن ينزع عنه مظاهر الشرّ لمجرّد أنّكَ تريدُ ذلك. الرجال لا يتغيّرون. لهذا السبب قتلت ابن آل راث. تعلَّم الدرس الآن، كي لا تضطرّ إلى تعلّمه مع سكّينٍ في ظهرك لاحقاً. الألوان وُجدَت لسبب، والشُّمعة وُجدَت لسبب.

لأوّل مرّة، يبدو صغيراً وكبيراً في السنّ بالنسبة لي. ليس بسبب تجاعيده، بل بسبب ما يقوله. إنّه أشبه بقطعةٍ أثريّةٍ قديمة. أفكار مثل أفكاره تنتمي إلى عصرٍ أحاول تدميره. لا يستطيع تغيير ما يؤمن به. لم يرَ ما رأيته. ولم يأتِ مِن المكان الذي جئت منه. لم يكن لديه إيو لتدفعه، ولا الراقص لإرشاده، ولا موستانغ لتعطيه الأمل. نشأ في الجمعيّة حيث الحبّ والثقة نادران كالعشب في فضلات طائر الهليون. لكنّه لطالما أراد كليهما. إنّه مثل رجُلٍ يزرع بذوراً، ويراقبها وهي تنمو إلى أشجار، فقط كي يأتي جيرانه ويقطعوها. سيكون الأمر مختلفاً هذه المرّة. وإذا سارت الأمور على ما يرام، سأعيدُ له حفيده.

- «لقد علَّمتني ذات مرّة يا لورن. أصبحتُ رجُلًا أفضل بسببك. ولكنْ حان دوري الآن لأعلِّمكَ. الرجال يمكنهُم أن يتغيّروا. أحياناً، عليهِم أن يسقطوا. أحياناً، عليهِم أن يقفزوا». أربِّت على ركبته وأقفُ على قدمَيّ: «قبل أن تموت، ستدرك أنّ قتلَ تاكتوس كان خطأ، لأنّكَ لم تمنحهُ الفرصة قطّ ليؤمن بأنّهُ رجُلٌ صالح».

أجدُ راغنار مُستلقياً على الأرض في وِحدَة التجميد، وكأنّه في منزله وسط البرد القارص. قميصه مخلوع، ممّا يكشف الزوايا المخيفة لجسده الموشوم. نقوش رونيّة في كل مكان. الحماية على ظهره. الإيذاء على يديه. الأم على حلقه. الأب على قدميه. الأخت خلف أذنيه. علامات الجمجمة الغامضة الخاصة بالمَوسومين على وجهه.

- «راغنار». أقول، وأجلس: «لا تستهويكَ الصحبة كثيراً، أليسَ كذلك؟».

يهزُّ رأسه، شعره الأبيض المضفور كذيل حصان يتموّج على الأرض. عيناه مثل بقع مِن القار تُحدِّقان بي، تقيّماني. عيون ثانية، عبارة عن وشوم غريبة على جفون عينيه، تشبه حدقة التنّين، أو الأفعى، وعندما يرمش، فإنّ روحه الحيوانيّة ترى العالم مِن حولها.

أجلسُ، وأنا أراقبه، مُتساءلاً كيف أقولُ ما أريدُ قَوله. السبجيّون هم أكثر الألوان غرابة.

- عندما عرضتَ عليَّ اللّطخات، أصبح لديك رابط معي. ماذا يعني ذلك بالنسبة لك؟

- ذلك يعني أن أطيع.

- «بلا شروط؟». لم يُجب: «إذا طلبتُ منكَ أن تقتل أختك، أو أخاك؟».

**- هل تطلب منّي ذلك؟**

- «مجرّد افتراض». لا يفهم التصوّر حين أشرحه.

**- «لماذا التخطيط؟»**. يسأل: **«أنتَ تُخطِّط. أنتَ تقرّر. أنا أفعل، أو لا أفعل، لا يوجد تخطيط»**. يفكّر في كلماته التالية بعناية: **«البشرُ الذين يخطِّطون يموتون ألف مرّة. نحن الذين نُطيع نموتُ مرّة واحدة فقط»**.

- «ما الذي تريده؟». أسأل. لا يتحرّك: «أتحدّثُ إليكَ، يا مَوسوم».

- «أريد». يضحك ضحكة مكتومة: «ما هو الأريد؟». نبرة الاستهزاء في صوته تأتي مِن مكان أعمق مِن عالمنا الخالي مِن الآلهة. إنّه غريبٌ هنا، لأنّنا نربّي أمثاله في عوالم مِن الجليد، والوحوش، والآلهة القديمة. إنّنا ننال ما ندفع ثمنه: **«تسمّيها، لذلك تعتقد أنّني أعرفها؛ الأريد»**.

- «لا تلعَب معي ألعاباً، ولن ألعبها معك يا راغنار». أنتظرُ للحظةٍ طويلة: «هل يجب أن أكرّر كلامي؟».

**- «الذهبيّ يُخطِّط. الذهبيّ يُريد»**. يدمدم ببطء. متوقّفاً بين كل جملة وأخرى: **«الرغبة هي نبضُ قلبكُم؛ أمّا نحن أبناء الأم الإلهيّة، فلا نرغب. نحن نُطيع»**.

- «اركع على ركبتيك». يمتنع عن الردّ بأي شيء، لذا أتابع: «ذات يوم كنتَ ترتدي قيوداً يا راغنار. الآن لم تعد تلكَ القيود تُثقِل كاهلك. إذن... ماذا تريد؟». لا يرد. هل هو استياء؟ «لا بدَّ من أنّكَ تريدُ شيئاً».

**- «إنّكَ تنزعُ قيود الآخرين وتسعى لتقييدي بقيودٍ شبيهةٍ بك؛** رغباتك،

أحلامك. **أنا لا أريدها**». ثمّ قالها مرّة أخرى: «**أنا لا أحلم. أنا مَوسوم. مُقدَّر لي مِن قبل الأم الإلهيّة للموت أن أحقّق وعدها**». لا يظهر وجههُ أي شيء، لكنّني أشعرُ بالاستياء في داخل هذا الرجُل: «**ألم تكن تعلم؟**».

أتفحّصهُ بحذر: «تجعلُ مِن نفسكَ تبدو أكثر غباءً ممّا أنتَ عليه فعلاً».

– «**جيّد**». ينهض بسرعة، قبل أن تسنح لي الفرصة للتحرّك إلى الوراء. اللعنة، إنّه سريع. يخرج سكّيناً وبسرعة يجرح كفّه: «**عندما عرضتُ اللّطخات، ربطتُ نفسي بِكَ. إلى الأبد. حتّى العدم**».

أعرف أنّ هذه هي طريقتهُم. وأعرف أيُّ رُعبٍ مرَّ به ليحصل على لقب المَوسوم. إنّه ليسَ رجُلاً بعهودٍ غير مكتملة، أو تدابير ناقصة. أن تكون سبجيّاً يعني أن تعرف البؤس. وأن تكون مَوسوماً يعني أن تكون البؤس بذاته. وأن يوجّهوا أنفسهُم نحو طريق واحد في الحياة—لخدمة آلهتهم الذهبيّة، مثلي، إن كانوا محظوظين. نأخذ أقواهُم. نتركُ ضعفاءهم. نرسل البنفسجيّين مزوّدين بالتقنيّات اللازمة لإقامة عروض البرق على سفوح التلال. ننشرُ المجاعات، ثمّ ننزلُ مع الطعام. نرسلُ الأوبئة، ثمّ نباركهُم بالصفر لعلاج مرضاهُم وشفاء عميانهم. نكلّفُ النحّاتين بزرع الوحوش في محيطاتهم، والغِرفينات والتنانين في جبالهم. وعندما نسخط، نُدمِّر مدنهم بالقصف مِن المدار. نجعل مِن أنفسنا آلهةً لهم، ومِن ثمّ نُحضِرهُم إلى عالمنا لخدمة غاياتنا الجشعة. نحن نُريد، وهُم يطيعون. كيف يمكن لراغنار أن يكون يوماً ما أحتاجُ منه أن يكونه؟

– ماذا لو أردت منكَ أن تكون حرّاً؟

يجفل عائداً إلى الخلف. عيناه تعبّران عن خوف عميق: «**الحريّة تُغرِق**».

– «إذنْ تعلَّم السباحة». أضع يدي على كتفه الضخم. عضلاته كأنّها صخورٌ تحت الجلد: «من أخٍ إلى أخيه».

– «**لسنا إخوة، يا ابن الشمس**». يقول بصوت مضطرب: «**أنتَ السيِّد. ألا تفهم؟ أنا أطيع. أنتَ تأمر**».

أقول له إنّه هو مَن اختارني لأكون سيّداً له. ولم آخذه كما يعتقد. وهو مَن قاد فريق الهجوم الذي استولى على سفينة كيلان بيلونا الذهبيّ وليسَ أنا. هو مَن فعل ذلك. مِن دون ذهبيّ ليرشده. مِن دون ذهبيّ ليعيّنه قائداً. ولكن هذا وحده لا يكفي. ماذا كانت إيو لتقول له؟ ماذا كان الراقص ليقول؟

– «لوننا واحد». أخبره. لا يفهم، لذا أجرح إصبعي. يبدأ الدم الأحمر يسيل منه، فأمسحه على الشعارات السوداء التي تحدّد لونهُ على يديه، ثمّ آخذ دمه وأمسحه على الذهب الذي على ظهر يدي.

– إخوة. ماءٌ كُلُّنا. لحمٌ كُلُّنا. وكُلُّنا مَصنوعون مِن التُّراب ومَصيرنا التُّراب.

– «**أنا لا أفهم**». يقول بخوف، في الواقع يتراجع بسرعة مبتعداً عنّي إلى أن جعلته مَحصوراً في الزاوية كطفل صغير: «**نحنُ لسنا مُتماثلين. أنتَ مِن الشمس**».

– أنا لستُ كذلك. ولِدتُ على بعد ستّ بوصات مِن التراب. راغنار فولاروس، إنّي أحرّرك مِن خدمتي، سواءً أعجبكَ ذلك أم لم يُعجبك. لن أسمح بأن تكون مُقيَّداً، ولن أسمح بأن تكون تابعاً. اِبقَ في هذا الصندوق البارد إلى أن تُصبح قويّاً بما يكفي لتُقرِّر ما تريد. أطلِق النار على رأسك، أو جمِّد نفسك حتّى الموت. اِفعل ما تريد. لكنْ أيّاً كان ما ستفعلُه، فسيكون

لأنّكَ اخترتَ فعله. ربّما تختار أن تتبعني. ربّما تختار أن تقتلني. أياً كان ما تقرّره، يجب أن تقرّره بنفسك.

ينظر إليَّ، وعيناه تتّسعان رُعباً.

- «لماذا؟». يقول بصوت مرتجف: «**لماذا تشعرني بالخزي؟ في كل العوالم، لا يرفض أحد شخصاً مَوسوماً**. اخترت **أن أقدِّم نفسي لك، وأنت تبصقُ عليّ. ماذا فعلت؟**».

- عندما تقدِّم نفسك، فإنّك تقدِّم إخوتك وأخواتك وقومك للعبوديّة أيضاً.

- «**أنتَ لا تعرف**». يغلي راغنار مِن الغضب: «**نحنُ نعيشُ لنخدم. إذا لم نفعل، سيقضي الذهبيّ علينا. لن نكون موجودين بعد ذلك. لقد رأيتُ النار تُمطِر مِن السماء**».

قبل قرون، في أثناء التمرُّد المظلم، قتل الذهبيّون أكثر مِن تسعة أعشار بني لونه. أبادوهم مثلما يبيدون جماعة مفترسة لتقليص عددها. هذا هو التاريخ الوحيد الذي يعرفونه. التاريخ الذي نزوّدهُم به. الخوف.

- تاريخ البشر قد أخفيَ عنكُم يا راغنار. الذهبيّون يعلّمونكُم بأنّكُم كنتم عبيداً على الدوام، وأنّ السبجيّين وُجدوا ليخدموا ويُقتلوا، لكن كان هنالك زمن قبل الذهبيّين حيثُ كان البشرُ أحراراً.

- «**كلُّ البشر؟**». يسأل.

- كلُّ رجُل، وكلُّ امرأة. أنتَ لم تولد لتخدم الذهبيّ.

- «**لا**». يقول بصوت مرتجف: «**أنتَ تغويني. تستدرجني. رأيتُ هذا مِن قبل. رأيتُ كلمات كاذبة تهدف إلى الخداع. الكلمات الحقيقيّة معروفة لي، معروفة لنا. أمّهاتنا تعلمها: (اخشَ واخدم بني الذهب، وإلّا سيأتون مع**

الحديد مِن السماء. وسيُعامِلكَ الذهبيّ بنار ابن الشمس، لأنّهم غيرُ مقيّدين بالحب. غيرُ مقيّدين بالخوف. غيرُ مقيّدين بالأرض، بل بالسماء والشمس. اخشَ واخدم بني الذهب)».

- أنا لا أخدمهُم.

- لأنّك واحدٌ منهم.

- ماذا لو أخبرتكَ أنّني لستُ كذلك؟

يُحدِّق بي. بلا إجابة. بلا حركة. لا شيء. فقط الحيرة. ولذلك أخبره. أخبره في تلك الغرفة المتجمّدة ما أخبرني به الراقص في البنتهاوس؛ بأنّنا خُدِعنا: «كانت لديَّ زوجة». أخبره: «أخذوها منّي. شنقوها. جعلوني أسحبُ قدميها كي ينكسر عنقها ولا تعاني. بعد ذلك قتلتُ نفسي، بدفنها، وسمحتُ لهم بالانتصار. تركتهُم يشنقونني. غرقتُ بالحزن». أخبره كيف جاء أبناء أريس إليّ: «ومَنحَني أريس فرصةً ثانية، الفرصة نفسها التي أمامك الآن كي تنهض».

لقد عشنا في العبوديّة لسبعمائة عام يا راغنار. قومك. قومي. مُهمَلون في الظلام. لكن سيأتي اليوم الذي سنسير فيه تحت الضوء. لن يأتي هذا اليوم مِن رحمتهِم، ولن يأتي بالقَدَر، سيأتي عندما تنهضُ القلوب الشجاعة وتختارُ أن تُحطِّم القيود، كي تعيش لما هو أكبر. عليكَ أن تختار بنفسك. هل ستختار الطريق الصعب؟ هل ستختار أن تكون صديقي؟ هل ستنهضُ معي؟ أم ستذهب كما ذهب كلُّ الآخرين مِن قبل، مِن دون أن تعرف أبداً ما الذي كان يمكن أن يكون؟».

أغادر بعد ذلك. لا أجعله يقسم على الكتمان. لا أطلب منه إجابة. لم يطلب الراقص منّي إجابة. كان عليَّ أن أختار. لو لم أفعل، لو أُجبرت على

الخدمة، لكنتُ استسلمتُ ألفَ مرّة. العبيدُ لا يملكون شجاعة الأحرار؛ ولهذا السبب يكذبُ الذهبيّون على الحُمر الدونيّين ويجعلونهُم يعتقدون بأنّهم شجعان، ولهذا السبب يكذبون على السبجيّين ويجعلونهُم يظنّون أنّه لمن المشرِّف خدمة الآلهة. إنّه أسهل مِن قول الحقيقة. مع ذلك يتطلّب الأمر حقيقةً واحدةً لكي تُهدَم مملكةٌ مِن الأكاذيب.

راغنار يجب أن ينضم إليّ، لأنّ أحمرَ بمفرده لن يكون كافياً.

# 35

# وقت الشاي

تَخفّينا في سفينة الإمدادات في أثناء اقترابنا مِن الأسطول حول محطّة هيلداس، ناجع؛ حيث نتّجه نحو ما كان ذات يومٍ سفينة قيادة آل أوغوستوس، والآن باتت سفينة بليني. إنفيكتوس. مقاتلات الجناح القاطع تطير بصمتٍ بجوارنا، طالبةً رموز الدخول منّا. يرسل طيّارنا الرموز وتجري مرافقتنا للانضمام إلى موكبٍ مِن سفن الإمداد التي تتدفّق إلى حظيرة إنفيكتوس، مثل تجّار القوافل الذين يصطفّون أمام البوّابة العظيمة لما يشبه القلعة الصحراويّة. تتبعنا المدافع في أثناء تدرّجنا.

نهبط بقسوة. يفتح الطيّار بسرعة أبواب العنبر الخلفي، ونقفز أنا ومَن معي مِن السفينة إلى أرض الحظيرة. بدلاً مِن التحيّة المتوقّعة لمتعهّدي الشحن البنيّين، ترفع عاملة الشحن والتفريغ البرتقاليّة عينيها عن لوحها الرقمي لترى مجموعةً مِن المحاربين بكامل دروعهم البهيّة، مسلّحين مِن رأسهم حتّى أخمص أقدامهم. بلا تردّد، تجلس مبديةً عدم رغبتها بالمشاركة في هذا.

يضحك سيفرو ويُربِّت على رأسها: «أكثر حكمةً مِن الذهبيّين».

سيركٌ مِن السفن يملأ العنبر. الأضواء تتوهّج إلى الأسفل مِن السقف العالي. البرتقاليّون والحُمر يتحرّكون بنشاطٍ في الأرجاء. مشاعل اللّحام تُصدِر أزيزاً لدى مُلامستها للهياكل. يصرخ الرجال والنساء في وجه بعضهِم. يتبعني زملائي، نسيرُ عبر الحظيرة نحو المصاعد حيث يمكننا الوصول إلى بقيّة السفينة.

ومع تقدّمنا، ينتشر الصمت كالنار في الهشيم. تتوقّف شعلات اللّحام عن الأزيز. لم يعد الرجال ينادون. إنّهم يحدّقون ببساطة. أندفع إلى الأمام نحو المقدّمة مع لورن. موستانغ وكافاكس تيليمانوس الذهبيّ يحيطان بنا. يتبعنا روكي مع سيفرو وداكسو، ومن ثمّ تأتي فيكترا مع العوّائين، ومن ثمّ خلفهم جميعاً، مثل راعٍ عملاقٍ شاحب، يأتي راغنار.

يختار الانضمام إلينا مِن غرفة التجميد. نتبادل النظرات، وبإيماءةٍ واحدةٍ، أعلم أنّ لديّ جنرالاً جديداً للتمرّد. أشعر بالثقة تنضح منّي.

لا يعترض أحدٌ على تحرّكنا، على الرّغم مِن أنّ ملابسنا توحي لهم بأنّنا لم نأتِ مِن أجل محادثاتٍ سلميّة. درعي أسوَد. منقوش عليه أُسودٌ تزأر. واقٍ نبضيٌّ رقيقٌ يومض مِن فوقه. على ذراعي اليسرى، ترس أيغيس مُفعَّل، وسطحه الأزرق المعتَّم يمتصّ الضوء. شفرتي البيضاء تنزلق على ذراعي. تصدر أحذيتنا صوتاً أشبه بهطول البَرَد على الأسطح المعدنيّة. أرسل الحصوة لتجعل فرقتها مِن الخُضر تُعطِّل نظام الاتّصالات الخاص بالسفينة.

يلحظ نحاسيٌّ وجودنا ويبدي انشغاله بالتعامل مع لوحه الرقمي. ينسلّ راغنار نحوه، ويلمسُ كتفه بشدّة تكفي لجعل الرجُل يركع على ركبتيه: «**لا**».

ندخل المصعد وجوف السفينة مِن دون إطلاق رصاصةٍ واحدة. نأخذ

المصعد إلى الطابق الذي يعلو مستوى القيادة. تُفتَح أبواب المصعد، لنجد أنفسنا وجهاً لوجه مع فرقة مِن المشاة الرماديّين.

«أيّها النقيب، رافقْ فيرجينيا أوغوستوس الذهبيّة إلى عنبر الهندسة». أقول للرمادي. تدرك عيناه جسامة الموقف؛ وبعد تردّدٍ طفيف، يقدّمُ التحيّة. رجاله المرتبكون يصطفّون خلف موستانغ وآل تيليمانوس في أثناء انطلاقهم بخطى سريعة.

تنطلق صفّارات إنذار السفينة بصوتٍ أشبه بالنحيب.

يتوجّه العَوّاؤون إلى المحرّكات وأنظمة الدعم الحيويّ بينما تواصل قوّتي الخاصّة الصعود ثلاثة طوابق، متّجهة ليس إلى مِنصّة القيادة، حيث سيستضيف بليني حلفاءه الجُدد، بل إلى سجن السفينة. يتسلّل روكي، وفيكترا، ولورن، وسيفرو، وراغنار مِن خلال الأبواب، ويُخضِعون الحرّاس قبل حتّى أن أدخل.

السجناء، نحو أربعين فريداً ذا ندبة مِن الموالين لآل أوغوستوس، محبوسون في زنزانات صغيرة مِن الزجاج المقوّى. يمرّ سيفرو بجانب كلٍّ منها، مُحرّراً الرجال والنساء في داخلها بوساطة مفتاح البيانات في أثناء مسيره.

– «اشكُر الحصّاد». يقول لكلّ واحدٍ منهُم، مكرّراً ذلك أربع مرّات لامرأةٍ كبيرةٍ في السنّ وضخمة مِن الفريدين ذوي الندبة إلى أن أدركَتْ أخيراً أنّها لن تخرُج حتّى تلعبَ لعبته الصغيرة. يقلّب كلٌّ منهم عيونه ويقولون شكراً: «يا لكِ مِن فريدة ذات ندبة هرمة وجيّدة وطويلة على نحوٍ غير طبيعي. ممتاز». يقول سيفرو، ويدع المرأة تخرج: «لورن! وجدت شريكة فراش محتملة». يتوقّف لدى وصوله إلى القفص الزجاجي للشَّغبر.

- «ماذا ألمح بعيني الصغيرة؟». يصيحُ سيفرو بفرح: «مهلاً! لديّ اثنتان مرّة أخرى».

- «دعني أخرج». يردُّ الشّغبر ببرود: «لن ألعب لعبتكَ أيّها الغوبلن».

- اشكُر الحصّاد. والاسم هو سيفرو. أنت تعرف ذلك.

يقلّب الشَّغبَر عينيه: «شكراً لكَ يا حصّاد».

- انحنِ مثل خادمٍ جيّد.

- كلّا.

- «فقط دعه يخرج». يتذمَّر لورن.

- «عليه أن يلعب لعبتي». يقول سيفرو: «المعتوه لن يخرج حتّى يلعب بطريقةٍ جيّدة. سأعطيه لغزاً بدلاً مِن ذلك. ماذا لديّ في جيبي؟».

بدأت أشعر بالملل مِن اللّعبة، لذا مِن خلف ظهره أشيرُ إلى عيني.

- «عين». يقول الشّغبر.

- تبّاً، مَن أخبره؟

يأخذ روكي المفتاح مِن يد سيفرو ويمرّره على لوحة التحكّم في الزنزانة. ينضمُّ الشغبر إلينا: «اكبَر يا سيفرو». يتمتم روكي.

- «ما مشكلتكَ بحق الجحيم؟». يسأل سيفرو: «نحتاج إلى أخذ وقتنا على أيّ حال. ألا يمكنني الحصول على بعض المرح؟».

نأخذ وقتنا حتّى يخاف بليني مِن أفعالنا. يجب أن يشكّ في ولاء معظم الطاقم. لكنْ بلا شكّ لديه على متن السفينة مجموعة مِن الجنود الذين جرى شراؤهم بالمال. مرتزقة، على الأرجح. سيختبئ خلفهم كدرع.

- «أين والدكَ؟». أسأل الشّغبر.

- «لا أدري». يقول: «لا أعتقد بأنّه على متن السفينة. هل وصلَت أختي إليك بأمان؟».

- لقد وَجدَتنا.

- «جيّد». يقول، متحوّلاً بسرعة للاعتراف بلورن: «شرف لي يا أركوس. منعني والدي مِن القراءة عن مآثرك عندما كنت طفلاً، ومع ذلك، تدبّرت أمري. قصص رجُل الصخر العجوز كانت تبقيني مستيقظاً حتّى وقتٍ متأخّرٍ مِن اللّيل».

- «مثلما فعل أدؤكَ في المعهد». يردُّ لورن بابتسامةٍ صغيرةٍ لي: «كنتُ خائفاً مِن إغلاق عيني بعد رؤية حمَلَتِك».

يضحك الشّغبر ضحكةً مكبوتة: «يبدو أن مَهمَّتكَ كانت ناجحة في أوروبا يا دارو».

- لقد وقعوا في الفخ كما كنّا نأمل، وهربَت أجا.

- إذن دعنا نذهب لحلّ هذه المشكلة ونواصل حربنا.

ينقل روكي ناظريه جيئةً وذهاباً بيننا، ربّما يلحظ الألفة التي نتحدّث بها. أمرٌ آخر لم أخبره به قط. الفجوة تتّسع.

نلتقي بموستانغ في مطبخ السفينة المخصّص لبني الألوان الدُنيا خلال ساعات الغداء. المئات مِن العمّال البرتقاليّين المتمرّسين والكهربائيّين يختلطون مع عمّال المصانع الحُمر وعمّال التنظيف البنيّين. يتراجع رنين الحديث وجلبة الصواني البلاستيكيّة على الطاولات المعدنيّة بمجرّد دخول راغنار إلى مطبخ السفينة. يسود صمتٌ مميتٌ إلّا مِن عامل التنظيف البنيّ المبالغ في حماسه الذي يصرخ بأعلى صوته. يقوم رفاقه بسرعة بتغطية فمه.

يمشي راغنار إلى وسط الغرفة ويحرّك إحدى الطاولات من دون انتظار نهوض بني الألوان الدُنيا. يسحبها محرّراً إيّاها مِن براغيها المعدنيّة، ويجرّها مع صوت صريرٍ عبر الأرضيّة المعدنيّة، بينما لا يزال بنو الألوان الدُنيا جالسين على المقاعد المرتبطة. يبقون بلا حراك، عيونهم كبيرة، ومذعورة، ومرتبكة تماماً عند رؤية كادري المكوّن مِن خمسين ذهبيّاً.

آل تيليمانوس يتبعون راغنار، حاملين جهازاً معدنيّاً حلقيّاً ثخنه مترٌ، وقطره متران—هو الغرض مِن رحلتهم إلى عنبر الهندسة. أذرعهُم مغطّاة بدروع، لكنّ أوردة أعناقهم تنتفخ تحت وطأة ثقله. ترشدهُم موستانغ، وهي تنظرُ إلى لوحها الرقمي: «هنا». تقول. يسقطونه حيثُ تُشير. يتبعهُم الرماديّون، حاملين وِحدة بطاريّاتٍ ضخمة، يضعونها فوق طاولةٍ قريبة.

– «أيّها العَوّاؤون، اصنعوا بعض الضوضاء». أقولُ في جهاز اتّصالي.

– «المعذرة. عذراً. آسفة». تقول الحصوة، وهي تلوح بيديها الصغيرتين البدينتين. تأخذ كبلاً مِن وِحدة البطاريّات وتقبسهُ بالقرص.

تُسمَع فرقعات مع تشغيل مُكبِّرات صوت السفينة. «بليني». ينادي صوتٌ بلطف. أبحث في الأرجاء عن سيفرو لأراه عند المحطّة مع اثنين مِن الخضر.

– «سيفرو!». نصيح منفجرين أنا وموستانغ.

يرفع إصبعه إلى الأعلى طالباً منّا الانتظار.

– «إنّه على جهاز الاتّصال». يهمهم أحد الخضر بصدق: «لحظة واحدة».

– «عزيزي بليني». يغنّي سيفرو عبر جهاز الاتّصال.

إذا كان قلبك ينبض كطبل،
وساقك مبللة قليلاً،
فهذا لأن الحصّاد قد جاء
لجمع القليل مِن الديون.

يغنّي ذلك ثلاث مرّات إلى أن رمى راغنار طاولةً نحو لوحة التحكّم. تتطاير الشرارات. ينظر سيفرو إلى الأعلى ببطءٍ نحو الطاولة المعلّقة فوق رأسه. لقد أخطَأتهُ ببضعة إنشات. يدور حول نفسه: «تبّاً، ما الضّير في ذلك بحق الجحيم، أيّها الترول(*) العملاق المبالغ في ردّ فعله!».

– «**السجع... عمعع**». يصدر راغنار صوت امتعاضٍ غير مريح.

– «لقد وجدته». تتمتم موستانغ، ونحن نتبادل النظرات.

– «أي واحدة؟». أسأل، بينما يشتمُ سيفرو المَوسومَ بأكبر قدرٍ مِن الألفاظ المبتذلة التي يعرفها، مضيفاً حركةً بذيئةً مِن أجل زيادة التأثير.

– «**إنّك تصرخ مثل... مثل دجاجة**». يردّ راغنار.

– «لا يقدر على إهانتي». يقول سيفرو مذهولاً. ينظر إليّ: «تحكَّم به». أغسل يدي مِن الأمر.

– «إذا كان بإمكاني أن أقترح المتابعة». يقول لورن.

– «الآن على الفور. وجوه جديّة، جميعاً». تنزلق الخُوَذ مِن الدروع لتغطّي جماجمنا. أرى قراءاتٍ حراريّة لمستويات الطاقة في الشاشة الرقميّة: «ابدئي». أقول لموستانغ.

---

(*) من كائنات الأساطير الاسكندنافية وصفت بأنها ضخمة وقبيحة وتسكن في الجبال والكهوف. (المترجم).

تفعّل الحفّار الحراري لسفينة الاقتحام العلقيّة. لقد صُمِّم ليشُقَّ طريقه عبر هيكل السفينة الخارجي ويصنع ثغرةً كبيرةً بما يكفي لتتمكّن مجموعة الاقتحام مِن المرور عبرها؛ لذلك فإنّ الحَفرَ عبر أرضيّة السفينة ليس بالأمر الصعب. ونحن فقط طابق واحد فوق غُرَف القيادة. أقفز إلى أعلى الحفّار.

الزخم هو كل شيء بالنسبة لغطّاس الجحيم، وللجهود العسكريّة، وللحياة. حيث عليك مواصلة التحرّك وتحدّي أيّ شخصٍ يقف في طريقك.

- «تعرف ما قلته سابقاً؟». يسألني لورن.

- «عن حسن التصرّف؟». أسأل.

يبتسم ابتسامةً شرّيرةً مِن وراء لحيته: «تبّاً لحسن التصرّف. أرعبهُم!».

أنظر إلى موستانغ: «احرقي».

تضغط على الزر. يتوهّج الحفّار باللّون الأحمر. تشِعُّ الحرارة منبعثةً إلى الأعلى نحوي. تنتشرُ على الأرضيّة. بنو الألوان الدُنيا يتدفّقون بعيداً، متخلّين عن طعامهم، يفرّون مِن الغرفة بينما تنحني الأرضيّة وتذوب كالرمال المتساقطة مِن ساعةٍ رمليّة. يهوي الحفّار مِن السطح المتساقِط إلى غرفة القيادة في الأسفل، وأنا أركب على ظهره. أنا غطّاس جحيم مرّة أخرى، وإن كان للحظةٍ فقط.

يضرب وسط الطاولة الخشبيّة العظيمة لآل أوغوستوس، يخترقها مفتّتاً إيّاها ليصطدم مثل نيزك بالأرضيّة الرخاميّة، التي لا تزال تنصهر. أقطعُ كبل الطاقة بشفرتي، وأنهض وسط الدخان، والبخار، والنيران المتصاعدة، بينما تشتعل الطاولة.

ينظرُ إليَّ المئات مِن ذهبيّي الجمعيّة. القادة البريتوريّون، والليغاتيّون،

والقضاة، والفرسان مِن العائلات القويّة، يقفون وقد استلّوا شفراتهم. كانوا جميعاً يوماً ما موالين لآل أوغوستوس. جميعهم الآن تحت سيطرة بليني. ذهبوا مع الريح كما يقولون.

وها هو هناك، على رأس الطاولة الطويلة، وجهه يصبح شاحباً بسرعة. بليني، الجميل الذكي. عين واحدة لا تزال متبقّية، والأخرى مزوّدة ببديل بيوني مؤقّت. على يمينه تجلس إحدى إيرينيّات الحاكِمة المعظَّمة، السياسيّة مويرا. بالمقارنة مع أجا، إنّها امرأةٌ تشبه الكعكة المنتفخة، لكن ابتسامتها العذبة أكثر شرّاً بنصف مرّة من شفرة أختها. بجانبها يوجد فارسٌ أوليمبي، فارس العاصفة مِن جزر اليابان في كوكب الأرض.

– «أصدقائي الأعزاء!». أصيح عبر مكبّر الصوت في خوذتي: «لقد جئتُ مِن أجل بليني». أقفز مِن الحفّار نحو الأسفل، بينما تنسحب الخوذة متراجعةً مرّة أخرى إلى درعي لكي يتمكّنوا مِن رؤية وجهي. أمشي نحوه. يتبعني أصدقائي مِن خلال الفتحة. أركوس أوّلاً، ثمّ موستانغ وسيفرو.

– «قلتَ بأنّه ميّت!». يزمجر شخصٌ ما على يساري، والشفرة نصف مسحوبة.

– «لورن أركوس الذهبيّ؟». يتمتم آخر. اسمه يمزّق المكان بينما يؤمّن سيفرو وروكي الأبواب المؤدّية إلى الغرفة.

– «وكافاكس تيليمانوس الذهبيّ!». يزأر كافاكس بجنون، وهو يهبط. من الواضح أين تعلّم باكس هذه الحركة.

– «الحصّاد ليس بميّت». تقول موستانغ، وهي تقفز إلى الأسفل مِن الحفّار: «ولا أنا، ولا أخي. وقد جئنا لاستعادة ما يخصُّ والدنا».

هؤلاء الفريدون ذوو الندبة لا يعرفون ماذا يفعلون.

- «كذّابون!». يصرخ بليني: «لقد خنتم الحاكِم العام. امسكوا بالخونة!».

يُصدِر لورن تصريحاً بسيطاً: «إذا اقترب أيّ شخص مِن دارو لمسافة مترين، سأقتل الجميع في هذه الغرفة».

يبدو أنّهم غير متشوّقين لرؤية مدى جديّة تهديده. الرجال الذين أسيرُ بينهُم يقفزون إلى الوراء. سُمعَة لورن تشقُّ لي فجوةً مباشرةً إلى بليني. لا أبطئ مِن وتيرتي.

- «بليني». أقول: «يجب أن نتحدّث».

- «اقتلوه!». يصرخ بليني: «اقتلوا الحصّاد».

يندفع شابٌّ إلى الأمام ويموت عندما يطعنه جاره في ظهره. ينظر الجار بخوفٍ إلى لورن.

- «متران فاصل ثلاثة». يقول لورن: «قريب».

- «اقتلوه!». يصرخ بليني بلا جدوى: «إنّه مجرّد ولد!».

أتحدّث بهدوء، لكنّ الجميع يستطيع السماع.

- بليني فيلوسيتور الذهبيّ، أنتَ خائنٌ للحاكِم العام نيرو أوغوستوس الذهبيّ. لقد تآمرت لتدمير عائلته، للزواج بابنته بالإكراه، لقتل ابنه، وخيانته لصالح الحاكِمة المعظَّمة، التي وضعَت نفسها في مواجهتِه. سيِّدكَ رفعك، وأنت حاولت أن تسقطه. لقد خنت ثقته مِن أجل مصلحتك الشخصيّة. والأسوأ مِن ذلك، أنّكَ أخفقت.

- «أوقفوه!». يصرخ بليني الآن، وهو يشير إليّ على نحوٍ جنوني: «مويرا!».

تهمس مويرا إلى فارس العاصفة، وكلاهما يتنحّيان جانباً.

– «كان مِن المفترض أن تكون ميّتاً». يتمتم بليني: «قالت أجا بأنّها ستقتُلكَ في أوروبا».

– «ومَن هو الشخص الذي تعرفه وبوسعه قتلي؟». أقول ذلك، والغضبُ الذهبيّ السخيف يتصاعد في صوتي ليترك انطباعاً على كلِّ تلكَ النفوس الجائعة: «الشَّغبَر أخفق. أنطونيا سيفيروس—جولي الذهبيّة أخفقت. المشرفان: أبولو وجوبيتر أخفقا. كاسيوس بيلونا الذهبيّ أخفق. كارنوس أخفق. كاغني أخفقت. أجا ذهبيّة غريموس وحرسها البريتوري أخفقوا». الجَّلاد أخفق. المناجم وثعابين الحفر أخفقوا: «والآن تُخفق أنت».

عندها أنزلق إلى الأمام، أسرع مِن أفعى حُفَر ضاربة، وأصفعهُ عبر وجهه. يطير إلى الجانب خارج مقعده مثل ورقةٍ مزّقتها الريح، ويميل نحو ذهبيّةٍ كانت تقف جانباً. تبصق عليه وتتحرّك نحوي.

– أنتَ دودةٌ اعتقدَت بأنّها أفعى لمجرّد أنّها تتلوّى، لكنّ قوّتك لم تكن حقيقيّةً يا بليني. كانت كلّها حلماً. حان الوقت الآن للاستيقاظ.

بليني يستجمع قوّته ويقف على قدميه، دافعاً نفسه بعيداً عنّي. شعره الممشّط بعناية أصبح فوضويّاً، مع احمرارٍ يتضخّم على خدّه الأيمن. أديره وأصفعه مرّة أخرى، بقوّةٍ أكبر. إنّه مذعور. لا يعرف ماذا يفعل. لم يؤخذ مِن سريره في أوّل يوم له في المعهد، ولم يتعرّض للضرب على يد السبجيّين. لم يقُد رتلاً مدرّعاً ليجول الشواطئ المغطّاة بالثلوج. لم يتضوّر جوعاً؛ لذا الآن كل ما يمكنه فعله هو التخبّط والبكاء.

أمسكُ به بيديَّ، أرفعه عالياً في الهواء، لكنّني لا أؤذيه أكثر. لن أخلِّد هذه اللّحظة بالقسوة مثلما كان كارنوس، أو تيتوس ليفعلا. إنّ تصرّفي الرؤوف هو سلاحٌ لي. أعيدُ بليني إلى كرسيّ الحاكِم العام. ألمّع دبّوسه

الذي على شكل يعسوب. أسوّي شعره مثل أمٍّ لطيفة. أربِّتُ على خدّه المبلّل بالدموع وأمدُّ يدي، التي تحمل خاتم عصبتي مارس.

يُقبِّله من دون أن أطلب منه.

- وداعاً يا بليني. أترككَ لأصدقائك.

أمشي بعيداً، وعيون كل هؤلاء الفريدين ذوي الندبة تتبعني، متخلّياً عن بليني. أسمعُ صوتاً أشبه بالامتصاص ولا ألتفت، لأنّني أعلم ما يبدو عليه صوت الشفرات عند القتل. حتّى لم ينتظروا. بليني بات طيّ النسيان.

يضرب هؤلاء الفريدون ذوو الندبة صدورهم تحيّةً لي. إنّهم وحوش. يتبعون الرياح، مُطاردين السُّلطة. لكنّهُم لا يدركون أنّ السُّلطة لا تتغيّر. السُّلطة ثابتة. إنّها الجبل، وليس الرياح. التغيّر بهذه السهولة هو خسارةٌ للثّقة. والثّقة هي ما أبقاني على قيد الحياة؛ الثّقة بأصدقائي، وثقتهُم بي.

الحاكِمة المعظَّمة تعلم هذا؛ ولهذا تبقي إيرينيّاتها قريباتٍ منها. لن يتوانَيْن عن الموت لأجلها، مثلما سيموت أصدقائي مِن أجلي. لأنّه في النهاية، ما أهميّة كلِّ السُّلطة في كلِّ العوالم إذا كان بإمكان أقرب أصدقائك خيانتك؟ والد الحاكِمة المعظَّمة تعلَّم ذلك عندما قطعَت ابنته رأسه. بليني تعلَّم ذلك مقابل حياته. لقد نسيتُ هذا، ابتعدتُ عن أصدقائي، وكِدتُ أخسر كل شيء بسب ذلك عندما شعر تاكتوس بالتهميش والغربة معي كما كان يشعر مع إخوته؛ لهذا بدأتُ مِن جديد مع فيكترا، ولهذا أخبرتُ راغنار بالحقيقة، ولهذا يجبُ أن أُصلِح الأمور مع لورن وروكي.

الثّقة هي السببُ في أنّ الأحمرَ سيكونُ لديه فرصة. نحن شعبٌ مرتبطٌ بالأغاني، والرقص، والعائلات، والقرابة؛ أمّا هؤلاء الناس فهُم حلفاء فقط لأنّهم يعتقدون أنّهم يجب أن يكونوا كذلك.

أنظرُ إليهم الآن، وأعلمُ أنّهُم صارمون للغاية، ومتصلّبون لدرجة أنّهُم سينكسرون ويتحطّمون بمواجهة بعضِهِم، ليس بسببي، بل بسبب ما هُم عليه.

أحوم بحذائي الثقالي، وأتوقّف لأقول: «أخبروا كل مَن سيسمع، الحصّاد يبحر نحو المرّيخ، ويدعو لمطرٍ حديديّ».

# 36

# سيِّدُ الحرب

- «السُّلطة هي التاج الذي يأكل الرأس». قالها لي الشَّغبَر في أثناء تخطيطنا للاجتياح في إشارة إلى أوكتافيا. لكنّ الحقيقة تتجاوز ذلك. هؤلاء الذهبيّون هُم في السُّلطة لفترةٍ طويلة. أُنظر كيف يتصرّفون. أُنظر ماذا يريدون. يقفزون عند كل فرصةٍ للحرب. يأتون مِن كل مكانٍ قريبٍ وبعيد، السفن تتسابق للانضمام إلى أسطولي الحربي عندما علموا أنّني قد دَعوتُ لمطرٍ حديديّ، الأوّل منذ عشرين عاماً. استخدمتُ الشّغبر لنشر الأخبار، مع لقطاتٍ مِن سقوط بليني. العديد منهم مِن الأبناء والبنات الثواني، لن يرثوا أملاك آبائهم. دعاة حرب، ومبارزون، ومتعطّشون للمجد. وكلٌّ منهم يجلب حاشيته مِن الرماديّين والسبجيّين. تنتظر عوالم الجمعيّة بتلهّف لترى ماذا سيحدث اليوم. إن خسرنا، ستبقى الحاكِمة المعظَّمة في الحكم. إذا انتصرنا—حرب أهليّة شاملة. لا يمكن لأيّ عالَمٍ أن ينأى بنفسه.

تتجمّع الفيالق داخل سفينتي، بينما يجتمع أسطولي الحربي حول الميناء القمري فوبوس. أحمل شفرتي المنحنية كأنّها نصلٌ منجلي؛ محدّبة وقاسية، إنّها صولجاني. خاتمي الحديدي لعصبة مارس يضغط عليّ، وأنا

أثني يدي مُحدِّقاً مِن خلال نوافذ الرؤية. الحصان المجنَّح يتأرجح على صدري.

لا أستطيع رؤية عدوّي -آل بيلونا ومعظم الأساطيل المحليّة للحاكِمة المعظَّمة- لكنّهم يوجدون بيني وبين كوكبي. سيِّدُ الرماد القديم للحاكِمة المعظَّمة يأتي سريعاً قادماً مِن المنطقة المركزيّة مع أسطول الصولجان الحربي الخاص به لتقديم الدعم، لكنّه لا يزال على بعد أسبوع. لا يمكنه مساعدة آل بيلونا اليوم.

أتباعي مِن الزُرق يراقبونني، وكذلكَ جنرالاتي—مِن الأسطول الخاص بفيكترا جولي الذهبيّة الذين تخلّوا عن قوّات والدتها، ومِن عائلة أركوس، ومِن عائلة تيليمانوس، وحاملو راية آل أوغوستوس.

المرّيخ أخضر وأزرق، تملؤه المدن المحميّة بالدروع. تغطّي أقطابه قلنسواتٌ بيضاء، وتمتدّ على طول خطّ استوائه محيطاتٌ زرقاء. تغطّي الحقول العشبيّة مع الغابات الكثيفة سطحه، وتدور السحب في أنحائه في دوّامات، أشبه بقَمِيصة قطنيّة تخفي مدنه المتألّقة المحميّة بالدروع. وهنالك أسلحة. مَحطّات ضخمة في الصحارى حولَ المدن، حيث تُوجَّه نحو السماء المدافع الكهرومغناطيسيّة المُدمِّرة للسفن.

تغوص أفكاري تحت سطح الكوكب. أتساءل عمّا تفعله والدتي الآن. هل تعِدُّ الإفطار؟ هل يعرفون ما الذي سيأتي؟ هل سيشعرون به حتّى عندما نقوم بذلك؟

لا ترتعش أصابعي حتّى وأنا على شفا المعركة. تنفّسي منتظم. وُلدتُ لعائلةٍ مِن غطّاسي الجحيم. وُلدت مِن سلالةٍ مِن الغبار والعناء، وُلدت لأخدم الذهبيّين. وُلدت لهذا الإيقاع السريع.

ومع ذلك، أنا مذعور. نَحتَني ميكي لأكون إله حرب، لكنْ لماذا أشعر وكأنّي صبيٌّ يقف في درع سخيف؟ لماذا أرغب في أن أكون في الخامسة مِن عمري مرّة أخرى، قبل أن يموت والدي، أشارك السرير مع كيران، أستمع إليه يتحدّث في نومه؟

ألتفتُ إلى بحرٍ مِن الوجوه الذهبيّة.

هذه السلالة—يا لها مِن وحشٍ جميل! يحملون كل قوى الإنسانيّة، باستثناء واحدة؛ التعاطف. بوسعهم أن يتغيّروا. أعلم ذلك. ربّما ليس الآن، ربّما ليس خلال أربعة أجيال، لكنّه سيبدأ منذ اليوم، لأنّها بداية نهاية عصرهم الذهبيّ. سَحقُ آل بيلونا، وإضعافُ الذهبيّين، وجَرُّ الحرب الأهليّة إلى لونا نفسِها، وتدميرُ الحاكِمة المعظَّمة، عندها سينهض أريس.

لا أريد أن أكون هنا. أريد أن أكون في المنزل، معها، مع طفلي الذي لم يكن قط.

لكن هذا غير ممكن. أشعر وكأنّ مدًّا في داخلي ينحسر ليخرج منّي كاشفاً الجراح القديمة. هذا مِن أجلِك، أقول لها. مِن أجل العالم الذي كان ينبغي أن تعيشي فيه.

لذا أعود إلى دَوري، بإطعام تلكَ الذئاب.

– «في أيّام الخريف الباهتة». أقول، بصوتٍ عالٍ وجريء: «يرتدي الحُمر الذين يُنقِّبون في أعماق المرّيخ أقنعة غيلان سعيدة محتفلين بالموتى الذين طالبَت بهم التربة الحمراء، وذلك لتكريم ذكراهُم وإخضاع أرواحِهم. نحن –ذوي البريق الذهبيّ– أخذنا تلكَ الأقنعة وجعلناها لنا. مَنحناها وجوه الأسطورة والخرافات لنُذكِّر أنفسنا بأنّه لا يوجدُ شرٌّ، ولا خير. لا آلهة، ولا شياطين. هنالكَ الإنسانُ فقط. هنالكَ هذا العالمُ

فقط. الموتُ قادمٌ لنا جميعاً. لكن كيف سنصرخُ في وجه الرياح؟ كيف سنُذكَر؟». أخلعُ أحد قفّازَيَّ وأجرح راحة يدي قليلاً. أشدّ قبضتي حتّى يغطّي دمي جلدي، ثمّ أضغط بيدي على وجهي: «اِجعَل دمكَ يفخرُ بكَ طويلاً بعد أن ينالَ الموتُ منك».

هنالك وقع خطوات. واحدة فقط.

– لونا هي كوكب الأرض الجديد. يتحكّم بنا ويجعلنا ننحني ونتقشّف. تضحيتنا هي مكسبٌ له. مرّة أخرى، الضعيفُ يكبتُ القوي. بعد اليوم، عندما نستولي على مدن المرّيخ الألف، ستتضخّم صفوفنا. سيُقسِم اللّوردات الغاليليّين بالولاء لنا. حُكّام زحل سينحنون لنا. ستأتي نبتون بسفنها وسنعزل الطفيليّة أوكتافيا لونا الذهبيّة.

ونصنع مَلِكاً طاغية. يبدو ذلك منطقياً بالنسبة لهم. لا أعلم كيف. طاغية بدلاً مِن طاغية. كيف يجدون الإلهام في هذا؟ الرجال دائماً يفعلون.

وَقعُ خطوات أخرى.

– «كلُّ لحظة اليوم ستُلتَقط بوساطة الكاميرات المجسَّمة التي أعطيناها لك». كما كان الحال في المعهد، وعندما استوليتُ على باكس. إنّها فكرة الشّغبر: «كل لحظة ستُخلَّد. إذا حقّقتَ المجد، سيُنشر في الكاميرات المجسَّمة لجميع العوالم. إذا جلبتَ العار لنفسكَ، أو لعائلتكَ، فإنّه لن يتلاشى مع موتك». أنظرُ إلى راغنار، كما لو كان جلّادي. لورن يقلب عينيه على هذا الأسلوب الدرامي: «سنُخلَّد».

وَقعُ خطوات.

– يجب السيطرة على المدن. الذهبيّ الذي لن ينحني يُقتَل. بنو الألوان

الدُنيا ستجري حمايتهُم. لن نُقوِّض المناجم. لن نغتصب المدن ونسلبِ الأراضي الخصبة. نحن هنا للاستيلاء على ثروات المرّيخ. لا نريد أخذ جثثه. إنّه مَوطِنٌ للعديد منكُم، لذا آذوا فقط الطُّفيلي الذي يدمّره مِن الداخل. وعندما ينتهي مجد اليوم—عندما تمسحون الدماء عن سيوفكم وتقدّمون القماش لأبنائكم وبناتكم، حتّى يتذكّروا أنّكم كنتم جزءاً مِن واحدةٍ مِن أعظم المعارك على الإطلاق منذ سقوط كوكب الأرض—تذكّروا، أنّكم صنعتم مصيركُم بأنفسكُم. لم يُمنَح لكم مِن قِبَل الحاكِمة المعظَّمة. لم يُمنَح لكم مِن قِبَل حاكِم. استوليتُم عليه كما استولى أسلافنا على العوالم. نحن الغزاة الجدد.

هنالك زئيرٌ الآن. أكره كيف يرتجف جسدي عند فكرة المجد. هناك شيءٌ عميقٌ في الإنسان يجعله متعطّشاً إلى ذلك، لكنّني أعتقد أنّه ضعف، وليس قوّة، أن نتخلّى عن الفضيلة مِن أجل تلك الروح القاتمة الغامضة.

أنظرُ إلى الشَّغبَر على جانب مِنصَّة القيادة. ليس له أيّ أهميّة تذكر في هذا اليوم. لقد أنجز عمله في إحضار كل هؤلاء الرجال والنساء إلى هنا. لقد شوَّش الاتّصالات، وزرع معلومات كاذبة، ممّا أدّى إلى تشتّت معظم مساعدات الحاكِمة المعظَّمة إلى آل بيلونا بمطاردتهم لشائعات كاذبة بأنّ عناصر مِن أسطولي تتسلّل لمهاجمة لونا. مجرّد خدعة. قوّاتي كلها هنا.

– «أنتَ تلعبُ دور اليد الخفيّة على نحوٍ رائع» يهمس الشّغبر لي بينما ننتظر دخول البيض إلى مِنصَّة القيادة خلف الذهبيّين المنتظرين. يقترب سيفرو منّي، وكأنّه يُذكِّر الشَّغبَر بمكانه.

– «أنتَ صنعتَ مُعظَم الخيوط. لم أشكرك قطّ». أقول له بهدوء.

تجعَّد وجهه العادي مِن الاشمئزاز: «هل يجبُ أن نصبحَ عاطفيّين؟».

- «ساعَدتَ موستانغ على الهرب؛ لهذا السبب أمسكَ بكَ بليني». لم يذكر ذلك قطّ، ولم يتفاخر، أو يستخدمه كوسيلة ضغط. كان مجرّد فعلٍ بسيطٍ مِن أخٍ يساعد أخته. أهزُّ كتفي: «وأنتَ حاولتَ بكل ما أوتيتَ مِن جهد متبوب إنقاذ كوين. ربّما أنتَ رجُلٌ أفضل ممّا تعرف».

يضحك ضحكته التي تشبه النباح: «أشكُّ في ذلك. لكنْ غداً، سيصبح الخائن ملكاً، وستصبح الإمبراطورة خائنةً، لذا ربّما يمكن للرجال الأشرار أن يكونوا فاضلين».

أنظرُ من خلال نافذة الرؤية: «هل أقمارُكَ الصناعيّة جاهزة؟».

- «مِن أجل الفيروس؟». يومئ برأسه: «سوف يعطّلُ أتباعي مِن الخُضر جميع الاتّصالات بمجرّد أن تعطي الأمر. لمدّة خمس عشرة دقيقة، سيكون هناك صمتٌ مريعٌ كالموت، للجميع. لن تمتلكَ وِحداتهم الدفاعيّة الكوكبيّة والإقليميّة أي نوع مِن الرصد، أو الاستشعار. إنّه وقتٌ كافٍ لتحطيم مُعظَم المَواقع الثابتة». ينظرُ إلى قدميه، كما لو كان واعياً لذاته فجأة: «أنقذ أبي إذا استطعت».

يتحرّك سيفرو، منزعجاً مِن همسنا.

- سأفعل.

أفضِّل أن يظلَّ أوغوستوس متعفّناً إلى الأبد في حفرةٍ في الأرض، لكنّني أحتاج إليه بمجرّد أن يُستولى على المرّيخ. على الرّغم ممّا يمكنني فعله، إلّا أنّي لست حاكِماً، أو ملكاً. أحتاج إلى شرعيّته، كما ذكّرتني ثيودورا ليلة أمس. بدونها، أنا مجرّد ذراعٍ مع شفرة.

- «وأنتَ متأكّد بشأن أجيا؟». يسأل: «بشأن الجائزة؟ خلاف ذلك، سيكون الأمر متهوّراً».

- «مئة بالمئة». أجيب.

- «جيّد، جيّد. حظّ ممتازٌ إذن يا حصّاد». يبتعد.

- «أتستَبدلُني فعلاً؟». يزمجر سيفرو غاضباً، وهو يراقب رحيله.

- لقد حصل على يد، وأنت حصلت على عين، وأنا لديّ نوع.

تستمرّ المراسم. مئتا ذهبيّ يثنون ركبهم بينما يمشي البِيضُ مِن خلال صفوفهم. أحاولُ أن أعتقد أنّ هذا شيء غبيّ وشعائري، كلُّ هؤلاء الرجال والنساء بصمتهِم المبهرَج وانتباههِم للتقاليد. لكن ما يحدثُ الآن هو تاريخ البشريّة في أثناء صُنعِه. وهناك نبالة في هذه اللّحظة.

تتلألأ الدروع في الضوء الاصطناعي. يطوفُ البِيضُ الأثيريّون بين الصفوف، بكارى عذراوات حافيات الأقدام في عباءات ناصعة البياض كالثلج، مع خناجر مِن الحديد وأكاليل مِن الذهب. يحمل أطفال البِيضِ الرايات الذهبيّة المثلّثية—صولجان، وسيف، ولفافة متوّجة بإكليل. أشعر بالأيدي على كتفي.

أشعر بوزنها.

يقولون إنّ هذه هي الطريقة التي كان يذهبُ بها الغزاة القدامى إلى المعركة، مع عذارى بِيض يجرحونهُم بالحديد. يلمسون حواجبنا بالإكليل ويجرحون راحة يدنا اليسرى بالحديد بينما يهمسون بهدوء في آذاننا:

«يا ابني، ويا ابنتي، الآن بعد أن نزفتم، لن تعرفوا الخوف، ولا الهزيمة، فقط النصر. جُبنُك يتسرب منك. غضبكَ يلتَهبُ برّاقاً. انهض، أيها المحارب الذهبيّ، واحمل معكَ عظمة لونك».

ثمّ يقوم كل محاربٍ بدهن أثر الدم عبر وجهه وعبر الجزء العلوي من خوذته ذات الوجه الشيطاني. واحداً تلو الآخر نقف بصمت. يمثّل كل

ذهبيّ عشرة فيالق. هذه هي العاصفة التي ستنهمر على المرّيخ كوابِلٍ مِن المعدن. ملايين مِن الذهبيّين، والرماديّين، والسبجيّين.

– «نحن لا نقاتل كوكباً. نحن نقاتل رجالاً ونساء. اقطعوا رؤوسهم لتروا كيف ستتداعى جيوشهم». يذكرنا لورن.

تقف مجموعةٌ مِن المحاربين، وجوههم الآن مدهونةٌ بالدم، ونتلوا معاً أسماء أعدائنا الرئيسيّين: «كارنوس بيلونا الذهبيّ، أجا غريموس الذهبيّة، الإمبراتور تيبيريوس بيلونا الذهبيّ، سيبيا فالتي الذهبيّة، أوكتافيا لونا الذهبيّة، أغريبينا جولي الذهبيّة، وكاسيوس بيلونا الذهبيّ؛ هؤلاء رؤوسهم مطلوبة».

في قاعات عدوّي، سيردّدون اسمي وأسماء أصدقائي. مَن يَقتُل الحصَّاد سيحصل على الجوائز والشهرة. صيّادون فرديّون ومجموعات قتل ستمسح إشارات اتّصالاتنا بحثاً عنّي. وسيهبطون في جماعات، بعضهم مِن أجل معركة فرديّة، وآخرون مِن أجل قتلٍ ماكرٍ برصاصة قنّاص. بعضهم لن يشارك حتّى في معركة المرّيخ؛ إنّهم مرتزقة رماديّون، وصيّادو جوائز سبجيّون مُحرَّرون، وفرسان الزهرة وعطارد هنا فقط مِن أجل رأسي، مستخدمين موارد وجنود عائلاتِهم، لمساعدتِهم في مطاردتي على نحوٍ سريّ وصُنع مجدِهم الخاص. اِعترضَ الشّغبر رسالةً تفيد بوجود ثلاثة فرسان أولمبيّين هنا. جميعهُم شاهدوني، درسوا تسجيلاتي، وانتصاراتي، وهزائمي. وسيدركون طبيعتي، طبيعة عِوائي. لكنّني لن أعرفهُم.

دعهم يأتون لتقديم أنفسهم.

أنا مهتمٌّ أكثر بلقاء كاسيوس. على الأقلّ هذا ما أخبرتُ به لورن. لكنّه يعلم أنّ ذلك ليسَ صحيحاً. شعورٌ عميقٌ بالعار يشتعلُ في داخلي بسبب

صراخي كوحشٍ في وجه عائلته. لقد هزمته على نحوٍ عادل، لكنْ لم يكن عليَّ أن أُحبَّ ذلك بقدر ما فعلت. أحياناً أتساءل لو أنّه نشأ كأحمر، وأنا كذهبيّ، ألن يكون مِن الممكن أن ينتهي به المطاف كإنسانٍ أفضل ممّا أنا عليه الآن، وأنا كإنسانٍ أسوأ ممّا يمكن أن يكون هو عليه يوماً؟

لسببٍ ما، أعتقد أنّني كنتُ لأكون قادراً على ارتكاب شرٍّ عظيم. ربّما هذا هو الشعور بالذنب. ربّما هذا هو الخوف مِن حياةٍ لم أعرف فيها إيو قط. لا أعلم. أو ربّما هو الخوف مِن معرفة مدى سهولة وقوعي ضحيّةً للغرور.

يتفرّق محاربيَّ عائدين إلى سفن عائلاتهم. أشاهد مِن خلال نافذة الرؤية كيف تنطلق خمسون مركبةً مندفعةً نحو الأسطول الحربي العظيم الذي جمعناه. على الرّغم من أنّهم يعلمون أنّنا هنا الآن، لم يتوقّع أعداؤنا قدومنا إلى المرّيخ بهذه السرعة.

أُوجِّه انتباهي إلى قادتي المتبقّين. ستتولّى أوريون قيادة السفينة باكس، وسيتولّى روكي قيادة الأسطول بالتعاون مع فيكترا. أوافق على خطّتهم؛ أمّا البقيّة مِن دائرتي الداخليّة فتتريّث، باستثناء موستانغ، التي تتوجّه إلى الحظائر.

أرفع يدي إلى الأعلى قليلاً لأضرب آل تيليمانوس على أكتافهم: «كان باكس سيبدو رائعاً في هذا اليوم». يتلوّى سوفوكليس حول كاحليّ كافاكس.

– «لطالما كان أخي رائعاً». يقول داكسو بحرارة: «أحمق، صاخب، يحاول أن يكون مثل والدنا. لكنّه رائعٌ رغماً عن ذلك. سنقتل تيبيريوس بيلونا الذهبيّ، لا تقلق».

- هل أبدو قلقاً؟

يهزُّ العملاقان رأسيهما الكبيرين. كافاكس كان قد دخل في صمته القتالي. لا يستطيع التحدّث إلّا بتمتمة، لذا يستمرّ داكسو في الحديث نيابةً عنه: «اعتنِ بنفسكَ يا حصَّاد». يلقي نظرة على الشّغبر: «نعلم أنّه زواج مصلحة، لكنْ لا تثق به».

- إنّكَ تعلم أنّي لا أثق به.

- «لا تثق به». يكرّر داكسو.

- «أثق بالأصدقاء فقط». نودّع بعضنا.

حاجِبُ أوريون يتجعّد بسبب التفكير. أسألها إن كان هنالك خَطبٌ ما بينما تنحني فوق شاشة الماسح. إنّها تُقيِّم تموضع العدوّ مِن خلال التزامن: «لقد لاحظوا قدومنا إلى المدار منذ ساعةٍ مضت. كنّا عرضةً للخطر في أثناء اقترابنا التدريجي، لكنّهم أبقوا على تشكيلهم الدفاعي فوق أجيا».

- «هذا غريب». يوافق روكي: «يتخلّون عن مُعظَم الكوكب من دون قتال. ربّما سيكون مِن الأفضل توجيه إنزالك إلى الجنوب...».

- «أريد أجيا». أقول ببرود.

- سنطلقكَ نحو المعمعة يا أخي. يمكنُ للعاصمة أن تنتظر. استولِ على المدن الأخرى ويمكننا أخذها من دون اقتحام. لماذا هذا الاندفاع العنيف؟

- إن استولينا على العاصمة، ستسقط المدن الأخرى.

- وسيموت العديد مِن الرجال.

- إنّها الحرب يا روكي. ثق بي في هذا الأمر.

- «إنّها حربك». يقوم روكي بالتحيّة. بعد تلقّي نظرةٍ ساخطةٍ مِن فيكترا، يجذبني إلى مقربةٍ منه: «اِرقُد بسلام يا بريموس». يُقبّل وجنتيّ، مفاجئاً إيّاي.

- «لقد كان طريقاً طويلاً». أقول بحذر.

- ولدينا أميالٌ لنقطعها قبل أن ننام.

- «يا أخي». أُمسِك بمؤخّرة رقبته وأدير جبينه إلى جبيني: «أنا آسف. أنا آسف جدّاً». أهزُّ رأسي: «مِن أجل كوين. مِن أجل ليا. مِن أجل الحفل. مِن أجل ألف إساءة ألحقتُها بك. لقد كنت أعزّ أصدقائي». أتراجع مبتعداً، ومتجنّباً النظر في عيونه: «كان يجب أن أقولها في وقت سابق. لكنّني كنتُ خائفاً».

- «في أي عالم ينبغي أن تخاف منّي؟». يسأل.

أهزُّ رأسي: «اغفر لي كلّ شيء».

- «سنصلحُ الأمور لاحقاً». يُربّت على كتفي: «حظّاً موفّقاً».

أتركه. أنا ولورن نتوقّف خارج مِنصّة القيادة، حيث تتباين طرقنا إلى ممرّاتٍ مختلفة. لقد حَلَقَ مِن أجل الحرب، ويرتدي درعه القديم؛ درع فارس الغضب. يبدو رائعاً لكنّ رائحته فظيعة. هؤلاء الفرسان القدامى مثل العَوّائين، يؤمنون بالخرافات ولا يرغبون بغسل عتادهم خوفاً مِن غسل أيّ حظٍّ أبقاهُم على قيد الحياة حتّى الآن.

- «لقد تلقّيتُ رسائلَ مِن العديد مِن الأصدقاء القدامى». يقول لورن: «يؤيّدون عائلة بيلونا».

- أهم جميعاً مِن الرجال والنساء الكبار في السنّ؟

- «لقد عاصرَ كِبارُ السنِّ العديدَ مِن مواسم الشباب». هناك بريق في عينيه: «لكنّهم يسألونني عنك. يسألون إن كان الفتى سيِّد الحرب بطول أربعة أمتار فعلاً. وهل حقاً يتبعه قطيع مِن الذئاب؟ هل هو مُحطِّم للعوالم؟».

- وماذا تقول لهم؟

- «قلتُ إنّكَ بطول خمسة أمتار، ويتبعك قزمٌ وعملاق، وتأكل الزجاج مع البيض». نضحك كلانا: «لا أحبّ أنّكَ أحضرتني إلى هنا. لا أعتقدُ بأنّكَ الرجُل الذي تريدُ أن تكونه. إن نجوتَ مِن هذا ولم أنجُ أنا، كن أفضل مِن كونكَ مُجرَّد رجُلٍ خدع صديقه».

ألمٌ مزمنٌ ينمو خلف عيني. إنّه الالتماس الذي يطلبه. ليس ليشعرني بالذنب، بل لأنّه يهتمّ حقاً. يجب أن أكون أفضل. أريد أن أكون. في نهاية الأمر أنا أصبح أفضل. لكن مع الوسائل التي تؤدّي إلى تلك النهاية... هل أنا مثل جميع الأرواح الضائعة الأخرى؟ هل أنا مجرّد هارموني أخرى؟ أو تيتوس آخر؟

- «أعدكَ». أقولها، وأنا أعني ذلك حتّى مع نيّتي إيذاءه مرّة تلو الأخرى.

- «جيّد، جيّد». يفرقع رقبته المجعّدة: «إذنْ بعد أجيا، ستستولي على نصف الكوكب الشمالي، وأنا سأستولي على النصف الجنوبي، وسنلتقي هنا لنشرب الويسكي. اتّفقنا يا صاح؟»

أومئ برأسي، لكنّه مع ذلك لا يبتعد.

يُحدِّق بي للحظة، ثمّ ينظر إلى الأسفل، غير قادرٍ على مقابلة نظرتي. العاطفة تُثقِل صوته: «في كل مرّة أعود فيها إلى زوجتي، أخبرها أنّ أولادها ماتوا على نحوٍ مشرّف». يعبث متوتّراً بخاتمه: «لا يوجد شيء كهذا».

- أخيليس مات ميتةً مشرّفة.

- «كلّا. أخيليس ترك كبرياءه وغضبه يلتهمانه، وفي النهاية، أصابه سهمٌ أطلقه قردٌ ماجنٌ، أصابه في قدمه. هناك الكثير لتعيشه بخلاف هذا. آمل أن تكبر بما فيه الكفاية لتدرك أنّ أخيليس كان أحمقَ متبّباً. ونحن حمقى أكثر منه لعدم إدراكنا بأنّه لم يكن بطل هوميروس. كان تحذيراً. أشعر أنّ الرجال كانوا يعرفون ذلك فيما مضى». أصابعه تنقر على شفرته: «إنّها دورة. الموت يلد الموت، يلد الموت. لقد كانت حياتي. أنا—أنا لا أعتقد بأنّه كان عليَّ قَتلُ الفتى؛ صديقك».

- لماذا تقول ذلك؟

- لأنّني أرى الطريقة التي ينظرُ فيها البقيّة إليك. أعتقد أنّهم سيفعلون أي شيء مِن أجلك لأنّك تؤمن بهم.

أتحرّك فجأةً، منحنياً للأسفل لأقبّلَ خدّه المتجعّد كما يقبّلُ الحُمر الآباء والأعمام: «ما كان تاكتوس ليلومك، ولا أنا. لديكَ حفيدٌ آخر لتربّيه. ربّما يمكنكَ تعليمه السلام الذي لم تتمكّن مِن تعليمي إيّاه. لذا أسْدِ لنا بمعروف، ولا تَمُت أيّها العجوز».

- «ها». يضحك اللورد الأشيب، بدايةً على نحوٍ زائف، ثمّ بقوّةٍ أكبر، وهو يدور على عقبيه: «ها! لم يصنعوا بعد رجُلاً يمكنه قتل رجُل الصخر العجوز!». يحيط به فرسانه القدامى، رجال ونساء مجعّدون، لا أحد أصغر مِن السبعين، لكنّني أتعرّف على وجوههم جميعاً مِن سجلّات التمرُّد القمريّ والحروب العظيمة الأخرى. أصدقاؤهم ورفاقهم السابقون ينتظروننا على المرّيخ.

أغادر نحو الحظائر، موَدِّعاً فيكترا بسرعة. إنّها تناديني. أشعر أنّ روكي

يراقبنا. تبدو وكأنّها على وشك قول شيء ما. الشمس الحمراء لدرعها الأسود تذرف دماً. طلاء الحرب الأسود يغطّي وجهها بخطوطٍ قطريّة. عيونها تتوهّج مِن خلالها، لكنّها ضعيفةٌ ولطيفةٌ، وهي تبحث في عيوني عن انعكاسٍ لما تشعر به.

– «بعد اليوم، سيعني اسم جولي ما هو أكثر مِن المال». أقول. ستغيّر خطّتها مجرى المعركة الفضائيّة.

– «لا أهتم لذلك». تلمس أصابعها درع صدري، وأرى كيف تنزلق شفتيها على نحوٍ حاد متحوّلةً إلى تلك الابتسامة الشريرة: «إذا مُتَّ، أريد أن تكون آخر فكرة تراودك هي كم كان خطأً عظيماً أن تقضي كل تلك الليالي وحيداً في حجرتكَ في الأكاديميّة». تنقر بأصابعها على درعي، مُصدرةً صوت رنين: «يا لها مِن فوضى جميلة تلك التي كان بوسعنا أن نصنعها مِن بعضنا!».

تنتظرني ثيودورا في الممرّ، ترمقني بنظرة.

– أوه، اخرسي!

– كانت لتلتهمكَ، ثمّ تلفظكَ يا دومينوس.

– لماذا لستِ في الحجرات حيث يكون المكان آمناً؟

– «لا يوجد أمانٌ في أيّ مكان». تشير ثيودورا لي كي أحني رأسي. تضعُ مِشبكَ زهرة حمراء صغيرة، النوع الذي ترتديه الفتيات الصغيرات، في شعري: «كلُّ الفرسان بحاجة إلى رموز تخصّهم». تقول، وعيونها تفيض بالدموع: «لا تكن بطلاً أكثر مِن اللازم. أنت ذكيٌّ جدّاً لتموتَ في معركةٍ غبيّة».

تغادر، وتضغط على ساعد راغنار في أثناء مرورها. لم أكن أعلم أنّهما

على معرفة ببعضهما. يتبعُنا راغنار، متأخّراً كظلٍّ متردّدٍ، بينما أتحدّث أنا وسيفرو في أثناء طريقنا إلى الحظائر.

- «إذن، هل تمّ الأمر؟». أسأل سيفرو.

يهزُّ كتفيه: «أرسلتُه».

- هل تحدثتَ إليه؟

- «تخزين وسيط في شبكة الاتّصال المجسَّم». يقول: «أُرسِل رسالة، فيحصلون عليها. نأملُ ذلك».

- تقصد أنّكَ لا تعرف إن حصلوا عليها؟

- كيف لي أن أعرف؟ قلتُ بأنّي أرسلتُه. اتَّبعتُ البروتوكول.

ألعن بهدوء. يُصفِّر ذلك اللّحن اللّعين الذي غنّاه بليني. أصفعُه على رأسه. نلتفُّ حول زاوية الممرّ ونمرّ بأكثر مِن سبعين رماديّاً مِن جنود العمليّات الخاصّة متّجهين نحو الأنابيب، وهُم يُهرولون. يتبعهم ستّة سبجيّين، يفتحون كفوفهم لي ولراغنار كعلامةٍ على الاحترام.

- «هل ترى ما كانوا يرتدونه؟ نصول منجلية على دروعهم». يبتسم لي سيفرو بإعجاب: «إنه ينتشر».

- «هل فكّرت في ما سيحدث إذا كان والدك هناك في الأسفل؟». أسأل.

- «لا». يقول، وهو يفقدُ ابتسامته: «لا، لم أفكّر».

# 37

# حرب

منطقة حظائر المركبات الأماميّة ضخمة. إنّها كهفٌ عملاقٌ في جوف سفينتي، يزحف فيه الرجال والنساء مِن مختلف الألوان. طولها ستّمئة متر. على جانبها الأيسر توجد مئات مِن أنابيب القذف. يمكن الوصول إلى كل صفٌ منها عبر شبكة مِن الممرّات العملاقة حيث بوسع الرجال المرتدين لقذائفهم النجميّة أن يسيروا. الآلاف يقفون على أهبة الاستعداد، مُجمَّعين حسب فَيالِقِهم.

الإنذار الخاص بالمحطّات القتاليّة يصدح في جميع أنحاء السفينة. صوت أوريون الخشن يُسمَع عبر الإذاعة الداخليّة. خارج هيكل السفينة، سيقسّمُ روكي الآن -أصغرُ إمبراتور منذ مئة عام- أسطولنا الحربي إلى أساطيل أصغر لمواجهة آل بيلونا على المرّيخ. تتدفّق أسرابٌ مِن مقاتلات الجناح القاطع والدبابير إلى الخارج. زُرق يطيرون إلى حتفهم. قادة فرق ذهبيّة في وسطهم. كل ذلك لفتح ثغرةٍ كبيرةٍ بما يكفي لتقدّم سفينة الاقتحام العلقيّة عبر ممرّات العدو. بعض القادة البريتوريّين يحتفظون بجنودهم لمحاربة موجات العدوّ التي تحاول اقتحام سفنهم. الآخرون

يشنّون هجمات كاملة. إنّها مقامرةٌ في كلتا الحالتين. لا أستطيع التفكير في كلّ ذلك. يتحمّل كلٌّ مِن فيكترا وروكي وأوريون تلك المسؤوليّة. لديّ مسؤوليتي الخاصّة.

أتوقّف، أنظر إلى الحظيرة: «ماذا لو أنّ أريس ليسَ حقيقيّاً؟». أسأل سيفرو بهدوء.

– «ما الذي تتحدّث عنه بحق الجحيم؟». يسأل سيفرو.

– ماذا لو كانت مجرّد حيلةٍ مِن الذهبيّين؟ شخص يسحب الخيوط لجعل الجمعيّة تسير بالطريقة التي يحتاج إليها. ماذا لو كان كلُّ ذلك كذبة؟

ينظر إليَّ سيفرو للحظة طويلة، ثمّ يقفزُ على الدرابزين، ويعوي بأعلى صوته نحو حظيرة المركبات.

تردّ الحظيرة بعواء.

يأتي ذلك مِن الرماديّين. يأتي مِن السبجيّين، مِن البرتقاليّين. يأتي مِن الحُمر الذين يعملون على الأنابيب. ويأتي مِن الذهبيّين الذين طلبوا الانتقال إلى سفينتي.

– هذا ليس كذبة.

وحينها أرى رايات الفيالق تنخفض، لتستبدل بشيءٍ جديد. اختفى هرم الجمعيّة. اختفى الإكليل، والصولجان، والسيف، واللّفافة. اختفى أسد أوغوستوس. بدلاً مِن ذلك، فإنّ الرايات الذهبيّة العالية التي تحملها الفيالق إلى المعركة مكسوّة بالذئاب والنصول المنجليّة.

تلك الفيالق هي لي.

أشعر بشيءٍ ينتشر في مَن حولي. نوع مِن الهوس الجسدي. لم يكن هنالك شعور مماثل لدى الذهبيّين. الذهبيّون يحبّونني بسبب النصر

والمجد الذي أقدّمه، لكن تلك الألوان الأخرى تحبّني لسببٍ مختلفٍ تماماً، شيء أقوى بكثير. أيّ غازٍ ذهبيّ آخر كان ليَطرُد مَن في السفينة، لكنّني لم أفعل، لأنّهم اختاروني بدلاً مِن الذهبيّين الذين كانوا يوماً ما أسيادهُم. أنا أعطيتهُم ذلك الخيار.

يُمسِك سيفرو بذراعي: «هل تفهَم أنّك يجب أن تقاتل بطريقةٍ مختلفةٍ اليوم؟».

– «أفهم يا سيفرو». أحاول أن أهزَّ ذراعه.

– «أنت لا تفهم». يسحبني لأنظر إليه ويُبعِد راغنار إلى الخلف: «كل حركة تقوم بها اليوم ستسجّل وتبثّ إلى كل جزءٍ مِن المجموعة الشمسيّة. هذه المعركة مِن أجل جعل الأسطول لك». ينخفض صوته إلى همس حازم: «أبناء أريس سينشرونها. الشّغبر سينشرها. عائلة أوغوستوس ستنشرها. تصرَّف كإله، وسيتبعونك كإله. مفهوم؟».

– «سواء فزنا أم خسرنا، لا يزال هذا أسطول أوغوستوس». أقول.

– ليس إن كان ميتاً.

كلَّفتُ سيفرو بالتسلّل إلى القلعة في أجيا حيث يُحتَجز الحاكِم العام، لكنّني لم أطلب منه قتل أوغوستوس.

– «لن تقتله». أقول بنبرة سلطويّة: «إني أنهى عن فعل ذلك. إنه...»

– «ضروري! لا تحتاج إلى شرعيته. ألم تفهم طريقة تفكيرنا بعد؟ هنا ما تستولي عليه يصبح لك، بصرف النظر عن أحقيّتك». يبصق على الأرض: «أنتَ في العشرين مِن عمرك. إذا فزت بالمرّيخ يا دارو، ستصبح إلهاً حيّاً. وحينها عندما تكشف عن حقيقتك... ستسمو متجاوزاً اللّون. هل فهمت ذلك؟».

لقد أصبح سيفرو أكثر نضجاً منذ التقينا لأوّل مرّة. لا شك في ذلك. لكنّني أخشى أنّه يبالغ في تقديره لي. أبولو اعتقدَ بأنّهُ إله. أوغوستوس يعتقدُ بأنّهُ إله. الإله ليس ما يجب أن أكون عليه. الإله هو شيء يجب أن يُخدَم، شيء يُعبَد. لم أرغب قطّ في ذلك. إيو لم ترغب قطّ في ذلك. سيتعيّن على سيفرو أن يتعلّم. يتعلّقُ الأمر بالحريّة. ومع ذلك يبدو أنّ الجميع يريدون أن يكونوا أتباعاً فقط.

تُشرِف موستانغ على عمليّات الوحدة العسكريّة اليوم. تطفو في الهواء مع ميليا، الذهبيّة ذات وجه الحصان التي تبنّيناها في المعهد. بالقرب منّي، يتجوّل على مهلٍ ذهبيٌّ عديم الرحمة ذو وجه مألوف. أضحكُ وأشير إليه مُنادياً سيفرو، الذي يلعنُ ويشتم على نحوٍ مؤثّر.

– «المشرف جوبيتر؟». أنادي الرجُل: «عزيزي، هل يمكن أن يكون هذا أنتَ حقاً؟».

– «ومَن غيري يمكن أن يكونه، أيّها الولد المتعجرف؟». يأتي جوبيتر أمامي. إنّه طويل، مع نظرةٍ لا مبالية في عينيه، وشعر مربوط بإحكام. أطول منّي بنصف قدم، إنّه وحشٌ آثمٌ مُحِبٌّ للمتعة، ذو نزعةٍ مِن العجرفة تفوق الحدود، ومِن الواضح أنّه هو وراغنار لن يتحمّلا أي سوء فهم أكثر مِن مرّتين كي يقوما بتمزيق بعضهما. يُحدِّق في الشفرة الملفوفة حول ساعدي، وأرى أنّه يحمل شفرته بالطريقة الجديدة نفسها: «سمعتُ بأنّكَ المسؤول عن هذا الأسلوب الجديد». يرفع ذراعه: «كما أرى يمكنني تأكيد ذلك. إنّه أسلوبٌ جريءٌ كإقحام قضيبك العاري في عشّ نمل».

– «أما زلت تعرج؟». يسأل سيفرو.

– «اخرَس يا غوبلن». يسخر جوبيتر.

- «أبي العزيز كان لديه نزالٌ بسيطٌ هنا مع المشرف جوبيتر لنيل منصب فارس الغضب». يبتسم سيفرو: «أصابه العجوز بضرب قاطع في المكان نفسه الذي أصبته فيه أنا. مباشرة في المؤخّرة».

- «ذلك المراوغ الخبيث فيتشنير إنّه... ماكر». يومئ جوبيتر برأسه على مضض: «ماكر جدّاً، كثيراً. كنت أساعد الليدي». يقول جوبيتر متمتماً، مشيراً إلى موستانغ.

- «كيف ذلك؟». أسأل.

- مُعظَم المدن الموالية لأوغوستوس قُطعِت عنها الاتّصالات. لا يمكن لأيّ كلمةٍ العبور إلى الخارج، أو الداخل. أنا مبعوث أولئك الذين لا يزالون موالين. أتسلّل إلى الداخل. أتسلّل إلى الخارج. لقد كنت أفعل ذلك منذ أسابيع وأرسل أخباراً إلى مخازن وسيطة بعيدة ومدن أخرى موالية. كانت تدور هنا حربٌ شاملةٌ مع وكلائها هي وأخيها بينما كنتَ أنتَ في الخارج تُفصِّلُ لنفسكَ أسطولاً. كانت الأمور بشعةً يا صاح.

- «إذن ما الذي يمكنكَ أن تخبرني به؟». أسأل.

- «حسناً، بابا بيلونا يقود أسطول العائلة ضدّ أصدقائك. عُيِّنَ كلٌّ مِن كاسيوس وكارنوس للعمليّات الأرضيّة داخل أجيا. سأساعدك في العثور عليهم وقتلهم». يرفع جوبيتر حاجبيه الكبيرين، وكأنّه يريد إخبارنا كم هي مملّة تلك المهمّة: «هذه هي الفكرة—اقتل أفراد عائلة بيلونا ليتساءل كل حلفائهِم فجأة لماذا يقاتلون—أليسَ كذلك؟». يغمز سيفرو: «إنّه أفضل شيء تقوم به بعد دقّ رأس تلكَ الحاكِمة المعظَّمة المولودة في لونا».

- هل أنت متأكّد مِن أنّ آل بيلونا جميعهم في أجيا؟

يومئ جوبيتر برأسه على مضض: «آخر ما رأيناه. لكن ذلك كان قبل

عدّة أيّام، بعد أن أحضروا أوغوستوس مُكبَّلاً». يرفع إصبعه على نحوٍ غير مبالٍ: «وكان هناك مجموعة غريبة مِن المركبات الثقيلة التي هبطت ليلة البارحة».

ألوِّح بيدي، متجاهلاً الإشارة إلى المركبات. يُحدِّق بي بخزر، لكنّني أخبره أن يصمت ويذهب للوقوف ورائي بينما ألتقي موستانغ وحاشيتها.

– «كل شيء جاهز». تقول: «ننتظر أوامر الإطلاق». تكشّر مظهرةً التجاعيد على أنفها كما لو أنّها تشمّ شيئاً كريهاً: «سيفرو، راقب جوبيتر. إنّه يميلُ لعضِّ اليد التي تطعمه».

يتثاءب جوبيتر: «لمن دواعي سروري العملُ معكِ أيضاً».

– «ميليا، مِن الرائع رؤيتكِ وقد اغتسلتِ». أقول.

– «حصّاد». تومئ برأسها وتبتسم، إنّه شيءٌ قبيحٌ على وجهها: «أما زلتَ تلعبُ بالمناجل؟ هذا يدخل الدفء إلى القلب».

– «هل لديكِ قلب؟». يضحك سيفرو.

تتفحّص طوله: «بحجمٍ كامل». تتوقّف: «رأيتُ بولوكس بالأمس فقط، لكن على الجانب الآخر. كان يتسلّل ذهاباً وإياباً مع جوبيتر هنا. لقد رتَّبتَ لنا جميعاً لمَّ شمل صغيراً. سمعتُ عن تاكتوس. كان وغداً حقيراً».

صحيح بما يكفي. ألقي بنظرةٍ على لوحي الرقمي. سنكون عند إحداثيّات الإطلاق خلال خمس دقائق. يتفرَّقُ فريقي. تبقى موستانغ، وجهها عابس.

– «ما الأمر؟». أسأل: «هل تقلقين بشأني بالفعل؟».

– «قليلاً». تعترف، تقترب منّي بما يكفي لأشمّ رائحتها: «لكن الأمر يتعلّق بأبي. ماذا لو قتلوه قبل حتّى أن نصل؟».

– لن يقتلوه. سيحتاجون إليه كورقة مساومة، أو في حال خسروا، فسوف يتركونه على قيد الحياة ويأملون أن نفعل الشيء نفسه مع جميع أفراد عائلة بيلونا. لا تقتلين رجالاً مهمّين مثله.

أمدُّ يدي مُمسِكاً بيدها لأطمئنها لكنّها تسحبها وتبتعد عنّي: «لدينا كوكبٌ لغزوه».

أراقبها تذهب، وهي تصرخ بالأوامر على رجالها.

# 38

# المطر الحديدي

كل ما أراه هو المعدن. أنا واحدٌ مِن ألفٍ في عُشِّ أنابيب القذف. وراء الأنبوب المعدني، تدور معركة. لا أشعر بأي شيء. لا باهتزاز السفينة باكس، ولا بالصواريخ، وهي تتّجه عبر الفضاء لتجلب الموت الصامت. أشعر فقط بخفقان قلبي. أخبرني ميكي أنّه أقوى خفقان رآه لدى أحمر، بفضل سُمٍّ أفعى الحُفَر الذي جرى في عروقي عندما كنت صغيراً. إنّه يجعل يديَّ ترتجفان الآن لدى قفزه في صدري. الخوفُ يجتاحني. خوفٌ مِن أشياء كثيرة. خوفٌ مِن خيبة أمل أصدقائي، مِن فقدان أصدقائي، مِن إخبار أصدقائي الحقيقة عمَّن أكون، خوفٌ مِن كوني غيرَ كفء للمهمّة التي أمامي. خوفٌ ناتجٌ عن الشَّكِ—في نفسي، في خططي للتمرُّد. خوفٌ مِن الموت. خوفٌ مِن الضياع في ظلام الفضاء خارج هيكل السفينة. خوفٌ مِن خذلان إيو، وقومي، ونفسي. لكنْ في المقام الأول، خوفٌ مِن المعدن الحار.

هنالك حديثٌ يُسمَع عبر أجهزة الاتّصال. إنّه رتيب. الخُطَّة قيد التنفيذ، وأنا الآن مُجرَّد ترسٍ في آلة. المعركة كبيرةٌ جدّاً بالنسبة لي كي أشارك بها كلَّها. أردتُ أن أقودَ السفينة باكس مِن مِنصَّة قيادتها حتّى أستطيع مشاهدة

سفنِ العدوّ، وهي تسقط أمام أسطولي، لكنّ أوريون وروكي أفضلُ منّي في الفضاء.

أردتُ أن أكونَ في سفينة الاقتحام العلقيّة التي تحمل فِرقَ الاقتحام عبر الثغرات في هياكل العدوّ؛ أردتُ أن أغزوَ مِنصّات القيادة، وأطرد الغزاة مِن سفينتي، وأتنقّل مِن مُدمّرة إلى مُدرّعة، مُستحوذاً عليها واحدةً تلو الأخرى، لكنّني لن أقبضَ على الإمبراتور بيلونا. سيفعلُ ذلك العمالقة. في النهاية، أعدائي هم مَن يحدّدون وِجهَتي. أُلاحِقُ الجائزة الكبرى.

الجائزة التي كانت هدفي منذ أن غادرت لونا.

قلادة بيغاسوس الحقيقيّة الخاصّة بي باردةٌ على صدري. يوجد شعر إيو بداخلها. ركِّز على ذلك. على كيفيّة تحرّك شَعرِها. يتمايلُ مع رياح المناجم العميقة. ركِّز هناك. عند التفكير فيها، تكتنفني مشاعر الذنب. أحبّ هذه الحياة. بصرف النَّظرِ عن تَردُّدي في لعب دور الذهبيّ، بصرف النَّظرِ عن الأعذار الحزينة التي أقدِّمُها، جزء منّي مثلهم. ربّما وُلدت لأكون مِن لَونَين.

تبّاً لذلك! لا يُولد المرء ليكونَ مِن لونٍ ما. حُكّامُنا هُم مَن قرّروا تهميشنا إلى ألوان، وكانوا مخطئين.

– «أوديتيس فورتونا يوفات، يا أعزائي». يقول سيفرو عبر خطّ اتّصالٍ خاص. أنفجرُ ضاحكاً لدى سماعي اللاتينيّة.

– مُجدّداً هذه الترهات حول الحظُّ يُفضِّلُ الجريئين؟ لماذا لا تقول فقط كاربي ديم(*)؟

(*) carpe diem مقطع من قصيدة لاتينية لهوراس بمعنى «اغتنم فرصة اليوم». (المترجم).

- لأنّه نوعٌ من التقليد أن تقول...

- «يا فتيان، هل تتغازلون دائماً هكذا قبل المعركة؟ هذا لطيف». تضيف فيكترا.

- «كان يجب أن تريَهم في المعهد، حبٌّ من أول عِواء». تضحك موستانغ.

- رأيتُ المقاطع. يا له من زوج رائع!

أسمع الابتسامة في صوت موستانغ: «حتّى إنّهم ارتدوا ثياباً متطابقة، أنيقة، أليسَ كذلك يا روكي؟ ورائحتها كريهة».

- لم ألحظ ذلك على الإطلاق.

- لمَ لا؟

- «سيفرو جعلني أشعر بالرعب. لم أكن أنظر إلى ما كان يرتديه». يردُّ روكي، فترتسم الضحكات: «كنتُ أعتقدُ بأنّه تعرَّضَ لعضّة من سنجاب، وأصيبَ بداء الكَلَب بطريقة ما».

- «روكي؟». ينادي سيفرو بلطف.

- سيفرو.

- مرحباً.

- مرحباً؟

- في المرة القادمة التي أراكَ فيها سأعضُّك.

- «يجب أن أذهب». يتلاشى ضَحكُ روكي الخفيف: «نحن نشتبك مع الوِحدَة الرئيسية للعدو».

- «ماذا ستفعل، ستقتلهُم من الملل بقراءة شعرية خفيفة؟». يسأل سيفرو مرّة أخرى.

- «إنّكَ وَغدٌ مُخنَّث». يعلن روكي بلا مبالاة: «فلتقُد آلهة الانتقام سيوفكُم ولتُعدكُم آلهة القَدرِ إلى دياركُم. حتّى ذلك الحين، حُبّي معكُم جميعاً».

إعلان الحُبِّ هذا يُدهِش الذهبيّين. ينقطع الاتّصال الخاص بروكي، ويمكننا سماعه على التردّد الرئيسي، وهو يعطي الأوامر لمهاجمة مُدمِّرة مُعادية.

- «يا له مِن قرد ماجن!». يتمتم سيفرو، لكنْ حتّى الطفل يمكنه أن يلتقط الرعشة في صوته. إنّه خائف.

- «إيك سونت ليونيس». أقول لأصدقائي: «كن شجاعاً. كن شجاعاً وسأراك على الجانب الآخر».

- «إيك سونت ليونيس». يعيدون ترديد ذلك ليس مِن أجل أوغوستوس، لكن لأنّنا نتمنّى أن نكون شجعاناً كالأسود.

واحداً تلو الآخر، نقول تحيّات الوداع. قبل أن أتمكّن مِن إيقاف نفسي، أنادي عبر تردّد موستانغ الخاص. يستغرقها الأمر عشرين ثانية للإجابة: «ما الأمر؟». التردّد واضحٌ في صوتها.

- «ابقَيْ على قيد الحياة». أقول.

صمت. شعور؟ إزعاج؟

- «وأنت أيضاً».

تُغلِق خط الاتّصال. قريباً ستبدأ التروس بالدوران والطقطقة لدى تحميلي في آليّة إطلاق الأنبوب.

لقد تصرّفتُ طِوالَ هذا الوقت كما لو أنّي كنتُ أعرفُ ما سيأتي. كما

لو أنّي أعرفُ ما هو المطرُ الحديديّ. لكنّه يَتكشَّفُ أمامي مثل وحشٍ مُظلِمٍ يسيلُ لُعابه. إنّه لُغزٌ، على الرّغم مِن رؤيتي لوجهه. لقد رأيت تجارب الواقع الافتراضي ومقاطع مُكعَّب العَرضِ المجسَّم. أعرفُ ما هو كما يعرفُ الطفل الطيران مِن خلال مشاهدة الطيور.

– «وصلنا لإحداثيات الإنزال». يملأ صوت روكي آذان كلِّ ذهبيّ في الأسطول: «دَعِ المَطرَ يَسقُط».

طنين الشحنة المغناطيسيّة في الأنبوب يجتاحني. أنزلق إلى الأمام إلى الحجرة، أحضِّرُ نفسي، أنظرُ إلى الأسفل حتّى لا أكسِرَ رقبتي، ثمّ أُطلق لتستحوذ عليَّ السُّرعة والمعركة بينما تملأ معدتي حَلقي بالقَيء. أمرُّ عبرَ التيّار المغناطيسي، خارج أنبوب السفينة، إلى تجمُّعٍ للفوضى.

النار والبرق يحكمان الفضاء. عمالقة مِن المعدن يقذفون الصواريخ ذهاباً وإياباً، يضربون بعضهم بعضاً بصمتٍ بكل ما عرفه البشر مِن أسلحة. حالةُ الصَّمتِ تلك مثيرةٌ للقلق، غريبةٌ جدّاً. سُحبٌ انفجاريّة كبيرة تحيط بالسفن نتيجة نيران المضادّات، لتُخفِيها في هذا الثوران الهائج، وكأنّها قطنٌ صرفٌ يُلقى في الهواء. مقاتلات الجناح القاطع والدبابير تدخل في مناوشات فيما بينها، مطلقة رشقات مِن نيران المدافع. تقصُّ وتقطعُ دروعها المعدنيّة، وهي تقاتل في سحابةٍ عملاقةٍ كثيفة، ثمّ تنزلق في مجموعاتٍ صغيرةٍ، مبتعدةً عن معاركها الفوضويّة، لتُحلِّق بصمتٍ في مداراتٍ حلزونيّةٍ، وترافق مجموعات مِن سفن الاقتحام العلقيّة. وفي هذه الأثناء تُطلِق المدمّرات والحاملات ناقلات جنودها عبر الفضاء في موجاتٍ مستعرضة. إنّها لعبة فرق الاقتحام. مِن الأعلى والأسفل ومِن خلال غمامات نيران المضادّات تمرُّ سفن الاقتحام العلقيّة، باحثةً

عن هيكلٍ لتتسلّقه كي تتمكّن مِن ضخّ حمولتها القاتلة في جوف السفن المهمَّة، مثل الذباب الذي يضع اليرقات في الجروح المفتوحة. كلُّ ذلك يقوده الزُرق الذين تربّوا للقيام بهذه المهمَّة فقط. تمرُّ سُفن آل بيلونا بجوار سُفن آل أوغوستوس، فتتداخل الموجات، وتكسر بعضها.

كلُّ ذلك في صمت.

تنطلق الصواريخ نحو سُفن الاقتحام العلقيّة، محطّمةً هياكلها بالانفجارات. لا توجد نيران إلّا حيث تُخترق السفن، ليشتعل الأوكسجين المسرَّب ويُنفَث مثلما تَنفُث الحيتان الدماء لدى طعنها بالرماح في كوكب الأرض القديم. يطلق المدفع الكهرومغناطيسي قذائفه عبر الفضاء، مخترقاً عدّة سفن اقتحام علقيّة ومقاتلات أصغر في الوقت نفسه، ليَخلق فجوات في الصفوف. تتفتّق السفن مخرجةً مِن بطونها الرجال والنساء مع استهداف المحرّكات من كلا الطرفين، على أمل تعطيلها واغتنامها بدلاً من تدميرها. وَسطَ الأسطول الأزرق والفضيّ للعدو، سفينة بنت الحرب العملاقة تُدمِّر الفرقيطات وسفن الشعلة مثل صقلوب(*) يخوض بين الأغنام—كعصا تتأرجح بزخمٍ وبطء.

أحبس أنفاسي بينما تنزلق مدمّرة فيكترا، المحميّة مِن قِبَل اثنتين أخريين، نحو سفينة بنت الحرب، فتتعرّض لوابلٍ مِن قذائف المدافع الكهرومغناطيسيّة، بينما السفن الحربيّة تطوّقها بنيران الصواريخ. لا بدّ من أنّ قوّات بيلونا يرون بأنّها تكاد تؤسر، لأنّهم يطلقون وابلاً آخر نحو بطنها المثخن. ومع ذلك، وسط النيران التي تعاني منها، تطلق الفرقيطة دفعةً يائسةً مِن أربعين سفينة اقتحام علقيّة. تقريباً عشرة أضعاف عددها المعتاد.

---

(*) صقلوب أو سايكلوب مسخ بعين واحدة في الأساطير الإغريقية. (المترجم).

لقد هيّأنا جوفها ليتناسب مع ناقلات الجند الإضافيّة. هذه هي مجموعة حرب آل تيليمانوس.

تفرّ سفينة فيكترا مبتعدةً عن سفينة بنت الحرب، لتنغمس بتهوّرٍ في تشكيل بيلونا حيث سفن أسطول أمّها التي تحمل شعار الشمس النازفة تدعم نسور بيلونا. فيكترا تفجّر مفاجأتها الثانية.

تُبدِّل والدتها ولاءها، لتخون آل بيلونا كما وعدتنا فيكترا أنا والشّغبر. تطلق سفن والدتها أكثر مِن مئتي سفينة اقتحام علقيّة وسط قلب أسطول بيلونا. إنّها فوضى.

يهبط عمالقتي على هيكل سفينة قيادة العدوّ، وسرعان ما تترصّع سفينة بنت الحرب بسفن الاقتحام العلقيّة. حظّاً موفقاً يا عمالقة.

تتوجّه سفينة اقتحام علقيّة موالية لبيلونا نحو سفينة بنت الحرب للمؤازرة في المعركة التي ستملأ أروقتها بالدخان والدم. تندفع مقاتلات الجناح القاطع بسرعة، مطلقةً النار على سُفن الاقتحام العلقيّة التي حطّت، محاولةً نَزعَها قَبلَ أن تُفرِّغ رجالها في جسم سفينة بنت الحرب. إنّها رقصةٌ أنيقةٌ مِن الفعل وردّ الفعل، وردّ الفعل، وردّ الفعل.

أواصل الانطلاق في مساري، غير قادرٍ على تغييره. إلى يساري ويميني، ينطلقون بسرعة كالسهام، آلافٌ مِن الذهبيّين والسبجيّين في قذائفهم النجميّة المدرّعة، والرماديّون في كبسولات الإنزال المداري، كل اثني عشر منهم مجتمعين على شكل خليّةٍ واحدة. مَطرٌ مِن الرجال والمعدن. وسط سربنا، تطير ناقلات لقلق كبيرة محمّلة بمزيدٍ مِن السبجيّين والرماديّين. بمجرّد أن نصل إلى الأرض ونؤمّن نقاط الإنزال، ستخرج جحافل الجنود من المدرّعات والحاملات بوساطة مركبات إنزال وتتدفّق مِن خلفنا.

بصرف النظر عمّا يعتقده آل بيلونا وحلفاؤهم، إلّا أنّه ليسَ بإمكانهِم مَنعُنا مِن إنزال الرجال—فالمدار حول الكوكب كبيرٌ جدّاً؛ لهذا السبب تعدّ السيطرة على المدن ذات أهميّةٍ كبيرة. إنّها جزرٌ مُحصَّنة. الطريقة الوحيدة الواقعيّة للسيطرة عليها هي الهبوط والانزلاق تحت الفجوة التي تبلغ مئتي متر بين دروعها الواقية التي على شكل قرص والأرض. يتطلّب ذلك رجالاً على السطح. ملايين الرجال في هجومٍ منسّق.

سنقيمُ مئة نقطة إنزال، ثمّ ستبدأ معركتنا بجديّة. مِن وسط الفوضى، تنطلقُ صواريخُ نحو قذائفنا النجميّة. سفنٌ رئيسيّة صديقة تنشرُ سواتر مِن المضادّات خلفنا، وتغطّي الدبابير جوانبنا. تتمكّنُ دبابير العدوّ مِن الانقضاض مِن الجوانب، وتَرشُقنا. العشرات مِن المشاركين في المطر يموتون مِن حولي، دروعهم تنطوي إلى الخلف كالأوراق المحترقة. أكره هذا. أريدُ أن أصرخ. بعضهم يفعلون ذلك فنضطرّ لقطع قنوات اتّصالاتهم.

لا يمكنني فعل شيء. أدعو ألّا أموت. أدعو ألّا يموتَ أصدقائي. لكنْ إلى مَن أوجِّهُ دُعائي؟ الذهبيّون ليس لديهم إله. نحن الحُمر لدينا شيخ الوادي، لكنّه لا يساعدنا في هذه الحياة. إنّه ينتظر فقط ليقودنا ويحرسنا في الحياة التالية.

قلبي ينبض بعنفٍ في صدري. أتنفّس على نحوٍ مفرط، وكأنّني أمزّق جلدي بنفسي. أشعر وكأنّي طفل. أريد راحة بيتي. حساء والدتي، ولمسة يدها الصارمة، والحبّ الذي يُزهِر في داخلي كلّما تمكّنتُ مِن جعلها تبتسم. أيّ شيءٍ لأشعر بفرحة إدراك إيو بأنّها أحبّتني. أفتقدُ الليالي الباردة الهادئة قَبلَ الحبّ عندما كان الأمر مجرّد شهوة وجوع، حيث كنّا نتبادل القُبَل في سريّة، وقلوبنا تخفق، مثل طائرين صغيرين يدركان أنّهما

قد يبنيان عشّاً معاً بعد كل شيء. هذا ما كان يجب أن تكون عليه الحياة، العائلة، الحبّ الأوّل، وليس السقوط عبر الغلاف الجويّ حيث لا يهتمّ القتلة بشيء أكثر من ملء جسدك بالمعدن الحار قبل الانتقال إلى قتل أصدقائك.

عقلي يهرب حتّى في أثناء عمل جسدي.

الكوكب يكبرُ ويكبُر إلى أن يصبح عملاقاً منتفخاً يَشغُل معظم مجال رؤيتي. لا أعلم مَن ميت، ومَن على قيد الحياة. شاشتي مزدحمة جدّاً. ندخل الغلاف الجويّ، وصوتٌ يزمجر خلفنا. هالات مِن الألوان تحيط بقوامي المرتجف. على يساري ويميني، يبدو الجنود الذين يسقطون مِن حولي مثل يراعات غاضبة انتُزعتْ مِن خيال أحد النحّاتين. أُعجَب بأحدهِم على يساري، الشمس البرونزيّة مِن خلفه تُشكِّل ظلّاً له في أثناء سقوطه، ليُخلِّده في هذه اللّحظة الاستثنائيّة—اللّحظة التي أعرف بأنّي لن أنساها أبداً—وكأنّه مَلاكٌ ميلتوني(*) يسقط بغضبٍ وعظمة. يتخلّصُ هيكلهُ الخارجي مِن درعه المضادّ للاحتكاك، مِثلَ تخلّص لوسيفر مِن قيود السماء، ليتطاير الشّرر مِن خلفه كتساقط ريشٍ ملتهب. عندها يشقّ صاروخٌ السماء، يباركه بانفجارٍ عظيمٍ معيداً له بشريّته الفانية مِن جديد.

بمجرّد أن نجتاز الغلاف الجويّ، تصدح نيران المدافع الأرضيّة التي تُطلَق نحونا، مُحدثةً ثقوباً في سربنا الساقط. مثل قفير نحلٍ تعرّض للضّرب، نفعّل أحذيتنا الثقاليّة، ونتفرّق إلى ألف سرب مختلف، كلٌّ يحاول تتبّع إحداثيّاته الخاصّة. مُقاتلات الجناح القاطع المعادية تتبعنا عبر الغلاف الجويّ، ولكن هنا نحن أكثر قدرةً على المناورة، ونقتل

(*) نسبة إلى جون ميلتون كاتب الملحمة الشعرية «الفردوس المفقود».

المقاتلات الكبيرة بسهولة. أنقضُّ على واحدةٍ مِن الخلف مع العَوّائين في أثري وأشقّها بشفرتي. أطيرُ مبتعداً بينما تهوي نحو الأسفل عبر الغيوم إلى المحيط مِن تحتها.

نيران الدفاعات الجويّة تصدح مِن حولنا عبر الغيوم وتقتل الذهبيّة التي على يميني—عوّاءة، لكنّني لا أعلم مَن هي حتّى أنظر إلى لوحي الرقمي. داريا القيثارة، ماتت. هكذا، فجأة. بلا تضحيةٍ لإنقاذ الآخر، وبلا عواء غضبٍ في النهاية، وبلا بادرةٍ نبيلة، وبلا مشاعر. الفتاة المخلِصة التي كانت ترتدي أحزمة من فَروات الرأس في المعهد، التي جعلَت الأحدب والمتجهِّم تحت سيطرتها بأجهزتها الغريبة، رحلت.

طعنة ذعرٍ تجتاح جسدي، وأغوص خلال الغيوم مع بقيّة طليعة فيلقي. نُحلِّق منخفضين فوق المحيط، حيث تطلق سفينتان حربيّتان النار. يرسل سيفرو صاروخين يتسلّلان عبر الهواء؛ ينفجران، ويتحوّلان إلى دزّينة مِن الصواريخ الصغيرة، التي تتحوّل كل منها إلى دزّينة أخرى. تنفجر مثل حبّات الذرة فوق النار.

الحرب هي الفوضى. دائماً كانت كذلك. لكنّ التقنيّة تجعلها أسوأ. إنّها تغيّر نوع الخوف. ففي المعهد، كنتُ أخاف مِن الرجال. كنتُ أخاف ممّا يمكن أن يفعله تيتوس والشّغبر بي. هناك كنت ترى الموت قادماً ويمكنك على الأقل مقاومته؛ أمّا هنا، فلا تملكُ مثل تلك الرفاهية. الحرب الحديثة هي الخوف مِن الهواء، مِن الظلال، مِن الصمت. الموت سيأتي، ولن أراه أصلاً.

أهبط بقوّة على جبلٍ مغطّى بالثلوج. سُحبٌ مِن البخار ترتفع من الحفرة التي صنعتها نتيجة ذوبان الثلج الأبيض من جرّاء حرارة بدلتي

الحمراء الساخنة. يحطُّ بقيّة أفراد فرقتي مِن حولي، يجدون ملاذاً آمناً على الأرض. رجال أشبه بالنيازك يهبطون مزمجرين مِن الوحوش المعدنيّة. خبطة. خبطة. خبطة. وضباب الحرب يرتفع.

- «هبوط». أقول مزمجراً.

يسقط سيفرو على ركبتيه، يفتح خوذته بسرعة، ويتقيّأ في الثلج. ينضمّ الآخرون إليه. المتجهِّم القبيح يلهثُ بحزن. الأحدب يمسك كتفه. يقف المهرّج حارساً عليهما، وعُرفُ الموهوك الذي لديه والمصبوغ بالأحمر يميل إلى جانب رأسه. القيثارة لم تعد موجودة. لم أكن أعلم أنّ الأمر سيكون هكذا. كنت أظنّ أنّني أعرف الرعب، لكنْ لا، لا أعرفه. مزيد مِن الرجال ماتوا في الدقيقة الماضية أكثر ممّا عرفت قط. خوف لورن مِن الحرب يختلج في داخلي.

هذه هي الحرب: فوضى، فرصة، موت.

يومئ سيفرو لي ماسحاً القيء عن فمه. جوبيتر يساعده على النهوض. على نحوٍ غريب، يتركه سيفرو يفعل ذلك. أبحث عن بصمة موستانغ على اللّوح الرقمي لخوذتي. إنّها على قيد الحياة مع الوحدة الرئيسيّة لقوّتي، لكنّنا انفصلنا. أنا مع اثني عشر ذهبيّاً وأربعين سبجيّاً مدرّبين على نحوٍ خاص بمعدّاتٍ عسكريّةٍ عالية التقنيّة.

- «انزعوا الدروع الخارجيّة». أصرخ على السبجيّين: «أوميغا، احرسوا المحيط».

نتخلّص مِن دروعنا الخارجيّة الحراريّة الثقيلة لنكشف مِن تحتها عن القذائف النجميّة الخفيفة. أصدر أمراً برفع الخوَذ. وجوه معدنيّة، على هيئة شياطين وحيوانات، تحِلُّ مَحلَّ وجوه الأصدقاء.

لكن هنالك جمال في هذه اللّحظة؛ في تلك الثواني القليلة التي يومئ فيها الذهبيّون والسبجيّون لبعضهم ليمرّروا شعوراً بالراحة قبل أن يتابعوا مهامهم، ويجدوا العزاء في التزامهم بالواجب وفي الرفقة، كما كنتُ أفعل في المناجم.

أجمعُ سيفرو إلى جانبي مع العوّائين. يقف راغنار، المنفصل عن فَيلقه، في ظِلّي. هبطنا على الجانب المضاء مِن الكوكب. يبدو ذلك مثل وابلٍ مِن الشهب مع اختراق الموجة الثانية مِن القذائف النجميّة للغلاف الجوي تاركةً آثاراً مِن الدخان الأسود عبر السماء الزرقاء ذات الندوب الناريّة. مئات المدافع الأرضيّة ما زالت تطلق النار على السرب الممتدّ مِن الأفق إلى الأفق، لكن تدريجيّاً تقلّ كثافة نيرانها، نتيجة استهدافها مِن الفضاء، أو تدميرها مِن قِبَل فِرقٍ مثلنا على الأرض. فريقي يبعدُ ثلاثمئة كيلومتر عن وجهتنا. كيف حدث ذلك؟

أتّصل بموستانغ عبر جهاز الاتّصالات. إنّها أقرب بخمسين كيلومتراً إلى منطقة الهبوط المحدّدة على جبل آخر. قِوام قوّتها يقارب أربعمئة رجُل.

- «يبدو أنّنا نحن الحمقى هنا». يقول سيفرو.

ننزل إلى أسفل الجبل. لا نطير، بل نقفز. في الأكاديميّة، علّمونا أن نفكّر في الأمر وكأنّه قذف حجرٍ على سطح الماء. يمكننا الطيران بأحذيتنا الثقاليّة، لكنّ الطيران يجعلك هدفاً للصواريخ ومضادّات الطائرات، ناهيك عن فِرَق الصيد المعادية؛ لذا نقفز خمسين متراً في الهواء، ثمّ نستخدم أحذيتنا الثقاليّة لتسحبنا مجدّداً نحو الأرض.

نيران صواريخ تُطلَق مِن قمّةٍ قريبة. يتعامل سيفرو وفريقه معها،

متخطّين أفاجيج تصل إلى عمق ألف متر، ويصعدون جانب منحدرٍ صخريٍّ شديد الانحدار، بينما نتقدّم إلى الأمام أنا وراغنار. صوت ضربة خافت يتردّد في سلسلة الجبال مع تخليصهم لنا مِن برج الصواريخ الدفاعيّة الصغير. يجتمع العوّاؤون معنا عند نهاية سلسلة الجبال. نجلس على جانب جرف، حيث تتجمّع الغيوم المنخفضة. إلى اليسار، وعلى بعد نحو عشرين كيلومتراً، ترتفع أبراج مدينة سالونيكا البيضاء البعيدة، جاثمةً على الساحل الوعر للبحر الحراري الصافي. ديار تاكتوس. أشعر بوخزة مِن الحزن.

نتّجه شمالاً. أراقب الأبراج، وهي تتلاشى، حتّى تصبح مُجرَّد لمعةٍ معدنيّةٍ على ساحل تلك المياه الهادئة على نحوٍ غريب. تهتزُّ الانفجارات مِن بعيد. أشعر بثقل يدٍ تسقط على كتفي المدرّع.

– «تماماً مثلما حصل بعد استيلائنا على أوليمبوس». يبتسم سيفرو ابتسامةً عريضةً، ناظراً مِن قمّة جبلٍ جديدٍ إلى الأرض المفتوحة الممتدّة أمامنا.

– «باستثناء أنّ الجميع هنا لديهِم أحذية ثقاليّة». أتحقّق مِن إحداثيّاتنا في جهاز العرض المدمج بخوذتي. الغزو مستمرٌّ فوقنا. سفن حربيّة للعدوّ، والتي باتت أندر الآن، تطير مسرعةً عبر السماء. واحدة منها تستهدفنا. تهدر مخترقةً سحابةً، وتسحق الأرض برشّاشاتها الثقيلة. نحتمي في إفجيج. الثلج يتطاير مِن حولنا. ثمّ ينطلق صاروخٌ ويهدم صخرةً على ساقي من جرّاء انفجار، ممّا يؤدّي إلى تثبيتي. الحصوة والمهرّج يقفان فوق جسدي، يحمياني.

– «راغنار!». أصرخ: «اقضِ عليها!».

لا أرى ما يفعله، لكنّ الصوت مدوٌّ مع تصاعد الدخان مِن السفينة الحربيّة ودورانها في الهواء لتهوي إلى الأرض، ثمّ تختفي في سحابةٍ مِن الشظايا.

– «ساقاك؟». يسألني سيفرو بقلق.

يرفعون الصخور عنّي. تئنّ التروس وتصدر المكوّنات الكهربائيّة أزيزاً.

– ما زالَت تعمل.

نهبط مِن سلسلة الجبال الثلجيّة إلى سهول المرّيخ الوعرة. تجمُّعٌ مِن المشاة الثقيلة مثلنا يتحرّك إلى يسارنا. أجهزة الإرسال والاستقبال الخاصّة بهم تميّزهم على أنّهم مِن قوّاتنا، لكنْ بعيداً إلى اليمين، على بعد نحو ثلاثين كيلومتراً، حيث تصعد الأرض إلى مرتفعات شبه استوائيّة، يتحرّك رتلٌ مِن آل بيلونا إلى الأمام—ربّما ثلاثمئة في مجموعات منفصلة.

– «لقد اخترُقت إحدى إشارات الاتّصالات الخاصّة بنا». ينقلنا مدير الاتّصالات الأخضر في الفضاء إلى إشارةٍ جديدة: «إنهم يطاردونكَ يا إيكاروس». هذا رمز ندائي الثانوي.

– «وهكذا علمنا مَن فاز في السماء». أقول. يوَجِّه سيفرو شعاع ليزر تتبّع إلى فريقٍ للعدوّ، تماماً مثلما وضعوا واحداً علينا. يتراقص شعاع ليزرهم على الأرض أمامنا مثل ذبابةٍ مجنونة. نتفرّق، ونطير أنا وسيفرو مبتعدين معاً، ثمّ يهطلُ مطر مِن النيران على عدوِّنا من مسارين. في اللحظة نفسها، يتعرّف سيفرو على طائرةٍ مُسيَّرةٍ تُطلِق صواريخَ عنقوديّةً علينا. يُحدّدها، والمدفع الكهرومغناطيسي مِن سالونيكا القريبة يُطلِق قذيفة تترك أثراً مِن النار الزرقاء عبر الأفق. تختفي الطائرة المسيّرة في ما يشبه تفتّح وردة حمراء. هذا هو الجنون المضاعف للحرب عالية التقنيّة.

نواصل طريقنا نحو إحداثيّات موستانغ، مع مستشعراتٍ وأعينٍ مفتوحةٍ خوفاً مِن الموت المتربّص في الجبال، والمترصِّد في السهول، والمندسّ في غابات أشجار الآلهة العملاقة، والكامن في مياه البحار الوليدة.

تمتدّ بحيرةٌ كبيرةٌ بعيداً إلى يسارنا، بينما يوجد بركانٌ خامدٌ مُتدرّجٌ جدّاً في انحداره لدرجة أنّه يشبه أكثر بمنظره تلّةً مغطّاةً بالثلوج، كامنٌ إلى يميننا. أرتفعُ إلى الأعلى على طول قمّة سلسلة الجبال التي نعبرها لأحصلَ على إطلالةٍ شاملةٍ للمنطقة المحيطة. بيانات طوبوغرافيّة دوريّة تومض على لوحي الرقمي، بينما يجري إسقاط الطائرات المسيّرة التي تبثّ البيانات، ثمّ تُستبدَل.

يسود الهدوء داخل بَدلَتي. لا أستطيع سماع الرياح التي تعصفُ مِن حولي على هذا الارتفاع الكبير. سحابةٌ رعديّةٌ، واحدة مِن السحب الركاميّة المثيرة على المرّيخ، تتقدّم مسرعةً مِن البحيرة البعيدة. عندما تضربُ الغابة تحت الجبل، يبدأ المطرُ بالهطول، والبرق يشقُّ السماء. وفي قمّة الجرف الوعر، يتساقط الثلج على شكل دوّامات، ليذوب لدى ملامسته بدلتي.

ألمحُ حركةً على قمّةٍ قريبة. أمتنع عن استعمال سلاحي عندما أرى أنّه ليس مِن آل بيلونا، بل وحشٌ منحوت. أُكبِّر رؤيتي لأرى غِرفين متشبّثة بحافّة عُشٍّ ضخم مُثبَّت في شِقٍّ حجريٍّ ضيّق في أعلى القمّة، وتشاهدُ بدهشةٍ الرجال الذين يطيرون عبر واديها أدناه. يا له مِن عالمٍ بناه هؤلاء الذهبيّون!

ينضمّ رجالي إليّ عند القمّة التالية، ونتوقّف للحظة بغية فحص خلايا الطاقة في قذائفنا النجميّة، فهي لن تدوم طوال اليوم. مجموعة موستانغ تهبط بقوّة على الأرض مِن حولنا، مسبّبةً تطاير الثلج مع إضافة قوّة أربعمئة

رجُلٍ من القتلة المزوّدين بالقذائف النجميّة إلى قوّتنا. تصافحني موستانغ بقبضتها.

- «إيكاروس؟». صوتٌ يفرقع في أذني: «إيكاروس، هل تسمعني؟».

- روكي، أسمعك. ماذا هناك؟

«إيكاروس... عاجل... على... هل تسمعني؟». ينقطع اتّصاله، بينما يضرب البرق في الأعلى. لقد بدأت أجهزة التشويش مِن كلا الجانبين بالتلاعب بالموجات الهوائيّة: «دار... هل... قا... في أجيا».

- «روكي؟ روكي؟». أعرف خطّة المعركة في الأعلى، لكنّ نبرة صوته تثير قلقي.

- «الاتّصالات كلّها مشوّشة». أخبر موستانغ.

- «التردّدات المحليّة جيّدة. المشكلة في أجهزة التشويش والعاصفة». يتناثر المطر على درعها.

يشير سيفرو إلى الأعلى: «سيتعيّن عليكَ الصعود فوقها لتسمع». في الأعلى، يضرب البرق سفينةً، ممّا يتسبّب في إخفاق أنظمتها فتهوي قبل أن تتمكّن من إعادة تشغيلها، لتصطدم بمقاتلة جناح مقطوع تمرّ بجوارها.

- «أوه، تباً!». آمر راغنار وجوبيتر بالاندفاع إلى الأمام عبر سلسلة الجبال وتأمين الوادي الشمالي لقوّاتنا الرئيسيّة المتمثّلة بالفيالق الرماديّة، بينما نحاصر مدناً أخرى لصرف انتباه آل بيلونا؛ أمّا بالنسبة لي فأجيا هي كل ما يهمّ. سيهاجم مليون رجُلٍ أسوارها. يفتحُ المَوسوم يده لي في تحيّة، ثمّ يقفزُ مِن قمّة الجبل مع جوبيتر ومئةٍ مِن المحاربين السبجيّين.

موستانغ وسيفرو ينتظران في الأسفل بينما أصعد إلى الأعلى مخترقاً

السحب المشبعة بالصواعق مع عددٍ مِن حرّاسي الشخصيّين. بعد تجاوزي السحب، أحوم بسلامٍ نسبي، أتّصل منادياً روكي.

- «إيكاروس!»: يصرخ عبر جهاز الاتّصال: «إنّها هنا. ليست في لونا، أو مع الأسطول الرئيسي للجمعية! لقد اكتشفنا ذلك للتو. وجد رجال كافاكس الحرس البريتوري على متن سفينة بنت الحرب... إنّها هنا! جاءت في سريّة تامّة من دون أسطولها؛ لقد قبضنا عليها».

- روكي. اهدأ. ماذا تقول؟

- دارو، الحاكِمة المعظَّمة على المرّيخ. حُبستْ مركبتها وراء الدروع الواقية لأجيا. إنّها محاصرة.

- روكي. أنا على علمٍ بذلك. إنّها سبب رغبتي بالحصول على أجيا.

# 39

# عند الجدار

لا يسأل كيف عَلِمت. لاحقاً سأخبره أنّني تركتُ أجا تهرب مِن أوروبا حتّى نتمكّن مِن تتبّعها إلى الحاكِمة المعظَّمة عبر البصمة الإشعاعيّة لقنبلتي. إنّها القاتلة الشخصيّة لأوكتافيا. مِن المؤكّد أنّها ستعود إلى جانبها. لم أخبر أحداً سوى موستانغ، والشّغبر، وسيفرو. لم أستطع المخاطرة بتسرّب الأمر، خاصّةً مع تصرّفات روكي الأخيرة.

يقطع الاتّصال من دون أيِّ كلمةٍ أخرى، والمرارة واضحة.

طليعة قوّتي، رجال راغنار، هبطوا في الوادي أمامنا. أرى السفن العريضة، وهي تهبط، ثمّ تختفي في الأرض حيث يمتدّ وادي مارينر لعدّة كيلومترات في الأسفل. لدينا أتباعنا الزُرق في الفضاء يقصفون أجيا نفسها. الأمطار الغزيرة ترفع حرارة الدرع الواقي، ممّا يجعله ينبض مع فقدانٍ لشفافيّته. سنقترب منها على مستوى الأرض مِن الشمال والجنوب على طول قاع الوادي الذي يبلغ عرضه مئة كيلومتر، لنعبر فقط مِن خلال الفجوة التي تبلغ مئتي متر والتي يجب أن يحافظ عليها درعها الواقي فوق الأرض لتجنّب خلق اضطرابات زلزاليّة.

أقفز مِن فوق قمّة الجبل متقدّماً حراسيَّ الشخصيّين. سيفرو وموستانغ يرافقاني بينما نقفز إلى قمّة أخرى، ثمّ ننتقل نحو التلال السفحيّة الأدنى، متعرّضين لنيران العدو في أثناء تقدّمنا.

الحاكِمة المعظَّمة هي مفتاح هذه الحرب، مفتاح تفكيك هذه الجمعيّة كي يتمكّن أبناء أريس مِن الصُّعود. مع احتجازها، ستتساءل الجمعيّة -والحيرة تعتريها- إنْ هي نفسها ستكون موجودةً أصلاً من دون أوكتافيا على عرشها. سيحاول السيناتورات والحُكّام انتزاع السُّلطة. سيكون هنالك العديد مِن الحروب المحليّة، ممّا يؤدّي إلى تفكّك القوّة البشريّة والترابط.

تحت قدمي، عالمٌ مِن النعيم يمتدّ على طول قاع الوادي الشاسع— بحيراتٌ وجداول، أعشابٌ بارتفاع الخصر، أشجارٌ بأزهارٍ متفتّحة، وسرو العرعر ينمو بزوايا غريبة مِن جدران الوادي التي ترتفع إلى كيلومترات على الرّغم من الانحدار الشديد. فوق كل هذا، يسيطر الجبل العائم العظيم؛ أوليمبوس. أنظر إلى القلاع الهادئة وأرى الأيائل تركض في وادي المرّيخ. لكنّي لا أرى أي أطفال على طول الأنهار العظيمة، لا أولاد، أو بنات يرتدون الدروع. فقط ذكريات وأرضٌ موحلة جمعت الطلاب مسبقاً. كم كان ذلك يبدو غريباً!—يقاتلون مِن أجل حياتهم بأسلحة مِن العصور الوسطى، فقط ليُرفعوا مِن قِبَل سفن الإمداد مع قدوم الغزاة مِن الفضاء.

نلتقي بجوبيتر وراغنار على أحد الأبراج البيضاء للأوليمبوس العائم. هنالك رجال ميّتون في الممرّات، وعلى المنحدرات.

- «لقد استخدَموها كقاعدة». يقول جوبيتر مبتهجاً: «مَوسومك لم يتّفق مع غطرستهم. أحبُّ هذا الوحش!». يؤمِّنُ رجالنا القسم المخصّص

للمعهد من وادي مارينر، بعيداً إلى الشرق مِن أجيا في الجزء العلوي المرتفع مِن الوادي العظيم. أراقب مِن النافذة بينما تهبط المئات مِن سفن الإمداد الصديقة على منطقة التجمّع، مُودعة أكثر مِن ثلاثمئة ألف رجُلٍ في ثلاثين دقيقة. يركض ذهبيٌّ إلى الخارج مِن كل رصيف قد أُنزِل، دائماً هُم أوّل مَن يطأ أرض العدو.

– «لا مقاومة». أقول بهدوء، خوذة قذيفتي النجميّة تُفتَح. أنظر إلى موستانغ بقلق.

تُبعِد شعرها الأشقر عن عينيها: «كلّما أطلنا المكوث هنا، سيصعب علينا الرحيل. لماذا ينتظرون؟».

– «يريدون تجميعنا مثل حبّات العنب قبل سحقنا». يُخمِّن سيفرو: «نووي؟».

– «أطفالٌ تافهون». يتفقد جوبيتر جيوب أحد الرجال الميتين: «لهذا لدينا رماديّون. لنترُكَهم يُسحَقون. سيُسهِّلون مرورنا».

– «لا يوجد نووي». تقول موستانغ: «ستلتقطه المستشعرات مِن على بعد مئة كيلومتر». تتفحّص الأرض: «إنّهم ينتظرون لأنّهم لا يملكون عدداً كافياً مِن الرجال لمواجهة مرورنا عبر الوادي، أو ربّما فاجأناهُم على حين غرّة، وهو أمرٌ مشكوكٌ فيه، أو قد نشروا عدداً كبيراً مِن الرجال لإيقاف تقدُّم لورن، أو أنّهم خلقوا نقاط اختناقٍ في الوادي، أو يحشدونهم حول القلعة، أو هنالك فخٌّ أمامنا».

عقلها كالآلة.

– «هنالك فخّ». تقول بعد لحظة: «لكنّهُم يعتمدون عليه على نحوٍ مفرط لإبطائنا بينما يعيدون توزيع الرجال والمعدّات». تزمجر ساخرة:

«الدفاعات الثابتة من دون دعمٍ متحرّكٍ ضخم، لم تعد ذات جدوى منذ خطّ ماجينو(*)».

- «لكنّهم يعلمون أنّنا لا نريد تدمير المدينة، أو السكّان». أقول.

- «هم يعلمون ذلك». تعدّل موستانغ لوحها الرقمي، وتتفحّص الخريطة: «ممّا يقلّل مِن مرونتنا في التكتيكات».

- «الحرب الشاملة أسهل». يتمتم جوبيتر: «دعونا نستخدم الرماديّين لتسهيل مرورنا، ثمّ نلقي بالقنابل على الجدران تحت الدروع، فنتمكّن مِن الدخول».

- «يستغرق تحطيم المدينة يوماً، ثمّ خمسين عاماً لإعادة البناء». تنفجر موستانغ: «هل تريد التسجيل للإشراف على إعادة البناء؟».

- «هل أبدو كبنّاء؟». يسأل جوبيتر.

- «يبلغ عرض المدخل إلى أجيا ثمانين كيلومتراً وسطيّاً، وله جدران بارتفاع سبعة كيلومترات على الجانبين، كلّها مزارع وحقول للمدينة. مِن المحتمل قيام آل بيلونا بنشر الألغام في المكان. في حال كان لديهم الوقت؛ فنحن لم نخبرهم بالضبط أنّنا قادمون». هل كان لديهم وقت؟

تُشير موستانغ لي بالابتعاد.

أمشي معها بعيداً عن بقيّة أفراد قيادتي، الذين راحوا يقلبون عيونهم في ما بينهم. يجب أن تذكرني قاعات القصر الهوائيّة بالنصر السابق، لكنْ كل ما أشعر به هو حزنٌ عميقٌ لوجودي هنا. الكثير مِن الذكريات. الكثير

---

(*) تحصينات دفاعية ثابتة أنشأتها فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى لصد أي هجوم محتمل للألمان. (المترجم).

مِن الأصدقاء المفقودين، أفكّر بذلك عندما أرى الرماديّين، وهُم يهبطون بالقرب مِن قلعة مينيرفا حيث تبارزنا أنا وباكس ذات مرّة.

– «المسافة إلى الجدران ثمانون كيلومتراً مِن هنا». تقول: «يمكننا أن نُسرِع كما هو مخطّط. لمجرّد أنّهم لم يواجهوا هبوطنا لا يعني أنّ هناك شيئاً خبيثاً يحدث». ترى التردّد في عيني: «نحن هنا مِن أجل والدي بقدر ما نحن هنا مِن أجل الحاكِمة المعظَّمة. علينا أن نتحرّك بسرعة».

– «أنتِ خائفةٌ مِن أن يقتل لورن والدك إن اخترق الجدران الجنوبيّة للمدينة أوّلاً». أُخمِّن: «أليس كذلك؟».

– أنتَ تعرفُ تاريخهُم.

– أعرف.

– هل تثق بألّا ينهي لورن العداوة القديمة؟

– لورن ليس بقاتل.

– لا. إنّه يؤذي الرجال الذين يستحقّون ذلك، مثل تاكتوس. والدي يستحق ذلك بقدر ما يستحق أيّ رجُل. لذا يجب أن نُسرِع. ويجب عليكَ أن تخبر البقية عن الحاكِمة المعظَّمة.

– روكي اكتشف ذلك. هنالك حرسٌ بريتوري على سفينة بنت الحرب. نعود أدراجنا وأخاطبُ المجلس المصغر.

– أنتم تعرفون أنّنا هنا مِن أجل أوغوستوس، لكنْ هنالك سببٌ آخر وراء تقدّمنا نحو أجيا. الحاكِمة المعظَّمة هنا.

– «كلّا سحقاً!». يتمتم المهرج.

يخدش الأحدب رأسه: «تبّاً!».

مكتبة
t.me/soramnqraa

– «في القلعة؟». تسأل الحصوة بحماس وتنكز بركبتها الحشيشة الذي يبدو قَلِقاً.

– «على الأرجح. لقد تتبّعنا أجا إلى هنا. مِن خلال بقايا إشعاع القنبلة التي ضربنا بها أجا في أوروبا. الهجمات الأخرى مصمّمة لجذب الرجال بعيداً عن أجيا حتّى نتمكّن مِن اختراق جدرانها، والقبض على أوكتافيا قبل أن يصل سيِّدُ رمادها مع كامل قوّة أسطولها الحربي». وفي حال قام أبناء أريس بدورهم كما وعد أريس، فإنّه يجب أن نتمكّن مِن دخول المدينة مِن دون أن نشقَّ طريقنا عبر قتال مئة ألف رجُل وامرأة مدرّعين.

– «هل كاسيوس في المدينة؟». يسأل سيفرو.

تومئ موستانغ برأسها: «نعتقد ذلك».

يبتسم سيفرو.

– «إذا صادفتم كاسيوس، لا تشتبكوا معه». أقول: «ولا مع كارنوس، أو أجا».

– «هل تريدنا أن نهرب؟». يسأل المهرّج، وقد شعر بالإهانة.

– «أريدكم أحياءً». أقول: «الجائزة هي الحاكِمة المعظَّمة. لا تدعوا الانتقام، أو الغرور يشتّتكم. إذا قبضنا عليها، سنكون القوّة الجديدة في المجموعة الشمسيّة يا أصدقائي».

يتبادل العَوّاؤون الابتسامات العريضة الشرسة. يُسوّي سيفرو كتفيه.

– فلنتوقّف عن العبث.

– ما كنت لأقولها أفضل مِن ذلك.

مقاتلات الجناح القاطع الصديقة تَهدُر مِن فوقنا لتطهير مسارنا مِن القوّات المعادية على طول طريقنا.

مع تجمُّع كلّ قوّاتنا، نتحرّك عبر الوادي الأخضر. لا وجود لرتل يتلكّأ. نسير بسرعة. الدراجات فائقة السرعة تفوق بسرعتها القذائف النجميّة. أولئك الرماديّون والذين على العناكب الآليّة يندفعون إلى الأمام خلف مقاتلات الجناح القاطع، وسفن الإمداد ثقيلة التدريع التي ستُنزِل الرجال في مواقع أقرب إلى الجدار. تشير الومضات مِن أمامنا إلى أنّهم قد فجّروا الألغام، أو أنّ كاسحي الألغام قد قاموا بعملهم. لا وسيلة لمعرفة ذلك. يضيق الوادي هنا، وترتفع جدرانه ذات اللون الأخضر العشبي على نحوٍ هائل بعيداً على كلا الجانبين. إنّها ضخمة وأسطوريّة، كأنّها تضاريس لعِرقٍ أضخم وأكبر مِن البشر. لا أستطيع رؤية كل قوّاتي في مكانٍ شاسعٍ كهذا، الجزء الأمامي منها فقط. نتبع الرماديّين سريعي الحركة، متجاوزين رتلاً مِن الفرسان الرهيبين في قذائفهم النجميّة السوداء. تتساقط الأمطار بشدّة أكبر. مِن خلفنا تسير الدبّابات وأرتال المشاة في مركباتهم الطوّافة، وهي مركبات خفيفة التدريع يمكن أن تحمل مئة رجُل على منصّةٍ مكشوفة. ستُنزِلهم على بعد كيلومتر مِن الجدران. سيكون هجوم لورن مِن الجنوب مشابهاً.

- «طائراتٌ مُسيَّرة!». يصرخ سيفرو عبر جهاز الاتّصال. تتصاعد سحابة مِن المعدن نحونا مِن مستودعٍ صغيرٍ في جدار الوادي إلى الشرق. ينطلق العوّاؤون نحو التهديد، أسلحتهُم تُمزِّق الهواء. ومع ذلك، تُمزِّق نيران الطائرات المسيّرة فِرقةً مِن السبجيّين الطائرين. يهوون إلى الأرض، أجساداً لا يمكن التعرّف عليها. نمرُّ الآن بسرعة فوق المباني. مدن صغيرة. منتجعات. عقارات. مخازن حبوب. نجد أنفسنا فوق بحيرة. نرى انعكاس ظلالنا مع ومضات البرق مِن فوقنا.

أرى الآن الجدار الدفاعي يتجاوز الأفق كستارٍ حديدي. يمتدّ على مسافة تسعين كيلومتراً، في هذا الجزء مِن الوادي، وارتفاعه يقارب مئتي متر، يلامسُ الحافّة السفليّة للدرع الواقي. لا تنتهي البحيرات والأنهار هنا، بل تمرّ تحت الجدار مِن خلال شبكةٍ كثيفةٍ مِن قضبان الفولاذ المقوّى التي تضاهي بمتانتها هيكل سفينة. سيستغرق الأمر عشر ساعات مِن مئة رجُل ليحفروا طريقهم عبر تلكَ القضبان.

لا تمتلكُ مُعظَم المدن جدراناً بهذه الضخامة؛ فهي تُكلِّف الكثير. لكنّ أجيا وكورنث هما الوحيدتان بهذه الجودة مِن التحصينات. كان بإمكاننا الدخول عبر الأنفاق التي تسير عبر جوف المرّيخ وتربط كل مدينةٍ بمناجمها، لكنّني لم أرغب في ذلك. هنالك تكتيكاتٌ يجب أن أحتفظَ بها لنفسي، وهنالك مثال يجب أن أقدّمه.

الهجمات التي مثل هذه ليست أموراً طويلة الأمد. لقد رأيتُ السجلّات التاريخيّة. إنّها جامحةٌ وجنونيّة. التكنولوجيا ضدّ الأجسام الثابتة دائماً ما تفوز، طالما أنّ عزيمة المحاصر لا تنفد. في الماضي، كان الاستيلاء على القلاع شبه مستحيل مِن خلال هجومٍ مباشرٍ على حامية بارعة من دون أن يكون النصر البيروسي(*) ثمناً لذلك. لذا كانت الجيوش تفرضُ الحصار عليها وتقوم بتجويع المدافعين عنها حتّى الاستسلام. الآن، لا يملكُ أحدٌ الصبرَ للقيام بذلك.

أجيا مدينةٌ بعشرين مليون نسمة، لكن كم منهم سيهتم بمن سيفوز اليوم؟ لا فرق بين حُكمِ آل بيلونا وحُكمِ آل أوغوستوس. النحاسيّون

---

(*) نسبة للملك الإغريقي بيروس الإبيري. وهو مصطلح عسكري يدل على النصر باهظ الثمن. (المترجم).

والفضيّون سيهتمّون، لكنّ الحمُر، والبُنيّين، والزهريّين سيشاهدون فقط سيّداً آخر يتحكم بالقيود.

الآن سيرون سفناً تملأ السماء، وقنابلَ تمزّق الهواء، وسيعتكفون في شققهم العامّة ويخشون مِن الغزاة المجهولين. منذ فجر الإنسانيّة، كان الاستيلاء على مدينةٍ مصحوباً بصرخات الاغتصاب، والسرقة، والسكر المرعب. لكنّ الفريدين ذوي الندبة لا يشاركون في مثل هذه الهمجيّة. إنّها ليسَت مربحةً، ولا تتماشى مع أذواقهم؛ أمّا إذا استولى أحدهم على مدينةٍ بالقوّة، فإنّه حسب اعتقاد الذهبيّين تصبح المدينة وكل مَن فيها مُلكاً للغازي. إن كنت قويّاً بما يكفي، فالغنائم مِن نصيبك. بعضهُم يحتفظُ بالغنائم. بعضهُم يمنحُها للذئاب، مُطعِماً المدن لجيوشهم مِن السبجيّين والرماديّين كمكافأةٍ على الدم المراق.

إن استطعتُ حماية هذه المدينة؛ أجيا. إن استطعتُ أن أُريَهُم أنّه توجد سلالة أفضل مِن البشر، فعندئذٍ ربّما سأفوز بقلب أجيا، وأستولي عليها، وأحميها، وسيحبّني مَن فيها كما أحبّني جيشي، لكنْ أوّلاً يجب أن أشقَّ طريقاً لي إلى داخلها.

على طول الجدار الدفاعي الضخم، تتموّج النيران على الفولاذ، كأنّها زهورٌ صغيرةٌ تتفتّح بسرعة على الجدار الرمادي شديد الانحدار الممتدّ بعرض تسعين كيلومتراً. يجري تنفيذ هجمتين مُضلّلتين عن يساري ويميني، كما تُطلِق مقاتلات الجناح القاطع هناك نيران المدافع الكهرومغناطيسيّة، منزلقةً على نحوٍ جانبي في أثناء إمطارها الجدار بالقذائف. تؤدّي النيران التي تردّ بها الأبراج الدفاعيّة الصغيرة على الجدران إلى اهتزاز وارتعاش طبلة أذني وطنين فيها. أرغب في الإمساك بيد موستانغ، لكنّ إيماءةً منها تهدّئ مِن روعي، لبرهةٍ قصيرةٍ فقط.

يندفع الرماديّون في دروع القتال مثل نملٍ غفير. تنتشر فِرقُ الصواريخ والتي ستطلق قريباً الموت الزاحف نحو المدافعين. مِن الصعب استيعاب كلِّ هذا، فهو تماماً مثل المعركة الفضائيّة في الأعلى، طبقات فوق طبقات مِن العمليّات والعمليّات المضادّة، عدا أنّ ما يحدث هنا لديه صوت.

تُمزِّق الألغام قوّاتي صانعةً فيها ثغرات. تنزلق فرق القتل لآل بيلونا مِن على الجدار على علوّ مئة متر، تطير بزُهوٍّ وعظَمة—الأعلام ترفرف، والذهب يلمع. تتلألأ دروعهم بينما تصيبهم نيران الأسلحة. أرى رايةَ نسرٍ وسط رايات آل بيلونا، فأستعدُّ لمواجهتها، مُعتقداً أنّها يجبُ أن تكون لكاسيوس، لكنّ موستانغ تُمسِك بذراعي.

– «الخطة!». تذكّرني موستانغ، مشيرةً إلى النهر: «سنموت جميعاً في مواجهة ذلك الجدار. الخطة».

يصعبُ تذكُّرها. يصعبُ تذكُّر أن كلَّ هذه الفوضى هي تشتيت. ما يهمّ هو النهر والعمل الذي تمّ في اللّيل مِن قِبَل أبناء أريس. إن فعلوا ذلك، سيتسلّل النهر مِن تحت الجدار. بعرض مئة متر، وبعمق أكبر، وقد بدأ بالفعل بحمل الجثث نحو المدينة.

أغطسُ في الماء. أشعرُ بالتوتّر مع تباطؤ التيّار، ثمّ يعود ليدفعني بسرعة في مساري. تتشتّت الأسماك أمامنا. غريب ألّا أشعر بالبرد. يتحرّك العَوّاؤون مثل طوربيدات بجانبي، ثمّ ينضمّ إلينا راغنار إلى جانب مجموعته مِن السبجيّين. جوبيتر أيضاً، جميعهم يقفزون ويغطسون تحت الماء. موستانغ هي الأقرب إليّ. أمسح النهر أمامي عبر الوحل الذي أثرناه فأجد هديّة أبناء أريس.

هناك، على عمق مئة متر، أراه. إذا كان هناك شيء يجيد الحمُر فعله،

فهو الحفر. وقد قضى أبناء أريس اللّيل في الإعداد لتوفير ممرٍّ لنا إلى المدينة. سيظنّ رجالي أنّ وِحدَةً مِن نخبة الجَوّاسين قد أُرسِلت إلى هنا قبل الأسطول الحربي. لن يسألوا عن كيفيّة قطع الشبكِ الضخم، أو كيف خُدِعت المستشعرات المصمّمة لاكتشاف الأضرار في الشبك.

– «مرة أخرى إلى الثغرة». أتمتم، وكأنّ روكي، فيكترا، أو تاكتوس يمكنهم سماعي. أُفعِّل حذائي الثقالي وأتحرّك إلى الأمام.

الممرّ ضيّق، وهو يلتوي تحت الجدار بالقرب مِن قاع مجرى النهر. نعبرُ كلَّ اثنين جنباً إلى جنب. لذلك أصطحب معي أفضلَ مقاتل، راغنار، كوننا أوّل مَن يتحرّك عبر الممرّ تحت الماء. يصدح جهاز اتّصالي بالأخبار عن المعركة في الأعلى. إنّنا نتكبّد الخسائر عند الجدار.

أنا وراغنار نتفحّص النفق معاً. كنتُ أشكُّ بإمكانيّة وجودِ كمينٍ لآل بيلونا، لكن لم نُصادِف أيَّ شيء. لقد قام أبناء أريس بعملٍ جيّد. ننتظر على الجانب الآخر مِن الجدار، ما زلنا منغمسين، مئة متر في الأسفل عند قاع مجرى النهر. ينضمُّ بقيّة كادري إلينا أنا وراغنار—موستانغ، وسيفرو، وبقيّة العَوّائين، خمسون ذهبيّاً آخرَ وثلاثة أضعاف ذلك العدد مِن السبجيّين والرماديّين.

أتحدّث عبر جهاز اتّصالي لدى اجتماعنا جميعنا عند قاع النهر: «تعرفون أوامركُم».

يصافحني سيفرو بقبضةٍ مدرّعة. تفعل موستانغ الشيء نفسه. يحيّيني راغنار بقبضته المكوّرة الملامسة لقلبه. يتثاءب جوبيتر في جهاز اتّصاله. المهرِّج، والحصوة، والحشيشة يحمّسون العوّائين بتحريك الطين عند قاع النهر. الثواني تمرُّ. شفرتي مُلتفّة حول ذراعي. قبضة نبضيّة في يدي

اليسرى. أشعر بخفقان قلبي وبرودة القلادة على صدري. أسمع قرقعة الفوضى في الخارج. يداي، يدا غطّاس الجحيم تتكوّران. وعيوني تُغمض. يرسل سيفرو مِسباراً لمعرفة ما إذا كانت ضفّة النهر آمنة.

أنا مَعنيٌّ بالبحث عن الحاكِمة المعظَّمة.

راغنار موكلٌ بفتح البوّابات.

موستانغ بخفض الدرع الواقي حتّى يتمكّن روكي مِن إرسال التعزيزات ليصبح بوسعنا الاستيلاء على المدينة بضربةٍ واحدة. لا أريدها أن تتركني، لكن لا أستطيع أن أثق بأحدٍ آخر للقيام بهذه المهمّة.

الثقة. يجب أن أثِقَ بأنّها ستبقى على قيد الحياة، أثِق بأنّ سبجيّيها سيحمونها، وأنّها ستحمي نفسها. هنالك ثقلٌ يضغط على قلبي، الخوف مِن عدم عودتها. يبدو وكأنّها تسقطُ بالفعل في الظلام. إن ماتت، ستموت مؤمنةً بكذبة. أعِدُ نفسي بأنّي سأخبرها إذا ما نجونا مِن هذا. إنّها تستحق ذلك.

– ابقوا على قيد الحياة. ابقوا على قيد الحياة. جميعكم، ابقوا على قيد الحياة.

تغادر موستانغ، متحرّكةً إلى أسفل النهر، أتتبّعها لعدّة كيلومترات إلى أن تصل إلى الحديقة بالقرب مِن المولّدات. أراقبها وهي تذهب، وأبحث عن شيءٍ لأتشبّث به، شخص لأصلّي له. والدي معي، وكذلك إيو. أشعر بهما في دقّات قلبي.

أغمض عيوني.

يجمع سيفرو المسبار الذي أرسله إلى الأعلى ويخبرني أنّنا آمنون، هنالك فقط فتاة تلعب في الوحل فوقنا.

- «قاتلوا مِن أجل بعضكُم». أقول عبر جهاز الاتّصال لمن هم بجانبي في قاع النهر: «أو لأجلي». نُفعِّل أحذيتنا الثقاليّة ونصعد عبر الماء، لنشُقَّ سطح النهر بانفجارٍ مثل وحوشٍ مِن حِبرٍ داكن، قذائفنا النجميّة السوداء تَقطر بينما نطير فوق ضفاف النهر، متّسخة بالطين مِن الأمطار التي سقطت قبل أن يُرفع الدرع الواقي لحماية المدينة.

تحتنا، تقف فتاةٌ بُنِّيةٌ واحدةٌ غير مدرّعة، غارقة في الوحل حتّى كاحليها. أُحدِّق فيها مِن خلف خوذتي السوداء الرهيبة. مِن المفترض أن تكون مختبئةً مع عائلتها، وليس الوجود في الخارج في مدينةٍ محاصرة. هنالكَ شيءٌ ما ليسَ على ما يرام.

عندما ترانا، تلتقط مِن سلَّةٍ جهازاً كُرويّاً صغيراً. يخترق البرق السماء. يتجمّعُ الوحل على طرف فستانها الأجمل، متحوّلاً إلى لونٍ بنيٍّ داكنٍ بشدّة.

- «أطلقوا النار عليها!». يزمجر سيفرو.

أدفعُ يده جانباً. تنفجر شجرة بدلاً مِن ذلك. وبينما أنظرُ إلى الأعلى حيث يوجد على الجدار، بعيداً عن نطاق المسبار الذي أرسله سيفرو، وبعيداً عن تأثير كرة النبضة المغناطيسيّة التي تحملها الفتاة، فرسان آل بيلونا مع مرافقيهم مِن السبجيّين، ينتظرون.

تضغط الفتاة زرّاً على الكرة.

وحينها نبدأ بالموت.

# الجزء الرابع

# دمار

ارتفع في الأعالي، لترقد في الطين.

**—كارنوس بيلونا الذهبيّ**

# 40

# طين

تنفجرُ النبضة الكهرومغناطيسيّة. تبدو مثل طفلٍ عملاق يشهقُ لدى لدغه بإبرة. تتعطّلُ أجهزتنا الإلكترونيّة. أحذيتنا الثقاليّة تفرقع وتتوقّف عن العمل. مشابك القذيفة النجميّة تتعطّل، ممّا يجعل البدلات المعدنيّة الضخمة تُسحَب بفعل الجاذبيّة. نحن نهوي إلى الأسفل. معظمنا يسقط في طين ضفّة النهر. أنا أسقط في الماء وأجعله يتطاير. أغوص، وأغوص. أذناي تطقطقان. إلى الأسفل ثمّ الأسفل إلى أن أستقرّ في طين قاع النهر. أرتطم بقوّة. ساقاي تنحنيان تحت ثقل قذيفتي النجميّة. أسقط على ظهري. لا أستطيع رؤية رجالي. لم أرَ سوى أشكال تتحرّك فوق سطح الماء في أثناء سقوطي. الآن أنا على عمقٍ كبيرٍ لدرجة أنّي لا أتمكّن مِن رؤية شيء سوى كيف يغمقُّ لون النهر بفعل الدماء. تضيء ومضات برق متقطّعة فتعكس ظلال الأجساد التي تغوص بسرعة.

لا أستطيع الحركة. قذيفتي النجميّة ثقيلة جدّاً. أستلقي مثل سلحفاة، نصفها عالق في الطين في قاع النهر. مشوّش، والخوف يعتريني. حدث كل شيء بسرعة. لا أستطيع حتّى النظر إلى يساري، أو يميني لأرى مَن معي. جهاز اتّصالي معطّل. لو لم يكن كذلك، لربّما سمعت صرخات ولعنات.

هذه القذيفة النجميّة أتت بي مِن الفضاء لأحطَّ على الأرض. قارب نجاة، قلعة شخصيّة في خضم حرب. الآن أصبحت نعشي.

قلبي يدق بقوّة. أريد أن أصرخ.

أتنفّس على نحوٍ مفرط. الرعب يحبسُ نَفسهُ في صدري، يشدّني، ويجعلني أبتلع الهواء، أتناوله كما لو أنّه سيمنحني القوّة للتحرّك. أبطئ. أبطئ. فكّر. فكّر. جسدان يغوصان بجواري. ثقيلان في درعهما، يسقطان بسرعة للانضمام إلى الآخرين في القاع. لا بهاء في الموت، تسيل الدماء منهما وهما يبتعدان. عندما ينتهي القتلة مِن أولئك العالقين في طين ضفّة النهر، سيأتون إلينا هنا في الأسفل. لكنّهم ليسوا بحاجةٍ إلى ذلك. أُبطئ مِن تنفّسي. كميّة محدودة مِن الأوكسجين بقيت في البدلة. نظام إعادة التدوير مُعطَّل.

كاسيوس كان يعرف خطّتي. لا بد من أنّه هو. أم تعرّضتُ للخيانة؟

لم أخبر أحداً سوى أبناء أريس، وسيفرو، وموستانغ. لا أحد منهم كان بمقدوره الخيانة. هو فقط كان يعرف؛ ذلك الحقير اللّعين. لو كان بإمكاني الاستسلام لفعلت، لأنقذت حياة مَن معي، لكنْ ليس لديّ جهاز اتّصال.

أقوم بأرجحة جسدي، مُحاولاً رفع نفسي للنهوض عن ظهري. لكنّني عالقٌ على نحوٍ كبير في الطين، وبدلتي يتجاوز وزنها طنّاً مِن المعدن. لا أستطيع التخلص من هذا الوزن. لا أستطيع خلع القذيفة النجميّة. أحتاج إلى النظام الإلكتروني مِن أجل ذلك. أدفعُ نفسي إلى الأعلى بذراعي. لا شيء. الطين يبتلعني. موستانغ هربت. أعتقد. آمل. هل ستعرف أنّنا هنا في الأسفل؟

أبحث عن سيفرو، عن راغنار، عن عوّائيّ. أشكال داكنة مِن حولي.

أشعر بالدوار. أبطئ التنفّس اللّعين. أبطئ. فكّر. لن يكلّفوا أنفسهم حتّى عناء المجيء لقتلي. سأموت في قاع النهر، مُحدِّقاً نحو السطح بينما يسقط أصدقائي واحداً تلو الآخر لينضمّوا إليّ. وحيدٌ جدّاً. سيفرو، راغنار، الحصوة، الحشيشة، المهرِّج؛ إنّهم موتى، يحتضرون، يشاهدون الشيء نفسه، أو ربّما هم على الضفّة بينما يسير آل بيلونا بين بدلات الدروع المشلولة، يقتلون وِفقَ رغبتهم. أريد أن أبكي على عجزي.

توقف. افعل شيئاً. تحرّك.

- «ارتفع في الأعالي، لترقد في الطين». تتردّد في ذاكرتي.

هذه هي المرّة الثالثة التي يتركونني فيها في الوحل والطين لأموت. أضغط على أسناني إلى أن أشعر بميناً أسناني تتفتّت، بينما أبذل كل قوّتي بتحريك ذراعي اليمنى. ببطء، ببطء شديد، تخرج مِن الضغط الماص للطين، لكنّها كلُّ ما تمكّنتُ مِن تحريره. لن أتمكّن مِن النهوض مِن على ظهري. أنا غارقٌ جدّاً. ثقيلٌ جدّاً في القذيفة. عندها ألمحها. عندما انفجرت النبضة الكهرومغناطيسيّة، عطّلت المشابك الكهربائيّة، ممّا يعني أنّ البدلة تجمّدت، لكنّ الشفرة لا تزال تعمل، وهي هناك مثل ثعبانٍ أبيض حول ذراعي.

ستُنقِذ حياتك مقابل طرف. تلك هي الكلمات التي قالوها لي عندما وضعوا النصلَ المِنجلي في يدي وأنا صبي. الخلاص، التضحية. نبضة الشفرة كيميائيّة. سيتجاوب مفتاحها معي. ستستقيم. لكن حول ذراعي... يجب أن أكون سريعاً.

آخذ نفساً، أغلق عيني، أتحسّس المفتاح بإبهام بدلتي. يجب أن أكون أسرع مِن لهب لاسع. أسرع مِن أفعى حُفر. أنقر على المفتاح لتشغيلها.

تضغط الشفرة في أثناء استقامتها، لتقطع المعدن مثلما تخترق السكّين حلوى البودنغ.

أنقرُ على المفتاح لأطفئها. تتوقّف في أثناء قضمها للعضلات، لكنّها لا تجتاز العظم. أصرخُ مِن الألم الفظيع في ساعدي. تتدفّق المياه عبر الذراع الممزّقة مبرّدةً الجرح المحترق.

ثم أشعر بالرعب. المياه. لقد فتحت بدلتي للمياه. أحمق. قريباً ستمتلئ. أستطيع أن أشعر بها وهي تتسرّب على عنقي مِن الداخل. بعد دقائق، اثنتين، أو ثلاث، سأغرق. أعمل على تحرير ساعدي الملطّخ بالدم مِن القوقعة المعدنيّة الممزّقة، وأسحب الشفرة المرتخية بعيداً لتطفو مثل مِجسّ، ثمّ أُفعّلها مرّة أخرى، لتأخذ شكل علامة استفهام قاتلة وأوجّهها نحو القفّاز الآخر.

بدلتي ممتلئة الآن بالمياه حتّى الجذع. الهواء شحيح. مع كل نفسٍ تزيد النجوم التي أراها في عيني. شعور بالخفّة مع تدفّق الدم مِن الجروح على ذراعي. أستطيع البقاء لمدّةٍ طويلةٍ وأنا أحبس نفسي، لكنّني أفرطت في التنفّس، والآن أستنشق ثاني أكسيد الكربون، وعندها تتحرّر ذراعي الأخرى مِن قفّاز البدلة. عارية وشاحبة في الضوء الغريب الباهت. تتصاعد سحب رقيقة مِن الدم منها.

لو لم أُخلَق كغطّاس جحيم، كنت لأموت في قاع النهر هذا. وهكذا، أخلع قذيفتي النجميّة والدرع الذي تحتها. مهارتي هي التي تنقذني. لا أستطيع تحريك رأسي بسبب ثقل الخوذة. لا أستطيع رؤية المكان الذي أقطعُ فيه. جلدي والألم الذي يشعر به يعملان كعيني. بوصة بعد بوصة، أسحب نفسي من القذيفة النجميّة. بوصة بعد بوصة، أسحب الشفرة القاتلة

على طول جسدي. يسيل دمي وأطرح قذيفتي في الماء. أفصلُ الهيكل الخارجي. أنا مثل الجراد الذي ينسلخ عن قشرته الميّتة. برفق شديد، أزيل الخوذة، قاطعاً إيّاها عند الرقبة. أحتفظ بأنفاسي، وأجرح حلقي قليلاً.

خدش. قريبٌ جدّاً مِن الوريد الوداجي.

ساقاي هما آخر جزءٍ أحرّره. أجلس، قِطَعُ بدلتي المكسورة تَخدِشُ جلدي، وأسحب ساقي اليمنى مِن المعدن المقطوع. أنا على قيد الحياة، وجريحٌ في النهر البارد المظلم. الخوذة خُلعت. أحبس أنفاسي بينما تنقشع بقع في رؤيتي. الآن أستطيع رؤية حقل الرجال الغارق في قاع النهر مِن حولي. أسبح نحو أكبرها وأرى عيون راغنار المغلقة خلف غطاء وجه قذيفته النجميّة. تنهمر الدموع منها. رئتاه كبيرتان، لكن لا بدّ من أنّه لا يوجد الكثير مِن الأوكسجين المتبقّي في تلك البدلة. يمكنه التحرّك على نحوٍ أفضل ممّا أستطيع، بسبب قوّته العظيمة، لكن لا يمكن لأيّ رجُلٍ ذي دروع السباحة في هذه المياه.

لم أكن أظنّ أنّ بوسعه البكاء. ومع ذلك، إنّه يبكي الآن، بصمت. ليست دموعاً كبيرة ودراميّة. إنّها مختلفة، هادئة. وعندما يفتح عينيه، أرى شيئاً آخر في داخله. جزء خامد مِن روحه يشتعل. لقد كان ميّتاً، واستسلم لمصيره. ومع ذلك، أطوف في رداء تكتيكي أسود ممزّق، مُلطَّخاً بالدماء، أبدو مضطرباً عقليّاً، لكنّني متحرّرٌ مِن قذيفتي. أنا أمله المظلم. أبدأ بالقطع، على الرغم مِن أنّ رئتيّ تصرخان. أحتاج إليه. لا أستطيع البحث عن سيفرو. لا يوجد وقت. ولا أستطيع الصعود إلى السطح فقط لأُقتلَ فور رؤيتي.

أعمل عليه مثل نحّاتٍ محترف، كي يتمكّن مِن نزع الهيكل الخارجي

وتحرير نفسه. لقد رأى الآخرون ما نقوم به، لكن لا يمكننا مساعدتهُم بعد. يجب أن يتماسكوا.

أنا وراغنار نركل الماء لنشقّ طريقنا عبر التيّار القاسي نحو السطح. رئتاي تعانيان. جسد راغنار الشاحب الموشوم يتحرّك عبر الماء برشاقة لا أستطيع مضاهاتها. لم أكن أعرف بأنّ السبجيّين سبّاحون ماهرون إلى هذا الحدّ. يبدو ذلك منطقيّاً لشخصٍ وُلِد بالقرب مِن كتل الجليد الطافية.

إنّنا قريبان مِن السطح عندما يخسر عقلي أمام جسدي. على بعد عشرة أقدام مِن السطح، أستنشق الماء.

ظلام.

أشعر بالطين بين أصابعي. شيء يتحرّك عبر صدري. المياه. أتقيّؤها، أسعل مُخرجاً إيّاها في يدٍ خشنةٍ تمسك بي بإحكامٍ قرب فمي، ممّا يهدّئني. أواصل التقيّؤ عبر الأصابع، ثمّ أشعر بانفجار مِن المتعة عندما أتمكّن أخيراً مِن تنفّس الهواء. الهواء الجميل. اليد لا تزال تغطّي فمي. وللحظة، لم يعد يوجد أي شيء. فقط رعشة الحياة النقيّة في رئتي. تدفّق كامل مِن الأوكسجين إلى أعضاء فارغة متألمة. وفجأة، يعلو صوت الحرب البعيدة، وتأوّهات الرجال. نحن في حقلٍ مِن الجثث. الجدار يرتفع عالياً فوق رؤوسنا. النهر يجري بسرعةٍ عند أقدامنا. لقد مرّت دقائق منذ انفجار النبضة الكهرومغناطيسيّة، لكنْ يبدو أنّ اليوم قد مضى وتركنا خلفه.

يسحبني راغنار إلى الطين بين سبجيّين ميّتين. ذهبيّان مِن بيلونا، وستّة سبجيّين، وستّة رماديّين يمشون على طول ضفّة النهر المظلمة، يُجهِزون على أولئك الذين يرقدون عاجزين بلا حول ولا قوّة. إنّنا محظوظان بأنّ البقيّة قد تركوا المجزرة ليعودوا إلى القتال الدائر عند الجدار. سيكون

كاسيوس قد قادهم بعيداً. هذا يعني أنّه لم يعرف أنّني هنا، لكنّه كان على درايةٍ بالثغرة التي أحدثها أبناء أريس، على الأقل. كان ليبقى لأجلي. لحسن حظّي أنّني لم أحمل الراية التي صنعها لي المهّرج والحشيشة. محظوظٌ جدّاً لأنّني لم أدعهم يرتدون عباءاتهم الذئبيّة.

هذا الطين مقبرة. جنودي نصف مدفونين. يحاول بعضهم النهوض بدروعهم الثقيلة المعطّلة، لكنّهم ينزلقون مرّة أخرى إلى الطين، أو يُركلون إلى الأسفل مِن قبل الذهبيّين، ويُذبحون بلا رحمة. معظمهُم مستلقٍ بهدوء. حقل مِن الخنافس المدرّعة يتسرّب منها لونٌ أحمر.

الرماديّون يمزحون مع بعضهم بينما يتعاملون بطريقةٍ منهجيّةٍ مع مهمّتهِم، يأخذون وقتهم مع سبجيٍّ عالقٍ على ظهره، مستخدمين رماح القوّة ليخترقوا القذيفة النجميّة الثخينة، ويثبّتوه على الأرض مثل أولادٍ يعذّبون سلطعوناً محاصراً. في نهاية الأمر يُجهِزون عليه برصاصاتٍ خارقة للدروع من بنادقهم التي يُطلَق عليها حفّارات.

يشير راغنار إلى الطين. نصف عراة، أنا وهو نغلّف أنفسنا بهذا الشيء الثقيل الداكن. إنّه يبرّد الجروح الدقيقة على جسدي، ويغطّي الوشوم على جسده. أشير إلى إحدى خوذ الذهبيّين وأقوم بحركةٍ بوجهي توحي بنفاد الأوكسجين مِن الناجين لدينا. يومئ راغنار برأسه. أسحب شفرة مِن جسد ذهبيٍّ ميّت. لا أستطيع التعرّف عليه. وأناولها لراغنار. لم ترَ قط سوى أيدٍ ذهبيّة. لا حرساً بريتوريّاً، ولا سبجيّاً، ولا حتّى أحداً مِن أولئك الذين يحملون شارات مِن الحاكِمة المعظَّمة نفسها قد لمس هذا السلاح منذ التمرُّد المظلم. لمسه يعني الموت جوعاً. مِن دون إمكانيّة بلوغ الفالهالا. فقط الجوع والبرد والنهاية. لكنّ أعداءنا سيكون لديهم واقيات نبضيّة. لن ينجح أيّ سلاحٍ آخر.

يرميها راغنار كما لو كانت مصنوعةً مِن النار. أدفعها مرّة أخرى إلى يديه المرتجفتين.

- إنّهم ليسوا آلهة.

مثل أشباح أُخرِجت مِن ستيكس(*)، ننزلقُ متقدّمين عبر المقبرة. أعداؤنا ليسوا في فِرَقِهم القتاليّة. أهدافٌ سهلة. أزحفُ إلى الأمام على يدي ورجلي مثل عنكبوتٍ مريع، أنهض بصعوبةٍ عن الأرض لأقتل سبجيّين حتّى قبل أن يتمكّنا مِن الالتفات. يكسرُ راغنار عنق أحدهِم ويشقّ آخر إلى نصفين. الصفيحة الصادّة تنفصل. أنهضُ باستعمال يدي، أركض نحو الأطول مِن بين السبجيّين، أقفز وأغرس نصلي في جسده. أهبط على نحوٍ سيّئ على ذراعي المصابة. لا أشعر حتّى بالألم. الكثير مِن الأدرينالين. أرى فرقة مِن الرماديّين تلتفت، لذا أسقط مع جسد السبجي وأتدحرج في الطين، مستلقياً في الظلّ والقذارة بين الجثث الأخرى. كانت بنادقهم اليدويّة وأسلحتهم النبضيّة لتقطّعني إلى أشلاء من دون ترسي ودرعي. لقد اختفى راغنار أيضاً. لا أعلم إلى أين.

يمرُّ الوقت. كم مِن الأوكسجين قد تبقّى لهم؟ الرماديّون الذين يطاردوننا يصرخون بشيء ما حول عباءات الشبح. تتجمّع المجموعات المتبقية مِن السبجيّين مع اثنين مِن الذهبيّين. يسير الرماديّون بين الجثث، مُجهِزين على مَن تبقّى مِن رجالي ليجبرونا أنا وراغنار على الخروج نحو الذهبيّين والسبجيّين. ماتت ليا بهذه الطريقة، في الطين. لن أفعل. ليس مرّة أخرى.

أنهض، بلا صراخ، ولا عواء. بهدوء. لأدع الرماديّين يرونني وأنا

---

(*) نهر في الأساطير الإغريقية يجري سبع مرات حول عالم الأموات. (المترجم).

أقترب. أنا سريع. أكاد أكون فوقهم تقريباً عندما يفتحون النار. أندفع نحوهم، أتفادى وأتلوّى، مثل بالونٍ مُحرّر. لا جمال في حركتي. مُجرَّد رُعبٍ جنوني. لا أستطيع رؤية الرصاص. فقط أشعر بقربه. أستشعر حرارته وهو يمرّ بجواري. أشعر باللكمة عندما أُصاب في عضلة العضد. صدمة تجتاح جسدي. يتمزّق الجلد عندما يخترق الرصاص اللّحم، الوتر، العضلة، ثمّ يخرج مِن الجانب الآخر، مُلامساً العظم. أنخر، ثمّ أصبح بينهم، وهم لا يصدرون أي صوت.

لقد فوّتوا فرصتهم.

اثنا عشر عدوّاً يسقطون بسبب دروس لورن في الكرافات. اثنا عشر رجُلاً وامرأة.

يهاجمني الآن الذهبيّون والسبجيّون. يستخدم الذهبيّون أحذيتهُم الثقاليّة. ينهض راغنار مِن الطين ويقذف بشفرته في الهواء مثل رمح. يسقط السبجي الضخم في الطين بينما يندفع راغنار نحو الذهبيّين الاثنين، ملتقطاً شفرةً أخرى مِن الأرض.

أُعجَب بقوّته. يُمسِكُ بأحد الذهبيّين مِن قدمه لدى مرورهم في الهواء. يصعقه الواقي النبضي كهربائيّاً، ممّا يبعث ألماً يجتاح أنحاء جسده. لكنّه يزأر فقط، متماسكاً، ومع صرخةٍ تنبعث ليسَ مِن حنجرته، بل مِن روحه، يُسقِط الذهبيّ ويضربه بالأرض كما لو أنّه يقطّعُ الخشب. يتمكّن بطريقةٍ ما مِن نزع الحذاء. يتدحرج الذهبيّ النحيف بعيداً ويصرخ: «موَسوم!» منادياً صديقه، الذي يعود لمساعدته ليواجها راغنار معاً.

أركض لمساعدة راغنار.

– «الحصّاد!». أحد الذهبيّين يجعل خوذته تتراجع إلى داخل درعه،

كاشفاً عن وجه متعجرف لرجُلٍ مِن الفريدين ذوي الندبة. واثقٌ مِن منزلته، مِن تراثه، مِن مكانه. وجهه ممتلئٌ بالفرح. ثمّ يلتوي ويعوجّ عندما يرى شفرة راغنار.

– «هل تعطي نصلَ أسلافكَ لوحش؟». يرمقُ راغنار بكراهية، ثمّ ينظر إلى الشفرة، غاضباً وحائراً: «أليسَ لديكَ شرف؟».

أختار ألّا أجيب.

– «اِعرف مَن تواجه يا أندروميدوس». يثور الذهبيّ الأكبر سنّاً غضباً: «أنا غايوس كارتوس ذهبيّ مِن عائلة كارثي. نحن مَن بنى أعمدة فينوس. نحن أوّل مَن أبحر في الفضاء الفاصل بين المنطقة الداخليّة والخارجيّة، وأوّل من نقّب في عنقود هيلسا».

– هذه ليست الإلياذة. راغنار، اقتل هذا الأحمق. نحن بحاجةٍ إلى حذائه الثقالي.

يبصق الذهبيّ. «أترسلُ كلباً ليقاتل بدلاً عنك؟».

– «**أنا إنسان!**». يزأر راغنار بصوتٍ أعلى مِن صخب محركات سفينةٍ عابرة. يتطاير اللعاب، تعتري وجههُ ملامح الغضب. تظهر الأوردة في عنقه. يعوي، مندفعاً إلى الأمام قبل أن أتمكّن حتّى مِن رفع نصلي. يلتقط جثّة السبجي الميّت ويستخدمها لصدّ شفراتهم. يلكمُ غايوس. بلا سلاح. بقبضته فقط. يضربه بقوّة في واقيه النبضي ممّا يجعل الرجُل يسقط إلى الوراء، ثمّ يقتل الآخر، مُقطّعاً دفاعاته بجنونٍ مسعورٍ حتّى شقّهُ إلى نصفين. يركل الجزء العُلوي مِن الجثّة جانباً ويضرب غايوس نحو الأرض، الذي يغرقُ في الطين الداكن بينما يندفع راغنار إلى الأمام، وعضلاته ترتجف من جرّاء لمسه للواقي النبضي، ممسكاً بالشفرة عند حلق الرجُل الذهبيّ.

- «**استسلم لي وعِشْ**». يهدر راغنار.

يبصق غايوس، وهو ينهض على ركبتيه.

- **استسلم لي كما يستسلم الرجُل لرجُلٍ آخر.**

- «أبداً». تنثني شفتا غايوس بمرارة. ينطق كلماته الأخيرة بوضوح وبصوتٍ عالٍ، مع حقدٍ وشجاعة. كل ما هو جيّد، وكل ما هو شرّير يجتمع في هؤلاء الناس الاستثنائيّين: «أنا الليغاتوس الفريد ذو الندبة غايوس كارتوس الذهبيّ. أنا خلاصة البشريّة؛ لذا لن أستسلم، لأنّ الرجُل لا يمكنه الاستسلام لكلب».

- «**إذن فلتصبح تراباً**». يغرس راغنار النصل عميقاً.

ننقل رجالنا مِن قاع النهر بأسرع ما يمكن مستخدمين الأحذية الثقاليّة المسروقة، لكن ليس سريعاً بما فيه الكفاية. سيفرو ليس ميّتاً، لكنّه أوشك على ذلك. أجده ورأسه مدفونٌ في ضفّة النهر. يشتم ويبصق عندما أخرجه بمساعدة المهرِّج والحصوة.

- «الموتى؟». يسأل بهدوء: «عوائيّ؟».

- «كثيرون جدّاً». يقول المهرِّج بضعف.

- هل نجحت موستانغ بالعبور؟

جميعهم ينظرون إليّ.

- «أعتقدُ ذلك». أقول: «لكنْ لا أستطيع التواصل معها عبر أيّ جهاز اتّصال. يجب أن نُسرِع على أية حال. إن كانت على قيد الحياة واستطاعت تفجير المولّدات حتّى تتمكّن تعزيزاتنا مِن الهبوط، فإنّ الدرع الواقي سيسقط وسيكون لدى الحاكِمة المعظَّمة مجالٌ واسعٌ للهروب. الآن هي محاصرة».

يومئ سيفرو برأسه. تمدّ الحصوة الصغيرة له يدها ليستطيع الوقوف. الشوكة الصغيرة، التي بالكاد تصل إلى بطن راغنار، تراه مع شفرة في يده، وهو يحرّر سبجيّاً آخر مِن القذيفة النجميّة المعطّلة. «ألقِها». تصرخ.

يرميها راغنار وينظر إليّ في ذعرٍ غريب. أشيرُ له أن ينتظر.

بعد أن طُفنا على بدلات الذين سقطوا على ضفّة النهر، نعرفُ العدد، وهو مُدمِّرٌ جدّاً لدرجة أنّ سيفرو يبتعد. الحشيشة مات. الأحدب مات. القيثارة ماتت قبل أن نصل إلى الأرض. والعديد مِن المجنّدين الجُدد قد ماتوا. فقط الشوكة، والمهرج، والمتجهّم، والحصوة هم المتبقّون. كذلك تبقّى أحد عشر مِن أصل خمسين سبجيّاً.

الحصوة والمهرّج يلمسان وجه الحشيشة، وعرف الموهاك المتطابق الذي لديهم يصبح مسطّحاً على رؤوسهم مع المطر الذي بلّلنا جميعاً. تخدش الحصوة صدره، تضرب قلبه بيديها الصغيرتين كما لو أنّ ذلك سيعيده إلى الحياة. تذهب الشوكة لسحبها بعيداً بينما يستخدم المهرِّج الطين لتسوية عرف الموهاك للحشيشة بعد موته. لا يستطيع سيفرو مشاهدة ذلك. أذهب للوقوف بجانبه.

- «كنتُ مخطئاً بشأن الحرب». يقول.

- «لا أستطيع القيام بذلك مِن دونك». بعد لحظة يائسة: «هل أنتَ معي؟ سيفرو؟».

يتراجع ويمسحُ المخاط مِن أنفه، ممّا يجعل وجهه مُتّسِخاً. تترك الدموع خطوطاً في الطين وهو ينظر إليّ، صوته حادٌّ كصوت طفل: «دوماً يا دارو، دوماً».

# 41

# أخيليس

لا وقتَ للحزن. هَلِكت مُعظَم قوّاتي، علينا أن نُقسِّم أنفسنا أكثر. جيشي خارج المدينة يهاجم الجدران المنيعة، متوقّعاً المساعدة مِن الداخل. لم يتلقّوا شيئاً. سيقوم قادتي الليغاتيّين بإرسال إشارتي، متسائلين عمّا إذا كنتُ قد متّ. مثل هذه الإشاعة قد تجعلنا نخسر المعركة.

أُرسِل راغنار مع مَن بقِيَ مِن السبجيّين ليفتحوا إحدى بوّابات الجدار لقادتي الليغاتيّين الذين ينتظروننا مع قوّات احتياط مِن آلاف الرماديّين والسبجيّين.

– «لن أعطيكَ أيّ ذهبيّين». أُخبِر راغنار: «هل تفهم ما يعني ذلك؟».

– **أفهم.**

– «يمكن أن تكون هذه بداية». أقول بهدوء. أنحني، وألتقطُ شفرةً مرميّةً مِن قلب الطين المتشرّب: «إنّه لمن واجب الرجُل أن يختار مصيره. اختر مصيرك». أناوله الشفرة.

ينظر راغنار إلى السبجيّين. دروعهم مُهشَّمة ممزّقة نتيجة انتزاعهِم مِن بِدَلهم. وهم مغطّون بالطين. أصغر منه. بعضهم رشيق وصامت، وبعضهم

الآخر ضخمٌ ويتنقّل مِن قدمٍ إلى قدمٍ بلهفة. جميعهم بعيونهم السوداء وشعرهم الأبيض. يُسلِّحون أنفسهُم بأسلحةٍ مأخوذة مِن الرماديّين والسبجيّين الذين قتلتهُم.

بالكاد يكفي الجميع، ولن يكونوا ذوي فائدة كبيرة إن واجهوا الذهبيّين.

راغنار يختار ويمدُّ يده. العوّاؤون يُعِدُّون أنفسهُم مِن خلفي، لا تزال الشوكة تنظر إليه نظرةً شريرة. «**أختار أن أتبعكَ**». يقول. «**وأنا أختار أن تقودهُم**».

أضع الشفرة في يده.

- «دارو!». الشوكة تشهق: «ماذا تفعل؟».

- «اسكتي!». يصرخ سيفرو.

- «لا يمكنه فِعلُ ذلك». الشوكة تتقدّم بخطواتٍ متثاقلةٍ، وتحاول انتزاع الشفرة مِن يد راغنار، لكنّه لا يتركها: «تخلَّ عنها. يا عبد، أعطني النصل». تستلّ شفرتها: «أعطني النصل، أو سأقطع اليد التي تحمله».

- «عندها سأقطِّعُكِ إرباً يا شوكة». يسخرُ سيفرو.

- «سيفرو؟». تستدير الشوكة نحوه، عيناها متّسعتان. تنظر إليّ، إلى العوّائين الآخرين الذين يقفون صامتين، غير متأكّدين ممّا حدث للتو: «هل جُننت؟ إنّ هذا ليسَ مِن حقّه. إنّه حقّنا. هو لا...».

- «يستحقها؟». يسأل سيفرو: «مَن أنتِ لتقرّري ذلك؟».

- «أنا ذهبيّة!». تصرخ: «مُهرِّج، حصوة...».

تبقى الحصوة صامتة. يحني المهرّج رأسه: «دارو، ما هذا؟».

- «إنّه جيشي». أقول: «تتذكّرين المَعهد. تتذكّرين كيف نزفتُ مِن أجل

مَن يتبعني. كيف أنّي لا أقبل ولاء العبيد. لماذا الآن أنتِ متفاجئة مِن هذا؟ لأنّه حقيقي؟».

- «إنّهُ وَضعٌ حرج، هذا كل شيء». ينظرُ المهرِّج إلى الحرب مِن حولنا: «حتّى هنا».

- «أنتَ على حق. إنّه كذلك». أنحني وأجد شفرةً أخرى مُلقاةً في الطين. أرميها إلى سبجيٍّ آخر، إنّها امرأةٌ ذات مظهرٍ شرّير وبنصف حجمي. تُمسِكها كما لو كانت ثعباناً، مُحدِّقة إليَّ بخوف. لقد تربّوا على الاعتقاد بأنّنا آلهة. إن أعطوني مطرقة ثور... كيف كنتُ لأحملها؟ يسير سيفرو بين الجثث ويعثر على عددٍ منها. يرميها للسبجيّين.

- «لا تجرحوا أنفسكم». يقول.

- «أعتمدُ عليكُم. هيّا اذهبوا». أقول لهم. يختفون، يركضون إلى الظلام المتزايد نحو الجانب الخلفي مِن الجدار الضخم. ألتفتُ نحو العوّائين: «هل مِن مشكلة؟». يهزّون جميعاً رؤوسهم بسرعة، باستثناء الشوكة.

- «شوكة؟». يسأل سيفرو.

ينكزها المهرِّج. وعلى مضضٍ تهزُّ رأسها: «لا مشكلة».

هنالكَ مشكلة. لن تتبعني بعد هذا. بالفعل أشعرُ أنّ أصدقائي يبتعدون عنّي. وهم حتّى لا يعرفون ولو جزءاً صغيراً مِن الحقيقة. هذه مشكلة لوقتٍ آخر.

يجب أن نتحرّك بسرعة. لكنْ لا يوجد لدينا سوى زوجٍ واحدٍ يعملُ فقط مِن الأحذية الثقاليّة. أعطيه لسيفرو. نحاول معرفة ما إذا كان بإمكانه حملنا مثلما حملتُ العوّائين إلى الأوليمبوس، لكن حالما نحملُ الأحذية،

تُصدِر أصواتاً وتُخرج شرارات. يمكنها فقط تحمُّل وَزنِه. تضرّرت بطريقةٍ ما خلال القتال والإنقاذ. اللعنة!

إذنْ سيكون الأمر مشياً على الأقدام. ولا يمكن أن نتأخّر.

أشير إلى الصفيحة الصادّة لأولئك المحظوظين بما يكفي لامتلاكها بعد نزع القذيفة النجميّة عنهم: «انزعوا الدروع».

- «ماذا؟». تتلعثم الشوكة.

- الدروع، انزعوها. باستثناء الجلد الخنفسائي.

- «بدون دروع ضدّ الحرس البريتوري؟». تعوي الشوكة: «هل تريدنا أن نموت جميعاً؟».

- علينا أن نتحرّك بسرعة. إذا سقط الدرع الواقي قبل أن نصل إلى القلعة، فستتمكّن الحاكِمة المعظَّمة مِن الهرب. إن لم نأسرها سيكون لديها فرصة لإعادة تجميع قواها. ستنضمّ إلى فارسِها سيِّدِ الرماد. ستستدعي كل الجمعيّة، وسوف يأتون إلى هنا بأعدادٍ تفوقنا بأضعاف مضاعفة ليسحقونا. سنفوز بمعركة، ونخسر الحرب.

- «ولكن إن قبضنا عليها...». يزمجر سيفرو، ويأتي إلى جانبي.

- «نحن نتحدّث عن الحاكِمة المعظَّمة». يقول المُهرِّج: «سيكون معها حرسٌ بريتوري مِن الفرسان الأولمبيّين...».

- «وإن يكن؟». يسأل سيفرو: «نحن لدينا أنفسنا».

- «ستّة منّا». يهزُّ المهرِّج كتفيه مرتبكاً عندما ننظر إليه: «فقط فكَّرتُ بأنّ على أحدنا أن يشير إلى ذلك».

- «لدينا خمسة عشر كيلومتراً لنقطعها سيراً على الأقدام». أقول.

يهزّون رؤوسهم: «واكِبوا خطواتي». ثمّ يتبادلون نظرات القلق ويبدأون بخلع دروعهم: «إذا تخلَّفتَ عن الركب، فابحث عن مكانٍ للاختباء». جاذبيّة تعادل ثلث جاذبيّة كوكب الأرض. أجساد في لياقة مثاليّة. مع ذلك سيكون الأمر صعباً، خاصّةً مع ذراعي التي مزَّقتها شفرتي.

يقتربُ سيفرو منّي بينما ينزع العَوّاؤون دروعهم. أسمع رعبهم في رنين الأسلحة والدروع التي يحرّكونها بأيدٍ مرتجفة، وأرى ذلك في الطريقة المحمومة التي يَفركون بها الطّين على وجوههم ليجعلوها ذات مظهرٍ أسود.

- «كانوا معكَ منذ البداية يا دارو». يتفحَّصُ سيفرو الحديقة وسط الجوّ العاصف، والقلعة البعيدة، وضجيج السفن المارّة: «عددنا الآن نِصفُ العدد الذي أخرجكَ مِن لونا. قد تكون استبدلتَ راغنار بباكس، لكنْ لا يمكنكُ استبدالهم، أو استبدالي».

- ظننتُ أنّكَ معي.

- أنا ضميرك؛ أتبعُ مؤخّرتكَ في كلِّ مكان، فلا تكن أحمق.

- «هل هذا مفهوم!». أصرخ.

نُزِعت الدروع، ننطلق بصمت. معنا شفراتنا والجلد الخنفسائي فقط. ننتعل واقيات للأحذيّة ذات نعلٍ مطّاطي بدلاً مِن الأحذية الثقاليّة. نسير على طول النهر، تاركين الجدار وراءنا. نركض عبر مساحاتٍ شاسعةٍ مِن الحدائق العشبيّة والغابات التي تفصل الجدار عن المدينة بينما تدور رحى الحرب المدرّعة مِن بعيد. تهدر السفن في أثناء مرورها، ممّا يجعل أغصان الأشجار ترتجف وتتساقط الأوراق. بعيداً إلى يميننا تلمعُ عربات الترام الأرضيّة، وهي تنقل الجنود إلى الجبهة. الانفجارات تتصاعدُ مِن

بعيد. تملأ الغيوم السماء وراء الدرع الواقي العظيم الذي يغطّي المدينة، وتومض الانفجارات داخل الغيوم.

يجب أن تكون موستانغ الآن قد أصبحت قريبةً مِن مولِّدات الدرع الواقي، إن كانت لا تزال على قيد الحياة.

إنّها لوتيرة مُرهِقة، أن تقطع خمسة عشر كيلومتراً بالركض. أشعر بطعناتٍ مؤلمةٍ في جانبي. العضلات تتوق إلى الأوكسجين. وذراعي اليمنى تؤلمني مِن جرح الرصاصة اللّعين في عضلة العضد والتمزّقات التي تنزف على الساعد والمعصم. أخذت نصف علبة من المنشّطات، لذا أستطيع استخدام الذراع. الألم لا يعميني. إنّه يزيد مِن تركيزي، يمنعني مِن التفكير في الموت.

عندما نصل إلى حافّة الغابة، لا نتوقّف للراحة، بل نركض نحو شوارع المنطقة التجاريّة المعبّدة، ونعبر المباني التي ترتفع لأكثر مِن كيلومتر في السماء. نركض عبر الضواحي الدُنيا القاحلة، والبازار حيث تقودنا الممرّات المتعرّجة عبر الشوارع الوعرة والجدران الملطّخة بالرسومات. بنيّون، أو زهريون، أو حُمر يظهرون لنا بين الحين والآخر، ويبتعدون عن طريقنا، أو ينظرون إلينا عبر النوافذ، مِن الأزقّة. حتّى هنا، في مركز حُكمِهم، أرى الرسوم الجداريّة التي تمثّل موت إيو. شعرها مُلتَهب مثل المقاتلين الجرحى الذين يخترقون السماء وراء الدروع الواقية الشفّافة لأجيا. يتقيّأ أحدهُم خلفي. إنّهم لا يتوقّفون. رائحة العُصارة الصفراويّة ترافقنا.

يطير سيفرو عائداً إلينا ويهبط بجانبي: «فَصيلٌ مِن الرماديّين أمامنا. اذهبوا جنوباً لمسافة مربّع سكنيّ واحد، ثمّ عودوا لتجنّبهم». ثمّ يرحل مرّة أخرى. نَتّبع تعليماته.

فجأةً، هنالك حركة في السماء فنبطئ مِن ركضنا كي نشاهد. تستغلّ الحصوة الفرصة لتنهار على الرصيف، صدرُها يتموَّج لاهثاً. فوقنا بعلوٍّ كبير، ولكنْ لا يزال تحت الدرع الواقي، تتحرّك مجموعة مِن المركبات لنقل الجنود مِن مناطق الاشتباك الصغيرة على الجدار الجنوبي، حيث يقاتل لورن، نحو الجدار الشمالي حيث ذهب راغنار وسبجيّوه. تغادرُ عشرات المركبات الممتلئة بقوّات الاحتياط أرصفتها في الحظائر والموانئ التي تكسو شرقاً وغرباً الجدران الصخريّة بارتفاع سبعة كيلومترات لوادي مارينر. تقع معظم الثكنات هناك، وكذلك المصانع حيث يعمل الحمر العلويّون كالعبيد لصنع الأسلحة والبضائع الاستهلاكيّة. نختبئ مِن المركبات. حدث شيء ما عند الجدار الشمالي. نتابع المسير. الحصوة تئنّ وتشتكي. الشوكة ترفعها، تحافظ على استمرارها.

يعود سيفرو لينضمّ إلينا بعد عدّة دقائق، وذراعه اليسرى متدلّية بلا حراك إلى جانبه. أُمعن النظر فيها، لكنّه يتجاهل قلقي. «راغنار فتح البوّابات المتبّبة». ابتسامة ترتسم على وجهه: «اثنتا عشرة منها في واجهة الجدار. رجالنا يتدفّقون إلى الداخل. و...».

يقف مبتسماً ابتسامة عريضة.

- وماذا بعد؟

- وراغنار قتل فارس الرياح وكاد أن يجهز على كاسيوس.

- «فارس أولمبي؟». يشهق المهرِّج.

- أجهزَ عليه أمام الجيش بأكمله. السبجيّون في الجيش قد جُنَّ جنونهُم.

ثمّ يغادر سيفرو ونواصل المسير. تعترضنا فرقة مِن رجال الشرطة

الرماديّين. نحتمي بينما نيرانهم تترك آثاراً كالبثور على الأرصفة، ثمّ نحيد إلى زقاقٍ لتجنّبِهم.

تبقّى لنا أربعة كيلومترات حتّى نصل إلى وجهتنا.

نسعل ونلهث بينما نسير بخطى متثاقلة نحو أطراف أراضي القلعة. نختبئ بين الأشجار هناك مثل قطيعٍ مُرهَقٍ مِن الشياطين المتشرّدة. مِن خلال صفّ خفيف مِن الأشجار وعبر جدار عالٍ، تقف القلعة كشبكةٍ مِن الأبراج. ليست ذهبيّة، بل بيضاء مشوبة بالأحمر، وما زالت مزيّنة بتماثيل أُسودِ أوغوستوس، على الرّغم من أنّ رايات بيلونا الزرقاء والفضيّة ترفرف في النسيم فوق دوّارة الرياح التي على شكل أسد. النسر الفضي يبدو فخوراً إلى أن لوّح لنا سيفرو مِن أعلى دوّارة الرياح وقطع إحدى الرايات. لم يتوقّعوا أن يصل أحد إلى هذا الحد.

إلى جانب جمالها، تمثّل القلعة أيضاً حصناً لا أريد أن أشتبك معه. سنقاتل مِن غرفةٍ إلى أخرى، وعلى افتراض أنّها ليست خاليةً تماماً مِن الجنود، فإنّنا سنُهزم ونحاصر ونتراجع إلى أن نبلغ جدرانها الثمينة المصنوعة مِن خشب البلوط الأحمر، ونُقتل على أرضيّاتها الرخاميّة. إنّها ليست محميّة بدرعٍ واقٍ، لكنْ هنالك شبكة مِن المخابئ المحصّنة توجد تحتها. كنتُ قلقاً مِن أن يكون هذا هو مكان تأمين الحاكِمة المعظَّمة. إنْ هي وُجدت هناك، سيتحوّل هذا إلى حصار. ستمرّ أيّام قبل أن نحفر ونخرجها، إن تمكنّا مِن ذلك أصلاً؛ لذا أمنحها ممرّاً للهروب. كل شيء يقع على عاتق موستانغ: الدرع الواقي يجب أن يُعطَّل في الوقت المناسب، مُرغِماً إيّاها على المغادرة.

جدار مزخرف، الذي عادةً لا يتطلّب تجاوزه سوى قفزةٍ بسيطةٍ

بالأحذية الثقاليّة، يحجبنا عن أراضي القلعة الصامتة. الحدائق تحيط بنا مِن كل جانب. أشجار. نوافير. الساحات البيضاء حيث كان الذهبيّون والفضيّون يتناولون شاياً بعد الظهر، باتت الآن فارغة. صمتٌ كبير هنا في عين العاصفة. يهبط سيفرو لينضمّ إليّ.

– «هل تستطيعُ رفعنا فوق الجدار؟». أسأله.

– «هذا الشيء على وشك أن يفرغ مِن الطاقة». يتذمّر: «دعنا نحاول». نعانقُ بعضنا ويرفعني في الهواء، ينقبِضُ متألماً ومحاولاً حماية ذراعه اليسرى. الحذاء يفرقع وينتفض مُصدِراً شرارات. نهوي مرّتين لنجد أنفسنا على قمّة الجدار. أجلس بينما يهبط سيفرو مرّة أخرى إلى الأسفل ليحمل العوّاء التالي. بعد لحظات، يظهر رأسه على قمّة الجدار للحظة، ثمّ يختفي مع تصاعد الشرارات والطنين مِن حذائه الثقالي. مع آخر فرقعة ميكانيكيّة، يتعطّل الحذاء ويسقط سيفرو مع العوّاء لمسافة عشرة أمتار إلى الأرض.

ينطلق دويٌّ هائلٌ مِن الجهة المقابلة للمدينة. يتصاعد الدخان بعيداً.

لقد فعَلَتها موستانغ.

في الأعلى، الدرع الواقي شبه الشفّاف الذي يفصل هذا العالم عن عالم السفن يتعطّل. يتموّج مُشوّهاً النيران في المدينة، والصواعق في الأعلى مثل مرآةٍ معيبة، ثمّ يتهشّم إلى ضباب منشوري، أو بالأحرى يتهشّم ثُمنُه فقط؛ فتنهمر سيولٌ مِن المياه المحبوسة في هذا الجزء مِن المدينة وكأنّها كتلٌ رماديّةٌ هائلة.

– «لم تنجح!». تصرخ الحصوة مِن الجانب الآخر مِن الجدار.

لا، لقد نجحت. واحدةً تلو الأخرى تنهار الوصلات التي تولّد الدرع

الواقي. إنّها سلسلةٌ مِن التفاعلات تتسبّب أخيراً بسقوط كتلٍ ضخمةٍ مِن مياه العاصفة على أجيا. روكي، في حال كان منتصراً، سيطلقُ التعزيزات. المدينة بحُكمِ الساقطة. ومن المؤكّد أنّ الحاكِمة المعظَّمة يجري إخراجها الآن مِن المخابئ المحصَّنة بوساطة حرّاسها الشخصيّين للهروب مِن الكوكب الضائع. لكن مِنصَّات المركبات لا تزال على بعد كيلومترين على الجانب الآخر مِن أراضي القلعة. كان مِن المفترض أن يكون كلُّ هذا مُختلفاً. كان ينبغي أن أكون في درعي، وخلفي مئة سبجيّ، وعشرة مِن أفضل الذهبيّين لدي. بدلاً مِن ذلك، أقود زمرةً مِن أصدقائي إلى طاحونة لحم. أحتاج إلى تغيير المنظور الفكري، لكنّني لن أخاطر بهم. أنظر لأسفل الجدار إلى سيفرو، الذي يُميّز فوراً النظرة التي في عيني.

– «لا يا دارو». يقول: «فكِّر في مهمّتك!». يتوسّل إليّ، يقفز ويخدش الجدار بينما أستدير مبتعداً: «لا تفعلها يا دارو. انتظر! سيقتلونك!».

أهبط على الجانب الآخر مِن الجدار إلى حدائق القلعة.

بعض الرجال يمتلكون خيوط حياةٍ قويّة لدرجة أنّهم يمزّقون ويقطعون تلك التي مِن حولهم. لقد دفع الكثير مِن أصدقائي ثمن حربي. هذا سيكون على عاتقي وحدي.

– «دارو!». يصرخ صرخةً مروّعةً يائسة: «توقف!».

أركض أسرع مِن أيّ وقتٍ مضى في حياتي. لن تهرب الحاكِمة المعظَّمة منّي. فعلت كل هذا لأمسِكَ بها. بأسرِها، تتحطّمُ الجمعيّة. بأسرِها، تتهيّأ الساحة. سننهض. يمكننا أن نفوز. أقفز فوق صفوف مِن الشجيرات، وأركض حول النوافير، وأخترق شجيرات الورود. الدم ينزف مِن ذراعي. لا أشعر بجسدي. أطير فوق الأرض. نصلٌ منجليٌّ في يدي.

هناك.

ألتفتُ حول زاوية القلعة. وراء حديقة الورود تكمن ساحةٌ بيضاء ملطّخةٌ بالسواد مِن محرّكات اليخوت الشخصيّة. أربع سفن وحيدة تقف في منطقة الهبوط التي يمكن أن تستوعب مئة منها. جميع السفن سوداء مع هلالٍ ذهبيٍّ كبيرٍ على هيكلها العريض، لكن أثقلها، تلك التي بمحرّكات أكبر وهيكل مدعّم، هي سفينة الحاكِمة المعظَّمة. الأخرى مجرّد تمويه، لكنّها تقريباً بالشحن نفسه، والتدريع نفسه. في الهواء، لا يمكن تمييزها.

لا شكّ أنّني شوهدت على أجهزة الاستشعار. الجَوّاسون الرماديّون آتون للنيل منّي. الحرّاس السبجيّون أُطلِقوا مِن بعض الثكنات المخفيّة لقتلي. لن يمسكوا بي إلّا إذا توقّفت. حتّى وأنا أتفحّص المِنصَّة، لا أبطئ مِن تقدّمي. يتحرّك البرتقاليّون منهمكين حول السفن السوداء، يحضرونها للإقلاع. لم أتأخّر كثيراً، لكنّ باب القلعة أقرب إليّ مِن السفينة بكثير.

يخرجون بعجلة. لا أتمكّن من رؤيتها. فقط أقبية أرجوانيّة تتلوّى تحت المطر والرياح. يحنون رؤوسهم في مواجهة رياح العاصفة، ينظرون إلى الأعلى إلى السماء حيث آثار دخول المطر الحديدي تتوهّج خلف العاصفة، جاعلة الغيوم السوداء تبدو وكأنّها فولاذٌ يسخن ببطءٍ في الفرن. عمالقتي قادمون.

يهرع الحرس البريتوريّ راكضاً ليصعد رصيفاً طويلاً إلى جوف السفينة مع الحاكِمة المعظَّمة. ألتقطُ ملامح وجهها بينما تنحني نحو جوف السفينة. أرى أجا بين حاشيتها، وكارنوس، وفيتشنير، ذلك القبيح، ابن العاهرة الخائن. أركض على نحوٍ أسرع. ساقاي مخدّرتان مِن التّعب. رئتاي تؤلماني. كلُّ ما لدي، أضعه في هذه اللّحظة. حياتي في المناجم،

ساعات المعاناة مع هارموني، الفظائع في المعهد. كلُّ الحبِّ الذي حصلتُ عليه وفقدته وما زلت أتمنّى أن أعيش مِن أجله، أجعله يلتهب في داخلي.

نصف الحاشية تنتظر على أرضيّة المنصّة، تُركوا لمراقبة السفينة في أثناء توهّج أضوائها وتشغيل محرّكاتها. سفن التمويه الأخرى تُقلِّد حركاتها. يلتفت ذهبيٌّ مِن آل بيلونا لدى اقترابي. عيونه تلمع متّسعةً، فأضربه في أثناء الركض ليُطلِق نصف صرخة. المزيد يلتفتون—نساء، رجال، محاربون، سياسيّون، ذهبيّون وفضيّون أميّزهم مِن الأيّام التي قضيتها إلى جانب أوغوستوس.

إدراكهم لوجودي يأتي على شكل موجات. مِن المفترض أن يكون العدوّ عند البوّابات، وليس بينهم، لذا يجفلون عند رؤيتي. وعندما يستجمعون وعيهم، أكون قد تجاوزت أيديهم المدرعة بالفعل. أتجنّبُ قبضة رماديٍّ ممدودة، وأخطف كيس ذخيرةٍ صغيراً مِن خصره. أضرب إلى الخلف، وأصيب جسداً.

صيحات. الارتباك يسودُ في أثناء الإمساك بالشفرات. طلقات وانفجارات نبضيّة تمرّ بسرعةٍ قرب رأسي. يتراجع رصيف السفينة بينما تبدأ في الارتفاع.

أصرخ وأقفز بأكبر قوّة امتلكتها يوماً. تمسكُ يد ذراعي اليمنى المصابة بحافّة الرصيف. عيوني تكاد تخرج مِن رأسي بسبب الإجهاد والألم في أصابعي. تستمرّ السفينة في الارتفاع. هدير المحرّكات يغمرني، يهزّ قلبي داخل أضلاعي. يستمرّ الرصيف بالانغلاق. أزفر بيأسٍ وأتأرجح نحو الأعلى، بزاويةٍ صعبةٍ وغريبة، لكنّها ممكنةٌ في الجاذبيّة المنخفضة.

أتدحرج إلى الأمام داخل العنبر وأركع، أتنفّس بصعوبة، ونصلي المنجلي على الأرضيّة. يتلاشى صوت المحرّكات مع إغلاق الباب وضغطه. كلّ ما أسمعه هي أنفاسي المتقطّعة وهدير المركبة القاتلة، وهي تشقُّ طريقها للهروب.

أنظر إلى الأعلى.

# 42

# موت الذهبيّ

ستّة مِن الحرس البريتوري بتدريعهم الكامل يراقبونني. كارنوس مِن بينهم، وأجا، وفيتشنير بجسمه الممتلئ، وعيونه التي تتّسع عند رؤيتي. الحاكِمة المعظَّمة تقف أمام حرسها البريتوري، إنّها طويلة، ولكن بالكاد تصل إلى أكتافهم.

اللعنة! لم أكن أعتقد أنّهم جميعاً لا يزالون في العنبر.

– «دارو؟». يكاد فيتشنير يتأوّه.

– «ماذا؟». يضحك كارنوس، وينظر مِن حوله ليرى إن لحظ الآخرون كم هي مضحكة تلك الهديّة التي سقطت توّاً في أحضانهم: «ماذا؟... أندروميدوس، مِن أين جئت؟ يبدو وكأنّ جوف(*) نفسه قد رمى بك إلى هنا».

أبقى على ركبتي، ألهث، يتساقط منّي الدم، والمطر، والعرق، والطين.

– «يمكننا الاستفادة منه كرهينة». يقول فيتشنير بسرعة بينما ترتفع السفينة في السماء.

---

(*) اسم آخر لجوبيتر إله السماء والرعد عند الرومان. (المترجم)

- «لا». تجيب الحاكِمة المعظَّمة: «أخيليس لم يكن ليُفدى أبداً، لأنّ وقوعه في الأسر يفقده ما يجعله أخيليس». تتأمّلني ببرود للحظة. أبصق بلغماً على الأرض: «أجا، اقطعي رأسه».

أجا تتقدّم نحوي بخطوات موزونة: «ولدٌ غبيّ. بلا أصدقاء. بلا جيش. بلا أمل».

أضحكُ ضحكةً مكتومةً مكفهرّة: «مَن يحتاج إلى الأمل عندما يمتلك قنبلة نبضيّة؟».

أرفع الذخيرة التي انتزعتها مِن حزام الرمادي. يتراجعون إلى الخلف.

- «ماذا تريد يا أندروميدوس؟». تسأل الحاكِمة المعظَّمة ببطء.

- إثبات بأنّكِ لستِ مَنيعة. اجعلي هذه السفينة تهبط.

تبتسم أوكتافيا وتتحدّث عبر جهاز اتّصالها: «يا طيّار، استدر».

ينفّذ الطيّار مناورة لفّة البرميل. من دون أحذيةٍ ثقاليّة، أفقد توازني، وأرتطم بالسقف، ثمّ أعود إلى سطح الأرضيّة، موقعاً القنبلة. يتسمّر أعدائي في أماكنهم. تركل أجا القنبلة النبضيّة خارج فتحة العنبر. تنفجر بعيداً في الأسفل.

أنظر خارجاً إلى اللّيل، حيث تختفي للتوّ خطّتي.

- «الكبرياء». تبتسم أوكتافيا: «أعتقد أنّه يجعلنا جميعاً أغبياء».

آخذ وقتي في النظر إليها، مدركاً كم كنت غبيّاً لأفكّر أنّني أستطيع التحكّم في جميع المتغيّرات، والآن لقد أخطأت.

- «لن تهربي». أقول.

- «أنتَ تعلم أنّني سأفعل. وإلّا لماذا خاطرتَ بالقفز إلى سفينتي؟».

تومئ لأحد الفرسان الأولمبيّين، وصوتٌ متذبذبٌ عالٍ غريبٌ ينتشر عبر الهواء مرّتين قبل أن يخمد. عباءة شبحيّة. تكلفتها باهظة جدّاً لتغطّي السفينة بأكملها. لن يأتي أصدقائي لإنقاذي.

تلتفت أوكتافيا إلى فيتشنير: «فارس الغضب، هل لديك نانو كاميرا؟». يهزُّ رأسه، ويخرج خاتماً: «صوّر أجا، وهي تقتل الحصّاد».

يصبح وجه فيتشنير شاحباً.

– «دعيني أقتله». يتوسّل كارنوس: «يا حاكِمتي المعظَّمة، دعيني أقتله مِن أجل عائلتي. هذا حقّي».

– «حقُّك؟». تسأل بدهشة: «عائلتكَ تسبّبت لي بخسارة المرّيخ. لا حقوق لديك».

– «سيكون مِن الأفضل أن يبقى أسيراً». يقترب فيتشينر مِن الحاكِمة المعظَّمة: «دعيني أتحدّث معه. إنّه تلميذي. كنتِ ستجعلينه يخدمكِ فيما مضى يا أوكتافيا. دعيه يرتدُّ ويخدمكِ مرّة أخرى. سيظهر ذلك عظمة قوّتكِ—أنّكِ تستطيعين العفو حتّى عن شخصٍ تافهٍ وضيعٍ كهذا».

تلتفت الحاكِمة المعظَّمة ببطءٍ لتنظر إلى فيتشنير، متفحّصةً إيّاه. ويُدرِك أنّه ارتكب خطأً: «أجا، انتظري». تبتسم: «أريد مِن فيتشنير أن يقتله».

الرجُل القبيح يفتح فمه مذهولاً. إنّها واحدةٌ مِن المرّات القليلة التي أراه فيها عاجزاً عن الكلام.

– «اقتل تلميذك». تقول الحاكِمة المعظَّمة: «أم أنّك لستَ مخلصاً؟».

– بالطبع أنا مخلص. لقد أثبتُّ ذلك مسبقاً.

– إذن أثبت ذلك مرّة أخرى. أحضر لي رأسه.

– يجب أن يكون هناك طريقة أخرى.

- «لقد ألَّبَ ابنكَ عليك». تقول أوكتافيا: «وأنتَ تعرف أنّني لا أحتفظ على مقربةٍ منّي بأشياء لا أستطيع الوثوق بها؛ لذا اقتله».

- «نعم يا مولاتي». وجه فيتشنير ينقبض مِن شدّة التركيز. هناك دوّامة غريبة مِن الحزن في عينيه البرونزيّتين. هل مِن الفظيع جدّاً رؤية تلميذه المميّز يموت؟ أم الأمر مُتعلّق بكوني صديق سيفرو؟ أم أنه قلقٌ على سيفرو؟

- «سيفرو حي». أخبره: «لقد نجا مِن المطر».

يومئ متشكّراً ويلمس شفرته، ثمّ يتعثّر بعد أن دفعه كارنوس جانباً. يهاجمني ابن بيلونا الضخم. فمه متجهّم ممتلئ بالكراهية، وكتفاه الضخمتان محميّتان بدرعٍ يُظهِر عظمة عائلته. يصيحُ مزمجراً باسمي.

يوهمني بالهجوم نحو الأعلى، يلفّ الشفرة على نحوٍ مائلٍ نحوي، سريع كالأفعى. أنقلب جانبيّاً إلى الأمام، داخل معظم نطاق الضربة، وأقحم شفرتي في معدته. أترك النصل وأدور لأصبح خلفه بينما ينهار على ركبتيه: «ارتفع في الأعالي، لترقد في الطين». أهمس بينما أسحب نصلي مِن ظهره مِن طرفه الحاد وأقطع رأسه.

يركض أحد الحرّاس البريتوريّين نحوي. ألقي بشفرتي نحوه. تخترق صدره ويسقط على الأرض. أخرج نصلي مِن صدره وأتراجع متعثّراً بعيداً عن الحرس البريتوري المتفرّج.

- «حمقى!». تتمتم الحاكِمة المعظَّمة.

- «هل أواصل تصوير هذا؟». يحكّ فيتشنير رأسه.

تهتزُّ السفينة مرّة أخرى وتميلُ بشدّة قبل أن تستقيم. تضطرب رؤيتي وأتعثّر لأقع على ركبتي. يدي على سطح الأرضيّة. أحاول أن أستعيد

توازني. أشعر بدفءٍ جديدٍ يتدفّق نحو الأسفل على ظهري ومعدتي. لن أركع. ليس لها. ليس لطاغية. لا أقف بثبات. تمكّنت من تفادي معظم ضربات كارنوس، لكن ليس كلها. الدم يتدفّق مِن بين رقبتي وكتفي الأيسر حيث وَجدَت شفرته منفذاً لها. اخترقَت عظم ترقوتي. جسدي يترنّح.

– «يا له مِن عرض!». عيون أوكتافيا لونا الذهبيّة الباردة تفحص الجرح في رقبتي: «تخيّلي هذا الصبي مَصقولاً في عائلتي يا أجا». تهزّ رأسها وتنظر إليّ بعدم فهمٍ تام. تلحظ جروحي الأخرى. دمي. إرهاقي. شبابي. ومع ذلك، فعلتُ كل هذا. جثّتان عند قدمي. مدينة اجتيحت مِن ورائي. ومدن أخرى قد استوليَ عليها في جميع أنحاء المرّيخ. أسطولي يسحق أسطول بيلونا. الجمعيّة على وشك الانهيار. إنّها لا تفهم، ولن تفهم أبداً. لكنّ فيتشنير يبدو أنّه يفهم. عيونه شاردة. يداه مشدودتان.

– «ليسَ بوِسعكِ صقلي». أتمتم. فقط الحمر يمكنهُم ذلك، فقط العائلة، فقط الحب، أعطاني هذه القوّة، لكنّ القوّة تتلاشى الآن، ثمّ تندفعُ أجا إلى الأمام. نتبادل ثلاث حركات قبل أن تضرب نصلي وتُسقِطه جانباً وتضربني بقبضتها على صدري بقوّة تجعلني أعتقد أنّني ميّت. تضربني بقوّة على السقف مثل دميةٍ بالية. وعندما تنتهي، تعاود الانضمام إلى الحاكِمة المعظَّمة، وأنا أتأوّه وأغرق في الألم.

– «أحضِر لي رأسه يا فيتشنير». تأمر الحاكِمة المعظَّمة.

ينظر إليّ فيتشنير بعجزٍ، ويمدّ يده، حتّى يكاد يلمِسُ يدَها: «يجب أن نصور إعدامه مِن أجل مُكعَّب العَرضِ المجسَّم. بروباغندا. شنق كامل. موت رسمي».

– «فيتشنير...». ترتفع حواجب الحاكِمة المعظَّمة كي يسحب فيتشنير

يده: «كفى!». تعمل عضلات فكّها في أثناء تفكيرها: «أريد زواله. لا مزيد مِن المتغيرات. الآن. احتفظ بالرأس مِن أجل الرمح. سنصوّر ذلك».

عيون فيتشنير الخرزية تفيض بالحزن. وُلِد بأدنى مكانة مِن بين الذهبيّين، لكنه ارتقى إلى القمة بفضل كفاءته فقط. يا له مِن رجل. كيف ظننته ضعيفاً يوماً ما.

هنا، عندما تنتهي الأمور، أعلم أنّنا سنفوز بالمرّيخ. سيُحرّر أوغوستوس. ستستمر الحرب. سيضعفُ الذهبيّون. وسيتمرَّدُ الحُمر. ربّما، وفقط ربّما، سينتفضون ويعثرون على الحريّة. لقد فعلتُ ما طلبه أريس. خلقتُ الفوضى. البقيّة على عاتق رجال ونساء آخرين. ستكون إيو مبتهجة.

أبتسم بلطفٍ وأشعر بالضعف في ساقيّ. أنا متعب. أنا على ركبي. متى وصلت إلى هذا الوضع مجدّداً؟ لا يهمّني. كم سيكون لطيفاً أن أستريح في الوادي بينما يقوم الآخرون بإنجاز حلم إيو! فقط أتمنّى لو أنّي رأيت موستانغ قبل النهاية. أخبرتها مَن أكون، حتّى تفهم أخيراً.

- «صبيُّكَ لمعَ نجمهُ بشدّة، وخبا بسرعة». تقول أجا لفيتشنر مِن مكانٍ يُخيّم فيه الظلّ على رؤيتي: «احتفظ بالرأس، لكن يمكنك إلقاء الجثّة في التربة بالطريقة المريخيّة».

تعيد أجا فتح رصيف الإلقاء. يُصدِر المعدن أنيناً. أشعر بهواء الوادي على وجهي. أشعر برطوبة الضباب. رائحة المطر. سأغفو. قريباً سأستيقظ بجانب إيو. سأستيقظ في سريرنا الدافئ، يدي متشابكة في شعرها. سأستيقظ في الحبّ وأعرف أنّه في العالم السابق، بذلت قصارى جهدي.

مع ذلك سأفتقدكِ يا موستانغ. أكثر ممّا اعترَفتُ به حتّى الآن.

الضباب والظلال تملأ رؤيتي. للحظة، تجعلني رائحة الصدأ أعتقد أنّني في المنجم. هل أنا نائم؟ أسمع أحذية معدنيّة. رجُل يسير في الضباب. لا أستطيع رؤية وجهه، لكنّه يثير شيئاً ما في داخلي. أبي؟ لا، ليس أبي. أُحدِّق بعينين نصف مغمضتين.

- العم نارول.

- لا. إنّه فيتشنير يا ولد.

صوته يجذبني بعنفٍ ليعيدني إلى داخل عنبر السفينة. مثل خطّاف صيدٍ يمزّق الحرير في اتّجاه لا يرغب في الذهاب إليه.

- «أوه! أنا سعيد لأنك أنت». أقول بهدوء، أجد ما يكفي مِن القوّة لرفع رأسي الثقيل قليلاً لأنظر في عيونه. تملؤها الدموع. يسعل مع ضحكة. الرياح تعصف خلفي. ليس الوادي. المرّيخ فقط. ليس ضباباً. السحب فقط. الرصيف مفتوح كي يتمكّنوا مِن دفع جسدي إلى الخارج. أخبرت أركوس بأنّني لم أُخلَق يوماً ليكون لي شعرٌ أشيب.

ينخفض رأسي. أبصق بعض الدم في فمي. أشعر بالغثيان وأخبو: «أخبر موستانغ... إيو... أنّني أحبّهما». أتثاءب بعمق.

- «أنتَ أحمق ملعون». يقول بهمس منخفض، وهو يهزُّ رأسه: «كان الأمر تحت سيطرتي».

- «لم أفعل...». أرمش عبر الضباب: «ماذا؟».

- «إنّه أنا». يقول: «لطالما كنت أنا معك يا ولد».

يختفي الضباب. أنظر إليه. أنظر إلى أريس، وهو يرتدي خوذة فارس الغضب، ويطلق قبضته النبضيّة نحو الحرس البريتوري، ممّا يجعلهم يتفرّقون. يُلقي بقنبلة صوتيّة.

- «فيتشنير!». تصرخ الحاكِمة المعظَّمة بصوت أشبه بالزئير: «خائن!».

انفجار. شيء يضرب صدري فأسقط. أتدحرج. أطير؟ أشعر بالبرد. رياح عاصفة تلسعني. معدتي في حلقي. أدور. ثمّ ذراع صلب تحت ذراعي. أرتفع. الرياح تعصف حول أذني. لكن هناك صوتٌ آخر قبل أن تبتلعني الظلمة. فيتشنير—أريس—سيّد الإرهابيّين في العالم السفلي، يعوي مثل ذئبٍ، وهو يحملني إلى ملاذٍ آمن.

# 43

# البحر

أستيقظ على روائح البحر. رائحة الملح، الأعشاب البحريّة، تحملها نسائم الخريف المنعشة. تصرخ النوارس. واحد منها ينعطف نحو النافذة المفتوحة، ويجثم على حافّتها المصنوعة مِن الحجر الأبيض. يميل رأسه نحوي، ثمّ يطير بعيداً نحو أشعّة شمس الصباح المشرقة. بعيداً تتحرّك الغيوم عبر الأفق، واعدةً بالمطر على الرّغم مِن تساقط ندى الصباح الباكر مِن خلال النافذة السقفيّة المفتوحة.

تتحرّك بجانبي. جسدها النحيل فوق الأغطية، يلتفّ حول جسدي التالف. هي ترتدي ملابس، وأنا بلا قميص. علامات زراعة جلدٍ جديدٍ توجد على جسمي. أشياء لامعة، زهرية وناعمة عند اللّمس. تتحرّك موستانغ مرّة أخرى، وحركتها تعيدني إلى جسدي. تجعلني أشعر بالأوجاع والآلام وبراحة قربها. أترك حفوني تنغلق وأتنهّد بعمق، سامحاً لنفسي بالغوص في الملذّات البسيطة لكونك إنساناً. أنفاسها قُبالة رقبتي. دقّات قلبٍ آخر تتردّد على قفصي الصدري. شعرها الذهبيّ يدغدغ أنفي عندما تنفخ الرياح الباردة خصلاته في وجهي. هواء الصباح نقي، ممتلئ بالحيويّة.

أستنشقه بعمق، وأعود مجدّداً إلى النوم.

ذكريات المعدن تحطّم السلام.

صدى صرخات يتردّد في الظلام. أصدقاء يموتون.

عيوني تُفتح بسبب الضوء، يائسة لتذكّرني بمكاني. تخبرني أنّني آمن. أنّني دافئ. لا يوجد معدن هنا. فقط أغطية قطنيّة. سرير. فتاة دافئة. ومع ذلك، فإنّ الذكريات قريبة جدّاً. كيف نجوت؟

سقطتُ مِن السماء مع فيتشنير.

أريس—الحقيقة التي كانت دائماً موجودة، لكنّها تبدو جديدةً لدرجة أنّني لا أستطيع حتّى إدراكها. استيقظت على أدوات الصُفر داخل صدري، تعيد تشغيل قلبي، ثمّ استيقظت مرة أخرى على مشرط نحّاتٍ على جلدي. الألم والغثيان رفقائي في السرير. الرؤية كالمدّ والجزر تنحسر إلى الداخل، وتتدفّق إلى الخارج. زوّارٌ يأتون ويذهبون. أفضّل الاستيقاظ على هذا.

أنا خائفٌ مِن غلق عيوني مرّة أخرى. خائفٌ ممّا سأراه، ممّا سأجده لدى استيقاظي. كطفلٍ أحمر، كنت أشارك سريري الصغير مع كيران. في كل صباح، كنت أستيقظ قبله، وأبقى مستلقياً هناك هادئاً، سامحاً لأصوات والديّ الخافتة بالتسرّب مِن تحت الباب الرقيق بينما يبدأون يومهم. كنت أسمع خطوات والدي المتثاقلة. صوت كحّته الذي كان يصدره كل صباح بينما يغسل النوم عن وجهه. كانت والدتي تصنع له القهوة، تطحن المكعّبات التي كانت تقايضها مع الرماديّين مقابل بيض أفعى الحُفر، أو بكرات الحرير المسروقة مِن مصنع النسيج.

أتمنّى لو كان هذا الصوت هو الذي يوقظني في الوقت نفسه كل صباح. الطحن، الرائحة. أتمنّى لو كنت أستطيع القول إنّها الكيفيّة التي

يعرف فيها جسمي كيف يعود مِن النوم. لكنّها لم تكن رائحة القهوة، أو شاي والدتي. لم يكن صوت المياه الجارية عبر الأنابيب الأشبه بتنهيدةٍ صباحيّة، أو صرير السلالم الحبليّة الأشبه بصوت المفاصل الملتهبة، في أثناء عودة رجال مجمع ليكوس ونسائه إلى منازلهم مِن نوباتهم الليلة في المناجم ومصنع النسيج. لم تكن الهمهمة الضجرة لأولئك الذين مِن نوبة العمل النهاريّة، وهُم في طريقهم إلى العمل مِن منازلهم.

ما كان يوقظني هو الخوف مِن بابٍ يغلق.

في كل صباح، كان ينتهي الأمر بالطريقة نفسها. أولاً، الأطباق الخزفية كانت تصطدم بالحوض المعدني مصدرة رنيناً. ثم كرسي والدي البلاستيكي كان يخدش الأرضية الحجرية. كانا يقفان معاً عند الباب، يهمسان. صمت. كنت دائماً أتخيّل أنّها كانت اللّحظة التي يتشاركان فيها قبلة طويلة. ثمّ كان الوداع أخيراً. يُفتح الباب الأمامي، مصدراً صريراً بسبب مفصلاته الصدئة. وأخيراً، على الرغم من كل صلواتي، كان يغلق.

أميل مقترباً مِن موستانغ وأُقبّل جبينها، أقوى ممّا كنت أنوي. تستيقظ برفق، مثل قطّة تمطّ نفسها بعد قيلولةٍ صيفيّة. لا تفتح عيونها، لكنّها تقحم نفسها لتستكين إلى جانبي.

– «أنتَ مُستيقظ». تتمتم. ترفرف رموشها وتنتفض فجأةً لتستقيم بعيداً عنّي: «آسفة. لا بدّ من أنّني نمت». تنظر إلى الكرسي الذي كانت تجلس فيه: «على السرير».

– «لا بأس. ابقي. مِن فضلك». لقد نسيتُ أنّنا مِن المفترض أن نكون باردين تجاه بعضنا: «كم مِن الوقت مضى؟».

- «منذ الهجوم؟ أسبوع». تزيح خصلات الشعر المتدلّية عن عينيها: «أنا سعيدةٌ لأنّك عدتَ إلينا».

- «مَن فقدنا؟». أسأل بحذر.

- «فقدنا؟». تعبث بيديها على نحوٍ غير مريح بينما تسرد الضحايا. لحظة مِن الصمت تمتدّ طويلاً. الأرقام تسحقني في سريري. أتذكّر أن أتنفّس.

- الحاكِمة المعظَّمة؟

- هربت، لكنْ ليس من دون جرحٍ مؤلمٍ بفضل فيتشنير.

- «والدك؟». أسألها.

- «ألا تعرف؟». تبتسم على نحوٍ غير مريح وتتنهّد بلا تكلّف قليلاً، محاولة تخفيف توتّرها الخاص. تنزلق مقتربةً على السرير، مع استمرار حرصها على عدم لمسي: «سيكون مِن الممل إطلاعك على كل شيء».

- أنا متأكّدٌ أنّكِ ستتدبّرين الأمر.

- والدي على قيد الحياة. عندما سقط الدرع الواقي، قاد عددٌ مِن الذهبيّين الذين كانوا مِن قبل داخل القلعة فرقة مِن الجَوّاسين لإنقاذه. اتّضح أنّ أخي لديه نفوذٌ واسع؛ لذا عندما جاء الفرسان الأولمبيّون لأخذه مع أوكتافيا، عادوا خالي الوفاض.

- «قنوات مُكعَّب العَرضِ المجسَّم تدعو روكي بـ: (نيلسون المتجسّد). لقد أسر أكثر من ثمانين بالمئة مِن أسطول بيلونا». تصبح نبرتها متجهّمة: «ممّا يعني، بصفته قائد الاشتباك، أنّه يحق له الحصول على ثلاثين بالمئة على الأقل مِن السفن، بينما تذهب البقيّة إلى عائلة أوغوستوس».

- ممّا يعني أنّه يملك أكثر ممّا أملك، مِن الناحية التقنيّة.

- المحلّلون يتساءلون كم سيستمرّ ولاءه الآن بعد أن—.

- «الشَّغبَر يلعب ألعابه». أقاطعها ضاحكاً.

- إنّه لا يتوقّف أبداً.

- «لا أعتقد أنّ روكي سيحمل السلاح ضدّي». أقول: «ألا تظنّين ذلك؟».

تهزُّ كتفيها: «السُّلطة تخلق الفرص. لقد أخبرتكَ أن تُصلِح الأمور معه».

- روكي حليفنا. وسيبقى دائماً. أنتِ تعرفينه.

- «لقد كان هنا بقدر ما كان سيفرو». تبتسم ببطء: «نام هنا اللّيلة الماضية. طردته في وقت سابق. لكنّني لن أقوم بعملي إذا تظاهرتُ بأنّه ليس تهديداً محتملاً لنا».

تلفت انتباهي كلمة لنا.

- «عملكِ؟». أسألها: «والذي هو...؟».

- لقد عيّنتُ نفسي رئيسكَ السياسي.

- هل فعلتِ؟

- نعم. ألاعيب البلاط يمكن أن تكون عملاً ماكراً ومخادعاً. أنتَ صادق جدّاً لتدبّر ذلك. مثل حملٍ يظنُّ أنّه لمن المشرّف أن يُدعى إلى وليمةٍ تُقام على شرفه مِن قِبَل الذئاب.

- وماذا لو كنتِ أنتِ مَن يجب أن أكون محميّاً منها؟

- «حسناً». ترفع حاجبها الأيسر: «إذن، أعتقد بأنّك ستكون قد خسرت فعلاً».

أضحك وأسأل عن سيفرو.

تتظاهر بالنظر حولها: «أليس نائماً عند أرجُل السرير؟ أعتقد أنّه خرج مع والده. لقد عدتُ للتوّ مِن زيارة كافاكس في المدار ليلة البارحة، لكنّ ثيودورا تقول إنّ سيفرو غادر بعد العشاء بقليل مع فيتشنير. اعتقدتُ بأنّه يكره ذلك الرجُل».

- إنّه يكرهه.

- ما الذي تغيَّر؟

أهزُّ كتفي وأتساءل منذ متى وسيفرو يعرف عن هويّة والده الحقيقيّة. يبدو مِن المستحيل أنّه كان أعمى مثلي. أكان شخصاً ما يكذب عليّ مِن باب التغيير؟

- «ولورن؟». أسأل.

- إنّه مع تلك المحتالة، فيكترا.

- ما خطبُ فيكترا؟

- بخلاف حقيقة أنّها تُغازِل كل ما يتحرّك؟ لا شيء.

- انتظري. هل تُغازِلُك؟ قولي لي المزيد عن ذلك.

- «اخرس». تضربني موستانغ، لكنّ ابتسامتها تختفي بسرعة وتسحب يدها: «لورن أخذ فيكترا تحت جناحه. يبدو أنّه مرتاحٌ لتحالف عائلته مع عائلة جولي. والدة فيكترا وافقَت على الاتفاق. ثلاث مِن أقوى العائلات على المرّيخ تتّحد تحت عائلتي. حِلفٌ ثلاثي ضدّ الحاكِمة المعظَّمة. حُكّام العمالقة الغازية في طريقهم إلى أجيا لعقد قمّة، وكذلك الإصلاحيّون. كنتَ على حق. إذا أخذنا المرّيخ، لدينا فرصة ضدّ أوكتافيا. لم يعد الأمر

مُجرَّد معركة بعد الآن. إنّها حربٌ أهليّة، وليست حرباً بلا جدوى، على ما يبدو. أبي يتحدّث عن منح الإصلاحيّين فرصة للمشاركة على طاولة الحوار. هذا... إن له دلالة».

أتذكّر حديثي مع الرجُل: «وأنتِ تصدّقينه؟».

– «أصدّق يا دارو». تبتسم بأمل: «لأوّل مرّة منذ زمنٍ طويل، أصدّق حقّاً».

لست متأكّداً مِن ذلك: «ماذا عن...».

– «كاسيوس؟». تخمّن بصوتٍ منخفض: «والده قُتِل على يد آل تيليمانوس، وقد قاتل راغنار على الجدار. جميع إخوته وأخواته أُبلِغ عن موتهم، لكنّه ووالدته مفقودان».

ألحظ هدوءها: «هل أنت قلقة مِن أنّه ميت؟».

– «إنّه عدوّنا». تقول بصرامة: «رفاهه ليس مِن اهتماماتي». تفحص عيوني عن كثب: «هل أنت قلق؟».

– «لا أعرف». أفكّر.

– تبّاً! أنت حسّاسٌ جدّاً أحياناً. هل تندم على قطعك لذراعه أيضاً؟

– أندمُ على قَتلِ جوليان.

– «نحن جميعاً ملطّخون بالماضي». تفكّر موستانغ: «هل نسيتَ أنّه كان عليَّ قَتلُ شخص ما في أثناء مرحلة العبور أيضاً. كلُّ فريد ذي ندبة قابلته يوماً— لورن، سيفرو، الحصوة، تاكتوس، أوكتافيا، داكسو، كلنا بدأنا مِن هناك. غالباً ما أفكّر بأنّ هناك الكثير ممّا أندم عليه».

هل تتحدث عنّا؟ هل أنا نادم؟

- «أريد أن أكره كاسيوس». أقول ببطء: «أريد حقّاً. حتّى التفكير فيه يجعلني أرغب في سَحقِ شيءٍ ما. تحطيم نافذة، أو مِن الأفضل، وجهه القبيح المتعجرف».

- «قبيح؟». تسأل مشكّكة.

- جميل لدرجة القبح.

تضحك موستانغ على ذلك. «لكن مِن الصعب الاستمرار في الكراهية، أليسَ كذلك؟». تسأل.

أومئ برأسي. الكراهية هي ما جعلَ عائلة كاسيوس تصطدم بعائلة أوغوستوس. انظر ماذا جلب لهم ذلك: «أشعر بالشفقة عليه. أينما كان».

- «في وقتٍ سابق أخبرتكَ ألّا تثق بأخي». تقول موستانغ، مُبدِّلة مجرى المحادثة: «كنت أعني ذلك. أعلم أنّك استمررت في التحالف معه. رفقته تجعل مِنكَ إلهاً. لكنْ يجب أن ينتهي الأمر. لستَ مَديناً له بشيء. كن ودوداً. كن مؤدّباً. لا تقلّل مِن احترامه في العلن. لكن لا مزيد مِن الاجتماعات. لا مزيد مِن الوعود. اقطع علاقتكَ معه. لم تعد بحاجة إليه. أنا هنا موجودة لك».

هذه الفتاة. لو كان بإمكاني تقديمها إلى أمي، إلى كيران وليانا. كانوا سيحبّون حماسها. يضيق حلقي ببطء. كانت إيو ستحبّها أيضاً.

- «لا، أنتِ لستِ موجودة لي». أقول.

- دارو...

شيء غريب يلتوي بداخلي، مثل زنبرك مشدود من العواطف يُسمح له أخيراً أن ينحل: «عندما كنتُ في قاع النهر... كنتُ أعلم أنّني لن أراكِ مرّة أخرى».

تتردّد، ترغب في الوصول إلي، لكنّها تقاوم بسبب كل ما قلناه سابقاً: «أنتَ تعلم أنّكَ لا تملكُ إذني كي تموت». تمزح بدلاً مِن ذلك: «على أيّ حال، سيفرو والعوّاؤون لن يغفروا لك إن حاولت. لا أحد منهُم سيغفر. لديكَ الكثير مِن الأصدقاء يا دارو. الكثير ممّن سيخوضون النار مِن أجلك».

الكثير ممّن احترقوا. أرتجف، آخذ نفساً عميقاً وأغلق عيوني، محاولاً ألّا أتركَ الذنب يبتلعني. تتساقط الدموع بهدوء، متسرّبة مِن زوايا عيوني.

– «دارو. لا تبكِ»، تهمس موستانغ، مقتربة منّي الآن. تنزلق مقتربة، تمسكني: «كل شيء على ما يرام. انتهى كل شيء. نحن آمنون».

تأتي شهقات النحيب، لتهزّ صدري.

إنّها مخطئة. لم ينتهِ الأمر. كل ما أراه خلف جفوني هو عالم مِن الحرب. لا يوجد مستقبلٌ آخر لي، لنا. ومع ذلك، كم مِن مرّة جُمِع شتاتي؟ إلى متى يمكن أن تصمد كل هذه الغرز؟ في نهاية المطاف، هل ستتبقى أيُّ قطع منّي؟ لا أستطيع التوقّف عن البكاء. لا أستطيع حتّى التقاط أنفاسي. قلبي يدقُّ بشدّة. يداي ترتجفان. كل شيء يخرج منّي. تُمسِك بي موستانغ، التي بالكاد تزن نصف وزني تقريباً، بذراعيها الرقيقتين إلى أن أنهِكتُ ولم أعد أقوى على فعل أي شيء سوى الغرق في السرير مجدّداً. مع مرور الوقت، يهدأ قلبي، ويجد إيقاعاً متناغماً معها.

نجلس بهذه الطريقة لمدّة ساعة على الأرجح. في النهاية، تُقبّل كتفي، عنقي، وتوقف شفاهها عند الوريد الوداجي وهو ينبض. أعدل يديّ لإبعادها عنّي، لكنّها تدفعهما إلى الجانب وتحتضن وجهي بيديها.

– دعني أكون معك.

أدع يديّ تسقطان على السرير. يخلق فمها طريقاً دافئاً إلى فمي. هناك نتشارك طعم دموعي عندما تنزلق شفتها العليا بين شفتيّ، ويدفئ لسانها فمي مِن الداخل. تنزلق يدها إلى أعلى رقبتي، أظافرها تلامس الجلد، إلى أن تجد لها مكاناً لتنغمر في شعري، وتسحب قليلاً موضع التشابك. القشعريرة تجتاح جسدي.

يختفي أيُّ مظهر للمقاومة. كل الذنب الذي منعني مِن خيانة إيو مع موستانغ يُجرف بعيداً في الفوضى التي في داخلي. كل الذنب الذي أشعر به لمعرفة أنّها ذهبيّة وأنا أحمر يختفي. أنا رجُل، وهي المرأة التي أريدها.

يداي تجدان موستانغ، تسحبان جسدها نحو جسدي، وتتبعان امتداد ساقيها وصولاً إلى امتلاء خصرها. يستيقظُ فيَّ جوعٌ طال كبته. يغمرني بحرارة التوق إليها. إليها كلّها. أنسى مقاومتي. أنسى حزني. هذا كل ما أحتاج إليه. لن أهرب. ليس هذه المرّة. ليس عندما أعلم كم كنتُ قريباً مِن عدم رؤيتها مرّة أخرى.

أنزعُ ملابسها بقوّةٍ وتأنٍّ. تحت يدي، يصبح القماش مثل ورق مبلّل. جلدها ناعم، كرخامٍ ساخنٍ دفّأته الشمس. العضلات تنثني وتشدّ مِن تحته، وهي تقوّس ظهرها إلى الوراء. جسدها مصنوع للحركة، للإثارة، والتلاعب، والالتفاف حول جسدي. أتتبّع بأصابعي انحناءة أسفل ظهرها. تندفع نحوي، مع وقع أنفاسها المتلاحقة، ووركها الذي يرميني بقوّة في السرير.

قد يكون مرّ أسبوع بالنسبة لها، لكن بالنسبة لي كانت مجرّد دقائق، ثوانٍ مضت منذ أن كنت أركع على الفولاذ البارد المدفّأ بدمائي، في انتظار أن يقطع الرجال رأسي. هذه لحظة ظننت أنّني لن أعيشها مرّة أخرى عندما

كنت أحفر قبر إيو بيدي المرتعشتين. لحظة مع امرأةٍ أريدها وأحبّها. وما المغزى اللّعين مِن النجاة في هذا العالم البارد إن كنتُ أهربُ مِن الدفء الوحيد الذي يمكن أن يقدّمه؟

# 44

# الشاعر

أمشي ببطءٍ في الممرّ الحجري مع موستانغ. خارج النوافذ، يقوم حرّاس المكان بدوريّات. هم هنا للإبقاء علينا بقدر ما هم لحمايتنا. المطر يتساقط على نحوٍ خفيف. تتسلّل الضحكات مِن باب مفتوح، مع روائح القهوة ولحم الخنزير المقدّد.

- «ماذا تعني بأنّي لا أستطيع أن أكون مضحكاً؟». يسأل روكي بانزعاج.

- «بالضبط كما قلت». يجيب داكسو بسلاسة: «أنا متأكّد من أنّه بإمكانك المحاولة، ولكنّك... أكاديميٌّ للغاية».

- حسناً، إذن مَن كان أوّل نجّار؟

- «هل هذه نكتة؟». يسأل داكسو.

- مِن المفترض أن تكون كذلك.

- «يسوع الناصري...؟». يخمّن داكسو: «إنّها نكتةٌ تاريخيّة، أليس كذلك؟».

- «نوح؟». تحاول الحصوة. أنا وموستانغ نتوقّف خارج الباب، متبادلين الابتسامة.

- «يسوع الناصري؟». يضحك روكي: «بإمكانك أن تأتي بما هو أفضل مِن ذلك».

- لو كنتُ أعلم أنّي سأتعرّض للسخرية لما خمَّنت.

- «قال باكس إنّك الذكيُّ فيهم». تقول الشوكة: «هذا مُخيّبٌ يا داكسو، مُخيّب».

- «حسناً، بالمقارنة، ربّما كان هو—». يبدأ المهرِّج قبل أن تصفعه الحصوة على رأسه: «آه!».

- «لا تتحدّث بسوءٍ عن باكس». تهدر الحصوة: «العملاق كان طيّباً».

- «ألا يهتمّ أحدٌ بمعرفة الإجابة؟». يسأل روكي بنغمةٍ موسيقيّة: «حسناً، حسناً. أفهم. أنتم جميعاً تظنّون أنّني مملّ».

- «نحن نموت شوقاً لمعرفة الإجابة». تنفجر الشوكة: «أخبرنا إذن».

- «مَن كان أوّل نجّار في العالم؟». يسأل روكي مجدّداً.

- «ليس عليكَ أن تبدأ مِن جديد!». الحصوة تتذمّر.

- «حسناً، إنّها أفضل بهذه الطريقة». يتنهّد روكي: «إيف».

- «إيف؟». يسأل داكسو.

- «لأنّها...». يبادر روكي: «هي التي جعلت موزة آدم تنتصب؟».

تأوّهٌ مشترك.

- «هذا محرج». تتنهّد الحصوة: «لم أعتقد أنّي سأشتاق إلى تاكتوس».

ثمّ ينبعث ضحكٌ حادٌّ بنبرةٍ عاليةٍ مِن داكسو. تماماً مثل ضحكة باكس: «إيف! قال إيف. موزة تنتصب. آه». يبدو وكأنّ العمالقة يحملون في داخلهم جنّياً هَزَليّاً ينتظر الفرصة ليقفز للخارج ويقهقه. الأمر يحتاج فقط إلى الكثير مِن الاستفزاز.

- «أظنّ أنّه أفسد داكسو». تقهقه الحصوة.

- «هل يشمّ أحدكم هذه الرائحة؟». يسأل المهرّج.

- «أشمّ رائحة لحم الخنزير المقدّد». يحاول داكسو. هناك صوت قرمشة عندما يعض قطعةً منه.

- «لا». يقول المهرّج: «تشبه رائحة رجُلٍ مجنونٍ انتحاريٍّ نهض مؤخّراً مِن بين الأموات بعد أن غزا كوكباً وتخلّى عن أصدقائه ليُقطّع إلى شرائح دمويّة كوغدٍ أحمق».

يشمّ داكسو الهواء: «تلك رائحةٌ مميّزة».

- «أوه، دارو العزيز». ينادي المهرّج: «هل تختبئ خلف الباب؟».

تدفعني موستانغ نحو الداخل على نحوٍ مُحرج.

- «يا لكَ مِن قردٍ ماجنٍ متطفّل!». ينهض داكسو مِن مكانه بانسيابيّة، ويسحبني نحو عناقٍ لطيفٍ على نحوٍ مفاجئ. تتلألأ الملائكة الذهبيّة على رأسه الأصلع تحت ضوء الصباح: «سعيدٌ برؤيتك يا صديقي».

يحيّيني الجميع واحداً تلو الآخر. تلقّيت أحضاناً مِن الذهبيّين أكثر مِن أيّ وقت مضى. يعانقني روكي بفتور. كإجراءٍ شكلي. لا يزال هناك إصلاح يجب القيام به.

ألتهم وجبة الإفطار بنهم مُتخِماً نفسي بينما يتبادل أصدقائي الأحاديث اللّطيفة. نمضي اليوم في المكان، نضيّع الوقت في الحديث والألعاب. لقد مَرَّ وقتٌ طويلٌ منذ أن كان لديَّ مُتّسع مِن الوقت لفعل أيٍّ مِن هذا حتّى إنّني كدتُ أنسى كيف مِن الممكن عدم فعل أيِّ شيء. موستانغ تضطرّ إلى تقبيل أذني وتطلبُ منّي الاسترخاء ثلاث مرّات قبل أن أستجيب فعلاً.

نحن في المكتبة نستمع إلى الموسيقا، عندما ترى روكي عبر النافذة في الخارج على العشب. تنكزني برفق.

- اذهب.

أجد روكي يراقب زوجاً مِن الأيائل، وهما يأكلان مِن مَعلَفٍ تحت شجرة دردارٍ قديمة. لا يلتفت لينظر إليّ، وأنا أقترب لأصبح بجانبه. تفوح رائحة العشب المقصوص حديثاً. البحر في مكان ما وراء التل.

- «مِن المنطقي أن يكون هذا هو المكان الذي نشأت فيه موستانغ». أقول: «إنّه هادئٌ وبريٌّ في آنٍ واحد».

- «كان مِن المفترض أن يكون منزلي في المدينة». يقول روكي: «لكنّني كنت أتسلّل هارباً إلى الريف مع معلّمي كلّما غابت أمّي. وهو ما كان يتكرّر كثيراً. كان واضحاً أنّها تظنّ بأنّه لا يوجد شيء ذو قيمة هنا، وأنَّ أعمال المدن أكثر أهميّة مِن هذا. لكن هذا هو سببُ قتالنا، أليس كذلك؟».

- «مِن أجل الأرض؟». أسأل.

- «مِن أجل السلام، بأيّ طريقةٍ تمكّننا مِن العثور عليه». يلتفت نحوي: «أليس هذا هو سببُ قِتالِك؟».

- «بعضنا لم يولد بسلام». أقول، مشيراً إلى الغزال والأرض: «لم يكن لديَّ هذا خلال نشأتي. أي شيءٍ أملكه الآن، أو سأملكه في المستقبل، عليَّ أن أكسَبه. لكنّكَ مُحِق؛ هذا هو السبب الذي يجعلني أقاتل، حتّى أتمكّن مِن امتلاك هذا لي وللناس الذين أهتمُّ لهم».

يتفحّص وجهي بعينيه: «هذا مُنصِف».

- أريد أن أعتذر لكَ يا روكي.

- مرّة أخرى؟

«منذ الأكاديميّة، أبقيتكَ على مسافةٍ منّي. لقد عددتُ وجودكَ مِن المسلَّمات، ولم أُقدِّرك حَقَّ تقدير. ما كان يجبُ عليَّ فعل ذلك، خاصّة أنّك كنتَ لطيفاً معي على الدوام». يحيد بنظره عنّي.

– «لم أكن أمانع مِن كون كل شيء كان يتمحور حولكَ يا دارو. كان ذلكَ ما يُزعِج تاكتوس، لكنّه لم يكن يزعجني. لستُ واقعاً في حُبِّكَ مثل موستانغ، ولا أعبدكَ مثل سيفرو، أو العوّائين. كنتُ صديقاً حقيقيّاً. كنتُ شخصاً رأى كلّاً مِن جانبيكَ: المشرق والمظلم، وتقبّلهما من دون إطلاق أحكام، من دون أجندة. وماذا فعلتَ بي؟ استخدمتني كما يستخدم الرجُل حصاناً. أنا أفضلُ مِن أن أستحقَّ ذلك. كوين كانَت أفضل مِن أن تستحقَّ ذلك».

– «هل أنتَ أفضل مِن هذه الصداقة؟». أسأل بهدوء، خائفاً مِن الإجابة.

– «أعتقد أنّني أفضلُ مِنكَ». يقول. أتراجع، وأنا مجروح. يشاهد الأيل، وهي تقضم الحبوب في المعلف: «جلستُ بجانب أسرّة ثلاثة أصدقاء هذا العام: كوين، وتاكتوس، وأنت. وفي كل مرّةٍ كنت أعرف أنّني كنت سأبدِّل مكاني مع أيٍّ منكم بكل سرور. هل كنت ستفعل الشيء نفسه؟».

– «كنت سأضحّي بحياتي لأعيدهم». أقول، وأنا أعلم أنّه كذب. على الرّغم مِن كل الحُبِّ الذي أكنّه لهؤلاء الذهبيّين، لكنْ لديَّ مسؤوليّات أكبر. إلى أن ينتهي كلُّ هذا، حياتي ليسَت ملكي كي أعطيها.

يستدير بعيداً عن الأيل لينظر إليّ، عيونه دافئة وحزينة وتحمل عبئاً أكبر ممّا ينبغي لها. إنّه مختلفٌ عنّي، وعن كاسيوس. كنّا نسميه أخاً، وكان هو أفضل ممّا نستحق: «هل تساءلت يوماً لماذا وضعوني في عُصبة مارس؟

أنا لستُ مِن النوع المعتاد انتقاؤه لهذه العُصبة. ربّما كانوا سيضعونني في أبولو، أو جونو».

– كان لدى كوين دائماً تلكَ النزعة التنافسيّة في دمها، لكن أنت... نعم، كنت أتساءل.

– «دارو». ألتفت لأرى سيفرو يقف خلفنا ببزّته: «الأمر عاجل».

– ليس الآن يا سيفرو.

– «يا حصَّاد، أنا لا أمزح معك». يقول.

أنظر إلى روكي مرّة أخرى. «اذهب». يقول، ويسير نحو الأيل، مخرجاً التوت من جيبه.

– «روكي». أناديه بنبرةٍ حزينة.

– «الصداقة تستغرق دقائق لتُبنى، ولحظات لتُكسر، وسنوات ليجري إصلاحها». يقول، مُلتَفتاً ليُلقي نظرةً مِن فوق كتفه: «سنتحدّثُ مرّة أخرى قريباً».

أراقبه، وهو يمضي، أشعر ببارقة أمل تدفئني. ألتفتُ نحو سيفرو وأُربِّت على ظهره: «سعيدٌ برؤيتك. آسف على—».

– سحقاً لك! لستُ عاهرةً متذمّرةً مثل الشاعر. الأمر يتعلق بأريس. أصدقاؤك، الحُمر، والزهريّون، والبنفسجيّون، قد أُسِروا.

– مِن قِبَل مَن؟

– مَن تظنّ؟ الشّغبر.

مكتبة
t.me/soramnqraa

# 45

## هدايا

مكتبة
t.me/soramnqraa

تحط سفينتي وسط الثلوج المتساقطة خلال ساعات الصباح الباكر على أتيكا، وهي مدينة جبليّة جنوبيّة تقع على سبع قمم. مَبانٍ حادّة مِن الفولاذ والزجاج تتربّع على القمم كتيجانٍ مِن الأشواك المتجمّدة، مغطّاة الآن بطبقةٍ حديثةٍ مِن الثلج. تشرق شمس الصباح الحمراء فوق سلسلة الجبال الممتدّة شرقاً. القمم السبع تربطها جسور، أمّا الأحياء الأقل أهميّة للمدينة فتنتشر حول قواعد الجبال. تُحلِّق مركبتي فوقها. جرّافات ذات شفرات برتقاليّة نابضة تُذيبُ مساراتٍ عبر الثلوج. قريباً، ستسير سيّارات بني الألوان الوسطى على طول الطرقات. ومركبات بني الألوان العليا ستنقل الفضيّين والذهبيّين إلى مكاتبهم على قمم الجبال. موقع أتيكا النائي واشتهارها بمصارفها، يجعلها معقلاً أساسيّاً للسُّلطة. وهي الآن تابعة للشّغبر.

وسط حراسةٍ مشدّدةٍ مِن مقاتلات الجناح القاطع، أحطُّ على منصّةٍ مُحاطةٍ بالأشجار دائمة الخضرة. بضعة جَوّاسين ينتظرون هناك بمعدّاتهم التكتيكيّة البيضاء. ذهبيٌّ وَحيدٌ يقف معهم. تعانقني فيكترا بحرارة، عباءة

مِن الفرو الأبيض مشدودة حول كتفيها. أقراط مِن اليَشم تطرطق في النسيم بينما يفتّش الرماديّون مركبتي مِن الخارج.

– «فيكترا». أقول، وأنا أبعدها قليلاً لأراها. تبتسم لي ابتسامةً شيطانيّةً وتقبّل خدّي، ممسكةً بمؤخّرتي في أثنائها، فأقفز مِن الدهشة، وتضحك بابتهاج.

– أتأكّد فقط مِن أنّ كل شيء في مكانه. لقد أقلقتنا عليكَ يا عزيزي. كان روكي يبقيني مُطّلعة في أثناء وجودي مع لورن.

– سمعت بأنّكِ كنتِ تتفاوضين على عقد تحالفٍ آخر.

– مَن كان يظنُّ أنّ فيكترا جولي الذهبيّة ستكون صانعة سلام؟

يخبرني الرماديّون بأنّ لديهم أوامر بتفتيش سفينتي.

– «راغنار». أناديه. يخرج مِن حدود السفينة، حجمه ضعف حجم أكبر الرماديّين تقريباً: «دعِ الفئران تفتّش السفينة. إنّهم يبحثون عن...».

الرمادي يلقي نظرةً خاطفةً على راغنار، ويبلع ريقه: «قنابل يا دومينوس».

تأخذني فيكترا إلى منزل الشّغبر الجديد—قلعة محصّنة على أعلى قمم أتيكا. تمتدّ المدينة بعيداً تحتنا. الأشجار تصطفّ على طول الطريق مِن منصّة الهبوط إلى القلعة: «استولى أدريوس على المكان فور انسحاب آخر سفينة لبيلونا. أتى مع ألف جَوّاسٍ وأخرج حلفاء بيلونا الذين كانوا يملكون المكان. استولى على كل ما لديهم. أفرغ حساباتهم البنكيّة. سرقة كاملة. لكنْ هذه هي الحرب». تومئ برأسها إلى الغرب: «منحدراتٌ رائعةٌ على بعد بضعة كيلومترات فقط. سنقوم بقضاء بضعة أيّام هناك عندما تهدأ

الأمور. أنتَ أحضرتَ فيرجينيا، وأنا سأبحث عن رجُلٍ لنفسي». إنّها تقريباً بطولي، تنظر إليّ بنظرةٍ جانبيّة: «تجيد التزلّج، أليس كذلك؟».

أطلق ضحكةً ساخرة: «لم يكن لديّ وقت لذلك».

نجد الشّغبر في غرفة معيشته. الجدران والأرضيّة زجاجيّة. تدور النار في دوّامات مِن تحت الأرضيّة، مُلامِسةً الأعمدة بالقرب مِن النافذة. تتوزّع عدّة كراسٍ معدنيّة وجلديّة بسيطة فوق بساطٍ مِن الفرو. ينحني الشّغبر فوق شاشة العَرضِ المجسَّم، متحدّثاً بسرعة إلى شخصٍ ما. يشير لنا بالجلوس. في العَرضِ المجسَّم، ألمح هارموني في غرفةٍ مظلمةٍ، محاطة برماديّين. أحدهم ينحني فوقها، يفعل شيئاً بجهاز ما لا أتمكّن مِن رؤيته بوضوح.

نجلسُ قرب اللّهب، لكنّي أشعر ببرودة تتسلّل إلى داخلي لا تستطيع أيّ نار تبديدها.

يُنهي الشّغبر حديثه، ويسلِّم شريط بيانات إلى صن-هوا قبل أن تغادر. ينضمّ إلينا، وهو يفرك مؤخّرة عنقه.

- «الكثير مِن الأمور المتشعّبة». ينتفض: «سحقاً! تنظيم شحنات الطعام وحدها يحتاج إلى مئة نحاسي. وتلك الحثالة الصغيرة البغيضة تمضي اليوم كله في الجدال حول ما إذا كان يجب أن يحتوي مطبخ السفينة على الغرانولا أم على المويسلي. كلاهما خيار ممكن. كلاهما! كم ذلك صعب حقاً؟ يبدو أنّهم يستمتعون بالجداول الإلكترونيّة والأعمال التافهة. أمرٌ يثير الحنق حقّاً».

- «أستمرُّ في إخباره بأنّه يجب عليه ممارسة التفويض على نحوٍ أكثر فعاليّة». تقول فيكترا. إذن كانا يتحدثان أيضاً. كم فاتني!

- «أكره التفويض». يردّ الشّغبر. يَحكُّ رأسه: «على الأقل فيما يتعلّق بالأرقام والتفاصيل. يمكنكما أنتما الاثنان الاستيلاء على كل الكواكب المتبّبة التي تعجبكما. فقط اتركا لي بيروقراطيّتي، رجاءً».

- «هذا لُطفٌ منكَ». أضحك: «فقط أبقِني بعيداً عن أوامر حجز الطعام». أنحني إلى الأمام: «سمعتُ أنّ الأسطول سيكون جاهزاً للانطلاق نحو المنطقة المركزيّة خلال أسبوعين. على فكرة، لديك منزلٌ جديدٌ رائع».

- «أحبّه». يتنهّد: «أبي غاضبٌ لأنّي استوليت عليه بالطبع. أراد أن يهديه لأحد حُكّام العمالقة الغازية».

- «أعتقدُ أنّكَ تستحقه». أقول: «بل وما هو أكثر مِن هذا أيضاً».

- «تماماً». يقوم الشّغبر بحركةٍ كسولةٍ بيده الوحيدة: «أتيتُ إلى هنا كطفلٍ لأتزلّج مع أمّي. لطالما نظرتُ إلى هذا المكان وقلتُ إنّه سيكون لي. ليقول أبي بأنّه لا يمكنكَ الحصول على كل ما تريد».

- «وهل سألت لمَ لا؟». تقول فيكترا. لقد سمعتُ القصّة مِن قبل.

- «لمَ لا؟». يكرّر الشّغبر الكلمات بمحبّة: «لذا، إذا أراد أبي استعادته، فسيتعين عليه أن يقوم بطلبات شراء الطعام بنفسه».

نعلم جميعاً أنّ طلبات شراء الطعام ليسَت ما يشغل وقته. ليس ذلك فحسب.

أقبلُ كوباً مِن الشاي المقدّم لي مِن قبل أحد الزهريّين. مائدة إفطارٍ صغيرة توُضع أمامي. أنا متأخّر سبع ساعات عن هذه المنطقة الزمنيّة، لكن لا أستطيع إظهار توتّري.

يراقبني الشّغبَر، وأنا أغرس شوكتي في بطّيخة. مَن يدري ما الذي يدور

في ذهنه خلف تلك العيون الذهبيّة القذرة؟ «إذن، قد شُفي دارو وتعافى في الوقت المناسب مِن أجل المعركة الكبرى».

– «في طور التعافي». أقول: «وذلك ليس بفضل وسائل إعلامك. فجميع البرامج على مُكعَّبات العَرضِ المجسَّم تصوّرني على أنّي لا أموت منذ أن مزّقني كارنوس».

– «كل ذلك جزءٌ مِن اللّعبة يا صاح. الانطباع، والخداع، والإعلام!». يضرب على فخذه بيده، على الرغم مِن أنّ عيونه لا تشاركه البهجة: «أعطني إشارةً واحدةً منك، لأعلن على الملأ تحسّن حالتك واستعادتك لعافيتك. سننظِّم مؤتمراً صحفيّاً، ونُلبِسكَ درعاً. يقوم أتباعي مِن البنفسجيّين بتصميم بدلةٍ ملائمةٍ لك. يتآمرون مع الخضر لمنحكَ تحفةً مِن حيث الشكل والتكنولوجيا».

– أنت تعرف أنّني أكره الكاميرات.

– أوه، كفى تذمّراً! إنّهم السبب في وجود نصف حلفائنا. وأيضاً السبب في أن الحاكِمة المعظَّمة ترتبك كعنكبوت على الجليد. تحالفها... مُنهَك.

– «سنقومُ بذلكَ اليوم إذن». أقول. أنظر عبر النافذة، متذكّراً كلمات روكي: «أردت لحظة مِن السلام، ولكن...». ينضمّون إليَّ في النظر إلى الثلوج المتساقطة والمدينة البعيدة أسفلنا: «أعتقد أنّنا لم نستحق ذلك بعد. وهذا يقودني إلى سبب دعوتي لهذا الاجتماع».

– «أعترف أنّني كنت فضوليّاً». قال الشَّغبَر.

– «كان يتوق إلى معرفة السبب». تصحّح فيكترا.

أومئ لراغنار، الذي تبعني أنا وفيكترا إلى الغرفة. يتقدّم حاملاً صندوقين مِن سفينتي: «أردتُ أن أقدِّم لكما هدية. تحالفنا كان له... بداية

مثيرة للاهتمام، لكنّني أريدُ أن تَعرِفا مدى التزامي ليس فقط بهذا التحالف، بل بكلِّ واحدٍ منكما. آمل أن تأخذوا هذا كدليلٍ على ثقتي».

– «ثق دائماً بالمَوسوم الذي يحمل الهدايا». تضحكُ فيكترا ضحكةً مكتومةً، ناظرةً إلى راغنار: «تبّاً! ابتعد مِن هنا. أنتَ مثل شجرة تحجب الضوء يا راغنار».

– «راغنار، انتظر بالخارج». أقول.

الشَّغبَر لم ينظر حتّى إلى راغنار. القوّة الجسديّة تصيبه بالملل.

مفرقعة بأصابعها لتعيد انتباهي إليها، تفتح فيكترا صندوقها لتجد زجاجةً كريستاليّةً صغيرةً كنتُ قد طلبتُ مِن ثيودورا أن تُكلِّف النحّاتين على سفينة باكس بصنعها قبل حصار المرّيخ.

– «عطر الأرض». أقول بينما تفتح الزجاجة. تمتلئ الغرفة برائحة الحجارة قبل هطول المطر. تشكرني بوضع يدها المليئة بالندوب على ساعدي، ممسكةً بالزجاجة قرب صدرها.

– «لا أحد يتذكّر هذا النوع مِن الأمور. شكراً لك يا دارو». تجلسُ هنالك للحظة قبل أن تقفَ بسرعة وتُقبّلني على شفتيّ. كنت أفضّل لو كانت على الخدّ.

– «دَوري الآن». يفتح الشَّغبَر صندوقه بيده الوحيدة. ممزّقاً الورق بابتسامةٍ عريضةٍ على وجهه، ثمّ يفتحُ الصندوق الجلدي الموجود أسفل ذلك ويبقى صامتاً للحظة طويلة: «دارو، لم يكن عليك—».

يقاطعه صوت إنذارٍ حادّ يصرخ مِن الجدران.

تندفع إحدى الجَوّاسات مِن الرماديّين إلى الغرفة، وقد استلّت

سلاحها. يرافقها أربعة آخرون: «دومينوس، لدينا اختراقٌ في الطابق السفلي. علينا نقلكَ إلى غرفةٍ أكثر أماناً».

- «مَن؟». يسأل الشَّغبَر بنبرةٍ خشنة. أسحب أنا وفيكترا شفراتنا. الرماديّة كانت على وشك الإجابة عندما تتوقّف الإنذارات فجأةً ويحلُّ محلّها ضحكٌ جديٌّ عبر مكبّرات الصوت. يتردّد صداه في الغرفة حتّى مع إطفاء جميع الأضواء في المكان. نهرع نحو الباب. عنكبوت معدني صغير ينقر على النافذة. يذوب الزجاج. تتلاشى رؤيتي وسمعي، ويحلّ مكانهما صراخٌ حادٌّ وعالي النبرة يشبه الأنين الجماعي. أتعثّر، وأصعق من جرّاء القنبلة الضوئيّة.

أشكالٌ مظلمةٌ تطير إلى داخل الغرفة. وأنا أرمش، أرى أقنعة الكاكودايمون(*)، وعيونها تتوهّج باللّون الأحمر مِن خلال ملامح مخيفة. لقد وصل أبناء أريس. يطلقون النار على الرماديّين ويركلوننا نحو الأرض. يندفع راغنار مِن الرواق ويتلقّى ثلاث ضربات للقبضات الصاعقة بصدره، فيسقط كشجرةٍ مقطوعة. أحد المهاجمين المقنّعين ينحني نحو الشّغبر. ومع عودة قدرتي على السمع، أُميِّز بأنّه يصرخ مُطالباً برمز الوصول إلى الحاسوب الرئيسي للمنشأة. يقحم فوّهة حرّاقه في فم الشّغبر إلى أن يستسلم.

- «يا لك مِن ذهبيّ!». يقولها صوتٌ خشنٌ مشوَّه.

مِن خلف القناع، أعرف أنْ لا شيء يتمنّاه سيفرو أكثر مِن أن يسحب الزناد، وللحظة ظننت أنّه سيفعلها، لكنَّه ينتظرني كما هو مفترض. وفي لحظةٍ مناسبةٍ، أنهض ببطءٍ، نافضاً عنّي آثار القنبلة الضوئيّة، وأستولي

(*) روح الشر عند الإغريق. (المترجم).

على سلاح أحد المهاجمين. أطلقُ النار عليهم. يطلقون النار عليّ. وكلانا يُخطئ عن عمد، ثمّ يَفِرّون مِن النافذة. الرماديّون ممدّدون قتلى على الأرض. فيكترا تنزف مِن جرح سطحيّ في رأسها وتنهض على قدميها. الشّغبر يحاول الوقوف، والدم يقطر مِن أنفه.

بصمت، نحاول فتح أبواب الغرفة. إنّها مقفلة. لقد سيطر أبناء أريس على الحاسوب الرئيسي الآن. ينحني الشّغبر برأسه على الباب، ثمّ يرتدّ ويضربه بالمعدن مرّةً بعد مرّة حتّى يسيل الدم على وجهه. أضطرّ إلى سحبه بعيداً قبل أن يتسبّب بتهشيم جمجمته. يضحك بمرارة للحظة قبل أن يستعيد رباطة جأشه.

– «مرّتين». يبتسم ساخراً: «اخترقوني مرّتين». اختلاجة حيوانيّة تجتاح جسده: «كنت أعمل على تحطيمهم. يومٌ آخر، وربّما يومان، وكانوا سينكسرون».

– «مَن؟». تسأل فيكترا.

لا يجيب. أصِرُّ على السؤال: «مَن، يا أدريوس؟ مَن هم بحق الجحيم؟».

– «إرهابيّون. جاءوا لأجل أبناء أريس الأسرى». يجيب وقد نفد صبره: «في المرّة الأولى كانت هناك تلكَ العاهرة الزهريّة التي حَاوَلت قتلنا في لونا يا دارو. لم يَكُن بليني في نهاية الأمر. لقد كانوا أبناء أريس. وفي المرّة الثانية كانت واحدة مِن مساعدي أريس الرئيسيّين. يدعونها هارموني. وكان معهم بنفسجيٌّ أيضاً، ممّا يجعلهم جيشاً مِن الجنود المنحوتين».

– «هل أسرتَ أبناء أريس هنا؟ متى كنت ستخبرنا بهذا؟». تدمدم فيكترا، وهي تنهضُ بعد التحقّق مِن نبض أحد الرماديّين الموتى.

– لم أكن لأخبركُم. ليسَ قبل أن أعرف مَن هو أريس.

– «ماذا تخفي عنّا أيضاً؟». أقول: «هذه شراكة». أركل الطاولة لأقلبها: «تبّاً لماذا أنا لديكم إن لم يكن لحمايتكُم مِن أشياء كهذه؟».

– «هذا خطئي». يقول: «هذا خطئي». يبتلع الدم في فمه ويتّجه نحو حافّة النافذة الفارغة، ممسكاً بكتفي عند مروره. تصفر الرياح: «لقد حميتني مرّة أخرى. شكراً لك».

أعبس وأتظاهر بالغضب، بطريقةٍ تمثيليّة.

– «لا يمكن أن يكونوا مِن الحُمر». أقول بمرارة: «لا يمكن أن يكونوا مِن أبناء أريس. الأبناء ما كانوا ليفعلوا ذلك أبداً، ولا كان بإمكانهم فعله. ليسَ لي. ولا لراغنار». أساعد المَوسوم على النهوض عن الأرض: «كانوا مُنظَّمين للغاية. وكان لديهم أحذية ثقاليّة».

– «أنتَ تقلّل مِن شأنهم يا صديقي». يقول الشغبر: «يمكنهم أيضاً سحب الزناد. وكانوا سيسحبونه، وهُم يضعون فوّهات أسلحتهم على رؤوسنا لو لم توقفهُم».

– «تبّاً كيف تمكّنوا مِن تجاوز حرّاسك؟». تسأل فيكترا: «أين كانت أجهزة التتبّع؟ أو أجهزة تشويش الإشارة؟ أو بصمات الأحذية الثقاليّة؟».

– «لا أعلم». يقول الشّغبر.

لأنّ أبناء أريس تمسّكوا بهيكل سفينتي مرتدين عباءات الشبح، كبرنقيل صغير.

– «مَن أيضاً أتى وذهب؟». أسأل.

ينظر مِن حوله كما كنت آمل أن يفعل. يتّصل برجاله عبر جهاز الاتّصال

الموجود على مكتبه. بعد لحظة، يعاود النظر إلينا مجدّداً: «صن-هوا». يهمس: «رجالها موتى، وهي اختفت وكأنّها ذهبت مع الريح. لقد نجت أيضاً مِن الهجوم الأخير». ثمّ يضحك: «لقد خانتني». وعندما يرى المال المحوّل إلى حسابات صن-هوا، سيجد كل الأدلّة القاطعة التي يحتاج إليها ليثبت التّهمة على رئيسة أمنه. الأمر الوحيد هو أنّ صن-هوا كانت وفيّة كالكلب وباتت جثّةً هامدةً في عنبر شحن السفينة التي تهرب الآن مِن قلعة الشّغبر الشتويّة حاملةً معها فيتشينر وسيفرو وأصدقائي الذين كانوا أسرى.

أقتربُ مِن الشّغبر بينما تحاول فيكترا فتح الباب مرّة أخرى. نراقب معاً السفينة، وهي تختفي خلف الجبال. وأقول بصوتٍ منخفضٍ يملؤه التهديد: «سنقتل الجرذان، معاً. أعِدكَ. جميعهم».

- «بعد الحاكِمة المعظَّمة». يقول، وهو يُربِّت على ظهري: «بعد الحاكِمة المعظَّمة».

# 46

# الأخوّة

أعانق الراقص بقوّةٍ لدرجة أنّ ظهره يفرقع. يُربِّت على كتفي بقلق. أعتذر وأبتعد، وأشعر بضخامتي وكأنّني تيليمانوس بجانبه. خارج المرآب الذي تحوّل إلى مكتبٍ مؤقّت، يضجّ مستودع أبناء أريس بالصخب الناجم عن عمليّات الإنتاج. أدخلوني مِن الباب الجانبي وأبقوني منتظراً الراقص بين المحركات القديمة والهياكل الصدئة.

يبتعد الراقص عنّي وينظر إلى الأعلى، عيونه الصدئة تلمع بالدموع. مِن المرعب التفكير بأنّني كنت أعدّه وسيماً ذات يوم. هو الآن في الأربعينيّات؛ سنٌّ كبيرة بالنسبة لأحمر. شعره ممتزج بخصل رماديّة، وجهه ممتلئٌ بتجاعيد الزمن والمصاعب، ذراعه اليمنى لا تزال مُعلَّقة بلا حراك، وقدمه ما زالت تُسحَب وراءه، وابتسامته لا تزال واسعةً بما يكفي للكشف عن أسنانٍ غير متساوية وغير مثاليّة.

– «يا ولدي». يقول، وهو يمسك كتفي بيده اليسرى. إنّها أقوى مِن جميع أجزائه الأخرى مجتمعة. تفوح منه رائحة تشبه التبغ. أظافره صفراء: «يا ابن الحرام الجميل، يا ولدي، أيّها اللّعين الصغير. تبدو عظيماً جدّاً!».

يضحك ويضحك مجدّداً، وهو يهزُّ رأسه: «لا أعرف ما أقول. آسف لأنّني لم أتمكّن مِن الوصول إليك. آسف لأنّني تركتُ هارموني تستغلّكَ بهذا الشكل. هناك الكثير مِن الأمور يا دارو».

– «توقّف». أربّت على رقبته مِن الخلف: «نحن إخوة. لا حاجة للاعتذارات. نحن مرتبطون بالدم والماضي. لكنْ أرجوك، أرجوك، لا تدع هذا يحدث مجدّداً». يومئ برأسه: «كيف حالُ عائلتي، هل تعرف؟».

– «على قيد الحياة». يقول: «ما زالوا في المناجم. أعلم، أعلم، لكن هذا هو المكان الأكثر أماناً لهم وسط هذه الحرب. لا أحد يرغب في تفجير صناعة المرّيخ. أليسَ كذلك؟».

يومئ لي بالجلوس. «لا أعرف الكثير مِن الذهبيّين، لكنّ سيفرو ذاك النذل الصغير الحقير، عندما سلّمته تعليمات والده في المنطقة الهامشيّة، اعتقدت أنّه سيقطعني مِن الوريد إلى الوريد». يُشعل سيجاراً ويغمزني: «لم أقابل أحداً مثله».

– «إنّه وَفيٌّ للغاية». أقول: «مثلك».

– لا! أعني أنّه يستطيع أن يلعن ويشتم أفضل مِن أيّ أحمر لعين.

– «هل سيفرو يلعن؟». أبتسم: «يبدو أنّك اعتدت على ذلك. على الرّغم من أنّه يُحِبُّ استخدام كلمة (لعين) كثيراً الآن».

– «إنّها كلمةٌ جيّدة. سهلةٌ على اللّسان. أجريت بعض الأبحاث». ينفخ صدره: «كانت معنا منذ الأسلاف الأوائل كما تعلم. الذهبيّون الأوائل، أولئك ذوو العيون العاديّة والبزات الذهبيّة، كان مُعظم مُجنّديهم الأوائل مِن الأوغاد المساكين مِن الجزر الأيرلنديّة بعد أن حوَّلت الإشعاعات

القادمة مِن لندن الجزر إلى أرضٍ قاحلة. أخذ الذهبيّون العمالة الماهرة النازحة وجنّدوها ليكونوا الروّاد الأوائل. بقيت لهجتهم كما هي، ولكنْ بتغيراتٍ طفيفة. التاريخ ساحر، أليسَ كذلك؟».

- «لقد صنعَت هارموني تاريخها الخاص». أقول.

- «هذا صحيح. أنا ميّت!». يهزُّ رأسه ويشعل سيجاراً آخر، ويرمي القديم على الأرض. ألتقطه وأضعه في سلّة النفايات: «ذَهبَت في طريقها الخاص بعد نحو عام مِن مغادرتك. اكتشفنا أنّ بعض السيناتورات كانوا في إجازة على بحر غورغون، فذهبنا إلى هناك لزرع أجهزة تنصّت في فيلّتهم لنرى إن كنّا نستطيع الحصول على أيّ أسرار. لم نجد شيئاً. سوى الكثير مِن... القذارات المنحرفة. واعتقدنا أنّ هذا كلُّ شيء. لكنْ ليسَ بالنسبة إلى هارموني. في اللّيلة الأخيرة، دخلَت إلى هنالك وقتلَت السيناتورات وضيوفهم، ثمّ تركتنا».

- إذنْ لم يكن هناك فرقة مِن الجَوّاسين اقتحمَت مقرّاتكم؟

يهزُّ رأسه: «جاؤوا بسببها. قتلوا نحو أربعين مِن أبناء أريس، لكنّها كانت قد غادرَت إلى لونا. أنقَذَنا أريس. جاء بقوّة مختلطة مِن السبجيّين والرماديّين. قضوا على أولئك الجَوّاسين، ثمّ اختفوا قبل وصول التعزيزات. كان محظوظاً بقتلِهم جميعاً؛ فلم يعد بعد ذلك مِن طريقةٍ لأن يعرفوا أنّه ذهبيّ. كان أوّل لقاء لنا وجهاً لوجه في ذلك اليوم. اللعنة! الرجُل مرعبٌ بحق».

- «ليس هذه هي الكلمة التي سأختارها». على الرغم من أنّ الوصف قد يكون دقيقاً بالنظر إلى مدى نجاحه في خداعي: «ألا يزعجك كونه ذهبيّاً؟».

– لا يزعجه أنّنا حُمر. أريس سيموت مِن أجل القضيّة يا دارو. سحقاً! هو مَن بدأ ذلك. هل تعرف لماذا فعل ذلك؟»

أهزُّ رأسي.

– «إنّها قصّته». يمرّر الراقص أصابعه على آثار عضّات أفعى الحُفَر على عنقه: «يحقُّ للرجُل أن يحكي قصّته بنفسه. لكنّ قصّته ليسَت سعيدة. حزينة مثل قصّتك. حزينة مثل قصّتي. عندما يُجرَّد الإنسان مِن كل ما يحبّه، ما الذي يتبقّى؟ الكراهية فقط. الغضب فقط. لكنّه كان أوّل مَن أدركَ بأنّ هناك ما هو أكثر. وجدني ووجدَك. اللّعنة! مَن نحن لنشكّك به؟».

يُفتَح الباب فجأة. نلتفت كلانا، ليدخل ميكي، وهو يعرج. يبدو نصف ميّت، نحيف كخيزرانة، أكثر شحوباً مِن ذي قبل. مِن دون أن ينطق بأي كلمة، يتّجه نحوي، وهو يعرج ويقبّلني مباشرةً على فمي، بمشاعر يائسة وصادقة، ثمّ يبدأ بالبكاء كطفل. أنا والراقص لا نعرف ماذا نفعل، لذا أحيطه بذراعي وأدعه يبكي. يهمس لي: «شكراً لك». عدّة مرّات.

ماذا فعلوا به؟ لا يهمّ. أعلم الأمور التي دُرِّبَ الرماديّون عليها للحصول على المعلومات. يقول إنّه لم يخبرهُم بشيء. ومع ذلك، يجب أن أكتشفَ ما الذي علِمهُ الشّغبر مِن هذا. ما الاستنتاجات التي تَوصَّل إليها لدى عثوره على مختبر ميكي.

أنظرُ مِن فوق رأس ميكي لأرى فيتشنير واقفاً هناك، مبتسماً بحزن. بعد لحظةٍ طويلةٍ، يتراجع ميكي: «حاولتُ أن أحذّرك، عندما جئتَ إلينا في لونا». يقول متأسّفاً: «أردتُ أن أقولَ لكَ بأن تهرب، لكن لو قلتُ أكثر، كانت ستقتلني. كنتُ خائفاً مِن أن تصدِّقها أكثر منّي».

– كنتُ سأصدّقكَ يا ميكي.

– «حقّاً كنتَ ستفعل؟». يشهق: «كنتُ أعلم أنّكَ ستأتي مِن أجلي. قلتُ بأنَّ ولدي العزيز لطيف جدّاً لدرجة أنّه لن ينسى ميكي، لكنّها بصقَت عليَّ، وقالت إنّني مُستَعبِد». يُخفِض رأسه، يشهق، يبدو ضعيفاً ومنهكاً وقد شارف على الجنون ممّا اختبره في غرف تعذيب الشّغبر: «كانت مُحقَّة. أنا كذلك. أنا شرّير. أؤذي الفتيان والفتيات. بِعتُهم حتّى عندما أحببتهم. بالطبع كانَت مُحقَّة. لماذا ستأتي؟ لماذا ستفعل أيَّ شيء مِن أجل ميكي الشرّير؟».

– «لأنّكَ صديقي». أرفع يديه إلى شفتي، أقبّلهما برفق، وهو ينظر إليّ بعيونٍ ممتلئةٍ بالأمل: «مع كل الغرابة التي أنتَ عليها، وشَرِّك الذي كُنتَ عليه، أعلم أنّكَ تريدُ أن تكون أفضل. تريد أن تعيش لما هو أكبر. جميعنا كذلك. وليسَ هناك مِن مكانٍ يمكنهُم أن يأخذوا إليه أحد أصدقائي ويجعلني أتخلّى عنه أبداً».

إنّه لشعورٌ جيّدٌ قول الحقيقة.

– «شكراً لكَ يا أميري». يقولُ بصوتٍ خافت. بعد ذلك، يقفُ على نحوٍ مستقيم، قويّاً بما يكفي ليتّجه للخروج مِن المكتب. يُغلِق فيتشنير الباب.

– حسناً، كان ذلك عاطفيّاً.

أومئ برأسي. هذا هو الرجُل الذي أحبّ أن أكون عليه. ليس في حالة تأهّبٍ دائم. ولا أكذب على نحوٍ صارخ. أعتقدُ أنّني الآن عرفت كم أكنُّ مِن المشاعر تجاه ميكي. ليس لأنّه ساعد في تشكيلي، ولكن لأنّه أحبّني كثيراً على الدوام. على الرغم مِن كونه نوعاً غريباً مِن الحبّ، إلّا أنّه كان حقيقيّاً. وأُصدِّق أنّه يريد أن يكونَ الرجُلَ الذي يعتقدُ بأنّني سأحترمُه،

تماماً كما أريدُ أن أكونَ الرجُلَ الذي ستحترمُه إيو وموستانغ؛ وهذا هو النوع الجيّد مِن الحب.

– «نحتاج إلى التحدّث يا فيتشنير». أقول. لم تسنح لنا الفرصة مِن قبل. فقد جاءني سيفرو بخطّة الراقص—دعوة لاجتماع، ربط أبناء أريس بسفينتي، وجعلهم يتسلّلون إلى المبنى. كل ما فعلته هو اقتراح صن–هوا ككبش فداء، وأبلغتهُم أنّ فيكترا يجب ألّا تتعرّض للأذى.

– «سأترككما لتُنهيا الأمر». يقول الراقص، وهو يدفع كرسيّه المعدني إلى الخلف.

– «كلّا، أريدكَ أن تبقى». أقول: «لديَّ أسرار كثيرة مِن أناسٍ كُثر. لا أريد أن يكون لدينا المزيد منها بيننا نحن الثلاثة».

– «تعلَّم العدّ أيّها الأحمق». يقول سيفرو، وهو يمرُّ حول كتلة محرّكٍ صدئة. باب الخروج المعدني الرخيص يُغلَق بقوّة مِن خلفه. تفوح في الهواء رائحة خريفيّة حتّى في منطقة أجيا الصناعيّة المشبعة بالزيت. يقفز على هيكلٍ صدئٍ لمقاتلةٍ قديمةٍ، ويجلس، وساقاه متدلّيتان: «هيّا، انظر، الجميع هنا مخنّثون. دعنا نلقي نكاتاً جنسيّة».

أضحك ضحكةً مكتومةً، وألتفت إلى فيتشنير: «إذن أنت أريس».

– «الرجُل يستفيق مِن غيبوبة ليغدو عبقريّاً!». يعلنُ فيتشنير بصوتٍ عال. يُصفّق بيديه، لكنّ عيونه تبقى جديّة للغاية: «الغالبيّة تعدّني برونزيّاً. الطلاب ينادونني بالمشرف. بعضهم يناديني فارس الغضب. الحاكِمة المعظَّمة تدعوني بالخائن. ابني يناديني بالأحمق...»

– «إنّكَ أحمق». يقوم سيفرو بالمقاطعة.

–... زوجتي كانت تدعوني فيتشنير. لكنّ الذهبيّين صنعوا منّي أريس.

قبل الآن، لم أكن لأدرك ماذا يعني ذلك. إنّه ذهبيّ. كيف يمكن للذهبيّين أن يفعلوا به أي شيء؟ لكن الآن ألقيتُ نظرةً خلف الكواليس: «لماذا لم تخبرني مِن البداية مَن تكون؟».

- «وأضع حياتي في يد مراهقٍ وقدرته على التمثيل؟». يضحك: «لا أظنّ ذلك. إن اكتشفوا أمرك وعذّبوك... ستكون أخباراً سيّئة. كان لديَّ خططٌ بديلة، وأمور أخرى أعمل عليها. لقد كنتَ ببساطة المفضَّل لديّ، لكنْ لا ينبغي أن نكون متحيّزين».

- «مَن كانَت زوجتُك؟». أسأل، وأنا أشتبه مُسبقاً بالإجابة.

- «قصّة كاملة أم مختصرة؟». يسأل.

- كاملة.

- «كنت أعملُ كحلقة وَصلٍ لشركة استصلاح على ترايتون». يبدأ بصوتٍ أجش: «لم يكن لديَّ وظيفة بَرّاقة مثلك. لا شفرات. لا دروع. فقط إدارة إنشاءات. كان العقدُ مستأجراً مِن قِبَل فضيّ. كنت أدير أحد آخر محركات لوفلوك في قطبهم الشمالي عندما تسبّب انفجار أحد الينابيع الحارّة لذلك القمر اللّعين في حدوث زلزال. تشقّقت القشرة الجليديّة، وسقط المحرّك بأكمله في البحر الجوفي. غرقت ثلاثة آلاف روح».

أنقذوني مِن البحر وقضيت الأشهر التالية في التعافي في مستشفى القطب الشمالي. كنت في جناح بني الألوان العُليا. كان لدينا طعامٌ جيّد. حمّاماتٌ أفضل. أسرّة أجدد. لكنّ بني الألوان الدُنيا كانت لديهم النافذة التي تطلّ على الأضواء الشماليّة، وكان سريرها بجانب تلك النافذة».

يَنظرُ إلى سيفرو: «كانت أجمل امرأةٍ قابلتها في حياتي. وكان مِن الجميل النظرُ إليها أيضاً. فَقدَت ساقاً في الحادث. وما كان مِن المقرّر أن

يمنحوها واحدةً جديدة. كانوا يستطيعون. فهو مجرّد بديلٍ بيوني بسيط، لكنّه ليس مجدياً اقتصادياً وفقاً للنحاسيّين. إنّهم أقذر لون صُنِع على الإطلاق، أقسم على—».

يصدر سيفرو كحّة: «نعلم».

يُلقي فيتشنير بقطعة مِن القمامة نحو سيفرو ويتابع حديثه: «عندما غادرتُ، أخذتها معي. كنت قد ادّخرتُ ما يكفي مِن المال لمغادرة ترايتون. لم أستطع العيش في المنطقة المركزيّة. كان مكلفاً للغاية. لذا اخترت المرّيخ. عشنا على تخوم طيبة الجديدة لمدّة عام. أردنا طفلاً أكثر مِن أي شيء آخر، لكنْ حمضانا النوويّان لم يكونا متوافقين؛ لذا ذهبنا إلى نحّاتٍ لنرى إن كان بإمكاننا القيام ببعض السحر، وقد فعلنا. كلّفني تقريباً كل ما أملك، لكنْ بعد تسعة أشهر، زحف هذا الغوبلن الصغير إلى الخارج».

سيفرو يلوح مِن مكانه، وهو يفحص القمامة ليعرف إن كانت صالحةً للأكل.

– بعد عامين، ألقى مجلس ضبط الجودة القبض على النحّات بسبب بعض العمل الذي قام به على أحد المجالدين السبجيّين ووشى بنا بسرعة، للحصول على عقوبةٍ مخفّفة. جاءوا إلى منزلنا عندما كنتُ في الخارج مع سيفرو. وجدوا زوجتي، وأخذوها للاستجواب. رأى أطبّاؤُهُم أنّ قناتَيْ فالوب لديها قد عُدّلَتا بحيث تصبحان متوافقتين لإنجاب طفلٍ ذهبيّ، ثمّ تخلّصوا منها. يقولون ذلك تماماً في السجلّات: (تم التخلُّص منها). سمّموها بغاز أكليس-9، وضعوها في فرن، وقذفوا رمادها في البحر. لم يعطوها حتّى اسماً، مجرّد رقم. ليس لأنّها كانت سارقةً، أو قاتلةً، أو

انتهكت حقوق أي رجُل، أو امرأة، ولكنْ لأنّها كانت حمراء تجرّأت على حُبٍّ ذهبيّ. حبّي الأناني قتلها.

لم يكن الأمر مثل زوجتك يا دارو. لم أشاهد زوجتي تموت. لم أرَ الذهبيّين يدخلون إلى عالمي ويدمّرونه، بل بدلاً مِن ذلك شعرتُ ببرودة النظام، وهو يبتلعُ الشيء الوحيد الذي عِشتُ مِن أجله. نحاسيّ يضغط على الأزرار، يملأ جدول البيانات. بُنّي يدير مقبضاً لتحرير الغاز. لقد قتلوا زوجتي، لكنّهم لن يفكّروا هكذا أبداً. إنّها ليسَت ذكرى في عقولهم. إنّها إحصائيّة. وكأنّها لم توجَد قطّ. شبحٌ أحببتُه لكن لم يرها أحدٌ غيري. هذا ما تفعله الجمعيّة—توزّع المسؤوليّة بحيث لا يوجد شرّير، لذا يصبح مِن غير المجدي حتّى البدء في العثور على الشرّير، للعثور على العدالة. إنّها مُجرَّد آلة. مُجرَّد عمليّات. وتستمرّ في الهدير، بلا رحمة حتّى ينتفض جيلٌ كاملٌ ليرمي نفسه على التروس.

– ماذا كان اسمها؟

– «اسمها؟ ما أهمية ذلك؟». يسأل بحذر.

– لأنّني أريدُ أن أتذكّرها.

– «برين». يقول سيفرو مِن فوق: «اسم أمّي كان برين. كانت في الثانية والعشرين مِن عمرها عندما قتلوها». أكبر مِن عمري الآن بعامٍ واحدٍ فقط.

– «برين». أكرّر الكلمة، وأرى فيتشنير يتأرجح قليلاً على قدميه. قصور في التنفّس.

– «إذنْ أنت نصفُ أحمر». أقول لسيفرو.

يومئ سيفرو برأسه: «اكتشفتُ ذلك قبل بضعة أيّام. سحقاً كم أنّ ذلك غريب! أليس كذلك؟».

– سحقاً كم أنّ ذلك غريب! ستكون صدئياً جيّداً.

– أحبّ أن أعتقد أنّني نوعٌ مهدّدٌ بالانقراض.

يُقلِّب الراقص عود ثقاب بين أصابعه: «كلّنا كذلك».

– «كنت تعرف بشأن تيتوس». أقول لفيتشنير.

– لكنّ الراقص لم يكن يعرف. لا تلمه على ذلك. كنتُ أعتقد أنّكما ستكونان إخوة في المعهد. عاطفة طبيعيّة لعِرقِك. لكنّه ذهب في طريقٍ مظلم، ولم يكن هنالك طريقة لإعادته. قابلته—جهاز تشويش، عباءة شبحيّة—مثلما قابلتُك، لكنّ عقله انهار تحت الضغط. لم أرد أن أراك تنكسر.

– «لقد انكسرت». أنظرُ إلى سيفرو والراقص: «لكن لديَّ أصدقاء ليجمعوا أشلائي مرّة أخرى. لماذا لم تخبرنا أنا وتيتوس عن بعضنا؟».

– «حينها ستكون أخطاؤه أخطاءك، وأخطاؤك ستكون أخطاءه. في أثناء العاصفة، لا تربط زورقين معاً. سيسحبان بعضهما إلى الأسفل». يصدر سيفرو كحّة.

– لطالما عرفتُ بأنّه لا يمكن لذهبيٍّ قيادة هذا التمرّد. يجب أن يكون ذلك مِن الأسفل إلى الأعلى يا ولد. الأحمرُ يتعلّق بالعائلة، أكثر مِن أيّ لونٍ آخر، يتعلّق بالحبّ وسط كل ذلك الرّعب الذي في عالمنا. إن انتفض الحُمر، سيكون لديهِم فرصة لربط العوالم معاً. بنو الألوان الوسطى لن يفعلوا ذلك. الزهريّون والبنيّون لا يستطيعون. السبجيّون أخفقوا مِن قبل. وإن نجحوا بمفردهم، فسوف يحطّمون العوالم بدلاً مِن تحريرها.

– «إذنْ ما الخطّة؟». أسأل: «لقد أفسدتُ مَوقعكَ إلى جوار الحاكِمة المعظَّمة».

– مِن الصعب التلاعبُ بِكَ يا دارو، لذا سأدخل في صُلبِ الموضوع مباشرة. سيتبنّاك أوغوستوس. لستَ متفاجئاً...

– سيكون ذلك منطقيّاً. يريدُ ربط مصيري بعائلته. ربّما يجعلني أتزوّج موستانغ. لكن ذلك سيكسر تحالفي مع الشّغبر في حال أصبحتُ الوريث.

– «هل يهتمّ الشّغبر بذلك؟». يسأل سيفرو: «يبدو أنّه تخلّى عن أمل الحصول على الموافقة يوماً ما. الوغد اللّعين يبني إمبراطوريّته الخاصّة».

– «سيتعيّن عليَّ أن أرى». أقول.

يكمل فيتشنير: «تخلَّص مِن الشّغبر، أو اجعله جزءاً مِن الخطّة، لا يهمّ. سيتبنّاك أوغوستوس كوريثٍ له، وسيستخدمُك كقائدٍ بريتوريٍّ في أسطوله الحربي. وفي حال انتصرت على الحاكِمة المعظَّمة، فلن يكتفي بأن يكون مَلِكَ المرّيخ. سيريدُ أن يكون الحاكِم المعظَّم بنفسه. ساعده ليكون كذلك. وبعد عام مِن حُكمِه، سيقتله سيفرو ويُلصق الأمر بمنافسٍ له، ربّما الشّغبر...».

حان دوري لأتأرجح على قدمي.

– «تريدني أن أرث الإمبراطوريّة». أستنتج: «الجمعيّة بأسرها».

أحدِّق فيه ببلاهة. في الراقص. كيف يمكنهما أن يبدوا بكل هذه الجديّة؟

– «نعم». يقول فيتشنير: «بعد موته، سيبحث الجميع عن الأقوى. كن الأقوى. اربح لعبة الخلافة، ويمكنك أن تصبح الحاكِم المعظَّم تماماً مثلما كنت عريفاً. تماماً مثلما أنت بريتور. كلها ألعاب. باستثناء هذه المرّة، نحن نساعدُك على الغش. سنمدُّكَ بالمعلومات، نحميكَ مِن محاولات الاغتيال. بوجودي إلى جانبك، سيكون لديكَ شبكة تجسّس لا يستطيع

حتّى الشّغبر والحاكِمة المُعظَّمة مِن منافستها. سنرشو مَن نحتاج إلى رشوتهم، وسنقتل مَن نحتاج إلى قتله».

أجلس متأمّلًا، وأنا أنظر إلى يدي: «كنت أظنّ أنّ الأكاذيب قد شارفت على الانتهاء. أريد أن أعلن ما أنا عليه. أريد أن أعلن الحرب».

– لا يمكننا بعد. أنت تعلمُ ذلك.

أعلم، لكنّني لا أريد ترك هؤلاء الناس: «لا أريد أن أكون في الظلام مرّة أخرى. سنتواصل. سنخطّط. لا مزيد مِن المناطق الرماديّة. هل تفهم؟ لا يمكنني أن أكون وحدي مثلما كنتُ مِن قبل».

– «قل نعم يا فيتشنر». يقول سيفرو: «وإلّا لن أذهب أنا أيضاً».

– سنتواصل كلَّ يوم، إذا احتجت. لا يمكنني أن أذهب معك. هناك حربٌ شبحيّةٌ تُخاض يجب أن أديرها، لكنْ بدلاً منّي، سأرسل بعضاً مِن أفضل عملائي. سيكون لديك عُصبة يمكنك الوثوق بها. جواسيس. قتلة. مومسات. مخترقون. جميعهم بأغطية مثاليّة. جميعهم مستعدّون للموت لتحطيم القيود. لن تعود وحدكَ بعد الآن.

يملؤني شعورٌ بالراحة، لكنْ هناك شيءٌ أعرف أنّه لا يمكنني القيام به: «يجب أن أعود».

– «نعم. سيتساءلون عن مكانِكَ». يوافق فيتشنير.

– «كلّا». أقول: «يجب أن أعود إلى الديار».

– «الديار؟». يسألُ الراقص: «إلى ليكوس؟».

– «لماذا؟». يسأل فيتشنير: «ماذا تبقّى لك هناك؟».

– «عائلتي. لقد مرَّت أربع سنوات. أحتاجُ إلى رؤيتهم قبل أن يبدأ

كلُّ هذا». أنظرُ إلى كلِّ رجُلٍ في عينيه، كلُّ واحد منهُم ذو ندوبٍ وجريحٌ بطريقته الخاصّة: «يجب أن تفهم ذلك. الأمور على وشك الانهيار بطرائق لا يمكننا التنبّؤ بها. نتظاهر أنّنا نعرف ما نفعله، بدفع هؤلاء الذهبيّين إلى الحرب. نخطّط لحربنا الخاصّة، كما لو أنّه بوسعنا التحكّم بها، لكنّنا لا نستطيع. نحن مجرّد فانون نفتح صندوق باندورا. وقبل أن ينقلب كل شيء رأساً على عقب، أحتاج إلى تذكّر ما الذي أقاتل مِن أجله. أحتاج إلى معرفة أنّه يستحق ذلك».

– «أنتَ تريدُ بركتهُم». يقول الراقص: «بركتها». يعرف قلبي أفضل مِن فيتشنير. إن كنتُ سأسمح لأوغوستوس بأن يتبنّاني، فعليَّ أن أعودَ إلى الديار أوّلاً.

– «لا يمكنُكَ إخبارهُم بما أنتَ عليه. لن يفهموا». يخطو فيتشنير إلى الأمام، حَذِراً فجأة مِن انفعالي: «أنتَ تعلمُ ذلك».

– «كم كان سيكون كل هذا أسهل لو كنّا أنا وأنت قد تآمرنا منذ البداية؟». أقول: «الأكاذيب تَلِدُ الأكاذيب. يجب أن نثق». أنظرُ إلى سيفرو: «سآخذها إلى ليكوس».

– «هي؟». يسألُ الراقص.

– «موستانغ». يهمِسُ سيفرو.

– «لا». يكاد فيتشنير يصرخ: «بالطبع لا. لا. لا يستحق ذلك كل هذه المخاطرة. أنتَ في وضع مثالي الآن. إنّها واقعة في حبّك! لا تفقد تلك الورقة الرابحة بسبب تأنيب الضمير».

– وماذا لو كنتُ أحبّها أنا أيضاً؟

– «سحقاً». يلعن فيتشنير: «سحقاً. سحقاً. سحقاً! هل أنتَ جاد؟

ظننتُ أنّ هذا جزءٌ مِن لعبتك المتبّبة. سحقاً يا ولد! ستدمّر كل شيء. غبيٌّ متبّب. سحقاً!».

– «هذا هو كل شيء». أقول: «إنّها تحبّني. لن أستخدمها مرّة أخرى. لن أستغلّها. إن لم أستطع الوثوق بها، لا يمكن أن يتغيّر الذهبيّون، وسيكون كلٌّ مِن تيتوس وهارموني على حق. يا للجحيم، الجمعيّة على حق. أنت وأنا نعلم أنّ الأمر لا علاقة له بلَونِنا؛ إنّه متعلّق بقلوبنا. الآن دعنا نختبر ذلك».

– وإذا كنتَ مخطئاً؟ إذا رفضتكَ لأجلِهم؟

لا أملك إجابة.

يقفز سيفرو مِن مكانه: «حينها سأضعُ رصاصة في رأسها».

# 47

# تحرُّر

إنّ المِرجَل مُجرَّد حفنةٍ مِن القذارة—عشٌّ مِن المعدن والخرسانة على عمق ثلاثمئة متر، رطب وتفوح منه رائحة الشراب وموادّ التنظيف. ذات يوم بدا وكأنّه يعلو فوق ميدان ليكوس مثل قلعةٍ شاهقة. ولكنْ مع انخفاض سفينتي، بات لا يعدو كونه مجرّد فقاعةٍ معدنيّةٍ باهتةٍ في تايغا المرّيخ الجنوبيّة، بعيداً جدّاً عن المدن الكبرى حيث يتجمّع الرجال لحشد قِواهم ضدّ أوكتافيا لونا الذهبيّة.

الرماديّون في الداخل ليسوا مؤهّلين للحصول على أيِّ أجرٍ سوى مقابل ترويعهم للحُمر. أفكّر كيف كنتُ يوماً ما أعدّ الرماديّين مثل دان الشنيع مِن الجنود المميّزين. مِن المحزن أن أرى كم كانت شياطين شبابي ضعيفةً ومثيرةً للشفقة، كما لو أنّني أتيت من ماضٍ خياليّ فارغ.

لم يعرفوا أنّ سفينتي قادمة. لا يعرفون لماذا أنا هنا، ولا يجب أن أخبرهُم. إنّهم فقط يتفرّقون كذباب الخيل بينما أمشي بزهوٍ على رصيف سفينتي نحو مِنصَّة الهبوط المسوّدة من جرّاء المحركات، مع حرّاس شخصيّين مِن السبجيّين يتدفقون مِن أمامي. راغنار شامخٌ خلفي في أثناء

سيري بزهو عبر الممرّات ذات الشبك المعدني. أيُّ واحد مِن هؤلاء الرماديّين سيعرف كيفيّة الوصول إلى وجهتي، لكنّني أبحث عن وجهٍ مألوف.

- «دان». أسألُ أحدَ عمّال النظافة البنيّين: «أين هو؟».

أدخل إلى إحدى غُرفِهم المشتركة، حيثُ العديد مِن الرماديّين يلعبون الورق ويدخّنون السيجار. تلاحظني امرأة، مُحوِّلة انتباهها مِن مُكعَّب العَرضِ المجسَّم حيث بضعة رؤوس متحذلقة—فضي، بنفسجي، واثنان مِن الخضر—يناقشون التبعات السياسيّة لاحتلال المرّيخ عبر لقطات مُركَّبة لإنجازاتي. يسقطُ سيجارها مِن فمها. الرجُل الجالس بجانبها يضربُ السيجار بعد أن سقط على ساق سرواله وأشعل القماش.

- «كارلي، أيّتها الغبيّة الحمقاء». يدفع بنفسه بعيداً عن الطاولة: «اللعنة. سحقاً لـ...!».

يستدير دان الشنيع ليراني لأوّل مرّة منذ أربع سنوات. بوسعي الشعور بشعر جسده يقف بينما ينبثق نبع الانضباط المختبئ في جسده الكسول ليظهر استعداده. لا يوجد أيّ تقدير في عينيه، لا خوف، طاعة فقط.

هذا لا يمنحني أيّ شعور بالراحة. كان ينبغي أن يكون على شفتي دان ابتسامة سفيهة، ومظهر كريه أشبه بالضبع، لكنّه ليس كذلك. إنّه مُروَّض. مُطيع. وجههُ مُشوَّه مِن حبّ الشباب في طفولته. الشعر الدهني الذي كنّا أنا ولوران نسخر منه مِن وراء ظهره، قد اختفى الآن. حفرة مِن الصلع حلَّت محلّه، تحيط بها أطراف مِن خصل رماديّة ذابلة. إنّه مخيفٌ ككلبٍ مُبتَل. هذا هو الرجُل الذي تركته يقتل إيو.

كيفَ لم أستطع إيقافه؟ هل كنتُ ضعيفاً حقاً؟

- «الحديقة الفقاعيّة». أقول لدان، صوتي يملأ الغرفة المعدنيّة المشتركة: «خذني إلى هناك».

لقد استدرت على أعقابي مسبقاً. يُربِّت راغنار على فخذه: «**تعال أيّها الكلب**».

لقد مرّت أربع سنوات منذُ أن وقفتُ هنا آخر مرّة. تتلألأ النجوم في السماء الرماديّة بينما ترتدي الليلة عباءتها. الحديقة أصغرُ ممّا أتذكّر. أقلُّ امتلاءً بالألوان والأصوات. أظنّ أنّ هذا متوقّع، نظراً للمكان الذي كنتُ فيه، ورؤية ما رأيته. هنالك المزيدُ مِن القمامة. المزيدُ مِن آثار الرماديّين الذين يستخدمون المكان للمضاجعة والشرب. أركل علبة جعة فارغة بحذائي. غلاف قطعة حلوى يحدّد المكان الذي استلقينا فيه أنا وإيو معاً آخر مرّة.

أتذكّرها كسريرٍ مِن العشب الناعم، لكن هنالك أعشاب ضارّة الآن. ربّما كانت هنالك أعشاب ضارّة حينها، ولكنّي فقط لم ألحظها. الأزهار ذابلة، كأشياء بائسة. ألمسُ واحدةً بإصبعي وأشعرُ بحزنٍ يعتريني بينما أُحدِّق إلى الأعلى عبر السقف الفقاعي لرؤية النجوم، وهي تندفع عبر السماء. أنخر. ربّما كانوا في يومٍ مِن الأيّام نجوماً. اعتقدت أنّها كذلك عندما كنتُ أصغر، لكنّني الآن أعلم أنّها السفن الحربيّة التي تستعدُّ لشنِّ هجومٍ على لونا. لا أعرف ماذا كنتُ أتوقّع. لا سحر متبقٍ هنا.

كان ينبغي أن أتركَ هذا المكان مثاليّاً في الذاكرة. أتساءل إن كانت إيو أكثر أماناً هناك، بعيدة عن عيوني. إذا رأيتها الآن، إذا عدت، هل سأكون مغرماً بهذا الشكل؟ هل ستبدو مثاليّة إلى هذا الحد؟

أسيرُ عبر الحديقة. إنّها بالكاد أكبر مِن جناحي في السفينة باكس. أنا أثخن مِن الأشجار التي أتحرّك تحتها. العشب يتناثر بالقرب مِن قواعدها حيث تبرز الجذور مِن خلال الأرض.

أجد المكان الذي جئت لأجله. أزهار هايمانتوس تعيش فوق قبر إيو. العشرات منها. إنه لمن المستحيل ألّا أتذكّر برعم الزهرة التي وضعتُها في القبر معها. إنّها لم تعد هنا بعد الآن. أعلم ذلك. حفر الرماديّون مكانها وعلّقوها في الميدان لتتعفّن بعد أن شنقوني.

هناك سخرية قاتمة أدركها للتوّ؛ جئت هنا طلباً لبركتها، لكنّها ليسَت هنا. لقد هربَت مِن هذا القفص إلى الوادي.

لذا أجلس متربّعاً، منتظراً غروب الشمس، حيث انتظرتُ ذات مرّةٍ شروقها. عندما يحدث ذلك، يملأ الضوء المتلاشي للنهار الحديقة الفقاعيّة بلونٍ دموي، ثمّ تستسلم الشمس للأفق ويخيّم اللّيل بعباءته المثقوبة بالنجوم على المرّيخ.

أضحك مِن نفسي.

راغنار ينزلق مِن مكانه عند الباب.

– «أنا بخير». أقول من دون أن ألتفت إليه: «كانت ستضحكُ عليَّ لمجيئي إلى هنا».

– **الضَّحكُ نعمة.**

– أحياناً.

أنهض وأنفض الغبار عن بنطالي، مانحاً المكان نظرةً أخيرة.

الحديقة ليستَ مثاليّة كما كانت في ذاكرتي. ولا هي كانت كذلك. لم

تكن صبورة. وكانت تحقد لأتفه الأسباب. لكنّها كانت فتاة. لم تتجاوز السابعة عشرة. وأعطَت كلَّ ما في وسعها، فعلَت أفضلَ ما يمكنها بما هو متوفّر لديها. لهذا سأحبّها دائماً، ولهذا أعلم، سواء باركت ما أنا مُقدمٌ عليه أم لا، بأنّ قلبي لا يمكن أن يبقى هنا في هذا القفص الذي هرَبَت هي نفسها منه. عليه أن يمضي قدماً.

# 48

# الحاكِم

ينتظرني حاكِمُ المناجم تيموني نحاسي بودغينوس محاطاً بزمرةٍ مِن حرّاس المناجم الرماديّين، وهم يرتدون الآن أفضل بزّاتهم وألمعها. يحمل أحدهُم طبقاً مِن الجبنة، والتمر، والكافيار الأفضل وربّما الوحيد الذي لدى بودغينوس. دان الشنيع اختفى.

– «اللورد أندروميدوس، أليسَ كذلك؟». يتغنّى بودغينوس بتلك النبرة المتعالية التي يفضّلها النحاسيّون المتغطرسون. لقد أصبح أكثر بدانة، وشعره أقلّ كثافة، ويتعرّق مثل خنزيرٍ في الحر بينما يفتح أصابعه المثقلة بالخواتم ليُحابيني بانحناءةٍ غريبةٍ شائعةٍ في الدراما السياسيّة التي تعرض على مُكعَّب العَرضِ المجسَّم: «كنتُ أتفحّصُ مَرافِق ضَغطِ الخام»، على الأرجح بيت دعارة في يوركتن القريبة، على حافّة التايغا: «عندما وصل إليّ خبر زيارتك، هرعت بأسرع ما يمكن، لكن مع ذلك أطلب المعذرة منك. وعلى الرغم مِن ذلك، أتساءل، هل يمكنني أن أكون جريئاً بما يكفي لأسأل عن سبب زيارتك؟». لكي يبيع المعلومات لرجالٍ مثل بليني. نادراً ما يعني النحاسيّون كل ما يقولونه: «ليسَ مِن المقرر إجراء تفتيش لـ—».

- «في مجتمعٍ مهذّبٍ، يُعدّ مِن الوقاحة عدم تقديم نفسك يا نحاسي». أتحدّث مثل الفريدين ذوي الندبة، وليس مثل القرود الماجنة التي يقلّدها بحماس.

- «أعتذر!». يتلعثم بخوف، مُنحنياً بسرعةٍ انحناءةً عميقةً لدرجة أنّي أخشى من أن يلمس بأنفه الأرض لو لم يكن لديه ذلك البطن الضخم الأشبه بالوسادة: «أنا حاكم المناجم تيموني بودغينوس النحاسي خادمك المتواضع. وإذا سمحت لي، إذا لم يكن ذلك جريئاً للغاية». ما زال مُنحنياً: «إنّ مظهرك بالفعل أبهى ممّا كنتُ أتوقّع! لا أقول إنّني لم أكن أتوقّع أن تكون عريضاً وطويلاً—الحاكِم العام لا يوظّف لخدمته إلّا الأفضل من الأفضل فقط بالطبع—لكنّ مُكعَّب العَرضِ المجسَّم لا يُنصِفكَ إلّا ما ندر».

- يمكنكَ التوقّف عن الانحناء.

يستقيم بارتباكٍ، ويُحدِّق بدقّة مِن خلفي نحو الحديقة، باحثاً بخبثٍ شيطانيٍّ عن سبب مجيء شخصٍ مثلي إلى منجمه مِن دون إعلامٍ مسبق.

- كما أعلم، لا بُدَّ من أنّكَ سمعتَ مِن الآخرين، أنَّ حُكّام المناجم كانوا سعداء جدّاً لسماع أنّ الكوكب قد حُرّر مِن سيطرة عائلة بيلونا. قد يعرف أولئك الرجال ما هي الحرب، لكن التنقيب؟ هه، مبتدئون.

- يبدو أنّهُم لا يعرفون الحرب أيضاً، على ما يبدو.

يبلع ريقه، وينظر مرّة أخرى إلى شفرتي، ثمّ إلى الحديقة.

- «إنّها مساحةٌ جميلةٌ، أليسَ كذلك؟». يسأل: «تُذكّرني بوقتي الذي أمضيته على نهر بيروس. براعم التوليب هناك—أوه، اللّون! لا يوجد شيء مثله، وأنا متأكّد من أنّكَ تعرفُ ذلك. والأشجار، ألا تشبه جدّاً شجرَ

القضبان المنتشر في أنحاء سهوب أوليمبوس مونز؟ قضيتُ هناك بعضَ الوقت في شاتو لو برو». يقوم بحركةٍ واسعةٍ غريبة بيديه: «أعلم، أعلم، لكنْ في بعض الأحيان يجبُ على المرء أن يدلّل نفسه. في الواقع، إنّه المكان الذي اكتشفتُ فيه أجود أنواع جبن السوتوتشينيري». يبتسم بفخر: «أصدقائي يدعونني ماركو بولو، لأنّني أستمتع بالسفر. الثقافة هي ما أبحث عنه. الرفقة الراقية -مثلما يمكنكَ بلا أدنى شك أن تخمّن- هي مِن أندر الأمور التي يمكن العثور عليها هنا...».

لا أعرف كم مِن الوقت سيستمر في محاولة إبهاري إذا لم أنظر إلى أفضل بزّات رجاله، ثم إلى أفضل خواتمه، وأعبس.

- «هل مِن خطب ما؟». يسأل.

- «أنتَ مُحِق». أقول.

تجري عيناه الخرزيّتان ذهاباً وإياباً بين أفضل رماديّيه، بحثاً عن علامات الإجحاف التي لحظتها. أشمئزُ مِن مدى يأسه لإرضائي. هذا الرجُل سرقَ مِن عائلتي. جعلني أُجلد. شاهد إيو تُقتل. شنقَ أبي. إنّه ليسَ شرّيراً. إنّه فقط مُثيرٌ للشفقة لمدى جشعه.

- «أنا محقٌّ في ماذا؟». يسأل، وهو يرمش لي بعينيه.

- «إنّه مِن المستحيل العثور على رفقةٍ راقيةٍ في أماكن مثل هذه». عيوني تقع عليه بثقل لدرجة أنّني أخشى أن ينفجر في البكاء. رؤيته، ورؤية دان، لا تفعل شيئاً سوى ملئي بشعور من الغربة البعيدة. كنت أريدهم أن يكونوا وحوشاً فظيعةً وشنيعة، لكنّهم ليسوا كذلك. إنّهم رجالٌ تافهون يدمّرون الأرواح حتّى مِن دون أن يلحظوا ذلك. كم يوجد مِن أشباهِهم هناك؟

بذعر، يلوح بودغينوس نحو طبق الجبنة.

– السوتوتشينيري يا مولاي. إنّها مستوردةٌ مِن إيطاليا مع نكهاتٍ مِن العرقسوس، وجوزة الطيب، ورشة مِن الكزبرة والقرنفل، ولمسة مرحة ولكن غامضة مِن القرفة والشمر التي تغطّي قشرتها. أنا متأكّد مِن أنّك ستجدها—.

– لم آت إلى هنا مِن أجل الجبنة.

«لا، لا. بالطبع لا». ينظر مِن حوله بقلق: «إذا سمحتَ لي أن أسأل، لمَ جئت إلى هنا يا مولاي؟».

أبدأ بالمشي. يسرع بودغينوس لمواكبتي: «راغنار». أومئ إلى العملاق، الذي يسحب لوحاً رقميّاً صغيراً مِن جيبه. استغرقَت الحصوة ما يقارب الساعة لتعليمه كيفيّة استخدامه.

**– لقد انخفضَ إنتاجكُم مِن الهيليوم-3 بنسبة أربعة عشر في المئة خلال الربع الأخير. تُظهِر تقديراتكُم عجزاً مُتوقّعاً قدره 13,500 كيلو لربع السنة المالية الحالي. البريتور أندروميدوس يريدكَ أن تشرح ذلك.**

لا يعرف بودغينوس ماذا يفعل. ينظر ذهاباً وإياباً بيني وبين السبجي، واللوح الرقمي. يتلعثم في الرد: «أنا، أنا، نحن واجهنا مشكلات مع السكّان. رسومات جداريّة، منشورات غير قانونيّة». يتحدّث إلي: «كما تعرف، كان منجمنا نواة حركة بيرسيفون...». يربّت راغنار على كتفه بقوّة.

**– البريتور أندروميدوس مشغول.**

– «أنا، أنا..». بودغينوس يلفّ ويدور، في كابوسٍ لا يفهمه ولا يستطيع الهروب منه: «نسيت ما كنت—».

**– كنتَ تُقدِّم الأعذار.**

- «أقدِّم الأعذار. أقدِّم الأعذار؟ كيف تجرؤ!». يقف مُستعداً وقد شدَّ كتفيه: «هناكَ تيارٌ مِن التمرّد يسري في المرّيخ. لم يُترك مَنجمٌ من دون أن يتأثّر بالمعارضة. منجمي ليس استثناءً. لقد وَقعَت عمليّات قتل. تخريب. وليس فقط مِن أبناء أريس. مِن عمّال المناجم أنفسهم».

يستدير بودغينوس نحوي مرّة أخرى، شاعراً على نحوٍ يائس أنّ أجله يقترب بسرعة، وأقدامه تكافح لمواكبة خطواتنا الطويلة.

- «يا مولاي، لقد مَضيتُ إلى أبعد حدٍّ في اتّباع الطريقة الصحيحة لقمع المعارضة كما هو مذكور في القسم الثالث، البند آ مِن دليل إدارة المناجم التابع لوزارة الطاقة. لقد قلّلتُ مُخصّصاتهِم، واتّخذتُ إجراءاتٍ صارمةً لتطبيق العقوبات على انتهاكات القانون، وشوَّهتُ سمعة المفكّرين البارزين مِن خلال استدراجِهم إلى علاقاتٍ مثليّة. لقد قمتُ حتّى بتطبيق السيناريوهات الموصى بها ضمن «في إخماد التمرد». على مدار السنوات الست الماضية، طبَّقتُ الوباء والعلاج، التمرُّد والقمع، الكوارث الطبيعيّة، هجرة أفعى الحُفر، وحتى فكَّرتُ في إمكانيّة تطبيق حزمة الاضطراب الحكومي خارج الكوكب!». يلهث، ويلوِّح بإلحاح متوسّلاً كي أتوقّف: «ما مِن رجُل فعل ما هو أفضل مِن الذي فعلته».

- «وظيفتكَ ليسَت في خطر». أقول.

يرتجف وقد اعتراه شعورٌ بالارتياح. فجأةً، يعود رأسه إلى الخلف بقوّة: «لن تفعل...». يميل إلى الأمام: «أنت تفكّر في الحَجر أليسَ كذلك؟».

- «لماذا لا ينبغي لي فرضُ الحَجرِ على هذا المنجم؟». أتابع السير في الممرّ حتّى نصل إلى مِنصَّة الهبوط حيث تنتظر سفينتي. هناك أتوقّف:

«كما قُلت، فإنّ سكّانه لم يستجيبوا على نحوٍ إيجابي للاستراتيجيّات التي أيّدَتها وزارة الطاقة ومجلسُ ضَبطِ الجودة. لماذا لا نضخُّ هواءً مُشبعاً بغاز أكليس-9 ونستبدلُ بالحُمر المتعنّتين عشائرَ مِن مناجم مطيعة أقرب إلى خط الاستواء؟».

- «لا!». يُمسِك بي فعليّاً. لا يهتمّ راغنار حتّى بتهديد الرجُل السّمين.

- «اختر كلماتك بحذر». أقول.

- «يا مولاي، لا تفعل ذلك». تتلألأ الدموع في عينيه الجشعتين المذعورتين: «قد تكون أرباح منجمي قد انخفضت، لكنّه لا يزال قابلاً للاستمرار، لا يزال فعّالاً. نموذج لكيفيّة النجاة مِن العاصفة».

- «أنتَ مُخلِّصه». أقول متهكّماً.

- الحُمر هنا عُمّال مناجم جيّدون. الأفضل في العالم. هذا هو سبب جموحهم. لكنّهم قد هدأوا الآن. لقد زدت مخصّصاتهم مِن الكحول وزدت مِن تدفّق الفيرمونات في وحدات الهواء. إنّهم يتكاثرون كالأرانب. لقد جعلت أيضاً عملائي المزروعين مِن عشيرة غاما يتلاعبون بآلاتهم وخرائطهم. يظنّون أنّ المناجم تنضب. سينتظرون بقلق، خائفين مِن أنّهم لن يحقّقوا الحصّة المطلوبة، ثمّ سنُصلِح الآلات، وسيكونون مُفعَمين بغايةٍ وهدفٍ جديد. يمكنني حتّى أن أخبرهُم أنّ عمليّة الاستصلاح قد اكتملت، وأنّ الهجرة ستبدأ خلال عشر سنوات، وأنّ كوكب الأرض قد بدأ بإرسال مهاجرين. لا يزال أمامنا الكثير مِن الخيارات قبل أن نضطر لقبول الحجر.

أراقب الرجُل، وهو ينفث اللّعاب حتّى ينتهي، مُنهاراً بلا حياةٍ كقميصٍ مبلّلٍ على شمّاعة. هل كل هذا مِن أجل غروره الشخصي أم أنّه يهتمُّ حقاً

بالحُمر؟ كان هذا اختباراً لرؤية ذلك. لكن الآن لم أعد أستطيع معرفة ذلك. ربّما يهتم بطريقةٍ غريبةٍ بعض الشيء. وحش آخر مِن ماضيَّ يصبح إنساناً بفضل سياط الجمعيّة.

– منجمكَ في أمان، حالياً. حافظ على قوّتك العاملة. زِد المخصّصات، ابتداءً مِن الليلة. أريدُ عُمَّالاً سعداء، وخزائن ممتلئة. ستجدُ في سفينتي مؤناً؛ طعاماً وشراباً. أقِم وليمةً كبيرةً للحُمر.

– يا مولاي... وليمة؟ لماذا؟

– لأنّني قلتُ ذلك.

أجلسُ وَحدي في غرفة العَرضِ، أراقب الاحتفال يتكشّف مِن خلال الزجاج تحت قدمي. الآلاف مِن الحُمر يشربون ويأكلون بينما يرقص الشباب حول المشنقة على أنغام (أنشودة العجوز هيكوري). الطاولات ممتلئة بالأطعمة التي لم يتذوّقها هؤلاء الحُمر مِن قبل، وبالشراب الذي لم يرتشفوه مِن قبل. وعلى الرغم من أنّهم يضحكون، وعلى الرغم من أنّهم يرقصون، لكنّي لا أستطيع أن أجد أي فرحةٍ بنفسي. يعيشون في رعب، لكنّه رعبٌ يعرفونه. إنّه ما يمكنهُم أن يجدوا فيه ملاذاً. هل سيتبقّى أيُّ ملاذ عندما يكشفُ أبناء أريس الكذبة الكبرى؟ سيحطِّم ذلك أسلوبَ حياتِهم. سيَتوهون في عَظمَة العوالم، وسيتلوّثون بها، مثلي أنا.

أُميِّزهُم جميعاً تقريباً. الأولاد الذين لعبتُ معهُم قد كبروا الآن. الفتيات اللواتي قبَّلتُهن ذات مرّة، لديهنّ أطفال الآن. بنات إخوتي وأخواتي. أبناء إخوتي وأخواتي. حتّى أخي، كيران. أمسحُ الدموع مِن عيوني، خشية أن يراها أحد.

يأخذ ولدٌ بيدِ فتاةٍ داعياً إيّاها للرقص بعد أن قبَّلَ خدَّها. لن أكون مثل هذا الولد مرّة أخرى. لقد فقدتُ براءتي. ولن يَقبلني الحُمر أبداً كواحدٍ منهُم، مهما كان المستقبل الذي سأجلبه لهم. أنا لستُ بطلاً فاتحاً. أنا شرٌّ لا مفرَّ منه. ليس لي مكان هنا، لكن لا أستطيع المغادرة. هنالك أشياء يجب أن تقال، وأسرار يجب أن تُكشف.

– «ما زلتَ تحاولُ إنشاء طائفة؟». تسألُ مِن الباب. ألتفت لأرى موستانغ متّكئةً على الإطار المعدني، شعرها مربوطٌ كذيل حصان، وترتدي بزّة سياسيّة ذات ياقةٍ عاليةٍ مفتوحة على نحوٍ غير رسمي عند العنق.

– «أفترض أنّ عليَّ طلبَ نصب تماثيل لاحقاً، أليسَ كذلك؟». أسأل.

– راغنار يخيفُ الرماديّين في المَناطق النائية.

– جيّد.

– «أنت قاسٍ جدّاً على الرماديّين». تضحك: «هل هنالك شيء لا يعجبكَ فيهم؟». تمرّر يدها عبر شعري بينما تأتي لتجلس على ذراع كرسيِّ.

– إنّهم مُطيعون للغاية.

– «آه، إذنْ هذا هو سببُ حُبِّكَ لي». تدفن أظافرها برفقٍ في فروة رأسي، ممازحة: «التماثيل فكرة سيّئة. مِن السهل جدّاً تشويهها. يمكنُ للمخرّبين أن يمنحوكَ شارباً، أو ثديين حسب راحتهم. اقتراحٌ محفوفٌ بالمخاطر، الثديّان».

– يمكن أن يكون الأمر أسوأ.

– «حسناً، لا يوجد شيء أسوأ مِن الشارب. داكسو يحاول أن يُطلِق

واحداً. أعتقد أنّه يقوم بذلك مِن باب السخرية؟ لستُ متأكّدة». تضحك موستانغ برفق، وهي تستقرّ على الكرسي المعدني بجانبي: «ستتدبّرُ أخواتُه ذلك».

تنظر مِن حولها إلى المنجم والحاوية: «المكان مقرف. كتبتُ مشروع قانون يخطّط الإصلاحيّون لتمريره بعد كلِّ هذا. سيستنزف ذلك وزارة الطاقة، ويُعيد هيكلة مجلس ضبط الجودة». تنظر في أنحاء المِرجَل: «لتغيير الطريقة التي يُدار بها هذا المسلخ. هل ترى المتاجر في هذا المكان؟ طعام يكفي لسبع سنوات، ومع ذلك يواصلون استنفاد طلبات التوريد الخاصّة بهم. ألقيتُ نظرة على ملفّاتهم. حاكِمُ المناجم يختلسُ مِن القمّة. على الأرجح أنّه يعيد بيع المؤن في السوق السوداء. النحاسي الكاذب ظنَّ بأنّنا لن نلحظ. ربّما لأنّ بعض الذهبيّين، أو الفضيّين أخبروه أنّهم سيَرشونَ الأشخاص المناسبين لضمان عدم اعتراض أي أحد على الإطلاق. كلُّ هذا بينما لديه سكّان يعانون مِن سوء التغذية. الفساد في كلِّ مكان».

تكشّر أنفها وتزيل قطعة مِن الطلاء المتقشّر عن كرسيّها.

– «لماذا نحن هنا؟». تسأل: «هل حدث شيء مع أخي؟».

– «هذا هو المنجم الذي غنَّت فيه الفتاة الأغنية المحرَّمة». أقول بعد لحظة. تتّسع عيونها وهي تتفحّص الحشدَ في الأسفل.

– هؤلاء الناس المساكين.

تراقبني، منتظرةً بترقّب ما سأقول. لكن لم يتبقّ أيُّ كلمات. فقط شيء لأظهره. آخذ يدها وأقف: «تعالي معي».

# 49

# لماذا تغنّي

لم أشعر بخوفٍ مثل هذا مِن قبل.

ليكوس مظلمةٌ في اللّيل. جميع الأضواء خافتة حتّى لا يفقد الحُمر عقولهم مِن النهار الأبدي. في مكانٍ ما، الورديّات الليليّة تنسجُ الحرير وتُنقِّب في الأرض. لكنْ هنا في هذا النفق الواسع، لا توجد حركة، ولا صوت سوى همسات لمكعَّبات عَرضٍ مُجسَّم تُظهِر عرضاً مُجسَّماً لعمليّات استصلاح قديمة، وطَنين آلات بعيدة. الجوّ هنا باردٌ، لكنّني أعرق.

موستانغ صامتةٌ بجانبي. لم تتحدّث منذ أن نزلنا بأحذيتنا الثقاليّة إلى أرضيّة الميدان، العباءات الشبحيّة تجعلنا تقريباً غير مرئيّين للثملين المتثاقلين المنهارين على الطاولات الذين ينامون بعمقٍ على درجات المشانق. أسمعُ التوتّر في صمتها وأتساءل بمَ تفكّر.

قلبي يَدقُّ بعنفٍ في صدري، بصوتٍ مرتفع لدرجة أنّ موستانغ لا بدّ تسمعه، ونحن ندخل مَجمَع لامبدا، حيث نشأتُ كصبيّ وترعرعت إلى أن أصبحتُ رجُلاً. المكان أصغر. السقف أقلُّ ارتفاعاً. جسورٌ مِن حبالٍ

وأنظمة بكرة مثل ألعاب الأطفال. مُكعَّب العَرضِ المجسَّم الذي كان ذات يوم يتلألأ بمشاهد لوجه أوكتافيا لونا الذهبيّة بات الآن مجرّد أثرٍ قديم، بِكسِلات مفقودة. تتفحّص موستانغ المكان مِن حولها، وقد ألغت تفعيل عباءتها. عيناها تتنقّلان مِن جسرٍ إلى آخر، ثمّ إلى منزل، كما لو كانت ترى شيئاً رائعاً. لم يخطر ببالي قطّ أنّ ذهبيّاً سيهتمُّ بمكانٍ بسيطٍ كهذا.

أصعدُ الدرج الحجري إلى الجسر الذي يؤدّي إلى منزلي القديم كما كنتُ أفعل عندما كنتُ صبيّاً. الاختلاف فقط هو أنّ أطرافي أصبحَت كبيرةً جدّاً الآن. نسيتُ أنّني أنتعِلُ حذاء ثقاليّاً. موستانغ تستخدم حذاءها أيضاً. تتبعني مِن الخلف وتَنفضُ الغبار عن يديها لدى هبوطها حيثُ قُصَّ في الجدار الباب المعدني الرقيق الذي يُفضي إلى منزل عائلتي القديم.

– «دارو». تقول بصوتٍ هادئ: «كيف تعرف إلى أينَ تذهب؟».

ترتعش يداي.

– «أنتِ قلتِ لي بأن أُدخِلك». أنظرُ إليها.

– لقد قلتُ، لكن...

– إلى أيِّ مدى تريدين الذهاب؟

أعلمُ أنّها تشعرُ بما هو قادم. أتساءل منذ متى وهي تشعرُ بذلك؛ بشخصيّتي المريبة، بتصرّفاتي الغريبة، بروحي البعيدة.

تنظر إلى يديها الملطّختين باللّون الأحمر مِن غبار الدرج الحجري: «حتّى النهاية».

أعطيها مُكعَّب عَرضٍ مُجسَّم: «إن كنتِ تعنين ما تقولين، اضغطي على التشغيل، وادخلي عندما تُكمِلين المشاهدة. إن غادرتِ سأتفهّم».

– دارو...

أُقبِّلها مرّة أخيرة، بقوّة. تُمسِك بشعري، شاعرةً أنّ شيئاً سيتغيّر عندما نفترق. أجدُ نفسي أبتعد. يدي تغطّي ذقنها. عيناها المغلقتان تبدآن بالحركة لتُفتَحا بينما أبتعد وأستدير نحو الباب.

أدفعه ليُفتَح.

عليَّ أن أنحني كي أدخل. المنزل ضيّق. هادئ. الطابق الأوّل تماماً مثلما أتذكّره. الطاولة المعدنيّة الصغيرة لم تتغيّر. ولا الكراسي البلاستيكيّة، الحوض الصغير، الصحون الفخاريّة التي تُجفَّف، أو إبريق الشاي الذي تعتزّ به أمّي، والذي يغلي على الموقد. سجّادة جديدة تغطّي الأرض. إنّها عمل مبتدئ. توجد أحذية مختلفة في المكان الذي اعتاد والدي أن يضع فيه أحذيته في بداية الدَرَج، حيث كنتُ أضع أحذيتي. لحظة، تلك أحذيتي. لكنّها ممزّقة ومهترئة أكثر ممّا كانت عليه في أيّامي. هل كانت قدماي صغيرتين هكذا حقّاً؟

الصمتُ يُخيِّم على المنزل. الجميع نائمون إلّا هي.

يُصدِر إبريق الشاي صوت هسيسٍ عند غليان الماء. وسرعان ما يبدأ همسهُ الخافت. صوت احتكاك أقدام على الدرج الحجري. كِدتُ أركض إلى خارج الغرفة، لكنّ الرعب يثبّتني في مكاني مع اقترابها. تقترب إلى أن أصبحَت في داخل الغرفة معي، وتتوقّف عند آخر درجة، بقدم متدلّية، منسية. عيونها تجد عيوني. لا تبعدها. لا تنظر إلى بقيّة جسدي الذهبيّ. أشعر بالذعر عندما لا تقول شيئاً. نَفَس. ثلاثة. عشرة. إنّها لا تعرفني. أنا قاتلٌ في منزلها. لم يكن ينبغي لي أن آتي إلى هنا. لا تتعرّف عليّ. أنا ذهبيٌّ ضائعٌ يتجسّس بدافع الفضول. يمكنني المغادرة. الهربُ الآن. لا يجب أن تعرف أمّي ما أصبحَ عليه ابنها.

ثمّ تُكمِل خطوتها وتأتي نحوي. تنزلق. لقد مرّت أربع سنوات. تبدو أكبر بعشرين سنة. شفاهها رقيقة، جلدها مترهّلٌ ومكسوٌّ بالخطوط، شعرها مشوبٌ بلونٍ رماديٍّ متّسخ، يداها صلبتان مثل البلوط، وبعُقَدٍ مثل جذور الزنجبيل. عندما تمدُّ يدها اليمنى نحو وجهي، أضطرّ إلى الانحناء. ما زالت عيونها تحدق في عيوني. الآن تنفجر بالدموع. إبريق الشاي يصرخُ على الموقد. تضعُ يدها الأخرى على وجهي، لكنّها لا تستطيع أن تفتحها وتَلمِس بها مثل الأخرى. تبقى ملتوية ومنقبضة، مثل قلبي.

– «إنه أنت». تقول بهدوء، كما لو كنتُ سأختفي مثل رؤيةٍ ليليّةٍ لو قالَت الكلمة بصوتٍ عالٍ جدّاً: «إنّه أنت». صوتها مختلف، كلامها متداخل.

– «هل تعرفينني؟». أتمكّن مِن قولها بيأس.

– «كيف لي ألّا أعرفك؟». ابتسامتها ملتوية، جفنها الأيسر ثقيل. الحياة لم تكن لطيفة معها مثلما كانت معي. لقد أُصيبَت بسكتةٍ دماغيّة. يحطّمني رؤية جسدها وهو يخذلها. معرفة أنّني لم أكن هنا مِن أجلها. معرفة أنّ قلبها كان مفطوراً: «سأعرفكَ... في أيّ مكان». تُقبِّل جبهتي: «ولدي. أنت دارو فلذة كبدي».

تترك الدموع مسارات دافئة على خدّي. أترك أثرها.

– أمّي.

لا أزال راكعاً على ركبي، أحتضنها بذراعَيّ وأدع الدموع الصامتة تنهمر. لا نقول شيئاً لوقتٍ طويلٍ جدّاً. رائحتها مفعمة بالشحم والصدأ، ونكهة العفونة مِن الهايمانتوس. تُقبِّل شفتاها شعري كما كانت تفعل. تخدش يداها ظهري كما لو كانت تتذكّره بالعرض نفسه الذي هو عليه الآن، وبالقوّة نفسها.

- «يجبُ أن أرفعَ الإبريق». تقول: «قبل أن يستيقظَ أحدهم ويراك مثل...».

- بالطبع.

- عليك أن تتركني.

- «آسف». أتركها، وأنا أضحك مِن نفسي.

- «كيف... ؟». تسألني، واقفة هناك تنظر إلى الشعار الذي على يدي، وتهزُّ رأسها: «كيف يمكن لهذا أن يحدث؟ أنت... لهجتك. كلُّ شيء».

- لقد نُحِتُّ. أنقذني العمّ نارول. بمقدوري تفسير ذلك.

تهزُّ رأسها، وترتعش قليلاً ظانّةً بأنّني لا أستطيع رؤية ذلك. يزعق الإبريق بصوتٍ أعلى. «اجلس». تدير ظهرها إليّ وترفع الإبريق عن الموقد. تضع كوباً آخر. واحداً مِن الرف العالي. أذكر أنّه كان لأبي. الغبار يغطّي الفخار المصبوب. تتوقّف، ولا تقول شيئاً بينما تُقرِّبه لتضُمَّه إليها، ولتنزلقَ إلى لحظةٍ ليسَت مخصّصةً لي، حيث تتذكّر تلك الصباحات التي كانا يستعدّان فيها لليوم معاً. بنَفَسٍ طويل، تُسقِط أوراق الشاي في الإناء وتَصبُّ الماء الساخن بعد ذلك: «هل تود شيئاً آخر؟ لدينا ذلك البسكويت الذي أحببته».

- لا، شكراً.

- لقد أخذت نصيبي مِن الوليمة اللّيلة. إنّه طعامٌ ذهبيٌّ شهيّ. هل فعلت ذلك؟

- لستُ ذهبيّاً.

- هنالك حبوبٌ أيضاً. طازجة مِن حديقة ليورا. هل تذكرها؟

أُلقي نظرةً على جهازي اللّوحي. موستانغ رحلَت، عائدةً إلى السفينة بعد أن شاهدَت مُكعَّب العَرضِ المجسَّم. كنت أخشى ذلك. أقرأ رسالة مِن سيفرو: «هل أوقفها؟». يسأل. هنالك خياران: أن أدعَ سيفرو وراغنر يُمسِكان بها، ويحتجزانها إلى أن أتمكّن مِن التحدّث إليها، أو أن أثق بها لتتّخذ قراراتها الخاصّة. لكن إذا وَثقتُ بها، قد تغادر، وتُخبِر والدها بمن أكون، وقد ينتهي كل شيء. ومع ذلك، قد تحتاج فقط إلى الوقت. لقد أعطيتها الكثير لتستوعبه. إذا قَبضَ كل من راغنر وسيفرو عليها قبل الأوان، قد يجعلها ذلك تعاديني، أو قد يتصرّفان مِن تلقاء نفسيهما ويقتلانها.

ألعنُ بصمت، أكتب ردّاً سريعاً.

- «أتذكّرُ الجميع». أقول لأمّي، أرفع نظري مجدّداً: «لا أزالُ أنا».

تتوقفُ عند ذلك، ما زالت تقف في مواجهة الموقد. عندما تلتفت، تُظهِر ابتسامةً مائلةً على وجهها الذي دمّرته السكتة. تطيح يدها بأحد الأكواب، لكنّها تستعيد توازنها بسرعة.

- «هل لديكَ شيء ضدّ الكراسي؟». تسأل بحدّة، ملاحظةً أنّني رأيتُ عدم اتزان يدها.

- «الأمر عكس ذلك، فأنا أخشى...». أرفع الكرسي. إنّه مناسبٌ أكثر لطفلٍ ذهبيٍّ منه لفريدٍ ذي ندبة بطولٍ يفوق السبعة أقدام، ويزن بقدر ثلاثة رجال حمُر مجتمعين معاً. تضحك ضحكتها المكتومة المظلمة، تلك التي عندما كنتُ طفلاً، كانت دائماً تجعلني أظنّ أنّها ستفعل شيئاً شريراً على نحوٍ خاص. برشاقة، تطوي ساقيها وتجلس على الأرض. أواكبها، أشعر بأنّني طويلٌ جدّاً وغير متناسق هنا. تضع الأكواب ذات البخار المتصاعد بيننا.

- «لا تبدين متفاجئةً للغاية لرؤيتي». أقول.

- «إنّك تتحدّث بطريقةٍ مضحكةٍ الآن». تتوقّف لمدّةٍ طويلةٍ تجعلني أتساءل إن كانَت ستستمر: «نارول قال لي بأنّكَ على قيد الحياة. أخفق في قول إنّكَ غمستَ نفسكَ في الذهب، على الرغم من ذلك». ترتشفُ مِن شايها: «أراهن أنّ لديكَ أسئلة».

أضحك: «ظننتُ أنّ لديكِ المزيد».

- «لديّ، لكنّني أعرفُ ابني». تراقب شِعاراتي: «أنا أكثر صبراً. ادْلُ بدَلوك».

- نارول... هل هو...؟

- ميّت؟ نعم، إنّه ميّت.

الأنفاس تخرج منّي.

- منذ متى؟

- «منذ عامين». تضحك ضحكة مكتومة: «سقط في مِهواة المنجم مع لوران. لم يُعثَر على الجثث قط».

- لماذا تضحكين بحق الجحيم؟

- «كان شقيق والدك دائماً الخروف الأسود في المجموعة». ترتشفُ مِن شايها. لا يزال ساخناً جداً بالنسبة لي: «أعتقد أنّه مِن المنطقي أن يكون مِن الصعب قتله مثل الصرصور. لذا سأصدّق أنّه ميّت عندما أراه في الوادي. المخادع الحقير». تتحدّث ببطء، مثل مُعظم الحُمر. اللثغة الناتجة عن السكتة خفيفة، لكنّها دائماً موجودة: «أعتقد أنّه غادر هذا المكان وأخذَ لوران معه». طريقة قولها لذلك تجعلني أعلم أنّها تفهم أنّ هناك المزيد

وراء المناجم. ربّما لا تعرف الحقيقة كاملة، لكنّها تعرف جزءاً. ربّما لم يمت عمّي وابن عمّي. ربّما رحلا ليكونا مع أبناء أريس.

– ماذا عن كيران؟ ليانا؟ ديو؟

– أختك تزوّجت مرّة أخرى. تعيشُ مع زوجها في مَجمَع غاما في منزل عائلته.

– «غاما؟». أقول باحتقار: «هل سمحتِ لها—». أتوقّف بمجرّد رؤيتي للالتواء الجديد على فم أمّي. قد أرتدي بهارج الذهبيّين، لكن مِن الأفضل أن أخرس فيما يتعلّق بابنتها.

– «لديها فتاتان تُشبِهانك أكثر منها، أو مِن أيٍّ غاما رأيته مِن قبل. وكيران بخير». تبتسم في سرها: «ستكون فخوراً به. لم يعد الطفل المتذمّر الذي قد تتذكّره، وهو يتشاجر بشأن مهامه ويتحدّث في نومه. رجُل المنزل. أصبح رئيس طاقم العُمَّال بعد سقوط نارول. ديونا، زوجته، توفّيت في أثناء الولادة، ومع ذلك تزوّج واحدة أخرى قَبلَ بضعة أشهر».

أخي المسكين.

– وماذا عن ديو؟ ووالدَيْ إيو؟

– والِدُها مات. قتلَ نفسه بعد وقتٍ قصيرٍ مِن محاولتكَ القيام بالأمر نفسه.

أخفِض رأسي: «الكثير مِن الوفيات».

تلمس ركبتي: «إنّها الطريقة التي تسري بها الأمور».

– هذا لا يجعل الأمر صائباً.

– كانَت فترة صعبة بعد أن تركتُمانا أنتَ وإيو. لكنْ ديو بخير. في الواقع، هي في الطابق العُلوي.

- في الطابق العُلوي؟ ماذا... هل تزوّجت بكيران؟

- نعم. وهي حامل. آمل أن تكون فتاة، لكن مع حظّي سيكون صبيّاً يريدُ تجنّب أفاعي الحُفَر وحروق البخار طوال حياته. إذا كان لديه الخيار بالطبع.

- ماذا تعنين؟

- الأمور صعبة. لقد تغيّرت. المنجم لا ينتج مثلما هو متوقّع. بعض الرجال يهمسون أنّ هذه الزاوية مِن العالم مُستهلَكة بالكامل، ممّا يجعلهُم يبدأون بالخوف—ماذا يحدث لعمّال المناجم عندما لا يتبقى شيء لاستخراجه؟ إنّهم يأملون بأن ينجح الاستصلاح قبل أن نستنفد مخزون الهيليوم لدينا.

- لن يحدُث لكم شيء. أعدكِ أنّني سأحمي هذا المنجم. مهما تطلّب الأمر.

- كيف؟

- سأفعل.

- «دوري الآن». تُحدِّق بي مِن فوق كأس الشاي: «أين كنتَ يا ولدي؟».

- أنا... لا أعرف حتّى مِن أين أبدأ.

- مِن وفاة إيو، على ما أظنّ.

أجفل. كانت أمّي دائماً صريحة. جعلت كيران يبكي طوال طفولته. لكن تلك الصراحة تجعل البثور تصبح ندوباً؛ لذا أدين لها بردٍّ مماثل. أخبرها بكل شيء، بدءاً مِن اللحظات بعد وفاة إيو وانتهاءً بالوعد الذي قطعته للحاكِم العام.

كان كأسانا قد نفدا مِن الشاي منذ مدّةٍ طويلة عندما انتهيت.

- «إنّها حكايةٌ مثيرة». تقول.

- حكاية؟ إنّها الحقيقة.

- لن يصدّقك الآخرون.

- أنت تصدّقينني، أليسَ كذلك؟

- «أنا أمّك». تأخذ يدي وتمرّر أصابعها المعوجّة فوق الشعار الذي يمتدُّ مِن ظهر يدَي وحتى ساعدَي، مبتسمة بتصنّع عندما تصل إلى الأجنحة المعدنيّة المزروعة على جانب ساعدَي: «لم أحبّ إيو قط». تقول بهدوء.

أدير رأسي إلى الأعلى كي أنظر إليها.

- ليسَت لك. كانت مُتلاعِبة في بعض الأحيان. لقد أخفَت بعض الأمور عنك...

- «أعرفُ عن الطفل». أقول: «أعرفُ ما قالتهُ لديو على المشنقة».

تقترب أمّي منّي، يداها تُمسِكان بيدَيّ وتُقرِّب براجمي إلى شفتيها. لم تواسني كثيراً مِن قبل. تبدو غريبة لقيامها بذلك الآن، لكنّني لا أمانع. أحَبّها أيي للسبب نفسه الذي أحِبّها من أجله. كل ما تفعله تعنيه. ليس هناك زيفٌ في شخصيّتها. لا خداع. لذلك عندما تقول لي إنّها تحبّني، أعلم أنّها تعني ذلك بكلِّ جوارحها.

- «لم تكن إيو فتاةً قاسية، أنتَ تعرف ذلك». تقول، تعود إلى الوراء لتتمكّن مِن النظر في عيني: «لقد أحبَّتكَ بكلِّ ما لديها، وأحبَبتُها مِن أجل ذلك، لكنّني كنتُ دائماً أخشى مِن أن تجعلكَ تخوضُ معاركها، وكنتُ دائماً أخشى مِن مدى حُبِّها لخَوضِ المعارك».

ليست هذه هي إيو التي أتذكَّرها تماماً، لكنّني لا أجد عيباً في كلمات والدتي. لا أستطيع. كل عين تدرك الأمور بطريقتها.

- لكن في نهاية الأمر يا أمّي، إيو كانَت على حق في هذا؛ بشأن الذهبيّين.

- أنا أمّك. لا يهمّني ما هو الصحيح. أنت مَن يهمّني يا ولدي.

- «على أحدهم أن يُصلِح كل هذا». أقول: «يجب أن يُحطِّم أحدهُم القيود».

- وهل هذا الشخص هو أنت؟

لماذا تُشكِّك بي؟ «نعم، أنا هو. أنا لا أتصرّف بحماقة. يمكنني قيادتنا للخروج مِن هنا. للخروج مِن العبوديّة».

- «إلى أين؟ إلى السطح؟». تتحدّث عن ذلك وكأنّها تعرف حقيقة المرّيخ منذ سنوات، لا دقائق. ربّما تعرف: «وما الذي سنفعلهُ هناك؟ المناجم هي كلُّ ما نعرفه. التنقيب وجني الحرير هو كلُّ ما نجيده. إن كان ما تقولهُ صحيحاً وهناك مئات الملايين مِن الحُمر على المرّيخ، كيف سيكون لنا ما يكفي مِن المنازل هناك في الأعلى؟ كيف سيكون هناك ما يكفي مِن العمل؟ معظمهم لن يغادر المناجم، حتّى لو عرفوا. سترى. سيبقون عُمَّالَ مناجم. وأطفالهُم سيكونون عُمَّالَ مناجم. وأطفالُ أطفالِهم، ما عدا النبلاء، فإنّهم سيضيعون. هل تفكّر في هذه الأمور؟».

- طبعاً أفكّر.

- وهل لديكَ إجابة؟

- كلّا.

- «طبيعة الرجال». تُدلِّك صدغها الأيمن: «كان والدكَ هو ذلك الذي

يقفز مِن دون أن ينظر». تعبيراتها تخبرني عن رأيها في ذلك: «كلُّ غطّاسي الجحيم يعتقدون أنّهم يوفّرون ما هو ضروري للعشائر. لا. النساء هنَّ مَن يفعلن». تشير إلى ما حولها: «كلُّ ما تراه صُنع مِن قِبَل امرأة. لكنّكَ تعرف كيفَ تُشكِّل العالم، أليسَ كذلك؟ تعرف كيف ينبغي أن يكون».

– «لا، لا أعرف». أقول: «لستُ مَن لديه الأجوبة». موستانغ هي مَن لديها. إيو كان لديها. أمّي لديها: «لا يوجد رجُلٌ واحدٌ، أو امرأة واحدة لديهِم جميع الأجوبة. سنكون بحاجة ألف، مليون عقلٍ لامعٍ للإجابة عمّا سألته لي. هذا هو المغزى مِن ذلك؛ ما يمكنني فعله، ما أجيد فعله هو تدمير الرجال والنساء الذين يرغبون في إبقاء تلك العقول مُقيَّدة، لهذا أنا هنا، هذا هو سببُ وجودي».

– «لقد تَغيَّرت». تقول.

– «أعلم». ألتقط الغبار مِن الأرض وأفركه بين يدي. يبدو الغبار غريباً على هاتين اليدين: «هل تعتقدين... هل مِن الممكن أن نُحِبَّ شخصين؟».

قبل أن تتمكّن مِن الإجابة، هناك وَقعٌ لخُطى تهبط الدرج.

تلتفت والدتي لترى.

– «جدتي؟». صوت صغير يقولها بنعاس: «جدتي، دانلو ليسَ في السرير».

طفلةٌ صغيرةٌ تقف على الدرج، تجرّ خلفها على الأرض قميص نومها. إحدى بنات كيران. عمرها ثلاث، وربّما أربع سنوات. وُلِدت بعد فترة وجيزة مِن رحيلي. وجهها على شكل قلب. شعرها الأحمر كثيفٌ وصدئٌ مثل زوجتي. تنظرُ والدتي إليَّ مرّة أخرى، قلقةً بشأن كيفيّة شرح وجودي، لكنّني فعَّلتُ عباءتي الشبحيّة فورَ سماعي للضجّة.

- «أوه، ربّما تسلّل للخارج لإحداث المتاعب». تقول والدتي.

أضغط على يدها قبل أن أنزلق بعيداً مِن الغرفة نحو الباب. وقتي هنا شارفَ على النهاية، لكنّني أتباطأ. تنزل الطفلة بخطوات حذرة على الدرج، قَدماً بعد أخرى، تفرك عينيها لتطرد منها النوم.

- مع مَن كنتِ تتحدّثين؟

- كنتُ أصلّي يا طفلتي.

- تصلّين مِن أجل ماذا؟

- «مِن أجل روحِ رجُلٍ يُحبّكِ كثيراً». تلمسُ والدتي أنفها بإصبع.

- أبي؟

- لا، عمُّك.

- العم دارو؟ لكنّه ميّت.

تحمل والدتي الفتاة بين ذراعيها: «يمكنُ دائماً للأموات سماعُنا يا حبيبتي. لماذا تظنّين إذن أنّنا نُغنّي؟ نريدهُم أن يعرفوا أنّه على الرغم مِن رحيلِهم، إلّا أنّه لا يزالُ بوسعنا إيجاد الفرح». مع احتضان ابنة أخي، تديرُ نظرها إليّ بينما تأخذُ الخطوة الأولى إلى أعلى الدرج: «هذا كلُّ ما كانوا ليتمنّوه لنا».

مكتبة
t.me/soramnqraa

# 50

# الأعماق

رَحلَت موستانغ. كنتُ آمل أن تدخل. لكنّي أشكُّ بأنّ ذلك كان طلباً مُبالغاً فيه. بالطبع كان أحمق. أتذكَّر كيف اعتقدتُ بأنّ هذا سيجعلني أكثر إنسانيّةً في نظرها. اعتقدتُ أنّ لقاء والدتي سيجعلها تبكي وتدرك أنّنا جميعاً مُتشابهون.

ينتابني تأنيبُ الضمير بسرعة. أعطيتُ موستانغ عرضاً مُجسَّماً يصوّر عمليّة نحتي، متوقّعاً... متوقعاً ماذا؟ أن تأتي إلى الداخل؟ بأن تقوم هي، ابنة الحاكِم العام للمرّيخ، بالجلوس على أرضيّة منزلي معنا أنا وأمّي؟ أنا جبانٌ لمجيئي إلى هنا. أنا جبانٌ لأنّني جعلتُ العرضَ المجسَّم يتحدّثُ بالنيابة عنّي. لم أرغَب في مشاهدة عمليّة إدراكها لحقيقتي. لم أرغَب في رؤية الخيانة في عينيها. أربعُ سنوات مِن الخداع. أربعُ سنوات مِن الكذب على الفتاة التي لم تتمكّن قطّ مِن الوثوق بأحد. أربعُ سنوات، وأنا أقول الحقيقة حتّى عندما لا أكون في الغرفة اللّعينة. أنا جبان.

لقد رَحلَت.

أتحقّقُ من لوحي الرقمي. جهاز التعقّب الإشعاعي الذي أصرَّ سيفرو

على لصقه بها قبل أن تأتي لرؤيتي في غرفة مراقبة المِرجَل، يشير إلى أنّها على بعد ثلاثمئة كيلومتر وتتحرّك بسرعة. سفينة سيفرو تلاحقها، منتظرةً أوامري.

يتّصلُ بي كلٌّ مِن راغنار وسيفرو. لا أجيب على اتّصالاتهم. سيريدون منّي إعطاء الأمر بإسقاطها. لن أفعل. لا أستطيع. لا أحد يفهم.

بدون موستانغ، ما الهدف مِن كلّ هذا؟

أرحلُ بعيداً عن المجمّع، وأهبط أكثر وأكثر إلى المنجم القديم، مُحاولاً نسيان الحاضر مِن خلال العثور على الماضي. هناك، أقفُ وحدي أستمعُ إلى نداء المناجم العميقة. الرياح بصوتها الأشبه بالعواء تشقُّ طريقها عبر الأرض، وكأنّها أغنيةٌ حزينة. أغمض عيوني أمام الظلام، وكعباي مثبّتان في الأرض الرخوة، ورأسي ينظر إلى الأسفل نحو فم الظلام الذي يمتدُّ عميقاً في أحشاء عالمي. هكذا كنّا نختبر شجاعتنا في شبابنا. واقفين، ننتظر، في التجاويف العميقة التي حفرها أسلافنا في الأوقات السابقة.

أدير ذراعي اليسرى لأرى باطن ساعدي حيث يستقرّ اللّوح الرقمي. متردّداً، أتصل بموستانغ.

يرنّ خلفي مباشرة.

أتجمّدُ في مكاني. ثمّ تطنُّ حزمة بطاريّات الحرّاق عندما يجري تنشيطها، وينبعُ ضوءٌ أصفرُ دافئٌ خلفي، مضيئاً جزءاً مِن النفق الضخم.

– «ضع يديكَ حيث أستطيع رؤيتهما». صوتها باردٌ لدرجة أنّني بالكاد أتعرّف عليه إلى أن ينعكس مِن جدران النفق. ببطء، أرفع يدي: «استدِر». أستدير.

تتألّقُ عيناها في مواجهة ضوء المصباح مثل بومة. إنّها على بعد

عشرة أمتار، أعلى منّي، قدماها مثبّتتان في الأرض المنحدرة الرخوة. بيدٍ تحملُ ضوءاً، وبالأخرى حرَّاقاً. إنّه موجّهٌ إلى رأسي، وإصبعها على الزناد. براجمها بيضاء بالكامل. وَجهُها قناعٌ بلا تعبير، وخلفه عيونٌ ممتلئةٌ بالحزن العميق.

كان سيفرو على حق.

– «ستطلقُ عليكَ النار في رأسك، أيّها الأحمق اللّعين!». سخرَ منّي سيفرو في المركبة. أحياناً أعتقدُ بأنّه انضمَّ إلى حملتي الصغيرة حتّى يكون لديه عذر كي يلعن ويشتم مثل الحُمر. ظلَّ راغنار صامتاً عندما أخبرتهم بخطّتي.

– «إذن لماذا دَعمتَني مع والدكَ؟». سألته.

– لأنّ هذا ما نفعله.

– يجب أن تتّخذ قرارها بنفسها.

– وهل ستفضِّلك على عِرقها؟

– أنت فعلتَ ذلك.

– «أوه، توقّف عن ذلك! لستُ ملكةَ الذهبيّين اللّعينة، أليسَ كذلك؟». رفعَ يده عالياً: «لقد عاشَت هنا طوال حياتها. الهواء لطيفٌ وعذب». خفضَ يده: «أواجهُ المتاعبَ منذ أن ولدتُ صغير الحجم وقبيح الوجه لأبي البدين. فتاتُكَ—لا تحملُ ضغينةً، أو شعوراً بالظلم. قد تتحدّث بأشياء جميلة عندما لا يكون العالم صعباً، لكن عندما تواجه الحشود الذين سيسرقون قصرها، ويدوسون حدائقها... سترى فتاةً مختلفةً حينها».

– «أنتَ أحمر». تقول لي الآن.

- اعتقدتُ أنّكِ غادرتِ.

- «جهازُ التعقُّبِ غادر». تلوي ذقنها: «كان سيفرو ماكراً. لم ألحظه حتّى وهو يفعلُ ذلك. لكنْ أنت لم تكن لتخبرني بشيء مثل... هذا\بدون سياسة تأمين. تخلّصتُ مِن الملابس في المركبة».

- لماذا عُدتِ؟

- «لا، لا». تَقطعُ الهواء بإيماءة: «أنتَ تجيب عن أسئلتي الآن يا دارو. هل هذا هو اسمكَ أصلاً؟».

- سمّتني أمّي نسبةً لأبيها.

- وأنتَ أحمر.

- وُلدتُ في المنزل الذي وقفتِ خارجه. ومرَّت ستّة عشر عاماً قبل أن أرى السماء؛ لذا نعم، أنا أحمر.

- «أفهم ذلك». تتردّد: «وأبي قتل زوجتك».

- نعم، أمر بقتل إيو.

- «عندما غنَّيتَ لي الأغنية في الكهف... كان كلُّ هذا يدورُ في ذهنك؟ هذا المكان، النحت، الخطّة، كانت كلها بداخلك، كلّها في ذاكرتك. هذا العالم الآخر بأكمله. هذا... الشخص الآخر بأكمله». تهزُّ رأسها، لا تريدني أن أجيب عن ذلك: «ثمّ ماذا حدث؟ شُنِقَ زوج إيو. أنتَ شُنِقت. كيف هربت؟».

- هل تعرفين لماذا شنقوني؟

تنتظر منّي أن أشرح.

- «عندما يُعدم أحمر بتهمة الخيانة، لا يُسمح بدفن الجثّة. تُتركُ لتتعفّن

وتتحلّل أمام الجميع كتذكيرٍ بالذي سيحدث نتيجة المعارضة». أنخز بإبهامي على صدري: «دفنتُ زوجتي، لذلك شنقوني أيضاً، إلّا أنّ عمّي أعطاني زيتَ الهايمانتوس لأتناوله. إنّه يبطئ القلب ليجعلكِ تبدين ميّتة. ثمّ قطع الحبل وأنزلني بعد ذلك. أعطاني لأبناء أريس».

– «وهُم». ترفع أمامها مُكعَّب العَرضِ المجسَّم، وجهها شاحبٌ في توهّجه: «فعلوا هذا بك».

– كنتُ أشدَّ شحوباً مِن أزرق. أقصرَ برأسٍ مِن سيفرو. أضعفَ مِن رماديّ. أعرف عن العالم أقلَّ مِن زهريٍّ يتعلّم الفنون في الحديقة؛ لذا أخذوا أفضلَ ما فيَّ، ما في قومي، ودمجوه مع ما هو أفضل ما فيكم.

– «لكن... هذا مستحيل. لدى مجلسِ ضبطِ الجودة اختبارات». تقول، لتقطع سلسلة استجواباتها الباردة: «أجهزة كشف الكذب، تحليل الحمض النووي، تحرّيات عن الخلفيّة». تضحكُ لدى إدراكها: «هذا هو السبب في أنّك أتيتَ مِن عائلة أندروميدوس—وُلدتَ لأبوين ذهبيّين هربوا مِن الديون في محاولةٍ للثراء مِن التنقيب في كويكِب».

– سفينتهم ضاعت في أثناء عودتهم بعد شراء مناجمهم مِن قبل الفضيّ الألمعي.

– لذا دمَّر أبناء أريس سفينتهم، وغيّروا السجلّات، واشتروا المناجم حتّى يتمكّنوا مِن كتابة قصّتك.

– «ربّما». لم أفكر كثيراً في كيفيّة قيام الراقص بذلك: «أصدقائي بارعون».

– «كيف نجوتَ حتّى مِن النحت؟». تتمتم: «هذا يتعارض مع الفسيولوجيا. ما فعله النَّحاتُ بك... لا أحد يمكن أن ينجو مِن ذلك.

الشعار مرتبط بالجهاز العصبي المركزي، ولا يمكن إزالة الزرع في فصّك الجبهي من دون جعلك في حالة شلل».

– «كان نحّاتي ذا موهبةٍ فريدة. تمكّن مِن إيجاد طريقةٍ لإزالة زرعين، على الرغم من أنّ نحّاتاً آخر هو مَن قام بالثاني».

– «اثنان. هناك اثنان منك. سيفرو؟». تُخمِّن: «هل هذا هو السبب في أنّكَ دائماً قريبٌ منه؟».

– لا، كان تيتوس.

– تيتوس؟ الجزّار؟ كنتَ في تحالف معه؟

– أبداً. لم أعرف مَن هو إلّا بعد أن هزمتكِ. اعتقدَ أريس أنّنا سنعملُ معاً...

– لكن تيتوس كان وحشاً.

– لقد جعله الذهبيّون هكذا.

– وهل هذا يسوّغ ما فعله؟

– «لا تتظاهري وكأنّك تعرفين ما مرَّ به». أنفجر.

– أنا أعرف يا دارو. أنا لم أغمض عيوني. أنا أعرف السياسات. أنا أعرف الظروف التي يعاني منها قومك، لكنّ ذلك لا يسوّغ القتل، والاغتصاب، والتعذيب الذي ارتكبَه.

– هذا ما نعاني منه كلَّ يوم. فعلَ تيتوس ما فعله بدافع الكراهية. بدافع أمل خاطئ بالانتقام. في حياة أخرى، كان بإمكاني أن أكون هو.

تبحث موستانغ في عيوني: «ولماذا لم تكن كذلك في هذه الحياة؟».

– «زوجتي». أنظرُ إليها: «وأنتِ».

- «لا تقل ذلك». صوتها مُثقَلٌ بالندم. تتراجع خطوةً إلى الوراء، تهزُّ رأسها: «ليس لديكَ الحقُّ في قول ذلك».

- لمَ لا؟ لطالما تساءلتِ عمّا يجري في داخلي. معرفة التيّار العميق.

- دارو...

- «كان هنالك ألم لدى تيتوس، لكنْ هذا كلُّ ما كان لديه. كان لديَّ شيءٌ أكثر. حِلمُ إيو بعالم يكون فيه أطفالنا أحراراً، لكنّني كنت سأفقده لو لم ألتقِ بكِ». أتقدّم خطوةً إلى الأمام: «لقد منعتني مِن أن أصبحَ وحشاً. ألا ترينَ ذلك؟». أشير، محاولاً أن أعبّر عن يأسي: «كنتُ مُحاطاً بالأشخاص الذين استعبدوا قومي لمئات السنين. كنتُ أعتقدُ أنّ جميع الذهبيّين متوحّشون، قتلة أنانيّون. كنتُ سأستسلمُ وألجأ إلى الانتقام، لكن بعد ذلك جئتِ... وأظهرتِ لي أنّ هنالك لطفاً فيهم. روكي، سيفرو، كوين، باكس، والعوّاؤون أثبتوا ذلك أيضاً».

- «أثبتوا ماذا بالضبط؟». تسأل.

- أنَّ هذا ليس صراعاً بين قومي وقومِك. أنتِ لستِ ذهبيّة. نحن لسنا حُمراً. نحن بشرٌ يا موستانغ. يمكن لكلٍّ منّا أن يتغيّر. يمكن لكلٍّ منّا أن يكون ما يُحِب. لأربعمئة عام حاولوا أن يخبرونا بعكس ذلك. لقد حاولوا تحطيمنا، لكنّهم لم يستطيعوا. أنتِ الدليل على ذلك. أنتِ لست ابنة والدك. أرى الحبَّ فيك. أرى الفرح، اللّطف، الاستياء، العيوب. إنّها فيَّ. كانت في زوجتي. إنّها فينا جميعاً لأنّنا بشر. والدك يريدُ منّا أن ننسى ذلك. الجمعيّة تريدُ منّا أن نعيشَ وفقاً لقواعدها.

أتقدّم خطوةً أخرى نحوها.

- «قلتِ لي إنّني أعطيتكِ أملاً بأنّه يمكننا أن نعيش لما هو أكبر بعد

انتصارنا في المعهد بطريقتنا، ثمّ قلتِ إنّني أدرتُ ظهري لتلكَ الفكرة عندما قبِلتُ رعاية والدكِ لي وذهبتُ إلى الأكاديميّة، لكنّني لم أُدِر ظهري قط، ولا للحظة واحدة». خطوة أخرى.

– ستدمّرُ عائلتي يا دارو.

– هذا ممكن.

– «إنّهم عائلتي!». تصرخ، وينهار وجهها مِن الحزن: «أبي شنقَ زوجتك. لقد شنقها. كيفَ يمكنكَ حتّى أن تنظر إليّ؟». تزفرُ بعمقٍ، وهي ترتعش: «ماذا تريدُ يا دارو؟ قل لي. هل تريدني أن أساعدكَ في قتلهم؟ هل تريدني أن أساعدكَ في تدمير قومي؟».

– لا أريد ذلك.

– أنتَ لا تعرفُ ماذا تريد.

– لا أريد إبادةً جماعيّة.

– «بل تريد!». تقول: «ولمَ لا؟ بعد ما فعلناه بقومك. بعد ما فعله والدي بك». تفتح زرّاً آخرَ في معطفها كما لو أنّ ذلك سيساعدها على التنفّس. يرتجف المسدّس في يدها. إصبعها يتوتّر على الزناد: «كيفَ يمكنني أن أعيشَ مع هذا؟ إن لم أسحب الزناد، سيموت الملايين».

– إنْ سحبتِه، ستقبلين أن يعيشَ المليارات كعبيد. تخيّلي كل هؤلاء الذين لم يولدوا بعد. إذا لم أكن أنا، شخص آخر سينهض. بعد عشر سنوات مِن الآن. خمسين. ألف. سنُحطِّم القيود، مهما كان الثمن. لا يمكنكُم إيقافنا. نحن المد. كلُّ ما يمكنكُم فعله هو الدعاء ألّا يكون شخص مثل تيتوس هو الذي سينهض بدلاً عنّي.

تُوجِّهُ الحرّاق نحو عيني اليمنى.

- «**اسحبي الزناد وستموتين**». يتحدّث راغنار كما لو كان هو الظلام بعينه.

- «راغنار، لا!». أصرخ. لا أستطيع حتّى رؤيته في ظلال النفق: «توقف! لا تؤذِها». لا بدّ من أنّه لم يلحق إشارة التتبّع كما أخبرته. منذ متى وهو يستمع؟

- «ابق بعيداً». تتحرّك موستانغ إلى الجانب بحيث يصبح ظهرها إلى الجدار: «هل يعرف أيضاً؟ هل تعرف ماذا يكون يا راغنار؟».

- **الحصّاد يثقُ بي.**

ترمي موستانغ ضوءها على الأرض وتستلّ شفرتها.

- إنّه ليسَ هنا ليقتلكِ يا موستانغ.

- ماذا يفعل المَوسوم غير ذلك إذن؟

أرفع يدي: «راغنار لن يقوم بفعل أي شيء. أليسَ كذلك يا راغنار؟».

لا إجابة. أبلع بصعوبة. كل شيء يتفكّك: «راغنار، استمع إلي...».

- **لا يجبُ أن تموتَ يا حصّاد. أنت مُهِمٌّ جدّاً للناس. لديكَ أوغوستوس، لديكِ عشرة أنفاس متبقّية.**

- «راغنار، أرجوك!». أتوسّل: «ثق بي، مِن فضلك».

تسعة.

- «**وثقتُ بِكَ عند النهر يا أخي. لستَ دائماً على حق. هذا هو ثمن كونكَ فانياً**». يأتي الصوت مِن فوق. في مكانٍ ما بالقرب مِن سقف المنجم هذه المرّة. ليسَ مخطئاً. لقد وضع ثقته بي خلال حصارنا لأجيا، فقُدتُهم إلى فخّ. الحظّ أنقذني.

تضحك موستانغ بمرارة وتلوي عضلاتها لتضرب: «أترى يا دارو؟ أنتَ مَن بدأ هذه الحرب، وسيكون هنالك وحوش مثله سينهونها وينتقمون».

سبعة.

– «هذا ليسَ عن الانتقام!». أحاول أن أهدّئ نفسي: «هذا عن العدالة. هذا عن الحبّ ضدّ إمبراطوريّةٍ مبنيّةٍ على الجشع والوحشيّة. تذكّري المعهد. أطلقنا سراح مَن كان يُفترض أن نأخذهم كعبيد. وضعنا ثقتنا فيهم. هذا هو الدرس؛ الثقة».

خمسة.

– «دارو». تناشد: «كيف يمكنكَ أن تكون غبيّاً هكذا؟».

عقلها حسَمَ أمره.

أربعة.

– «ليسَ مِن الغباء أن نأمل». أنزع عنّي شفرتي ولوحي الرقمي، وأرميهما على الأرض بينما أركع: «لكن إن لم يكن بمقدورك أن تتغيّري، فلن يستطيع أحدٌ ذلك؛ لذا اقتليني واسمحي للعوالم أن تكون كما يجب أن تكون».

ثلاثة.

– إنّكَ تبالغُ في تقديري يا دارو.

– اثنان.

– «دعنا نتجاوز المداعبة يا راغنار». تُلوِّح موستانغ بشفرتها. طنينها الفظيع يملأ النفق: «تعال إليّ أيّها الكلب، وأرِ دارو مِن أجل ماذا يعيشُ أمثالك».

الصمت يمتدُّ طويلاً.

- «واحد». تزمجر موستانغ، وتدوس على مصباحها. لا ضوء، لا لون سوى الظلام. الصمت أعمق مِن النفق. يتجوّل عبر قلب المرّيخ، ممتدّاً إلى الأبد، يتردّد صداه في أماكن لم يكن أحد فيها مِن قبل.

يحطّمه راغنار بصوته.

**- أعيشُ مِن أجل أخواتي.**

لا وميضَ لحرَّاق. لا صرخة لشفرة. لا حركة. فقط صدى الكلمات ينحدر تباعاً مع شذر الصمت.

**- أعيشُ مِن أجل أخي.**

ينبثقُ نورٌ مِن راغنار. يتقدّم إلى الأمام كحاجٍّ تائه، ضوء أبيض يتوهّج على مفاصل درعه. لا أرى أي أسلحة. موستانغ تتوتّر مرتبكة.

**- لطالما كنتُ وسأكون على الدوام ابن شعبِ قمم فالكيري. ولدتُ حرّاً لآليا دُوريَّة الثلج عند القطب البري للمرّيخ، شمال سلسلة التنانين، وجنوب المدينة الساقطة.**

يمشي متجاوزاً موستانغ، وذراعاه إلى جانبه.

**- لقد كسبتُ أربعاً وأربعين ندبةً مِن أجل الذهبيّين منذ أن جاء مُستَعبِدو الشمس الباكية مِن النجوم ليأخذوا عائلتي إلى جزر القيود. سبع ندوب مِن آخرين مِن نوعي عندما وضعوني في الناغوجيه، حيث جرى تدريبي.**

يجثو بجانبي.

**- واحدة مِن أمّي. خمسٌ مِن مخالب الوحش الذي يحرس ممرّ الساحرة. ستّ مِن المرأة التي علّمتني الحبّ. واحدة مِن سيّدي الأوّل.**

**خمس عشرة من رجالٍ ووحوشٍ قاتلتهم في حلبةٍ لإرضاء سيّد الرماد وضيوفه. تسعٌ كسبتها مِن أجل الحصَّاد.**

تتنهد الأرض تحت وطأة ركبتيه.

**- «مِن أجل الذهبيّين، دفنتُ ثلاث شقيقات، وأخاً واحداً، ووالدين اثنين»**. يتوقف بأسى: **«لكن... مِن أجلهِم لم أكسب أيّ ندبة»**.

عبر ضوء درعه الشاحب، تشتعل عيونه السوداء مثل نيرانٍ ساحرة.

**- الآن، أعيش مِن أجل ما هو أكبر.**

يغلقُ راغنار عيونه، ويضعُ نفسه تحت رحمة ذهبيّة. مُتحلّياً بالإيمان مثلي. مثلما كانت إيو تؤمن بي. مثل سيفرو، والراقص، وكلّ الآخرين.

تلتقي عيوني بعيون موستانغ، ربّما للمرّة الأخيرة، وأتخيّل أنّني أشعرُ بما شعرَ به أسلافي، الروّاد الأوائل للمرّيخ، وهم ينظرون إلى الخلف عبر الظلام نحو كوكب الأرض. وجدتُ فيها وطناً. وجدتُ فيها حبّاً، ثمّ سمَّمتُها لي. أعلمُ أنّها كانت دائماً مقدّرةً أن تكون نهايتنا، لكنّني ما زلت آمل كطفلٍ يائس.

**- «مِن أجل ماذا تعيشين؟»**. أسأل.

# 51

# الابن الذهبيّ

اليوم هو يوم الاحتفال بنصري.

إنّه يومٌ صافٍ. السماء زرقاء بلون بيض أبي الحنّاء، والنجوم تختلس النظر مِن خلال الغلاف الجويّ. أقف، والذهب يفيض منّي، وشريطٌ أرجوانيٌّ يجتاز صدري، ورأسي مكشوفٌ ينتظر إكليل الغار في نهاية المسيرة. بحلول نهاية اليوم، سأحصل على قناع النصر الذي صنعه البنفسجيّون تكريماً لانتصاري.

تقرقع العربة مِن تحتي. عجلات خشبيّة تُجَرُّ على الرصيف فوق بتلات الورود. فوق براعم الهايمانتوس. فوق مئات الآلاف مِن الأزهار التي تُرمى مِن النوافذ المفتوحة لناطحات السحاب المنتصبة كحارسٍ على جانبَي الجادّة الكبرى. أيدٍ تلوّح في الهواء. أذرعٌ تمتدّ. وجوهٌ تطِلُّ نحو الأسفل، بابتساماتٍ مشرقة. الكثير مِن الألوان. إنّهم في الشارع أيضاً، يحيطون بمسار الموكب. يهتفون متفاعلين مع الأشياء التي مرّت قبلي، مع العربات الرائعة، مع نافثي النار، مع الراقصين، مع الغِرفين والتنانين وحُمُر الوحش ذات القرن، مع بضعة سجناء باقين مِن عائلة بيلونا، مع

رؤوس الإمبراتور بيلونا وأشقّائه وشقيقاته التي تزيّن الرماح. على الرغم من تَقشُّف أوغوستوس الشخصي، إلّا أنّه يدرك أهميّة العَظَمة. مقاتلات الجناح المقطوع تطير فوقنا مصدرةً أزيزاً، بينما تطنّ ناقلات اللقلق في الهواء.

لكنّه يدرك أهميّة الوحشيّة أيضاً. الذباب يحوم مُصدراً طنيناً حول الرؤوس، ويلدغ الأحصنة الأربعة البيضاء التي تجرّ عربتي مِن الجادّة الكبرى إلى ميدان مارس المرصوف بالحجارة البيضاء الذي يمتدُّ أمام أراضي القلعة.

أُلوِّح للجمهور، رافعاً نَصليَ المِنجليّ. يجتاحهُم الهوس. يحمل الآباء أطفالهم، ويشيرون نحوي، ويخبرونهم أنّهم سيتمكّنون مِن إخبار أطفالهم بأنّهم شهدوا يوم الاحتفال بنَصري شخصياً. يرمون أوراق التين ويهتفون بحماس، متسلّقين تماثيل الميدان الحربيّة والمسلات الرخاميّة ليروني على نحوٍ أفضل.

– «أنت مجرّدُ رجُلٍ فانٍ». يهمسُ روكي في أذني، راكباً حصانه بجانب العربة، كما تقتضي التقاليد.

– «ومُطلِقٌ للريح». ينادي سيفرو مِن الجهة الأخرى.

– «أجل». يوافق روكي بوقار: «ذلك أيضاً».

أتمنّى لو كانت موستانغ هنا لتركبَ معي. قوَّتها الهادئة تجعل كلَّ هذه العيون أسهلَ تحمُّلاً، وكلَّ هذه الهتافات ألذَّ مذاقاً. الحُمر يهتفون مِن بين الجمهور. يصرخون، ويهتفون، ويضحكون، ضحايا مثاليّون لأقسام الترفيه في الجمعيّة. يصدِّقون كذبة الحرب المجيدة والذهبيّين المجيدين. الملايين سيعيشون مجدّداً مِن خلال عَرضِ مُجسَّم تجربة هبوطي في أثناء

المطر الحديدي، على الأقل إلى أن قامت النبضة الكهرومغناطيسيّة بتدمير كاميرتي، لكنّ فيتشنير يحتفظُ بمشاهد ذبحي لكارنوس.

الموكبُ حلم. شيءٌ زائفٌ مختلق. أنسابُ عبره، مدركاً مدى تفاهته. أصدقائي خلفي، وبجانبي. وكلُّ مَن أسمّيهِم مساعدين. يبتسمون لي ابتسامةً عريضة. يحبّونني. وأنا أقودهم إلى هلاكٍ مُفعَم بالأمل. كل هذا بدا ذات يوم بأنّه يستحقُّ العناء، لكن بعد أن أخذنا الحربَ إلى لونا، ماذا بعد؟ المزيدُ مِن الأكاذيب. المزيدُ مِن الوفيات. المزيدُ مِن المكائد المستحيلة.

وماذا ستفعل موستانغ؟ لم تعد إلى أجيا منذ أن أدارَت ظهرها لي وسارَت مبتعدةً في المناجم. فيتشنر لا يستطيعُ السيطرة على قَلقِه. إنّها فأسٌ مُعلَّقة فوقَ رأسي. في أيِّ لحظة، يمكن أن تُوقّع على موتي. ربّما قامت بذلكَ فعلاً. ربّما كانت هذه مكيدة كبيرة. ربّما يعرف والدها بالفعل.

لحظَ الشغبرُ غيابها عن القلعة عندما جاء اللّيلة الماضية للاحتفال بالنصر. أخبرتُه أنّنا تشاجرنا حولَ والِدهما.

- «ليس غريباً». قال متنهّداً: «فقط لا تدع الرجُل يقفُ بينكما كما وَقفَ بيني وبينها في طفولتنا». ربَّتَ على كتفي بمودّة وصبَّ لنا شراباً كافياً ليسبّبَ لي صُداعاً خفيفاً ينبضُ الآن خلفَ عيني اليسرى. أُقسِم لنفسي ألّا أشربَ مجدّداً.

تسير فيكترا بجانب روكي ولورن، ناظرةً حولها بفتور، مستمتعةً بأشعّة الشمس والاحتفالات. جلبَت والدتها إلى كنفِ عائلة أوغوستوس، مع أنطونيا التي ساعدَت فيما يبدو على انتزاع سالونيكا مِن أيدي آل بيلونا. مِن الصعب مُتابعة مع أيِّ جانب هم. لكنّ فيكترا، مِن جانبها، كانت وَفيَّةً كالآخرين. ترسلُ لي قُبلَة.

يتبعها العوّاؤون مهرولين مِن خلفها، بنصف عددهم الأصلي، على الرغم من أنّ آل تيليمانوس وعدوا بتزويدِهِم بمجنّدين جُدد. خلف هؤلاء المساعدين، يوجد العشرات مِن قادة الجيش البريتوريّين والليغاتيّين. ويسيرُ مِن ورائهم الآلاف المؤلّفة مِن الجنود الرماديّين، الذين يظهرون عاطفة محرجة، ويغنّون أغاني ماجنةً عنّي. خلفهم تأتي فَيالق السبجيّين. إنّه استعراضٌ عظيمٌ ليسَ مِن أجلي فقط، بل لأنّه يرمز إلى بداية عهدٍ جديد—مجموعة شمسيّة يقودها المرّيخ، وليس لونا.

فيتشنير ليسَ هنا. يجب أن يكون. أبحثُ عنه في أعلى الدرجات البيضاء الضخمة المؤدّية إلى أراضي القلعة. يقفُ الحاكِم العام هناك مع حاشيته وعشرات مِن حلفائنا، وامرأة نحيلة وصلعاء مِن البيض، حاملة إكليليَ التاجي.

أتركُ عربتي خلفي وأصعدُ السلالم، مُحاطاً بمساعدِيَّ. الصمت يُخيِّم على الساحة. ترفرف عباءتي الأرجوانية خلفي بفعل الرياح مع رائحة الورود وروث الخيل التي تفوح في المدينة. يتقدّم أوغوستوس.

– «استُدعيَ المطر الحديدي». يعلن.

– «ولُبّيت الدعوة». أجيب، كلماتي المكبَّرة تتردّد كالرعد فوق المدينة. يرتفعُ هتافٌ عظيمٌ مِن جميع الذين هبطوا في المطر. تتقدّم المرأة البيضاء، وجهها شاحبٌ مِن السنوات الطويلة التي قضتها في إصدار الأحكام على المجرمين. عيونها الحليبيّة الغارقة في الوقائع الماضية ترمش برفق.

– «يا ابن المرّيخ». صوتها يشدو بطريقةٍ حالمة: «اليوم ترتدي الأرجواني، كما فعل الملوك الإتروريّون القدامى. تنضمُّ معهم إلى التاريخ. تنضمُّ إلى الرجال الذين حطّموا إمبراطوريّة الشمس المشرقة،

إلى النساء اللّواتي سحقن تحالف الأطلسي في البحر. أنتَ أيّها الفاتح، اقبل هذا الإكليل كإعلانٍ منّا عن مجدك».

تضعه على رأسي. يضحك سيفرو ضحكةً مكتومةً بجانبي.

تواصل المرأة البيضاء حديثها، لتصنعَ مساراتٍ طويلةً ومزخرفةً بكلماتها، تأخذُ مُعظَم وقت الظهيرة، ليكون الغسقُ قد حلَّ عندما بدأت كلماتها تأخذ مجراها. أدركتُ لماذا كلُّ هذا الاستعراض موجود. لماذا كلُّ هذه الخطابات والنُصُب. التقاليد هي تاجُ الطاغية. أراقبُ جميع الذهبيّين؛ بشاراتهم، وشعاراتهم، ورایاتهم، كلّها تُرتدى لتضفي شرعيّةً على حُكمِهم الفاسد، وليُصرَف عنهُم الناس. لجعلِهم يشعرون أنّهم يشاهدون نوعاً آخر مِن الكائنات البعيدة عن فَهمِهم وإدراكهم. يبدو أنّ الشّغبر يقرأ أفكاري، لأنّه يقلّب عيونه عن هذه المسرحيّة. تأتي الكلمات الختاميّة بعد مدّةٍ قصيرة.

- «بير أسبيرا...(*)». تصدحُ المرأة البيضاء، جسدها يرتجف مِن الجهد. يرفعُ أوغوستوس يده وترتفع المسلّة البلوريّة التي أُنشئت تكريماً لحصار المرّيخ مِن مكانها في الميدان عبر رافعات ثقاليّة في قاعدتها. تَطنُّ في مكانها، تطفو هناك خمسين متراً فوق الأرض، وستبقى تطفو حتى يحلَّ محلها نصبٌ جديد، ثمّ ستنضمّ إلى النّصب الأخرى على الأرض؛ شواهد قبور شاهقة لمليون مِن الساقطين.

- «...أد أسترا(**)!». يهتف الحشد.

أظلُّ واقفاً على السلالم، بينما ينطلق المهرجان أدناه في ميدان

---

(*) من المعاناة. (المترجم)

(**) إلى النجوم. (المترجم)

مارس. يتفرق الذهبيّون إلى أراضي القلعة، متّجهين نحو وليمتنا الخاصّة. أوغوستوس يراقب واقفاً إلى جانبي. خلفنا، تغرب الشمس البرونزيّة على مدينته، وتُطلُّ ظلالنا فوق بني الألوان الدُنيا في الأسفل.

- «سِر معي». يأمر.

نمشي، محاطين بالحرّاس الشخصيّين. شعورٌ بالقلق ينتابني بينما أراهم يتجمّعون حولنا. لقد تحدّث إلى ابنته. إنّه يعلم. بالطبع يعلم. لديَّ شفرتي، وليسَ لديَّ حذاء ثقاليّ. مجرَّد درع احتفالي. كم سبجيّاً أستطيعُ أن أقتلَ قبل أن يغلبوني؟ ليسَ بالكثير.

ثمّ أدرك إلى أين يأخذني، وأكاد أضحكُ على نفسي مِن غبائي.

تحترقُ قاعة العرش بأشعّة الشمس. سقفٌ بأكمله مِن الزجاج، وأعمدةٌ رخاميّةٌ بارتفاع مئة متر. تعجُّ الفُسحَة بالضوضاء. مَناشير أيونيّة، ومطارق، ونقراتٌ ناعمة لسبعة مشارط أيونيّة تعملُ على قطعةٍ مِن حجر العقيق تبلغُ ضعفَي طولي.

- «اخرجوا». يطلبُ أوغوستوس.

ينزلق البنفسجيّون مِن أماكنهم على العقيق ويتفرّقون مع البنَّائين البرتقاليّين والعُمَّال الحُمر. يتركنا حرَّاس أوغوستوس الشخصيّون أيضاً. تُصدر أحذيتنا أصواتَ قرقعةٍ على الأرضيّة، الأصوات الوحيدة في هذا المكان الشاسع.

إذنْ، لن يقتلني بعد كل هذا.

- «إنّهم يصنعون لكَ عرشاً». أقول، وأنا أتّجهُ نحو حجر العقيق للمسه. أتنفّسُ الصُّعداء. مُجسَّم لمِخلَب أسدٍ يتموضع بالقرب مِن قاعدة العرش. إلى اليسار، يلتفُّ ذيله حولَ الجانب الآخر.

- «لقد انتهكتَ القانون يا دارو». يقول مِن خلفي: «أعطيتَ شفراتِ للسبجيّين. سلاحُ أجدادنا في أيدي اللّون الوحيد الذي سبقَ له أن ثارَ علينا».

- «أهذا كلُّ شيء؟». أسأل بارتياح: «لقد فعلتُ ما كان يجبُ عليَّ فِعلُه».

- قُتِلَ فارسٌ أولمبيٌّ بواسطة حارسكَ الشخصي، وهذا أمرٌ علني.

- لو لَم يسْتَوْلِ راغنار على الجدار، لكنّا خسرنا، وأنتَ يا مولاي، لكنتَ مُكبَّلاً في الأصفاد، أو جرى إعدامُك. تعلمُ هذا أفضلَ منّي. راغنار كانت لديه موافقتي.

- «علَّمني والدي أنّه مِن الضعف أن تسأل الآخرين عن رأيِهم بك». يقول، عاقداً يديه خلفَ ظهره: «لكن يجب أن أسأل: هل تعتقد أنّني وَحشٌ بارد؟».

ألتفتُ إليه لأتأمّله.

- بلا أدنى شك.

- «الصِّدق». ينظرُ إلى السقف: «قد تظنُّ بأنّه سيكون له وَقعٌ مختلفٌ عن هراء الآخرين. ما أنا عليه يا دارو هو ضرورة. أنا القوّة التي تُصحِّح مَن يُخطئ. أخبرني، لماذا تعطي شفرة لسبجيّ؟ لماذا تشجّع بني الألوان الدُّنيا على التمرُّد؟ لماذا تتركُ زرقاء لتقودَ سفينتكَ عندما كان عليها فقط تلقّي الأوامِر والطيران بها؟».

- لأنّهم يستطيعون فعلَ أشياء لا أستطيعُ فِعلَها.

يهزُّ رأسه كما لو أنّني أثبتُّ وجهة نظره.

«ولهذا أنا مَوجود. أعلمُ أنّ الزُّرق بوسعِهم قيادة الأساطيل. أعلمُ أنّ السبجيّين يمكنهُم استخدام التكنولوجيا وقيادة الرجال، وأنّ الأسرعَ بين

البرتقاليّين يمكنه، إن أتيحَت له الفرصة المناسبة، أن يصبحَ طيّاراً جيّداً. يمكن أن يكون الحُمر جنوداً، أو موسيقيّين، أو محاسبين. قلّة—قلة قليلة جدّاً—مِن الفضيّين قد تكتب روايات، أراهن، لكنّني أعلم ماذا سيكلّفنا ذلك. النظام هو أمرٌ حيويٌّ لبقائنا».

– خرجت البشرية مِن الجحيم يا دارو. لم يرتقِ الذهبيُّ مصادفةً، بل ارتقينا للضرورة. مِن الفوضى، ولِدنا مِن أنواعٍ اِلتهمَت كوكبها بدلاً مِن الاستثمار في المستقبل. اللذّة فوق كلِّ شيء، وتبّاً للعواقب. أعظمُ العقول كانت أسيرةً لاقتصادٍ يطالبُ بألعابٍ بدلاً مِن استكشاف الفضاء، أو تقنيّاتٍ قادرةٍ على تغيير عِرقِنا على نحوٍ ثوري. صنعوا الروبوتات، ممّا أضعفَ أخلاقيّات العمل لدى البشر، ليخلقوا أجيالاً مِن الجراد المتطلِّب. كانت الدول تحتكر مواردها، مشكّكةً ببعضها، وارتفعت أعداد الفصائل المسلّحة بالأسلحة النوويّة لتصبح عشرين. عشرين—وكلّها مَحكومَة بالجشع، أو التَّعصُّب».

لذا عندما غزونا البشريّة، لم يكن ذلك مِن أجل الطمع. لم يكن ذلك مِن أجل المجد. كان لإنقاذ عِرقنا. للتغلّب على الفوضى، لإقامة النظام، لشحذ همّة البشريّة نحو هدفٍ واحد—ضمان مستقبلنا. الألوان هي العمود الفقري لهذا الهدف. اِسمَح للتسلسُلِ الهرميِّ أن يتغيّر ليبدأ حينها النظام بالانهيار. البشريّة لن تطمح لأن تكون عظيمة. الرجالُ هم مَن يطمحون لذلك.

– «الذهبيّون يطمحون إلى العَظَمة، ونحن نُجبر الألوان على الحرب». أقول، وأنا أجثمُ على مِخلَب الأسدِ الأسْوَدِ. أوغوستوس لم يتحرّك مِن مكانه في منتصف الأرضيّة.

- «ومع ذلك، هنالك رجالٌ مثلي». يجيبُ بصدقٍ شديدٍ يكادُ يدفعني إلى تصديقه: «لا أحاربُ حقّاً لأنّني أريدُ أن أكونَ ملكاً، أو إمبراطوراً، أو أيَّ لقبٍ تضعهُ فوق اسمي في كتب التاريخ. الكونُ لا يلحظنا يا دارو. ليس هنالكَ ذاتٌ عُليا تنتظرُ لتضعَ نهايةً للوجودِ عندما يلفظُ آخرُ إنسانٍ أنفاسهُ الأخيرة. سينتهي الإنسان. هذه حقيقة مُسلَّمٌ بها، لكنّها لم تُناقش قطّ. والكون سيستمرّ بلا مُبالاة».

لن أسمحَ لذلك أن يحدث، لأنّني أؤمن بالإنسان. أودُّ أن نستمرّ إلى الأبد. أرغبُ في قيادة البشريّة خارج المجموعة الشمسيّة نحو أنظمةٍ لكائناتٍ غير بشريّة. أبحثُ عن حياةٍ جديدة. نحن بالكاد في بداياتنا كنَوع، لكنّي أودُّ أن أجعل الإنسان كائناً ثابتاً عَصِيّاً على التغيير في الكون، وليسَ مجرَّد بكتيريا عابرة تتوهّج، ثمّ تختفي مِن دون أن يتذكّرها أحد؛ لهذا أعلم أنّ هنالك طريقةً صحيحةً للعيش، ولهذا أرى أنّ أفكاركَ الشابّة خطرةٌ للغاية».

عقلهُ واسع. عوالم تتجاوز عالمي. ولربّما لأوّلِ مرّة، أدركُ حقّاً كيفَ يمكن لهذا الرجُل أن يفعل ما يفعله. ليس لديه أخلاق. لا خير ولا شرّ مُبيَّت عندما قتل إيو. إنّه يعتقد أنّه فوق الأخلاق. طموحاته ضخمة لدرجة أنّه أصبح غير إنسانيٍّ في رغبته البائسة في الحفاظ على الإنسانيّة. كم هو غريبٌ أن أنظرَ إلى الشَّكلِ المتصلِّب البارد الذي ينبعثُ منه وأعرف أنّ هذه الأحلام الجامحة كلها تحترقُ داخل رأسهِ وقلبِه!

- «ماذا عن كل ما قُلتَه؟ ماذا عن الأمور التي فَعلتَها؟». أسألُ، وأنا أفكّرُ بزوجته الأولى، التي ملأ فَمَها بالعِنَب: «إنّكَ تأخذُ النصائحَ مِن كائناتٍ مثل بليني. تقصفُ المدنيّين الأبرياء، الذين لم يخالفوا أيَّ قوانين. تتبنّى حرباً أهليّة... وتقولُ إنّكَ تحاول إنقاذ البشريّة؟».

- أفعلُ ما يجبُ عليَّ فِعلُه لحماية الخير الأعظم.

للدفاع عن نفسه. لمصلحته الشخصيّة. «لحماية البشريّة». أردد.

- نعم.

- ثمانية عشر ملياراً يتنفّسون عبر هذه الإمبراطوريّة. كم ستقتلُ لحماية البشريّة؟ ملياراً؟ عشرة؟

- الرقم لا ينفي وجود الضرورة.

- «خمسة عشر ملياراً؟». أسأل. الأحمرُ والذهبيُّ وكلّ جزءٍ منّي مَصدوم.

- «على أحدهِم أن يتّخذ هذه القرارات». يقول: «بقيّة عِرقِنا يزدادون مَرضاً يوماً بعد يوم. القِردة الماجنة تلاحقُ اللذّات بدلاً مِن الإنجازات، بينما بات الفريدون ذوو الندبة نَهمين للسُّلطة لدرجة أنّ حاكِمتنا المعظَّمة هي امرأة قطعَت رأسَ والدها لتحصل على عرشه؛ لذا يجب أن يُحكَموا».

- بواسطتك.

- «بواسطتنا». نَظراتُه الثابتة لا تتزعزع: «بواسطتنا». يُكرِّر: «لقد عاملتُكَ على نحوٍ سيّئ، لأنّني خشيتُ مِن تهوّركَ ووقاحتك، لكنّني وعدتُ بتقديم التعويضات، وسأفعل، لأنّكَ أظهرتَ القدرة على النمو، على التعلّم. كُن وَريثي، وليس قائدي البريتوري. لديَّ ما يكفي مِن أسيادِ الحرب. ما أحتاج إليه... ما أريده هو ابن».

- لديكَ ابن.

- «لديّ طُفَيليٌّ يريد سُلطتي. هذا كل شيء. ليسَ لديه أي استخدام لها. لا خطّة عندما يحصلُ عليها. إنّه ببساطة جائعٌ كما علّمتهُ جمعيّتنا أنّ

يجوع». يُظهِر وجههُ لمحة مِن التآمر: «ومع ذلك، ومِن المدهِش، كان هذا اقتراحه. لديكَ مُباركَته».

لا أشكُّ أنّني أحظى بمُباركَته. بمعرفتي لحليفي، أتساءل فقط عمّا سيكلّفني هذا. إنّه رجل أعمال. سيريدُ عائداً على استثماره. خاصّة هذا الاستثمار. كان عليه أن يخبرني.

– ماذا عن فيرجينيا؟ لستَ بحاجةٍ إلى أن يكونَ وريثكَ ذكراً.

– لكنّني أريدُ ذلك، وأريدكَ لها، زوجاً مناسباً لعَقلِها.

– «أنتَ تستغلّني». أقول فجأةً، وأنا أكشفُ مُخطّطه: «تريدُ أن أربطها لك. خصوصاً إذا تزوّجنا. كلانا يعلم أنّكَ لا تريدُ أيَّ إصلاحات».

حتّى الآن، يتوافد الإصلاحيّون مِن مُختلفِ أنحاء الجمعيّة إلى المرّيخ للتجمُّع خلف الرجُل الذي قال إنّه سيمنحهُم مجلس الشيوخ عند هزيمته للونا وحلفائها.

– «الإصلاحيّون مرضٌ خبيث». يقول.

– لكنّك تَعِدُهم بأنّكَ ستـــ.

– الوعود كانَت ضروريةً للحصولِ على دَعمِهم. عندما نهزمُ أوكتافيا، سأضعُ الإصلاحيّين في السجون، أو أُعدِمهُم بتهمة الخيانة.

– لن تسامحكَ موستانغ أبداً. إنّها تؤمن بأنّكَ تتغيّر. مهما كانَت المحادثة التي جرت بينكما، ومهما وَعدتَها، فإنّكَ مَنحتَها أملاً فيك.

ربّما لن تُسامِح أيّاً منّا.

– ستجعَلُها تفهم عندما تُصبِح أنتَ جزءاً مِن العائلة يا دارو. إلى حينها، أعتقدُ أنّكَ ستكون متزوّجاً، ولن تتخلّى عنكَ حتّى لو كَرِهَتني.

عائلتنا ستظلُّ قويّةً، كما يجب. لكنْ يجب أن تكونَ أنتَ دائماً لي؛ تابعاً لي، وليس لأولادي.

يتقدّمُ خطوةً نحوي.

– أوكتافيا تقودُ الإنسانيّة نحوَ الانحدار البطيء؛ أمّا الإصلاحيّون، مثل أبناء أريس، فسيقودوننا إلى الهاوية بسرعة ألفِ كيلومتر في الثانية. يجب أن نَحمِيَ أنواعنا. ساعدني.

إنّه رجُلٌ نبيلٌ يقوم بما يعتقدُ أنّه الأفضلُ للبشريّة.

تبّاً له!

لم نطلُب يوماً أن ننحني. مَن هو ليقول إنّ عملَ الحُمر والبُنيّين حتّى الموت هو للمصلحة العامّة؟ مَن هو ليقول إنّ حَصدَ الأطفال الزهريّين للاغتصاب، والسبجيّين والرماديّين للقِتال، هو ضرورة؟ كيف يمكنه أن يجلسَ هناك ويدَّعي أنّه وَحدهُ يعرف ما هو الأفضل لي ولعائلتي؟ هذا ليسَ مِن حقّه. تماماً كما لم يكن مِن حقّه أن يدخل إلى عالمي ويأخذ إيو. وإذا كان يعتقدُ أنّ القوّة تمنحهُ هذا الحق، إذنْ فمِن حقّي الملعون أن أقطعَ رأسه الآن.

بدلاً مِن ذلك، أقف وأعبر المسافة بيننا. أنحني، وأُمسِكُ يده، وأقبِّلُ خاتمه الملعون. «كما تأمر يا مو لاي».

تلتفُّ شفتاه المتصلّبتان مشكّلتين ابتسامة مفترسة: «نادني أبي».

– «حاول ألّا تبدو راضياً للغاية عن نفسك». يقول لي لورن.

نحن واقفون وسط حدائق القلعة ذات الممرّات البيضاء. نسمة هواء تُحرِّكُ الأجراس التي تتدلّى مِن الأشجار. إنّه أمرٌ بسيط، ليس مثل المشاهد

المبتذلة في لونا. طاولاتٌ صغيرةٌ تحت أغصان مغطّاة باللَّبلاب. الخدمُ الزهريّون يُفرغونها مِن أطايب الطعام. على العشب الأخضر والممرّات البيضاء، يقف الفريدون ذوو الندبة يضحكون ويتفاخرون فيما بينهم، وهُم يحملون برفق كؤوس الشمبانيا. يمكنكَ الشعور بلمسة الشّغبر في التخطيط. إنّه كائنٌ ذو ذوقٍ متواضع.

المزيد مِن الشخصيّات البارزة حضرت إلى العشاء مقارنةً مع من حضروا الحفل الرسمي. لذا فهنالك الكثير ممّن يتعيّن علينا أنا وأغوستوس استقبالهم. جاءوا إلينا في صَفٍّ مُرتَّبٍ حسب التسلسل الهرميِّ بالطبع. سرعان ما سئمتُ مِن التَّصافُح السعيد، وقصدت لورن عند قاعدة شجرة بيضاء رفيعة. ذراعاه متشابكتان، ووجهه عاصفٌ ممتعضٌ، وهو يتأمّل الشمبانيا في يده، ثمّ يرميها في شجيرة.

– «أكره هذا النوع مِن الأمور أيضاً». أقول: «حالما أحصلُ على قناعيَ، يريدني أوغوستوس أن أتقرَّبَ مِن بعض لوردات القمر، ثمّ إلى النوم». بدون وجود موستانغ هنا، لا يوجد متعة حقيقيّة.

– «وحدكَ على ما يبدو. أين فتاتك؟». يبحث مِن حوله بعيونٍ نصف مُغمَضة: «بحثتُ عنها في كلِّ مكانٍ ممكن».

– «لا أعلم». هل لاحظ الجميع؟

– «آه». يُهمهِم: «شجار حبيبين؟ حسناً، لن أغمركَ بالنصائح، إلّا أنّي سأقول لك ابتلع كبرياءك. إنّها جوهرةٌ إذا استطعتَ الاحتفاظ بها».

إذا.

– «أنا سعيدٌ لأنّكَ حضرت». أقول: «حتّى لو كانت نصيحتكَ مُجرَّد هراء».

يضحكُ بصوتٍ أجش ويومئ للشَّغبَر، الذي يتحدّثُ مع روكي وبعض السياسيّين مِن غانيميد: «صديقكَ جعل هذا ممكناً. أوغوستوس نسيَ بطريقةٍ ما أن يدعوني، على الرغم من أنّ رجالي منحوه كوكباً. يبدو أنّ السلوك المؤدّب أصبح نِسبيّاً هذه الأيّام. بالمناسبة، كم تعتقد أنّني يجبُ أن أبقى كي لا تُعدّ مُغادَرتي غير لائقة؟».

– لم تبلغ حتّى التاسعة. ألن تقومَ بتقديم القناع خلال بضع دقائق؟

– كنتُ سأفعل، لكنّها مِن فنون السياسة المرهِقة. طلبتُ مِن صديقكَ روكي أن يقوم بها، إذا كان ذلك مناسباً لك. في الواقع، هو الذي طلبَ. لا فرق.

– «لا، لا، هذا أفضل في الواقع». سيكونُ مِن الجيّد إشراك روكي بقدر الإمكان. هناك إصلاحٌ للأمور بيننا يجبُ أن يتم. إظهار الصداقة علناً هو مكانٌ جيّدٌ للبدء.

يَسنِدُ لورن ظهره إلى الشجرة: «عظامي القديمة تصدرُ صريراً ليلاً. سأتحقّق مِن الأمن حتّى لا أضطرّ إلى الحديث مع أيٍّ مِن هؤلاء المخادعين». يشاهد مقاتلة جناح قاطع تعبر عالياً مِن فوقنا.

– «دَع شخصاً آخر يفعلُ ذلك». يُسلِّمُ زهريٌّ للورن كأس الويسكي الذي طلبتُه. النوع المفضّل لديه. يشمُّه بقهر: «لا أراكَ إلّا وأنتَ في درعك. تصرّف كالمعلِّم اللائق وابقَ معي. لدينا زجاجتان لك مِن اللاجافولين».

– عُدتَ إلى ألاعيبكَ القديمة. زجاجتان مِن أجل ساعتين إضافيّتين مِن التدريب، ألم يكن هذا هو الاتّفاق؟ كان يجب أن أطلُبَ أكثر. ها!

يَعرجُ مبتعداً ومعه الويسكي الخاص به ليلعبَ مع أحفاده لعبة المطاردة

بين الأشجار. أراقبُ الزَّهريّة التي سلَّمتهُ شرابه، وهي تتسلّل عائدةً إلى الحَشدِ، حَركتُها مألوفة على نحوٍ غامض.

تلفُّ امرأةٌ ذراعها حول ذراعي. أستدير بلهفة، لأجدَ فيكترا. لم تلحظ خيبةَ أملي.

– «أتمنّى حقاً لو يضع البنفسجيّون أُسوداً بدلاً مِن الحصان المجنَّح على قناعك». تضحك على تعبير وجهي: «نعم، الإشاعة بالفعل تنتشر بسرعة. دارو أوغوستوس الذهبيّ». ترتعشُ بمرح: «ستُهرول النساء إليك».

أقلب عيني: «أوه، اخرسي!».

– «اجبرني». تمرّر يدها على أسفل ظهري: «مِن المؤسف أنّكَ استقرّيتَ بالفعل». تشير لمجموعة مِن الشباب الفريدين ذوي الندبة مِن العمالقة الغازية، وتَنحَني مُقتربة: «لكن هل يعني ذلك أنّكَ لا تستطيع اللّهو؟».

– هل تستمتعين فقط بمحاولتكِ جعلي أخجل؟

تخلعُ إكليل الغار عن رأسي وتضعهُ على رأسها، وتنحني احتراماً على نحوٍ أحمق: «اكتشفتني. بالمناسبة، أين موستانغ الصغيرة خاصّتك؟».

– تبّاً! لماذا الجميعُ فضوليٌّ إلى هذا الحدّ؟

– «دارو». ينضمُّ إلينا روكي حاملاً صندوقاً عاجيّاً كبيراً يكفي لقناع النصر. يبدو أنيقاً في بزّة بريتورٍ سوداء، شعره أملس مصفّف إلى الخلف: «أعتقدُ أنّنا يجبُ أن نجتمع مِن أجل تقديم القناع. هل تعرف أين؟ أشعر ببعض الحيرة حول هذه المناسبة».

فيكترا تعبسُ متجهّمة: «موظّفو القلعة لا يزالون منزعجين. عائلة بيلونا سيطرت على المكان لمدّة شهر. كان على أدريوس أن يُفتّش الزَّهريّين

بدقّة بحثاً عن جواسيس. خاصّة بعدَ الذي حدث في أتيكا. لقد نشرَ رجاله في كلِّ مكان هذه اللّيلة. ياه، سحقاً! الحفل بدأ». تعيدُ وَضعَ إكليل الغار على رأسي وتسحبني نحو الفُرجَة التي يتجمّع فيها الذهبيّون. يعترض سيفرو طريقي ويوقفنا.

– «دارو». يقول بسرعة، ثمّ ينظر إلى فيكترا: «تحرّكي». تقطّبُ جبينها وتبتعد.

– «أنتَ مُعجبٌ بها». أقول ساخراً: «أستطيعُ ملاحظة ذلك».

يتجاهلني: «إنّه لم يَصِل بعد».

– فيتشينر؟ هل اتّصلتَ بلوحه الرقمي؟

– إنّه لا يعمل. الوغد قال إنّه سيأتي. إذا لم يكن هنا، فلا بُدَّ من أنّ شيئاً مهمّاً يحدُث. عليَّ التحقّق.

– «تَحقَّق». أمسكُ بذراعه: «لكن اتّصل براغنار. وكُن حذراً».

– دائماً ما أكون حذراً.

مِن الغريب مشاهدته يغادر. مثل رؤية ظلّي يغادر وإدراك أنّ مصيره قد يكون مختلفاً عن مصيري. ربّما في النهاية، هو أكثر أهميّةً منّي. إنّه بحق ابن عالمين.

أتبعُ الحَشدَ عبر الأشجار. فوانيس صغيرة تسكن الأغصان، تغمر المكان بضوءٍ دافئ أبيض. لا يوجد حضورٌ للبيض هنا. لا رسميّات هنا. إنّه بسيطٌ بمقدار ما كان النصرُ عظيماً. ينقسمُ الحَشدُ ليُفسِح لي الطريق. أسيرُ على حجارة الرصف البيضاء حيث يجلسُ لورن مع أحفاده على حافّة نافورة الدولفين. يشير لي أوغوستوس لأقفَ إلى جانبه بالقرب مِن

تمثالٍ لفتاةٍ عذراء عمياء تحمل ميزاناً وسيفاً. إنّه مغطّى باللَّبلاب. ينضمُّ إلينا الشَّغبَر.

- «سمعتُ أنّنا سنصبحُ إخوة». أقول له.

- «حسناً، مَن قال بأنّه لا يمكنكَ اختيارُ عائلتك؟». ينظر بإلهاءٍ إلى لوحه الرقمي: «الأفضل أن تكونَ أنتَ بدلاً مِن ذلك الوغد كاسيوس».

- «هل هنالك مشكلة؟». أسأل.

- «المزيدُ مِن أوامر المصادرة المتبّبة». يرفع نظره عن لوحه الرقمي: «آسف. كلُّ شيء ممتاز على المرّيخ يا صديقي. أتمنّى فقط لو كانت أختي هنا. ما زلتَ لا تعرفُ أين هي، أليسَ كذلك؟».

أهزُّ رأسي. مع كل ذِكرٍ لها، تصبحُ موستانغ أكثرَ بُعداً. تمسَّكتُ بأمل أن تظهر والقيام بدخولٍ عظيمٍ لأعرف أن كلَّ شيء على ما يرام، لكن بعضُ الأحلام لا تتحقّق.

- «أستميحكُم عذراً يا سادتي الأعزاء!». يُعلن أوغوستوس، مُقاطعاً همسات الحديث: «شكراً لكم». يصدر كُحّةً، ويوجّه ترحيباً لضيوف المرّيخ العديدين، مائلاً برأسه نحو الحاكِمة العامّة لترايتون: «على الرغم مِن أنّ كؤوسنا تتلألأ، وبطوننا ممتلئة، إلّا أنّ هذه اللّيلة لن تدوم». يتفحّص ضيوفه، صوته حازمٌ وبلا مشاعر في الهواء الرطب. يراعات تتوهّج بين الأشجار.

- نحنُ نعلم أنّ هذه هي البداية فقط. الحربُ ستتطلّبُ الكثيرَ منّا. لكنْ لا داعي لأن نستعجلَ المرور على نصرٍ مثل الذي رأيناه قبل أسابيع قليلة. انتصار للإرادة، والولاء، والقوّة».

- «كلُّ تلكَ العَظَمة المُقدَّمة في العرض كانت لهم. لحظات هادئة

كهذه هي لنا». يلمسُ لمرّةٍ واحدةٍ ندبة وجهه: «حيثُ يُمكننا، على الرغم مِن اختلافاتنا، أن نحني رؤوسنا ونرفع كؤوسنا لإنجازٍ فريدٍ مِن الإرادة. لم يتحقّق بمفرده، ولكنّ المطر استُدعي بواسطة رجُلٍ واحد؛ لذا يا دارو أندروميدوس الذهبيّ إنّنا نحيّيك».

- «يحيا الحصّاد!». ينادي لورن، ساخراً منّي قليلاً.

ترتفع الكؤوس عبر الفُرجَة بينما تتمتم الأصوات بالموافقة. يشربون. أشعر بفراغٍ كبيرٍ، وأنا أنظر إلى يساري وأرى الشّغبر بدلاً مِن موستانغ. الابتسامُ يبدو زائفاً جدّاً، وأنا أعلمُ أن كلَّ هذا سيتداعى قريباً. يبدو أنّ فيكترا تشعرُ بمزاجي، فتغمزني، وهي تميلُ كأسها نحوي.

يشيرُ أوغوستوس إلى روكي، الذي يتقدّم إلى الأمام مُحتضِناً الصندوق العاجي الكبير بين ذراعيه. يضعُ الصندوق في يدَيَّ ويضعُ إحدى يديه فوقه حتّى لا أفتحه بعد.

- «لقد شهدنا أنا وأنت الكثيرَ معاً». صوته هادئٌ ومتّزن: «في اللّيلة الأولى التي التقيتكَ فيها، كنتَ على أرضيّة قلعة المرّيخ تنظرُ إلى الدماء على يديك. هل تتذكّر ما قُلتُه؟».

يده الأخرى تلمس معصمي الأيمن، هذا الحنان وكأنّه شيءٌ مِن الماضي، حين كانت أيدينا أقلّ خشونةً، وأقلّ ندوباً.

- «بالطبع: (إذا قُذفتَ إلى الأعماق ولم تسبح ستغرق)؛ لذا استمرّ في السباحة». أردّد: «لن أنسى أبداً».

- «كم ابتعدنا». تتفحّص عيناه وجهي، تسجّلان ملحوظاتٍ عن خطوطه وعيوبه. أميلُ برأسي، متسائلاً عمّا يبحث: «كنتُ لأدفعَ مئة ضعف قيمة عقدكَ لحمايتك».

- أعلم يا روكي.

- كنتُ لأموتَ مِن أجلكَ ألف مرّة أخرى؛ لأنّك كنتَ صديقي.

كنتَ. هناك شيءٌ في صوته يجعلني أنظر مِن حولي. مِن فوق كتفه، أرى فيكترا تهمسُ بشيءٍ مُضحكٍ لأنطونيا وأُمِّهما الهزيلة. لورن يقدِّمُ لأحفاده أطباقاً صغيرةً مِن الكعك جلبها زهريٌّ قصير، لكن بعد استدارة الخادم، أتجمَّدُ في داخلي. إنّه يستدير بغطرسة. بقسوة. على نحوٍ لا يشبه أيَّ زهريٍّ وُلدَ يوماً. يَخرجُ عن شخصيّته لنصف ثانية. أعرفُ هذا الدوران. أعرفُ هذا الرجُل. إنّه فيكسوس. لا بدّ من أنّه هو. تنتقل عيوني إلى الزَّهريّة التي جلبَت الويسكي للورن. ليلاث. فتاة الشّغبر التي كانت ترتدي عظاماً في شعرها، والتي تحالفت مع عائلة بيلونا. إنّهم متنكّرون كزهريّين. ذهبيّون بأقنعةٍ للبشرة وعدسات.

ذئابٌ تتظاهر بأنّها خراف.

أتراجعُ مُبتعداً عن روكي، أهمُّ بالصراخ، عندما أشعر بقبضته تشتدُّ، وأدركُ أنّه كان يودّعني. إبرةٌ مِن خاتمه تخز معصمي، بلطفٍ، مثل القُبلَة التي يضعها الآن على خدّي.

- وهكذا يرحل الكاذبون، بقبلةٍ ملعونة.

كلمة واحدة تحطِّمُ ألفَ كذبة.

وجهٌ أبرد مِن التمثال الرخامي خلفنا، ينحني روكي إلى الخلف ويفتحُ غطاء الصندوق العاجي. مع الصرير الهادئ للمُفصلات الفضيّة، ينتهي عالمي. أوغوستوس يلهثُ رعباً ممّا بداخل الصندوق. وعلى بُعدِ خطوةٍ واحدةٍ، الشغبر، بعينين ممتلئتين بالكراهية القديمة، يبتسمُ لي ويُرجِع رأسه إلى الوراء كحيوانٍ ليُطلقَ عواءً جنونيّاً ساخراً.

إشارة للنهاية.

تمدُّ فيكترا يدها نحو شفرتها. تتراجع أنطونيا إلى الخلف. تلتقط حرَّاقاً مِن صينيّة نادل وتطلق رصاصتين في ظهر فيكترا، ثمّ تطلقُ رصاصتين إضافيّتين في رقبة والدتها قبل أن يتمكّن أيٌّ كان مِن التحرّك.

- «أركوس!». يصرخ أوغوستوس، وهو يستلُّ شفرته: «إلى السلاح!».

- «العَوّاؤون إليّ!». يزأر لورن، دافعاً بأحفاده للخلف: «احموا الحصّاد!».

فات الأوان. حتّى مع نهوض لورن، تسحبُ ليلاث خنجراً نبضيّاً مِن تحت صينيتها وتمرّره عبر حلقه مِن الخلف. يُقحِم لورن يده بين حلقه والنصل. تسقطُ أربعة أصابع على الأرض. يميل بجسده ويقاومُها، ممسكاً بمِعصَمها بذراعه الدامية. النصل يتأرجح. يتأوّه. رعبٌ عميق في الصميم، بينما تسيطر الفوضى على الفُرجَة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ينتشر السُّمُّ في داخلي.

أهوي على الأرض، والصندوق في حضني.

ظهري مستند إلى التمثال الأعمى.

مشلول.

ينزلقُ الشّغبر وسط المعركة، كحيوانٍ زاحفٍ فوق الجليد. يراقبُ الطعن والذبح، ويجدُ لورن لا يزال يصارع ليلاث بينما تحاول قطعَ حلقه. يتمكّن لورن مِن التقاط قطعة زجاج مكسور مِن الأرض ويقتربُ لطعن ساق ليلاث، عندها ينحني الشّغبر، يتفحّص لورن للحظة، ويغرس ببطءٍ نصلاً في بطنه.

- لقد كانوا مخطئين. جانبكَ ليسَ مصنوعاً مِن الحجر.

يتقلّص وجهُ لورن مِن الرعب بينما يسحبُ الشّغبر النصلَ إلى الأعلى عبر جسد الرجُل العجوز. تقفزُ عيون مَن علّمني فنون الشفرة إلى وجهي، إلى أحفاده. يحاولُ الوقوف، يحاولُ مع آخر ذرّة مِن الغضب. يحاولُ قول شيء. لكنّ جسده قد خانه. لن يرى جزيرته مرّة أخرى. لن يُربّت على الغِرفين خاصّته. لن يسمع ضحكات أحفاده، أو يرى ليساندير، الحفيدَ الذي وعدتُه به. أنا مَن فعل هذا به. جلبتُه مِن ذلك السلام المنعزل الذي كان يرغبُ فيه، لكنّه كان يعلمُ بأنّه لم يستحقّه يوماً. وسرعان ما تُحدِّقُ عيونه إلى اللاشيء ويسترجع الشّغبر نصله، وتُنهي ليلاث عملها بحركةٍ بطيئةٍ منشاريّة.

أُطلِق أنيناً طويلاً. هذا كلُّ ما أستطيعُ فعله. يسيلُ اللُّعابُ على حلقي. تزحف فيكترا نحوي، والدم يسيل منها. وسط كل هذا، يقف روكي كتمثال، على انفراد.

الأسلحة النبضيّة تصدحُ مِن بعيد. الرعد يمزّق السماء، بينما تهبط أشكالٌ مُظلِمةٌ، مخترقةً حاجز الصوت. يأتون مِن سفينةٍ مُتخفِّية. شيء ما يتسلّل. أين الدَوريّات؟

يهبطُ السبجيّون والحرس البريتوري وسط الفُرجَة، ليحطّوا بقوّةٍ على الحجارة. يطاردون الهاربين مِن ساحة القَتلِ إلى الحدائق، يصطادونهُم بهدوءٍ وفعاليّةٍ عالية. تُوجِّهُ أنطونيا الذبح والتقتيل، لتقضي على الوَرثة، وتقطعَ سُلالاتٍ عمرها نصفُ ألفيّة. تأخذ رهائن. ليلاث تضحك مع فيكسوس. يخلعون أقنعة البشرة الإلكترونيّة ويتركون شعرهُم الذهبيّ يتحرّر. مِن خلفهم، تهبطُ أجا ببريقٍ عظيم، درعها يلمعُ في ضوء الفوانيس.

تتفحّص المجزرة، وَجهُها مُظلمٌ وراضٍ. بالكاد ألاحظها، لأنّ صديقاً قديماً يهبطُ بجانبها؛ كاسيوس.

- «فيرجينيا؟». يسأل.

- «مفقودة، أخشى ذلك». يقول الشّغبر.

- هل حُذِّرَت؟

- بل غاضبة. شجار عُشَّاق.

تتمكّن فيكترا مِن الزحف إلى كاحلي. أثرٌ دمويٌّ يظلّل مسارها مِن حيث أُصيبت إلى حيث تتكوّر الآن. حمراءُ شفتاها. لا أستطيع الشعور بلمسَتِها.

- «لم أكن أعلم». تهمس: «دارو، لم أكن أعلم».

تنحني أجا فوق جثّة لورن، تأخذ شفرته مِن خصره وتغلق عيون مُعلِّمها إلى الأبد. حتّى لم يسحب السلاح. يقترب كاسيوس، يقف عند قدمي، حيث ينحني على ركبته ويراقبني.

- «هل يستطيعُ التَّحرّك أيّها الشاعر؟». يسأل روكي.

- لا، لكنّه يستطيعُ السمع.

- «لقد قتلتَ عائلتي يا دارو. جميعهُم. أنا، جوليان، هذا أمر. لكن الأطفال؟ كيف استطعت؟». لا أفهم عمَّ يتحدّث: «سأجدُ سيفرو. سأجدُ موستانغ. لن تكون هنالك رحمة». يلمسُ المِقبَض المَطليَّ لشفرته بذراعه الجديدة.

- «لا يمكنكَ قتله». يقول روكي مِن خلفه: «أنتَ تعرفُ ما هو». يضع روكي يداً على كتف كاسيوس: «كاسيوس، أوامر الحاكِمة المعظَّمة كانت واضحة».

- «تشريح». يتمتمُ كاسيوس. ينظر إليّ، ويبدو أنّه لم يكن هنالكَ قطّ وقتٌ دعاني فيه هذا الرجُل بالأخ. لم يكن هنالك أملٌ قطّ في أن نكون ما نحن عليه الآن. بفظاظة، يمسكُ بيدي. أعتقدُ لوهلةٍ أنّه يصافحني، لكنه بدلاً مِن ذلك، يسرقُ الخاتم الذي كسبته. الذئب الحديدي الذي قتلتُ أخاه لأمتلكه. إصبعي عارٍ من دونه.

ينهضُ مِن ركبته المثنيّة ليقف عالياً فوقي، أشبه بنسرٍ جميلٍ منه إلى عُقاب: «جوليان، ليا، باكس، كوين، الحشيشة، القيثارة، الأحدب، تاكتوس، لورن، فيكترا. كانوا يستحقّون ما هو أفضل مِن مجرَّد الموت مِن أجل عبد». بهذه الكلمات، يتركني مع روكي.

العالمُ صامتٌ باستثناء شهقات البكاء وصوت صفّارات الإنذار. بجانبي، تراقبُ فيكترا كاسيوس، وهو يغادر، حياتها تتسرّبُ منها. تنظرُ إليَّ بعيونها الذكيّة التي تبدو ضائعةً الآن.

- «علينا الإسراع». تتشدّقُ أجا وسط المجزرة: «إنّهم يعلمون أنّنا هنا. أحضِر والدكَ ودعنا نذهب».

يهزُّ الشّغبر رأسه: «لحظة، لو سمحتِ».

على بعد عدّة أمتار، أوغوستوس مُلقى على الأرض ومُثبَّت مِن قِبَل ثلاثة خدم. يرفعونه لدى اقتراب الشّغبر، متخطّياً جثّة لورن المدنَّسة.

- «ألا يعجبك القناع يا دارو؟». ينادي عليّ: «صنعتهُ خصوصاً لك بعد أن كشفتَ حقيقتكَ لي في أتيكا».

يستديرُ الشّغبر نحو والده: «ما رأيك يا أبي؟ أكانَت هذه الحيلة جديرةً باسمك؟».

- «أيّها الوحش». يبصقُ أوغوستوس في وجهه: «ماذا فعلت؟».

- «إذن لستَ فخوراً؟». يمسحُ الشّغبر البصاق وينظرُ إليه: «تباً!».

- أوقف هذا يا بنيّ، لقد دمّرتَنا.

- «أدريوس...». تقول أجا، وصبرها قد نفد: «علينا الذهاب».

يتقدّم الشّغبر إلى الأمام: «الآن تناديني بُنَيّ؟». ينقرُ لسانه بلَومٍ ويُعدِّل مِعطَف والده: «هل كنتُ ابنكَ حين وضعتني على صخرةٍ مِن أجل أن تأخذني العناصر؟ ثلاثة أيّام. كنتُ طفلاً. لم يرغب المجلسُ حتّى بالتّعريض. لكنّكَ كنتَ تعتقدُ أنّني ضعيفٌ جدّاً، وأنَّ كلاوديوس قويٌّ جدّاً. هل كان قويّاً عندما جعلتُ كارنوس يصرعهُ أرضاً؟».

ترتجف شفتا والده: «ماذا؟».

- «لقد دفعتُ لكارنوس بيلونا الذهبيّ سبعة ملايين وحدة وستّة زهريّين لتدنيس فتاة كلاوديوس. كنتُ أعلم أنّ شرفَ كلاوديوس سيقوده إلى الحلبة. الشيء المضحك هو... أنّها كانَت أموالك. طلبتُها منكَ كي أستثمر في مستقبلي، ولقد فعلتُ ذلك». يعبُس: «أبي، هل كنتَ تعتقدُ حقّاً أنَّ طفلاً في العاشرة يهتمُّ بسوق الفضّة؟ كان يجبُ عليكَ أن تنتبهَ أكثر».

- «قتلتَ كلاوديوس». يتقطّعُ صوتُ أوغوستوس تحتَ الضغط وينهارُ في أحضان مَن يحملونه، مرتعشاً مِن الحزن: «لقد قتلتَ ولدي».

هذا سيكسر قلب موستانغ.

- «أنا وَلدُكَ». يبتسمُ الشّغبر ساخراً: «كنتُ ابناً جيداً. كنتُ أعبُدك. كنتُ أخافُ منك. كنتُ أُطيعك. تعلّمتُ ما كنتَ ترغبُ منّي أن أتعلّمه. ذهبتُ حيثُ كنتَ ترغبُ منّي أن أذهب. فعلتُ فقط ما أمرت. ومع ذلك، لم أكُن كافياً».

يهزُّ أوغستوس رأسه، متراجعاً عن إظهار غضبه، بينما يُكبِّل الحرس

البريتوري يديه معاً بقيودٍ مغناطيسيّة. ترتفعُ عيناه لتنظرا إلى الوحش الذي أنشأه: «كان يجبُ أن أخنقكَ في مَهدِك».

- تعال الآن، أبي...

- أنتَ لستَ ابني.

ينتفضُ أدريوس. مع تلك الكلمات القليلة، يُطلِق أوغوستوس فيه شيئاً. وذلكَ الجزء الصغير مِن أدريوس الذي كان يأمل في أن يكون محبوباً، يختفي. يتخلَّص مِن إنسانيّته، تاركاً فقط الشّغبر.

- «إذنْ وداعاً للأمل، ومع الأمل وداعاً للخوف. وداعاً للندم: كلُّ ما هو جيد بالنسبة لي قد ضاع». يهمسُ إلى جزءٍ بعيد، مُتلاشٍ مِن نفسه بينما يرفعُ بِكَسَلٍ الحرَّاق إلى جبين والده: «فليكُن الشرُّ خيراً لي».

- «توقّف!». تتقدّمُ أجا: «أدريوس! باسم الحاكِمة المعظَّمة—».

يطلقُ الشّغبر النار على رأس والده.

يسقطُ قاتلُ إيو على الأرض، وأشعرُ بالفراغ ينتشرُ في قلبي. الموتُ ينجبُ الموتَ الذي ينجبُ الموت. هذا ما حذّرني منه الراقص؛ لهذا السبب قالت موستانغ ألّا أثق بأخيها. لهذا السبب سيموتُ أصدقائي. لهذا سأموت. لأنّني لا أستطيعُ مضاهاة هذا الشر.

مَن يستطيع؟

- «أيّها الثعبان الصغير الأحمق!». تصرخ أجا: «كانت الحاكِمة المعظَّمة تحتاج إليه ليُقِنع المنطقة الهامشيّة، تبّاً!». تنظرُ إلى السماء بينما تلمعُ مساراتٌ مِن اللّهب عبر الظلام. أحدهُم قادم بسرعةٍ مِن الغلاف الجويّ العُلوي. وَميضُ نيران سلاح نبضيّ يتوهّج عبر أراضي القلعة بينما يواجه الحرس البريتوريّ طلائع المستجيبين لأوغوستوس ولورن.

- «لقد أعطيتُكِ هذه الجائزة». يقول الشّغبر مُشيراً إليّ: «لا تَندُبي الآن». يعود إلى لوحه الرقمي ويشيرُ إلى مسارات اللّهب.

- آل تيليمانوس قادمون. ما لم ترغب في اللّعب معهُم، أقترح أن نغادر.

يوافق كاسيوس: «لقد مات لورن وأوغوستوس. سيصعَقُ هذا الجيش».

تأمُر أجا حرسها البريتوري بالذهاب إلى سفينتهم. يأتون لأخذي من الأرض. ترتخي يدُ فيكترا عن ساقي. عيونها قد أغمضت.

- «روكي». أتمتم على الرغم من الثقل الذي يسبّبه السمّ: «أخي...».

- «لا، لا». يقول، إنّه ليسَ وحشاً، لا يزال هو نفسه، لا يزال هادئاً وساكناً، على الرغم من الفظاعة التي في حزنه: «أنتَ ابن أحمر، وأنا ابن ذهبيّ. العالمُ الذي كنّا فيه إخوة قد ضاع». لكنّه يقترب، منحنياً، مادّاً يديه الرقيقتين ليُميل الصندوقَ العاجي الذي في حضني نحو وَجهي: «وفي هذا العالم، لن تضعُفَ قوّة الذهبيّ أبداً».

أنظرُ إلى داخل الصندوق، وقلبي يتحطّم.

كل ما كان، كل ما كان يجب أن يكون، ينهار. حلمُ إيو يبتلعه الظلام. أينما كنتم، سيفرو، موستانغ، راغنار، لا تعودوا إلى هذا العالم. هناك ألمٌ كثير. حزنٌ كثير لا يمكن إصلاحه أبداً.

أنظرُ إلى داخل الصندوق وأرى رأس فيتشنير يُحدِّق بي، بلا عيون، وفمه محشوٌ بالعِنَب. أريس، الأملُ الوحيد الذي كان لدينا، الرجُلُ الوحيد الذي التقطني عندما كنتُ مُحطَّماً وأعطاني فرصة لشيء أفضل مِن الانتقام، قد ذُبِح. وأعرفُ أنّه قُضيَ علينا.

# شكر وتقدير

سطري المفضّل مِن سيد الخواتم يأتي عندما يكاد فرودو أن يستسلم في مهمّته، فيقول له سامواياز: «تعال يا سيّد فرودو... لا أستطيع حمله مِن أجلك، لكن يمكنني حملُكَ».

الكتابة رحلةٌ تخوضها وحيداً في بعض الأحيان. تفقد الطريق. تأخذ الممرّ الجبلي لتدرك أنّك ارتكبت خطأ ويجب عليك العودة عبر طريقٍ أكثر خطراً. غالباً لا يوجد ساحرٌ ليوجّهك. لا توجد علاماتٌ سوى تلك التي تستدعيها. كل شيء متروكٌ لك، وهذا يمكن أن يكون شاقّاً، على الأقل بالنسبة لي، ولكن على الرغم مِن أنّ أصدقائي وعائلتي قد لا يتمكّنون مِن توجيه القصّة، إلّا أنّهم يحملونني بحبّهم وصداقتهم، وأنا محظوظٌ بذلك.

أنا أيضاً محظوظٌ لأنّني وجدت دار نشر رائعة مثل Del Rey. لم أشعر يوماً أنّني مُقيّدٌ إبداعيّاً. لم أشكّ يوماً بأنّهم يرغبون في أيّ شيء سوى أفضل قصّةٍ لعينةٍ يمكن أن نضعها على الورق. ديفيد موينش، جو سكالورا، كيث كلايتون، تريشا نارواني، سكوت شانون، ديف ستيفنسون، أنتم جميعاً قدّيسون لعينون بالنسبة لي.

الآن، بالنسبة لمحرّري، مايك براف: لم يكن هنالك كاشفٌ

للأكاذيب/ مهووس بالسبجيّين أكبر منه في جميع العوالم. يمكنكم شكره على وتيرة القصّة السريعة، وعدد القتلى الذي لا خجل منه، وثعلب كافاكس، سوفوكليس. الشكر أيضاً لهانا بوومان التي—مع ليزا داوسون وهافيس داوسون—أخذت فرصةً لتمثيلي، وجون كاسير على صبره ورعايته الرائعة لحقوق الفيلم.

الشكر أيضاً لجويل فيليبس على الخرائط الجميلة وليالي الويسكي، وناثان فيليبس لكونه الأخ الصغير الذي لم يكن لديّ يوماً، وتامارا فرناندیز على الحكمة التي تتجاوز سنين عمرها، وجاريت برايس لجعلي أشعر بلوس أنجلوس وكأنّها دياري، وتيري بروكس للوقت الذي أمضاه في قراءة أوّل عملٍ لكاتبٍ شاب، وسكوت سيغلير على مدحه السخي، وجوش كروك على جميع خطط الشقاوة على الإفطار.

إلى والدَيَّ، أدين لكما بكل شيء. وضعتما مجرفةً في يدي بدلاً من وحدة تحكّم ألعاب الفيديو. كان الحفر في الغابة أفضل تعليمٍ تلقّيته على الإطلاق. لم ألتق قطّ بأرواحٍ أصدق وألطف منكما. أنتما الأشخاص الذين أتمنّى أن أكون عليهم. وإلى أختي، بلير، شكراً لك على جعلي أكثر حكمةً بتعليمي المخاطر الفريدة للتورّط مع الجانب السيّئ لامرأةٍ صبورة، أوه، وأيضاً على كونك محاربة النينجا والقاتلة المأجورة الخاصّة بي.

في النهاية، يجب أن أمنح دائماً الفضل لآرون فيليبس. من دونه، ما كان هناك انتفاضة الحمر، ولا الابن الذهبيّ. صديق حقيقي منذ التقينا في أثناء دراستنا في الخارج في ألمانيا، لقد شاهدني أبدأ خمسة عشر كتاباً، وأنهي ستّة، وأواجه الرفض من الوكلاء أكثر من مئة مرّة على مدى سبع سنوات. عندما أصبحت الأمور مظلمة، حفّزني وشجّعني على الاستمرار

في مهمّتي. كان من المبارك رؤيته يكبر، ويتزوّج، ويصبح رجُلاً عميقاً وصادقاً مثلما كان سامواياز غامجي على الدوام.

من الغريب التفكير في أنّني كتبت انتفاضة الحمر قبل أربع سنوات فوق مرآب والدَيَّ في سياتل. ومن الأغرب أنّني ظننت أنّ أصدقائي فقط سيقرؤونها يوماً ما. لذا الشكر لكم أيّها القراء. شكراً لكم لكونكم في هذه الرحلة معي. شكراً لكم على السماح لي بأن أعيش الحياة كصانع أحلام، الشيء الوحيد الذي أردت القيام به منذ أن قرأ لي والدي الهوبيت كصبي صغير، وأدركت أن سحر الإنسان يكمن في الكلمات، في الحكايات، في الأساطير المفقودة، وفي تلك التي لا تزال قادمة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

**بيرس براون**

مواليد (1988).

إعلاميٌّ وكاتبُ خيالٍ علميٌّ أمريكيّ.

عاش براون طفولةً غنيّةً؛ بسبب انتقاله مع عائلته للعيش على امتداد سبع ولاياتٍ أمريكيّةٍ؛ حيث اعتاد أن ينصب الفخاخ والكمائن لأولاد عمومته. تخرّج في الجامعة عام 2010 بعد أن تخصّص في مجال العلوم السياسيّة والاقتصاد، لكنّه لم يرغب بإكمال مساره الأكاديميّ. ولأنّه كما يقال: لم يولد، وفي فمه ملعقة من ذهب، توجّه إلى مزاولة مهنٍ مختلفة، إلى جانب ولعه في الكتابة؛ حيث عمل خبير سوشيال ميديا في شركة تكنولوجيا صاعدة، وعمل في أستديوهات ديزني ضمن قناة .(ABC).

كتب براون حتّى الآن ستّ روايات، ومن ضمنها: سلسلة «انتفاضة الحمر» التي رُفضت من 120 دار نشر قبل الموافقة على نشرها، لتحقّق بعد ذلك شهرةً كبيرة. واليوم، يعيش براون في لوس أنجلس؛ حيث يتبع شغفه الحقيقيّ في الكتابة عن سفن الفضاء، والغيلان، وشتّى الكائنات الأُخرى الغريبة والمتخيّلة، التي غذّت مخيّلته، وهو طفلٌ صغير.

**رامي البيروتي:**

من مواليد عام 1982 بدمشق، حائز على ماجستير في أمن النظم

المعلوماتيّة من الجامعة السلوفاكيّة التقنيّة في براتسلافا. يعمل في مجال الترجمة من اللّغتين: الإنجليزيّة، والسلوفاكيّة منذ عام 2006.

من ترجماته:

- أمير الروح والمنارة المفقودة.
- حديث ليلي.
- الحصان.
- انتفاضة الحمر.

محاطاً بذئابٍ لا ترحم، يواصل دارو المغامرة التي بدأها في انتفاضة الحمر. بيرس براون ينسج في هذا الجزء الثاني قصّة المتمرّد الذي صاغته المأساة، والشاب الذي حمل على عاتقه حلم الألوان الدنيا بالحريّة.

لكنّ الحرب التي ستغيّر مصير البشريّة لن تُحسم بالسيوف وحدها، بل بقدرة دارو على مواجهة الخيانة، وكبح رغبته في الانتقام، والسعي إلى ثورةٍ تولد منها حياةٌ جديدةٌ مفعمةٌ بالأمل. وبين طرق محفوفة بالغدر والخداع، عليه أن يتذكّر إرث إيو ومبادئها في الحب والعدالة، ليمنح شعبه فرصة الخلاص.

إنّها ملحمةٌ عن الشجاعة والوفاء والإرادة، وعن رجُلٍ كُتب عليه أن يعيش من أجل المزيد.

منحة الترجمة
Translation Grant
صندوق منحة الشارقة للترجمة
Sharjah Translation Grant Fund

**تمت ترجمة هذا الكتاب بمساعدة صندوق منحة معرض الشارقة الدولي للكتاب للترجمة والحقوق**

مكتبة
t.me/soramnqraa

دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع

ISBN 978-9933-701-48-2